((شرح الأرجوزة المفيدة في نظم قواعد العقيدة)) لفضيلة الشيخ وليد بن راشد السعيدان حفظه الله تعالى ، ومتعه بالصحة والعافية ، وجعله زخرا للإسلام والمسلمين ، ونفع الله به ، وجعله مباركا أينما كان ، ونسأل الله أن يجعله ممن نصر دينه ، واللهَ نسأل أن يرفع قدره في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا اللهم آمين

....

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين ، نتكلم عن شيء من قواعد أهل السنة والجماعة قبل البدا في العقيدة الطحاوية ، وذلك إن طريقة التعلم على طريقة التأصيل والتقعيد هي من أنفعها ما يكون لطالب العلم ، فإن الإنسان لو تتبع تلك الجزئيات والتفاصيل لطال به الزمن واضطربت تلك الجزئيات في ذهنه ولم ترسخ ، وأما القواعد والإقبال على القواعد فإنه من ما يعين الطالب على فهم العلم وضبط العلم وعلى معرفة أجزاء وتفاصيل هذا الفن ، فعلم العقيدة له قواعده المعتمدة عند أهل السنة والجماعة وله

أصوله وضوابطه فأحببت أن ألخصها في هذه الأرجوزة الخفيفة وأسأل الله أن يعيننا على إنهائها وإتمامها ، ولن نطيل في شرح الأبيات وإنما توضيح بعض الألفاظ الصعبة إذا مرت علينا شيء منها وتوضيح فكرة القاعدة ومن التوسع في ذلك فهناك كتاب لي اسمه " القواعد المذاعة في مذهب أهل السنة والجماعة " ولعله يجد بغيته فيها بإذن الله الواحد الأحد ، كل بيت في هذه القاعدة عبارة عن قاعدة كاملة فأحيانا يمر عليك أيها القارئ الكريم في البيت الواحد قاعدتان وأحيانا يكون نص القاعدة طويل فأضطر أن أنظمها في بيتين ، ولكن في الأعم الأغلب إن القاعدة في بيت واحد فمن حفظ هذه المنظومة بإذن الله يكون قد حفظ قرابة المائة قاعدة عقدية إن شاء الله .

يقول الناظم وفقه الله تعالى ورفع قدره ونور بصيرته :.

الحمد لله على ما قدره حمدا به عز حياة الأخرة

قوله :. (الحمد) لقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى هل الحمد مرادف لشكر أم لا ، والقول الصحيح هو ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية إن بين الحمد والشكر عموما وخصوصا ، بمعني إن الحمد والشكر يتفقان في شيء وينفرد كل واحد منهما في شيء أخر.

فإذا قيل :. الحمد فإن الحمد له عموم باعتبار أسبابه فالأسباب التي يحصل بها الحمد أكثر من الأسباب التي يحصل بها الشكر ، فالحمد يكون حمدا ابتدائيا وحمدا جزائيا، بمعني أنه يقابلك رجل من الناس لم يسبق لك عليه نعمة ويحمدك لشجاعتك ويحمدك لبطولتك ويحمدك لشهامتك فهذا حمدا

وليس شكرا لأنه حمدا الابتداء ، وأما الثاني فهو حمد جزائي وهو إن يقابلك بالحمد بعد نعمة صدرت منك له ، فالحمد يكون ابتدائيا تارة ويكون جزائيا تارة ، وأما الشكر لا يكون إلا جزائيا فلو قابلك أحد الناس وليس بينك وبينه ثمة معرفة وقلت لك أشكرك يا أخي فتقول له على ماذا ؟ فإذا الشكر لا يكون ابتدائيا وإنما لا يكون الشكر إلا جزائيا ، فصار الحمد أعم من الشكر، وأما الشكر فإنه أعم من الحمد باعتبار وظائفه التي يؤدى بها فالحمد ليس له إلا وظيفتانا ، فالحمد يؤدي بالقلب واللسان فقط وليس هناك حمد بالجوارح ، وأما الشكر فإن له ثلاث وظائف فالشكر يؤدي بالقلب ويؤدي باللسان ويؤدي بالجوارح ، فصار الشكر أعم من الحمد باعتبار وظائف أدائه ، والحمد أعم من الشكر باعتبار أسبابه واختار هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذة العلامة ابن القيم وجمع من المحققين ،

ثم قال الناظم :.

ثم الصلاة والسلام كلما أضاء نجم في السماء وأظلما

على النبي الهاشمي المصطفي وصحبه والتابعين الحنفا

اختلف العلماء في معني الصلاة على النبي ﷺ وأصح الأقوال فيها ما قاله أبو العالية رحمه الله من أنها ثناء الله على عبده ورسوله ﷺ ، فإذا قيل ما معني الصلاة على النبي ﷺ ؟ فقل معناها ثناء الله عليه في الملأ الأعلى ، وجمع الناظم هنا بين الصلاة والسلام اقتداءاه بالقرآن كما في قول الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما " ، وندعو بالسلام لنبي ﷺ بعد موته لأن دعوتنا بالسلامة لنبي ﷺ يدخل تحتها عدة أمور :-

1- سلامة جسده من الاعتداء ، وكم من المحاولات التي مرت في نبش قبر النبي ﷺ ولكنها تبوء بالفشل كما فعله الرافضة كما هو معروف في التاريخ فندعو الله أن يسلم جسده .

2- ندعوا أن الله يسلم أمته فإن سلامته أمته سلامة له فإذا سلامته سلامة لأمته وسلامته أمته سلامة له .

3- ندعوا أن يسلم شريعته وإن كنا قلنا النبي ﷺ فنقصد السلام على شريعته ، بمعني أن يحفظها الله جل وعلا باقية إلي قيام الساعة بعيدة عن أيدي من يدسون فيها ما ليس منها .

ثم قال الناظم :-

"فهذه أرجوزة مفيدة جامعة قواعد العقيدة فخذها مني سهلة ولتنهل وصحح الإخلاص لرب العلي "

أي مفيدة حال كونها جامعة فجامعة هنا حال منصوب ،ولتنهل أمر بتصحيح الإخلاص لرب جل وعلا ، ثم قال الناظم وفقه الله " قاعدة لا يؤخذن المعتقد إلا من النص الصحيح المعتمد "

وهذه القاعدة الأولي :- وهي قاعدة متفق عليها بين أهل العلم رحمهم الله تعالى وقد دندنا كثيرا في كتبنا وشروحنا للقواعد ، وهي أن أهل السنة والجماعة لا يأخذون معتقداتهم إلا من الكتاب والسنة وقد دلت الأدلة الكثيرة على وجوب الاعتصام والاستمساك بكتاب الله جل وعلا وسنة نبيه ﷺ ، وهذه القاعدة هي الفيصل بين أهل السنة وأهل البدع ، وأهل التوفيق وأهل الخذلان ، فجميع الطوائف لا تأخذ معتقداتها من الكتاب والسنة كما فعله أهل السنة ، بل كثير من أهل البدع يأخذ معتقداته من عقله المجرد كما فعله الفلاسفة أتباع اليونانيين من الجهمية والأشاعرة والمعتزلة وغيرهم فهؤلاء لا يأخذون معتقداتهم

من الكتاب والسنة وإنما يعتمدون في المقام الأول على عقولهم فما قررته عقولهم فهو العقيدة المعتمدة، وما نفته عقولهم فهو العقيدة المنفية ، فإذا مبدأ الإثبات والنفي عند هؤلاء إنما هو مبني على العقل ، ومن أهل البدع من صار يأخذ معتقداته من مواجيده ومكاشفته وخوارق العادات كالصوفية والخيالات والمنامات والرؤيا والأحلام وغيرها ، فهؤلاء يعتمدون في عقائدهم على هذه الأمور ، فيري ولي من أوليائهم أن في هذا المكان ولي مدفونا من أولياء الله ثم في الصباح يخبر الناس ويبنون على قبره ويطوفون عليه على وهم بمجرد رؤيا ، فيثبتون عقائدهم بهذه الطرق ، ومنهم من يعتمد في إثبات عقائده على المرويات الكاذبة والدجل العظيم المنسوب إلي آل البيت وهم الرافضة ، ولكن أهل السنة والجماعة قصروا الاعتقاد على دليل الكتاب وعلى دليل السنة ، ولذلك لا تجد عقيدة يقررها أهل السنة إلا وعليها دليل من القرآن ومن السنة ، وهذا أمر مطلوب ولذلك الله جل وعلا امتدح الذين يمسكون بالكتاب فقال الله " والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين " وقد أمرنا الله جل وعلا باتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ فقال ﷺ " لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي " ويقول النبي ﷺ " أنه من يعش منكم فسيري اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور 0... الحديث " وفى الصحيح يقول النبي ﷺ " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي " قالوا ومن يأبي يا رسول الله قال " من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي" ويقول النبي ﷺ في تفسير الرؤيا التي جاءت فيها الملائكة له وقالوا إن لصاحبكم مثلا فاضربوا له مثلا إلي أخر الحديث قالوا " مثله كمثل رجل بني دارا وجعل فيها مأدبة وبعث

داعيا فمن أطاع الداعي دخل الداروأكل من المأدبة ومن لم يطع الداعي لم يدخل الدارولم يأكل من المأدبة " فقالوا من الداعي قالوا " محمد ﷺ فإذا من أطاع النبي ﷺ دخل مأدبة الله العظيمة وهي الجنة ، ويقول النبي ﷺ " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " ويقول أيضا ﷺ " وإياكم ومحدثات الأمور " ، والأحاديث في هذا كثيرة وكلها تصب في ميزاب هذه القاعدة العظيمة التي هي أول ما ينبغي إن يتعلمه طالب العلم في باب الاعتقاد وهو أنه لا يجوز لك أن تعتمد أي عقيدة إلا وعلى هذه العقيدة دليل من الكتاب ودليل من السنة وهذا متفق عليه بين أهل العلم رحمهم الله ، وهذا مما يُمتحن به الإنسان أسأله هل لك أصول يساق منها المعتقد غير الكتاب والسنة ؟ فإن قال نعم فهو بدعي ، وإن قال لا فهو سني ، إذا هذه القاعدة الأولي ،

ثم قال الناظم وفقه الله :-

" قاعدة لا يؤخذن المعتقد إلا من النص الصحيح المعتمد بفهم أصحاب النبي المصطفي والتابعين له الأولين الحنفا "

هذه هي القاعدة الثانية :- وهي أن كل فهم يخالف فهم سلف الأمة في العقيدة والعمل فإنه باطل ، ولا يجوز لك أيها المسلم إذا أردت النجاة في دينك ودنياك وعقيدتك لا يجوز إن تفهم الكتاب والسنة إلا على فهم سلف الأمة ، فإن أصح الفهوم في الكتاب والسنة هو فهم السلف رحمهم الله ، وإذا قلنا السلف فنعني بهم صحابة النبي ﷺ والتابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين ، فكل من اقتفي أثر النبي ﷺ باطنا وظاهرا في العقائد والأقوال والأعمال والاعتقادات كل هؤلاء يسموا بالسلف ،

ولكن على رأسهم أصحاب النبي ﷺ ولذلك قال " بفهم أصحاب النبي المصطفي والتابعين الأولين الحنفا " فإن من تابع فهم أصحاب النبي ﷺ فهو من أهل النجاة ، يقول ﷺ " من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي " وقال ﷺ " اقتدوا بالذَين من بعدي أبو بكر وعمر " والأحاديث في ذلك كثيرة ، فكل من فهم آية أو نصا أو حديثا عن النبي ﷺ على غير فهم سلف الأمة فإننا نقول فهمك باطل ،

ولذلك جعل العلماء من جملة الردود على أهل البدع إن فهمكم هذا مخالف لفهم سلف الأمة ، ولذلك رددنا على الأشاعرة في تأويلهم لليدين في قول الله جل وعلا " بل يداه مبسوطتان " قالوا النعمة والقدرة ، فرددنا عليهم بقولنا هذا مخالف لفهم السلف رحمهم الله ، وكذلك رددنا عليهم في تأويل الأصابع بأنها الذات ، وكذلك تأويل الوجه بأنه الذات ، وكذلك تأويل الاستواء بأنه الاستلاء ،

وكذلك تأويل الرِجلَ بأنها طائفة من الناس ، وتأويل الرحمة بأنها إرادة الإحسان ، أو الغضب بأنه إرادة الانتقام ، وغير ذلك فكل ذلك رددناه لأنه بني على فهوم مخالفة لفهم سلف الأمة ، فلتنتبه أيها القارئ الكريم فهناك دعوات كثيرة تريد أن تفصل دلالة الكتاب والسنة عن فهم سلف الأمة .

واعلم ولا يخدعنك أيها الحبيب فإنه متي ما فصل الكتاب والسنة عن فهم سلف الأمة فاعمل أن كل مبتدع سوف يستدل ببدعة بدليل من القرآن والسنة لأن القرآن حمَال وجوه ويستطيع كل مبتدع إن يلوي وجه الاستدلال حتي يخدم بدعته ، كما فعله الزمخشري في قول الله جل وعلا "

لن تراني " استدل بهذه الآية على نفي رؤية الله جل وعلا يوم القيامة ، وهذا غير صحيح ولا يكون الرد عليه بأن سند الآية ضعيف فهي آية في كتاب الله ولا تستطيع الكلام في السند ، ولكنك تقول أنه فهم هذا النص (الزمخشري) على فهم مخالف لفهم السلف فإذا فهمك هذا باطل ، فإذا القاعدة الثانية متصلة اتصالا وثيقا مع القاعدة الأولي ، فلا نأخذ معتقداتنا إلا من الكتاب والسنة وهذا هو الأصل الأول .

والأصل الثاني :- وهو أن يكون طريق أخذنا للكتاب والسنة على فهم السلف ، فلا تزِغ عن هذا قيد أُنملة لا يمينا ولا يسارا ، ولذلك يستطيع أهل الشرك من الوثنية أن يستدلون بالقرآن على شركهم ، ما فعله الصوفية في قول الله جل وعلا " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " يستدلون بها على جواز الطواف حول قبور الأولياء ، ويستدلون بها على جواز الذبح للأولياء ، ويستدلون بها على جواز تقبيل قبور الأولياء ، والتبرك بتربة الأولياء ، والاعتكاف عند قبور الأولياء ، ودعاء الأولياء ، والاستغاثة بهم من دون الله جل وعلا ، ولذلك أول ما يفجئك هذا المشرك بهذه الآية يقول لك هؤلاء أولياء الله والله يقول " ألا إن أولياء الله لا يخوف عليهم ولا هم يحزنون" فنرد عليه بقولنا أننا لو جمعنا كل أبله ومن لا عقل له على أن يتفهم من الآية هذا الفهم ما استطاعوا ، فضلا عن سلف الأمة ، فسلف الأمة متفقون على أن هذه الأفعال الشركية والوثنية التي تستدل بهذه الآية عليها أنها غير داخله في هذه الآية، فكيف يستدل بالقرآن الذي جاء بنفي الشرك وإبطاله على مسائل شركيه ووثنية ، فالصوفية مثلا يستدلون على جواز دعاء النبي ﷺ بقول الله " ولو أنهم إذا ظلموا

أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله " فقال واحد منهم والمجيء هنا مطلق والأصل بقاء المطلق على إطلاقه ، فنقول لا حسبك ومن قال أنه مطلق وأن فهم السلف للآية ،فقد أجمع سلف الأمة على إن المجيء هنا إنما هو مجيء له في حياته فقط ، وهذا في جميع فهم أصحاب النبي ﷺ .

وكذا الفلاسفة يفهمون نفي الصفات من سورة الإخلاص ، التي أخلصها الله في الإخبارعن ذاته ، فما ذكر الله في هذه السورة لا أحكام ولا مخلوقات ، فكلها مخلصة لذكر الله جل وعلا وما يتعلق به ، فالله يقول فيها " قل هو الله أحد " هذه الآية يجعلها الفلاسفة دليلا على نفي صفاته وأسمائه فقالوا لا يتصور أَحَادية الله إلا إذا نفي عن ذاته الصفات والأسماء لأنه إذا كان ذات وصفات وأسماء فيكون شارك أحاديته أسمائه وصفاته فلا بد إن ننفي الأسماء والصفات ، فنقول لا فهذا فهم سقيم غيرصحيح ، فانتبه أيها القارئ الكريم فلا ينفك كتاب الله جل وعلا عن فهم السلف ولا سنة النبي ﷺ عن فهم السلف ، ولا شأن لك بمن يقول لهم عقول ولنا عقول ، هم رجال ونحن رجال، لهم ألباب ولنا ألباب ، فكل هذا كلام هباء ويريدون به إن يدخلوا ببدعهم في كتاب الله وسنة النبي ﷺ ، ففهم السلف كالباب الصاد وكالمرصاد في الحقيقة لهؤلاء يصدهم عن الدخول أو الولوج في هذه النصوص الشرعية ،فأنتبه يا راعك الله لهذه القاعدة فإنها لا تنقص أهمية عن القاعدة الاولي بل إن والله ثم والله إن من فهم الكتاب والسنة على غيرفهم سلف الأمة فما يكون آخذ بالكتاب والسنة ، وإن استدل بالقرآن فما يكون من الآخذين به ، فلا يكون الأخذ فقط إن تجعله دليلا وحسب لا بل إن تجعله دليلا في مكانه ، ولكنه كونك تجعله دليلا في

غير مكانه فلا يكون أخذت بالكتاب والسنة ولا استدللت بهما ، مثل رجل يدخل مصر متسللا بغير أوراق نظاميه مع مخالفة عظيمة لولاة الأمور وأنظمتهم ثم يقول " ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين" فالاستدلال بهذه الآية لا يكون أخذ بالقرآن ولا استدلال في موضوعه بل استدلالك في غير مكانها ، فمن استدل بقول الله " بل يداه مبسوطتان " لا يكون أخذ بهذه الآية ، ومن يستدل بقول الله تعالى " ورحمتي وسعت كل شيء " على أنها إرادة الإحسان فلا يكون ممن أخذ بهذه الآية ، فإذا لا يتم ولا يكمل ولا يوصف الإنسان أنه آخذ بالكتاب والسنة إلا إذا كان أخذه لهما على مقتضي فهم سلف الأمة ، وهذا هو خلاصة هذه القاعدة ، وقوله الحنفاء أي المائلون عن الشرك ومنه قول الله تعالى " إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا " أي مائلا عن الشرك ، قوله " الحُنفا " أنهم مائلون عن الشرك والعقائد الباطلة المخالفة للكتاب والسنة .

ثم قال الناظم : -

" وليس للعقل الضعيف مدخل في الغيب أي كان أصل ينقل "

هذه قاعدة عظيمة جدا أيضا من قواعد أهل السنة والجماعة وهي القاعدة الثالثة :-

وهي أنه لا مدخل للعقل في باب الغيبيات استقلالا ، وذلك لأن الله جل وعلا لما خلق العقول خلقها ضعيفة عاجزة عن إدراك ما وراء الغيب ، فمن أعظم أسباب التي وقع فيها الطوائف هي مخالفة أحد هذه القواعد الثلاث ، فمن أسباب الضلال عدم اقتصار أخذ المعتقدات عن الكتاب

والسنة ، ومن أسباب الضلال عدم فهم الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة ومن أسباب الضلال إقحام العقل في أبواب الغيب والله جل وعلا خلق هذا العقل ضعيفا عاجزا عن إدراك ما وراء الغيب ، ولذلك سد أهل السنة رحمهم الله تعالى على العقل طمعه في استكشاف ما وراء الغيب ، فمن ذلك قولهم "إن نصوص الصفات يُعلم معناها ولا يجوز للعقل إن يخوض في كيفياتها " لأنهم يحجمونه عن التوغل في باب الغيبيات ، لأنك متى ما دخلت في باب الغيبيات من غير برهان بعقل مجرد من غير استضاءت بنور الدليل فإن عقلك هذا سوف يحتار ولن يرجع لك إلا بالشر والضرر والحيرة والشبه والشكوك والأوهام ، ولذلك ما ضل من ضل في باب الاعتقاد إلا بسبب أنه أراد أن يستكشف كيفية وجه الله تعالى ، وكيفية استواء الله ، وكيفية نزول الله إلي سماء الدنيا ، ولكن أهل السنة سلموا من هذه الشبه لأنهم أوقفوا عقولهم عند حدود ما يريده الله جل وعلا ، فنحن نعلم المعاني ونجهل كيفياتها ، وكذلك قال أهل السنة أن نصوص اليوم الأخر من الجنة والنار والسلاسل والأغلال والحديد والجحيم وغيره هذا يعلم معناها ولا يجوز للعقل الدخول في كيفياتها ، وكذلك الملائكة يعلم معناهم ونؤمن بما ثبت به الدليل ولا نقول أين هم ونريد رؤيتهم وندخل في عالمهم ، وكذا عالم الجن لا يجوز أن نخوض فيه لأنه عالم غيبي ، فإذا العوالم الغيبية لا يجوز للعبد إن يدخل فيها بعقله المجرد عن هدي الكتاب والسنة ، فمتى قادك الكتاب والسنة في شيء من أمر الغيب فكن وراءهما ، ولكن متى ما قفا لا تتعداهما حتي لا تسقط في ما سقط فيه غيرك ، ولذلك من خاض في الغيب بلا علم ولا برهان لم يرجع

بالخير ولا رجع بعقيدة سليمة وإنما رجع بأوهام وشبه وشكوك وكدر بعد إن كان في سلامة وصفاء وعافية قبل دخوله، فإذا هذه قاعدة عظيمة ولا تقصر في الأهمية عن القواعد الأولي لأن القرآن أخبرنا بأشياء كثيرة من الغيب ، بل إنني أقول إن الاستدلال على وحدانية الله بعالم الغيب أعظم من الاستدلال على وحدانيته بعالم الشهادة ، ولذلك دائم يقول الله " عالم الغيب والشهادة " فيبدأ بربوبيته وعلمه بالغيب على عالم الشهادة ، بل إن عالم الشهادة لا يكون كالذرة في عالم الغيب ، فالجنة الأن من عالم الغيب وأين الدنيا من الجنة ؟ وأين الأشياء التي شاهدناها والذين صعدوا إلي سطح القمر إن صدقوا في ذلك وغيرها ما قيمة هذه الأشياء التي شاهدناها مما سيكون في الغيب من النار واتساعها وتلك الأغلال والكواكب والأجرام والمجرات العظيمة التي لا يزال العلم الحديث يكتشفها بين الفينة والأخرى ؟ فإذا هناك عالم عظيم جدا يقال له عالم الغيب فاتق الله احجم عقلك من الدخول في الغيب ، ولا أقول عدم الدخول مطلقا لا وإنما عدم إدخال العقل استقلال من غير متابعة الكتاب والسنة ، إذا علم هذا فليعلم إن تلك القواعد الثلاث وهي :-

1- اعتماد الكتاب والسنة

2– واعتماد فهم سلف الأمة

3– وعدم إقحام العقل في مسائل الغيب فهذه الثلاث هي التي تبني عليها عقيدة المسلمين وهي التي ينبغي إن تجعل في ذهن الطالب قبل دخوله في دراسة العقيدة لأن جميع ما سيأتي من تفاصيل

العقيدة إنما هو مفرع على واحدة من هذه الأشياء ، لأنك إما أن تقول له هذه عقيدتك ودليلها كذا من الكتاب والسنة ، وإما أن تقول أن أهل السنة فهموا كذا وكذا ، وإما إن تحذره من إن يقحم عقله في هذا الباب ، فقبل إن تدخله في تفاصيل العقيدة ركز ورسخ وقرر في ذهنه أولا تلك القواعد الثلاث ثم دعه يسبح في بحر العقيدة وأنت بإذن الله قد جعلت له مركبا آمنا ، فمن لا يستدل إلا بالكتاب والسنة ولم يفهم أدلة العقيدة إلا على فهم سلف الأمة ولم يقحم عقله في باب الغيبيات فيكون من أهل السنة ، فإذا عقيدة أهل السنة من أولها إلي أخرها تدور حول هذه الأصول الثلاثة وتلك القواعد العظيمة العامة التي لا تجد فرعا واحدا من فروع العقيدة إلا وهو يدخل تحت واحدة من هذه الأشياء .

مثال لتوضيح في قول الله جل وعلا " الرحمن على العرش استوي "

عقدتنا في الاستواء أن الله استوي استواء يليق بجلاله وعظمته ، وأخذت هذه العقيدة من سبع آيات من القرآن " في السجدة الرعد الحديد ويونس وبطه والأعراف والفرقان " كلها يثبت الله فيها أنه استوي على العرش فأنت اعتقدت ما دل عليه الكتاب والسنة ، طيب إن قيل لك كيف استواءه ؟ نقول لا لا لا يجوز لي أن أدخل في هذا الباب متأولا برأيي ولا متوهما بوهمي لأنني أفهم الأدلة كما فهما أهل السنة وأهل السنة فهموا إن الاستواء معناه العلو والاستقرار فقط، وأما كيفية هذا العلو وكيفيته هذا القعود وكيفية هذا الاستقرار لم يتكلموا فيه ، فأتكلم حينئذ عن ما تكلموا فيه وهو المعني وأسكت عن ما لم يتكلموا فيه وهو الكيف وهذا هو

منهج أهل السنة ، فإن قيل إذا كان الله مستويا على العرش فيكون العرش حينئذ يحمل الله ودائما المستوي محتاج إلي ما استوي عليه ؟

فالأشاعرة يقولون فيلزم من ذلك أننا لو أبعدنا العرش عن الرب لسقط الرب؟ نقول لا تعالوا فأنتم أقحمتم عقولكم في باب الغيبيات وأنا من عقيدتي أنني لا أُدخل عقلي في باب الغيبيات وإنما أقف حيث وقف النص ، وهذه القواعد تتكرر عليك في كل عقيدة من عقائد أهل السنة والجماعة ، كعقيدتهم في الملائكة ، وعقيدتهم في الجن ، وعقيدتهم في حقائق اليوم الأخر، عقيدتهم في الأسماء والصفات ، وعقيدتهم في القدر، فجميع الأمور الغيبية تمر عليك هذه العقائد الثلاث فليحفظها كل طالب علم وكل من يريد النجاة ، وهي :-

1- لا تؤخذ المعتقدات إلا من الكتاب والسنة

2- لا نفهم الكتاب والسنة إلا على فهم سلف الأمة

3- لا يجوز لنا أن نقحم عقولنا في باب الغيبيات .

وليس معني ذلك لأن العقول تتعارض مع الغيب لا فإن الذي أنزل النص هو الذي خلق العقل وهو أحسن قيلا وأصدق حديثا من خلقه "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" كيف يخلق عقلا ثم ينزل نصا يتعارض مع العقل فهذا لا يكون أبدا ، وإنما العقول تحار في النقول لا تعارض النقول

ولذلك يقول العلماء رحمهم الله :" إن النقول لا تأتي بمعارضات العقول ولكنها تأتي بمحارات العقول " أي أن العقل لا يتعارض مع النص وكذا النص لا يتعارض مع العقل كما سيأتي في قاعدة مستقلة إن شاء الله.

ولكن المشكلة عند العقل أنه أضعف من معني النص فهذا الضعيف إذا قابل هذا المعني العظيم يحار وهذا هو ؛ فنحن نحتار فقط ، ولذلك نحن الأن ربما نري بأبصارنا آلة تخرج شيئا دقيقا فتحار عقولنا كيف صنعت هذه الآلة فعقلك استحسنها ولكنه حار فيه كيفية هذه الألة وكيفية صناعتها ، فكيف بكلام الله جل وعلا . فالقرآن والسنة تأتي بمحارات العقول لكنها لا تأتي بمعارضات العقول .

ولاحظ أيها القارئ الكريم أننا ذكرنا هنا أنه لا يجوز إقحام العقل في باب الغيب استقلالا لأن النقل تكلم عن مسائل غيبية كثيرة فإذا أثبت من مسائل الغيب بعقلك ما أثبته النص فلا حرج عليك فلا نقول عطل عقلك . فأهل السنة والجماعة متوسطون في مسألة العقل بين من عظمته وقدسته وجعل له الأحقية في الدخول في ما شاء وهم(العقلانيون) ، وبين من حجبه وكتمه عن الدخول عن الأشياء التي يستطيع إدراكها ، فأهل السنة قالوا لا يجوز لك أن تقحمه في أمور الغيب لأنها خارجة عنه ، ولكن كل ما تكلم عنه النص من مسائل الغيب فلعقلك أن تدركه على حدود ما أجازه لك النص ،

فمن أمور الغيب أن الله له وجه كيف أقحمت عقلك فيه ؟ نقول عقلي صار تابعا لقوله " ويبقي وجه ربك " كيفية هذا الوجه ؟

أقول لا أنت تريد عقلي أن يتجاوز حدود دائرة النص فالنص ما تكلم عن كيفية الوجه وإنما أثبت الوجه وسكت عن الكيفية فلو تكلمت في الكيفية فأكون قد تجاوزت حدود النص ،واعلم أخي الكريم أن كثرة الفتن في هذه

الزمان تحتاج إلي ترسيخ علمي عقدي ، فجميع من يخالفون في العقيدة تجد مخالفاتهم ترجع إلي واحدة من هذه الأصول الثلاثة ، فانظر أنت هل هذا المخالف يتكلم في الغيب فحُجَّه بقاعدة " لا مدخل للعقول في باب الغيب، وإن كان يتكلم بفهم مخالف لفهم السلف فحجه بقاعدة " كل فهم يخالف فهم السلف " ، إن كان يأتيك بعقائد لا خطام لها ولا زمام من الكتاب والسنة فحجة بقاعدة " لا تؤخذ المعتقدات إلا من الكتاب والسنة" ولن تجد مخالف عقدي إلا ومخالفته تنطوي تحت مخالفة واحدة من هذه القواعد ، هذه المعلومات التي هي يسيرة ومعلومات أولية بدائية أضل الله بها أُمما أذكياء لا تقاس معهم أنت لا في ذكائهم ولا في خبرتهم ودرايتهم وعلمهم ولكن الله هداك وسهل هذه المعلومات عليك وجعلها مقبولة لديك وجعل قلبك منشرحا لسماعها وأذنك مصغية لاستماعها فهذه نعمة عظيمة وهي قبول الحق لأن عندنا نعمتين لا يغني أحدهما عن الأخر :- تقول اللهم أرنا الحق حقا " ولا تكفي هذه النعمة إلا باتباع الحق، فكم من إنسان يري الحق أمامه كالشمس في رائعة النهار ولكنه يخالفه ، فأحفظ يا من هديت للحق هذه القواعد الثلاث .

قال الناظم وفقه الله تعالى :-

" قاعدةُ التوحيد منها ننطلق بأنه عزوجل المستحق أن يعبدن وحده فما له مشارك في حقه سبحانه فليس في الكون إله بالكون بالحق إلا ربنا ويقصد وأن كل ما سواه باطل فكن عن الشرك القبيح مائل "

هذه قاعدة التوحيد العامة التي يتفرع منها جميع جزئيات توحيد الألوهية ونص هذه القاعدة يقول " العبادة حق صرف محض لله جل وعلا لا تصرف لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي صالح فضلا عن غيرهم " فالله خلقنا وأوجدنا في هذه الدنيا لهذه الحكمة العظيمة وهي إقامة عبوديته جل وعلا في الأرض يقول الله جل وعلا " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" فعبادته هي حقه التي لا يجوز أن تصرف لأحد من مخلوقاته أبدا لا ملك لا جبريل ولا ميكائيل ولا إسرافيل ولا أحد من الملائكة فلا أحد يستحق العبادة وإن علت منزلته فالمستحق للعبادة وحده دون ما سواه هو الله جل وعلا فلا الملائكة يستحقون أن يعبدوا من دون الله ، ولا الأنبياء يستحقون أن يعبدوا من دون الله جل وعلا نعم له رتب علية ومنازل عظيمة ومنازل كبيرة سامية ولكن لا يرتفعون إلي منزلة الربوبية ولا إلي منزلة الألوهية فتلك منزلة خاصة بربنا جل وعلا ، ومن أجل هذه القضية العظيمة خلق الله هذا الوجود حتي يبتلي الناس في هذا الأمروأرسل الرسل ,وأنزل الكتب فهي من أعظم القضايا ومن أعظم المسائل التي يبتلي العبد بها وقد ضلت فيها أمم ، فضلت فيها أمة نوح عليه السلام فعذبهم الله بالغرق ، وضلت فيها أمة هود عليه السلام فعذبهم الله بالريح الصرصر العاتية ، وضلت فيها أمة صالح عليه السلام وعذبها الله بالصيحة حتى جعلهم كهشيم المحتظر،وضلت فيها أمم لا يعدون ولا يحصون ، قال الله جل وعلا " وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا " أهلكناهم إهلاكا فهذه القضية أُهلكت بسببها الأمم وهي إفراد الله جل وعلا بالعبادة ، يقول الله " فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك " ويقول الله جل وعلا " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم " ويقول الله جل وعلا " وأعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا "

فهذه أعظم القضايا وأكبر القضايا وأعظم المسائل ومن وفقه الله لها وثبته عليها إلي أن مات فقد أراد الله له أن يكون من أهل الجنة ، وأما من أضله عنها وأقفل قلبه عن قبولها فإن هذا قد كتب أنه من أهل الشقاء ، فأما من كان من أهلا لسعادة فييسر لعمل أهل السعادة كما قال النبي ﷺ

ومن أعظم أعمال السعداء توحيد وإفراد الله جل بالعبادة ، فهذه المسائل وإن كان يعلمها الصبيان في هذه البلاد ولله الحمد ببركة دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله ولكن لا بد أن نكررها ولا بد أن نزيدها لأن التوحيد هو موضوع حياتنا الذي لا ينتهي ، وهو موئل عزنا الذي لا ينقضي أبدا وإن كررناه ونوعنا الاساليب فيه ما بين منثور وما بين منظوم وما بين تقعيد وما بين تأصيل وما بين تفريع ، التوحيد لا تمل النفوس من سماع الكلام فيه ، ومن رأى أنه صبر على هذه المسائل وقال هذه نعرفها ونحن صغار فهذا فتح باب عظيم من أبواب الشر وقد كنت في مجلس الشيخ راشد ابن خنين وكان الشيخ ابن باز الله يغفر له ويرحمه ويرفع درجته حاضرا وكان المجلس يغص بالدكاترة وغيرهم فأمر الشيخ ابن جلال أن يقرأ بعض الآيات فقرأ شيئا من آيات سورة الزمر. فلما تكلم الناس عن أنواع التوحيد الثلاثة وكل من أمامه دكاترة فلا أحد يتكبر على هذه المعلومة فهذا هو التوحيد الذي ضلت فيه الأمم هدانا الله له وإنه من أعظم الهداية أن نستقيم على منهج الله في هذا الأمر العظيم ليس بيننا وبين الله نسب ولكنه فضل الله علينا بالهداية .فالذي ضلت فيه الأمم هدانا الله له وإنه من أعظم الهداية أن نستقيم على منهج الله في هذا الأمر العظيم ليس بيننا وبين الله نسب ولكنه فضل الله علينا بالهداية ، فالذي هدانا وأضل غيرنا قادر على أن يهدي غيرنا ويضلنا ، فالحمد لله أولا وأخير، ولهذا فإن هذا

من الأمور التي نفرح بها فهي تدخل في فضل الله جل وعلا ورحمته " قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون"

فالتوحيد جوهرة في قلوبنا عظيمة سوف تقودنا إلي أبواب الجنة ، فلا تفتحت أبواب الحنة إلا بالتوحيد، ولا يدخل الجنة إلا أهل التوحيد ، ولا ينال الشفاعة يوم القيامة إلا أهل التوحيد ، ولا يأذن الله بالشفاعة أصلا إلا لأهل التوحيد ، فمن كان من أهل التوحيد في هذه الدنيا وقبض على التوحيد فالجنة الجنة وإن ناله ما ناله بسبب الذنوب والكبائر، فإذا ما أراد الله جل وعلا أن يغفرله فإن مآله إلي الجنة ، وقد أجمع العلماء على هذه القاعدة " وهو أنه لا يخلد في النار أحد ممن معه أصل لا إله إلا الله حتي وإن لم يكن في قلبه إلا مثقال ذرة ذرة من إيمان ، فضلا على أن أعظم الحسنات هي حسنة التوحيد كما في مسند الإمام أحمد وغيره من حديث عبد الله ابن عمرو ابن العاص حديث صاحب البطاقة قال فيه " يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا لك سجل مد البصر فيقول أتنكر من هذا شيئا فيقول لا فيقال له " ألك حسنة " فيقول لا يا رب فيقول " بلي أن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم اليوم عليك " فتخرج بطاقة صغيرة مكتوب فيها لا إله إلا الله " فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول " أنه لا ظلم اليوم عليك " فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله جل وعلا شيء ، فأعظم حسنة يأتي بها العبد يوم القيامة هي تلك الحسنة العظيمة التي يسر الله نطقها بألسنتنا واعتقادها بقلوبنا والعمل بمقتضاها بجوارحنا فالحمد لله ونسأل الله أن يثبتنا لا سيما في هذا الزمن التي كثرة فيه الفتن وتنوعت فيه المتغيرات وكثر فيه الحور بعد الكور ولا نزال نسمع أحداث الانتكاسة في ما بين الفينة والأخرى يصبح الرجل فيها

مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي كافرا ويصبح مؤمنا ،فإذا ثبتك الله على القول الثابت فقد أراد الله جل وعلا بك خيرا ، فنسأل الله أن يثبتنا وأن يلهم قلوبنا الصبر واحتساب الأجر على هذا ، وإلا فإننا كالغرباء فالموحدون الصادقون في هذا الزمن كالغرباء كما قال ﷺ " أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كم بدأ"

فإذا أعظم قضية وأكبر قضية وأفخم قضية في هذا الوجود على الإطلاق والتي ترضي الله أو تغضبه هو توحيده جل وعلا وإفراده بالعبادة وأنه لا يستحق في هذ الكون أحد أن يعبد إلا الله جل وعلا .

ولذلك يضرب مثلا في هذا الحق العظيم في قوله جل وعلا " ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما مالكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون " فالله جل وعلا يقول يا كفار قريش أليس لكم أرقاء؟ أليس لكم عبيد ؟ الجواب نعم ولكن هل ترضون أن يشارككم عبيدكم في ممتلكاتكم وحقوقكم وهل يرضي الواحد منكم أن يقول العبد له نص الدارلي ونصف الأموال لي ونصف ممتلكاتك لي ؟ هل ترضون أن يشارككم أحد من عبيدكم في ما هو من حقوقكم وخصوصياتكم ؟ الجواب لا ، فإذا تشركون معي أحد في حقي الخالص المحض شمسا أو قمرا أو جنا أو شجرا أو حجرا أو ملكا أو نبيا ، ولذلك يقول العلماء أن الشرك أعظم الظلم ، لو أن قاضيا فصل في قضية بين العبد وسيده فقال أيها السيد أن نصف مملكتاك لعبدك فيكون هذا القاضي من أعظم الظلمة ، فكذلك أعظم الظلم أن تقول العبودة حق لله ولجبريل ، حق لله ولنبي ﷺ ، حق لله ولشجر ، حق لله وللات ومنات والعزي ، وحق لله وهبل ، فهذا من أعظم الظلم وأكبر الظلم على الإطلاق ، يقول الله " أن الشرك لظلم عظيم " فهذا من أعظم الظلم إذ كيف تصرف ما هو خالص من حقوقه جل وعلا إلي غيره

من خلقه وأنت لو جاء أحد ليشاركك في ما هو من خصوصياتك لأنفت وتكبرت وغضبت وما رضيت بهذا الأمر بل ستعاقب من يطلب منك هذا ، ثم يأتي الإنسان ويسجد لصنم أو لشمس أو لقمر وهو عبد الله جل وعلا " ومن آيات الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا لشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن أن كنت إياه تعبدون " فكل هذا من الآيات التي خلقها الله سبحانه للدلالة عليه سبحانه فكيف تعبد مع الله جل وعلا !!! وتتخذ آلهة مع الله !!!!

ولذلك ابن آدم ظلوم ، ولذلك يقول الله " أن الإنسان لظلوم كفار" ومن أعظم ظلمه وكفره وشدة جبروته وطغيانه على الله أن يصرف ما هو حق خالص من حقوق الله جل وعلا لغير الله ، وتلك القضية هي من أعظم القضايا التي من أجلها أنزلت الكتب وأرسلت الرسل وهي القضية الكبرى التي حصلت فيها الخصومة بين الأمم وأنبيائهم ، فانتبه أيها القارئ الكريم فإن كثير من المبتدعة يقولون أن التوحيد الذي نزلت به الكتب وأرسلت به الرسل إنما هو توحيد الربوبية لا لا أبدا ، لقد كان المشركون يؤمنون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر المحي المميت فهذه القضية لا خلاف فيها ، ولكن التوحيد الذي نزلت به الكتب وأرسلت به الرسل إنما هو تقرير توحيد الألوهية وهذا بإجماع أهل السنة يقول الله جل وعلا " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ....." على أن الله هو الخالق الرازق لا " أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " ، "أن اعبدوا الله" هو معني إلا الله ، "واجتنبوا الطاغوت" هي معني لا إله ، ويقول الله جل وعلا ""وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون " فهذه القضية هي أعظم القضايا وأفخم القضايا وأكبر القضايا على الإطلاق ، ولذلك كل ما يدخل في مسمي العبادة فإنه من حقوق التي لا تصرف لا إلي ملك مقرب ولا إلي نبي مرسل ، ولا إلي ولي صالح ولا إلي غيرهم ، وهذا الذي نعتقده

بقلوبنا وننطقه بألسنتنا وندرسه لطلابنا ونسأل الله أن يثبتنا عليه وأن يقبضنا عليه وأن يحشرنا في زمرة أهله وأن يدخل دار الموحدين التي لا يدخلها إلا الموحدون لقول النبي ﷺ " وإن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة" والإسلام هو التوحيد والإسلام هو التوحيد ،وبناء على ذلك فعلى هذه القاعدة جمل من الفروع الخفيفة -:

1- الذبح :- فالذبح من العبادات التي لا يجوز أن تصرف إلا لله جل وعلا ، ولا أقصد الذبح بقصد الاستمتاع باللحم لا فهذا أمر عادي والأصل في العادات الحل والإباحة ، ولا أقصد الذبح من أجل إكرام الضيف فهذا مأمور به أمر إيجاب أو أمر استحباب لقول النبي ﷺ " أولم ولو بشاة " ،ولكن أقصد الذبح للغير بقصد التعبد له فهذا الذي لا يجوز أن يصرف إلا لله جل وعلا ، ولذلك نحن نذبح الهدي والأضاحي والعقيقة لله جل وعلا لا شريك له في الذبح ، يقول الله جل وعلا " قل أن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين" والنسك هو الذبح ، ويقول الله " فصل لربك وانحر" فجمع الله بين أعظم عبادات البدن (الصلاة)وأعظم عبادات المال (النحر) ، فمن أفرد الله بصلاته ومن أفرد الله بنحره فقد أفرد الله بأعظم عبادات البدن وأعظم عبادات المال " فصل لربك وانحر" فلا يجوز أن يعتقد أن ثمة شيء يجوز أن يذبح له لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فهؤلاء الذي يدخلون بذبائحهم وبهائم الأنعام إلي القبور يذبحونها لسيد البدوي والست زينب أو العيداروس أو يذبحونها لقبر هود أو نوح عليهما السلام ، أو يذبحونها لقبر النبي ﷺ من بعيد فهؤلاء قد خلعوا ربقة الإسلام من أعناقهم لأنهم صرفوا شيئا من العبادات لغير الله جل وعلا ، فلا يستحق أحد أن يذبح له سواء كان ملكا أو نبيا ، كبيرا أو صغيرا ، رئيسا ، بل نص

العلماء بل أن ما يذبح تحت أقدام الملوك عند نزولهم من سيارتهم أو على دوابهم أو من طائراتهم فإنه من الشرك الذي لا يجوز أن يؤكل لأنه ذبح تقربا وتعظيما لهذا الملك ويسمونها ذبيحة تحت أقدام الملوك .

وكذلك ما يسميه العلماء بذبائح الصلح :- وهي أن يكون مثلا بين طائفتين اقتتال عظيم بين قبيلتين ثم تأتي القبيلة التي تريد الصلح بذبائحها وبهائمها فتذبحها في فناء تلك القبيلة وهم صافون عند خيامهم فمتى ما رفعوا أيديهم قالوا رضينا ، وهم لا يذبحون تقربا لله وإنما يذبحون تقربا لهذه القبيلة ، وقد أفتي الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وهذا قد كان يفعل في نجد يسمونها (ذبيحة الصلح) لا يقصدون أنه يذبح ثم يدعوا المتخاصمين ويكرمهم لا لا ، هم يأتون بذبائحهم ثم يذبحونها ثم يسيبونها من باب إرضاء القبيلة الثانية بهذا الذبح وقد أفتي إمامنا بأنه من الشرك الأكبر المخرج عن الملة بالكلية أن قصد بذلك التعظيم ، وإلا فهي حرام في أصلها ولكن إذا قصد به التعظيم والتقرب فقد زادت على كونها حراما إلي كونها شركا أكبر ، ومن ذلك الدعاء وقد قسمه العلماء رحمهم الله تعالى إلي قسمين :-

1- دعاء مسألة

2- – ودعاء عبادة

أما دعاء العبادة فلا يقسم وإنما من صرف شيئا من أنواعد دعاء العبادة لغير الله فقد كفر من غير تفصيل ، وأما دعاء المسألة فقد قسمه العلماء إلي قسمين :-

1- من دعا غير الله دعاء مسألة في يقدر عليه هذا الغير فهذا لا حرج فيه ، كأن تقول لغيرك اسقني ماء أو أفعل لي كذا وكذا فهذا دعاء مسألة في ما يقدر عليه هذا الغير فلا حرج فيه .

2- دعاء مسألة في ما لا يقدر عليه إلا الله فإن صاحبه كافر خالع ربقة الإسلام من عنقه بالكلية فانتبه أخي الكريم لهذا . فمن صرف شيئا من العبادة لغير الله مثل الصلاة (دعاء عبادة) ، الزكاة (دعاء عبادة)، الصدقة (دعاء عبادة) ، وأما من دعا غير الله دعاء مسألة فهنا نقول أن كان له بذلك قدرة فلا حرج ، وإن كان لا قدرة له ولا يدان في تحقيق المدعو به فقد أشرك، كالذين يأتون للقبور ويدعونهم في تفريج الكربات ، ويستغيثون بهم في تفرج الملمات ، أو يدعون الغائبين البعيدين عنهم فهؤلاء كلهم من الكفرة المشركون ، يقول الله " ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلا يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون " وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين" ، وقال الله " والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير"

والقاعدة عندنا " كل من عبد غير الله فهو عدو له يوم القيامة " لقول الله جل وعلا " ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلي يوم القيامة وهم عن دعائهم كافرين وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء" ويقول الله جل وعلا على لسانه نبيه إبراهيم " وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين " ويقول الله " ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون " فكل من عبد غير الله فهو عدو له ويتبرأ منه ويكفر بعبادته ويتهمه يوم القيامة يوم يتبرأ فيه المعبود من عابده إلا

من عبد الله فالله سبحانه لا يتبرأ ممن عبده يوم القيامة بل هو سبحانه نافعه وناصره ومؤيده وحافظه ، ومن ذلك كذلك الاستغاثة والاستعاذة ، والاستعانة، وهي عبادات ثلاث لا بد فيها من تقسيم :- فالاستعانة ، والاسعاذة ، والاستغاثة بالمخلوق في ما يقدرعليه ذلك المخلوق فلا حرج فيها مثل قول الله جل وعلا عن موسي عليه السلام " فاستغاثه الذى من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسي فقضي عليه " والأدلة مطروقة في غيرهذا الموضوع .

ومنها كذلك الرجاء والرغبة والرهبة وجميع أنواع العبادة كل ما يسمي عبادة فإنها من حقوق الله الخاصة التي لا يجوز أن تصرف لغيرالله ، ومن ذلك الحلف :- فالحلف من العبادات التي لا يجوز أن يحلف إلا بالله جل وعلا أو صفة من صفاته .   وكذلك النذرفالنذر من العبادات التي لا يجوز أن يعقد إلا لله فلا يجوز النذر لا لقبرولا لسيد ولا لكبيرولا لصغير فالنذرمن العبادات ، نسأل الله أن يثبتنا على هذه القاعدة العظيمة ولي فيها رسالة مختصرة " القول الرشيد في شرح قاعدة التوحيد " ذكرت فيها جميع الفروع المخرجة عليها فيها

ثم قال الناظم وفقه الله :-

" قاعدة التوحيد منها ننطلق بأنه عزوجل المستحق أن يعبدن وحده فما له مشارك في حقه سبحانه فليس بالكون إله يعبدوا بالحق إلا ربنا ويقصد

وأن كل ما سواه باطل فكن عن الشرك القبيح مائل ومن يسوي غيره به فقد أشرك شركا مخرجا في ما ورد "

زدنا بالحق هنا لأن هناك معبودات قد اتخذها الناس ولكنها بالباطل والمعبود بالحق هو الله جل وعلا ، وهنا قاعدة الشرك الأكبر فإن قيل ما الضابط وكيف تعرف الشرك الأكبر " فقل هو:-

" تسوية غيرالله بالله (في قوله ومن يسوي غيره به فقد أشرك شركا مخرجا في ما ورد) في ما هو من حقوق الله " .

ودليل هذه القاعدة قول الله تعالى " ثم الذين كفروا بربهم يعدلون " أي يسوون غيره ويجعلون غيره به ، ويقول الله جل وعلا " تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذا نسويكم برب العالمين " فإذا هذه تسوية المخلوق بالخالق جل وعلا فمن صرف شيئا من حقوق الله إلي غيرالله فقد سوي المخلوق بالخالق سبحانه وهذا هو حقيقة الشرك الأكبر أن تسوي غيرالله بالله في ما هو من خصائص الله جل وعلا ، فمن دعا غيرالله في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله فقد سواه بالله ، ومن ذبح لغيرالله تعبدا وتقربا فقد سواه بالله ، ومن استغاث بغيرالله في الأمر الذي لا يقدرعليه إلا الله فقد سواه بالله ، فأحفظ أخي الحبيب هذه القاعدة الطيبة التي تميزلك الشرك الأكبروهي أن "من سوي غيرالله بالله في ما هو من خالص حقوق الله فقد أشرك شركا أكبرفي ما ورد من الأدلة المذكورة آنفا " ، فهؤلاء عندهم التسوية المطلقة والتنديدين الكامل ، وأما الشرك الأصغرفهو ما كان وسيلة إلي الشرك الأكبر .

وهذه هي قاعدة " كل وسيلة لشرك الأكبر فهي شرك أصغر " ، فعندنا الأن قاعدتان إحداهما تبين لك الشرك الأكبر وقاعدة تميزلنا الشرك الأصغر، فكل طريق يفضي إلي الشرك الأكبر فهو شرك أصغر مثل الرياء ، ويسير الحلف ، وقصد الحلف بلا تعظيم ، والطواف حول القبر تعبدا لله لا تعبدا لصاحب القبر، ومثل كذلك الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله ، فهذه كلها من الأمور الشركية لكنها من الشرك الأصغر.

إذا لتعلم أن الشرك الأصغر فيه مطلق التنديد أي بعض التنديد ، وأما الشرك الكامل ففيه التنديد المطلق ، فالشرك الأصغر فيه بعض المساواة ، وأما الشرك الأكبر ففيه كل المساواة ، فإذا ما كان من قبيل مطلق التنديد فهو شرك أصغر ، وما كان من قبيل التنديد المطلق فهو شرك أكبر ، ماكان من قبيل مطلق المساواة فهو شرك أصغر وما كان من قبيل المساواة المطلقة فهو شرك أكبر.

إذا التنديد الكامل شرك أكبر ، وأما بعض التنديد فهو شرك أصغر، والفروق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر من الأشياء التي لا نطيل من الوقوف عندها .

ثم قال الناظم :-

" وكل ما أفضي له فيحرم (قاعدة الشرك الأصغر) جزما وهذا ما عليه أقسم "

لأن هذا ما دلت عليه الأدلة والإقسام على الحق حق كما قال العلماء ،

ثم قال وفقه :-

" وكل لفظ أوهم التشريك فاحذره لا تنطق به بفيك لا يقرن الخالق بالمخلوق في لفظ بواو الجمع بتاً فاعرف "

هناك بعض الألفاظ التي توهم التشريك مثل لولا الله وفلان ، ما شاء الله وشئت ونحوها من الألفاظ ، فكل لفظ أوهم التشريك فالواجب عليك أن تتركه ولا تنطق به بفيك ، وهذه تتخرج تحت قاعدة "سد الذرائع ".
والقاعدة الثانية " لا يقرن مع الله غيره بواو العطف في أي لفظ يوهم التشريك " ، وهناك قاعدة أوضح من هذه ذكرتها في القواعد المذاعة

وهي:-

" لا يقرن مع الله أحد في أمور العبادة والمشيئة "

فلا تقول أنا أصلي لله ولرسول لا لأن الصلاة عبادة فلا تقرن مع الله غيره ، وفي أمور المشيئة لا تقول شاء الله وشاء فلان لا وإنما تقول شاء الله وحده ، وأما غيرها فلا حرج فيها مثل نحن نحب الله والرسول ونطيع الله والرسول ، قال الله جل وعلا وهذا هو الفيصل في تفسير الله جل وعلا " ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله " فالرسول يؤتي بأمر الله جل وعلا ثم قال " وقالوا حسبنا الله " ما قال ورسوله لأن الإتاء أمر عام وأما الحسب فهي عبادة لا تدخل النبي ﷺ ، فلما جاء في أمور العبادات والمشيئة فلم يذكر النبي ﷺ لأنها من حقوقه سبحانه وتعالي ، فانتبه فبعض الناس يفهم هذه الآية خطأ يفهما أن النبي ﷺ يكفيه طائفتان يكفيه الله ويكفيه المؤمنون لا خطأ بل الله يكفي الطائفتين " حسبك الله " أي يكفيك الله وسيكفي من معك

من المؤمنين ، مثل قوله القائل "فحسبك والضحاك سيف مهند " أي أن السيف المهند حسبك أنت والضحاك فسوف أقتلتك بهذا السيف وأقتل الضحاك معك الذي تفتخر به فلن ينفعك ، فقوله سبحانه "فحسبك الله ومن ابتعك من المؤمنين " ليس الذين ابتعوه هم حسب الرسول بل الله هو حسب الرسول ﷺ وحسب المؤمنين ، ولكن أما في مسألة الطاعة " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول " " من يطع الرسول فقد أطاع الله " وفي الحديث "أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما " إذا لا بد أن نقيد هذا الإطلاق وهو أنه لا يقرن مع الله أحد غيره في أمور المشيئة والعبادات أقصد لا تقرن أيها الحبيب بواو العطف في أمور المشيئة والعبادة .

ثم قال الناظم وفقه الله: -

" وكل ما يكون في المقابر يمنع إلا بالدليل الظاهر"

هذه قاعدة في القبور وهي أن الأصل في ما يفعل في المقابر التوقيف على النص فلا يجوز لنا أن نحدث شيئا في المقابر إلا وعليه دليل وإن المحدثات في المقابر من أعظم الامور التي أفضت إلي الشرك في هذه الأمة فلو أن الله وفق الأمة وضبطت ما يكون في المقابر وانتهجت فيه منهج الشرع لكن اكتفنا من ذلك الشيء الكثير من الشرك ، فلا يجوز لأحد أن يحدث في المقابر شيء من باب التعبدات أو من غير ذلك إلا بدليل .

مثال ذلك قراءة القرآن في المقابر هل دل الدليل عليها ؟

نقول لا فإذا لا يجوز لك أن تفعل في المقابر إلا ما ورد عليه الدليل ، ومثاله رفع القبور فوق الشبر فالشريعة أجاز أن ترفع كقدار الشبر ولكن فوق الشبر لم تجز الشرعية ، وكذلك تجصيص القبور لم تجزه الشريعة

وكذلك البناء على القبور لم تجزه الشريعة ، وترخيم القبر، وإنارة المقابر ، وكذلك توزيع الصدقات في المقابر ، وكذلك الكتابة على القبور فكل هذه الأشياء لم تدل الشريعة عليها .

فإذا كل شيء يكون في المقابر فإنه مبني على التوقيف ، ولو سددنا هذا الباب لانكف عنا من الشرك الكثير، ولذلك أعظم أمور الشرك التي تقع في الأمة الأن في باب القبور والأموات والصالحين وهذا من أعظم ما يقع في الأمة من الشرك ، وكذلك الدفن في المساجد أيضا لا يجوز ، وبناء المساجد على القبور لا يجوز ، فهذه قاعدة طيبة جدا تجعلك تعرف ما الذي يجوز في المقابر وما الذي لا يجوز ، فلا يجوز فعل شيئا في المقابر إلا ما دل الدليل عليه ،

لو سأل سائل هل تجوز الصلاة في المقابر أم لا ؟

فنقول اعلم أيها القارئ الكريم أن الصلاة التي هي الركوع والسجود فبالإجماع لا تجوز ، وأما الصلاة المقصود بها صلاة الجنازة فأصح قولي أهل العلم أنها جائزة ، فإذا ما لم يأت الدليل بها فلا يجوز لك أن تقول أنه يجوز في المقابر، ولا بد من سد هذا الباب ، وإذا اختلفنا في فعل من الأفعال هل يسوغ أو لا يسوغ فنبقي على الأصل وهو المنع ، فتوزيع الماء في المقابر بحجة أن الناس ظمئا فنقول إننا في مسائل القبور نعتبر بالمآلات لا

بالحال ، سد الذرائع خوفا من المألات أي العاقبة فهذا الزمن قد يكون فقط توزيع الماء من باب رحمة الموجودين من المشيعين سنة وسنتين وثلاثة وعقب عشرين سنة قد تطول إلي الحلويات وتصير من باب الصدقات كما يفعل الأن في بعض المقابر الأن ، فهناك من الناس من يوزع اللحم في المقابر ويوزعون الورود ، والصدقات في المقابر ويوزعون الأرز والأطعمة في المقابر، وقد نص العلماء على أن صدقة المقابر من الأمور البدعية لأنه تعبد في المقابر بما لا دليل عليه ، فالمقابر لها خطورتها في ما لو لم تضبط بمثل هذا الضابط وهذا هو الذي جعلنا أدرج هذا الضابط من ضمن ضوابط توحيد الألوهية لأن الإخلال بهذا الضابط يجعل الإنسان يقع في هنات شركية لا يعلم بها إلا الله جل وعلا ، فجميع ما يفعله هؤلاء في المقابر دائر بين أمرين إما أن يكون من الشرك ، وإما أن يكون من جملة البدع المحرمة التي لا تجوز ،

وكتب لي الشيخ عبدالكريم واللجنة أفتت بالمنع من الدوران على السور من الخارج (يتمشى) يدورون فقط ولكن سدا لذريعة الطواف ، ولذلك في مسائل القبور لا تنظر إلي الحال ولكن سد الذرائع خوفا من المألات ، ولذلك في صحيح البخاري من حديث ابن عباس " كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على التوحيد " وكانوا فيهزم فلان وفلان من أسماء الصالحين ود وسواع ويغوث ونصرا وماتوا في أزمنة متقاربة فجزع أقوامهم عليهم فوجدها الشيطان فرصة وقال انصبوا إلي مجالسهم التي يجلسون نصابا وسموها بأسمائهم ففعلوها ولكنهم ما فلعوها من باب العبادة ولكنهم ما

نظروا في المآلات فصارت تعبد من دون الله جل وعلا ، فلا تستسهل في المقابر ولكن سد الذريعة وحسب

وإن قال القائلون هل هناك دليل يمنع وماذا في الأمر ولما تحرمونه ؟ فقل اتق الله ولا تكون أنت سبب في أن تفتح على الناس أبواب شر، بل أن بعض الصالحين تراه يحرص على الدخول باليمني في المقابر والخروج باليسرى ولكن هذا ليس عليه دليل فادخل بأي رجل وافقت لا تتعمدا شيئا معيننا فالناس ينظرون إليك خاصة وإذا كنت في أعين الناس من أهل الاقتداء ومن أهل السيمة الطيبة فلا تدخل لا بيمني ولا بيسري ولكن بأيهما ولا تتحري رجلا معينة لأن ما يفعل في المقابر مبناه على التوقيف ، فإن سأل سائل عن حك الوقوف على القبر قليلا هل يفعل وهل عليه دليل ؟ نقول نعم عليه دليل ففي صحيح الإمام مسلم من حديث عمرو ابن العاص قال " ثم أقيموا حول قبري قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها حتي أستأنس بكم وأنظر بما أراج به رسل ربي " الشاهد أن كل شيء يفعل في المقابر فإننا نطلب فيه التوقيف ، الأن لو تفتح على الشبكة العنكبوتية بعض المقابر تجد أن هناك بوابات للمقابر أسماء كبار المدفونين وكيفية زيارتهم ، بل أن بعض الناس كالرافضة وضعوا مناسك لحج المشاهد ، بل أن بعضهم يقول أن حجة لها (أي القبور والمشاهد) تعادلن ألف حجة لبيت الله جل وعلا ، نعوذ بالله من الضلال ، وإذا أراد الواحد منهم أن يحلف كاذبا فلا يجد أحسن أن يحلف بالله كاذبا فهو عنده أمر بسيط ، ولكن إذا جاء يصدق ويبر بيمينه يحلف بولي وهذا أمر خطير جدا، وهذا كله إنما أفضي به وأوصلنا إليه تلك الزخارف التي تجعل على بعض القبور ويفتن بها

الناس ، فأنت من يوم تطلع من هنا من المملكة وهي ولله الحمد تضبط مسائل التوحيد ولله الحمد ولكن من أن تطلع من هنا إلي بلد أخر تري العجب العجاب ، بل أن في مقابر القطيف وأنا رأيت فيها كثير من المخالفات ولكن الدولة تسكت عنهم من أجل أنهم شيعة ورافضة ولا يمثلون أصلا الدولة ، وكذا تجد من يبني على القبرويكتب اسمه وتاريخ وفاته .

وهنا مسألة يحسن التنبيه إليها وهي هل يجوز كتابة الاسم للمقبور من باب التعليم على أن المقبور هوفلان هنا هل يجوز ؟

نقول هناك خلاف بين أهل العلم طويل خاصة في هذا الزمان ، ولكن نقول أن تعليم القبرجائزفالنبي ﷺ جعل حجرا كبيرا على قبرعثمان ابن مضعون قال أتعرف به قبرأخي وأدفن إليه من مات من أهلي" فتعليم القبر جائز، ولكن المشكلة الأن أن مياه الصحة كثيرة في القبور والعصي كثيرة في القبور فصارت الإعلام تتشابه وقد رفع إلي هيئة كبار العلماء واللجنة أفتت بالإجابة عن

السؤل هل يجوز ولوكتابة حرف واحد أوعلامة معينة أوعلى الأقل دهانات وبخها ؟

فأفتوا بالمنع نظرا للمألات فنظرهم رحمهم الله للمألات فهي عليها ربع الديت أخي الحبيب وهي قاعدة " سد الذرائع " ولا تنظر إلي هذا الرجل الطيب ولكن انظر إلي أن الإنسان سوف يستمرؤون هذا الأمر ويقعون في ما هوأعظم منه ، ولذلك هناك دراسة الأن رفعت للجنة الدائمة وأفتوا بها

ولله الحمد بالمنع بهداية الله لهذا ، فطلاب يتعبون في قراءة المصاحف لأن قواعد الإملاء التي يدرسونها مختلفة عن قواعد الكتابة في القرآن فالقرآن مكتوب بالرسم العثمان فمثلا الصلاة تجدها (الصلوات) الزكاة (الزكوات) وبعض الهمزات وغيرها وآدم فكلمات مختلفة عن كاتبة غير الخط العثمان فقال بعضهم لماذا لا يصير كتابة المصحف مرة أخري على قواعد الإملائية المشهورة عند العرب ؟قال العلماء لا يجوز خوفا من أن تمتد للقرآن في يوم من الأيام يد التغير أو يذهب ذلك الحاجز في تغيير القرآن بين قاعدة وقاعدة لأن قواعد الإملاء غير متفق عليها ، ولكن الرسم العثماني متفق عليه بين المسلمين جميعا ، وكذلك قواعد الإملاء متجددة مثل كلمة شؤون ومسؤول تغيرت ومثل فئة ومئة تغيرت ، فهل لكما تغيرت قاعدة نعود لصياغة القرآن مرة أخري فالعلماء رأى للمأل يفضي إلي مفسدة فقالوا لا فرحمة الله على هؤلاء العلماء فأمة بلا علماء فيها لا خير فيها ، وشعب ودولة لا تحترم علمائها لا خير فيها ، وإذا سقطت هيبة العلماء من قلوبنا فقد سقطت هيبة العلم ، كما أنه لو سقطت هيبة الملوك من قلوبنا سقطت هيبة الأمن وأي بلاد يرجي خيرها وبرها وأمنها وارتفاع اقتصادها إذا ذهبت هيبة الأمن والعلم فيها فلا أمن ولا عام فما بقي إذا !!! فتسقط الدولة حينئذ ما دامت قد خلت من الأمن والعلم ، فهاتان الطائفتان لا بد من احترمهما وتقديرهما وإنزالهما منازلهما (الأمراء والعلماء)

ثم قال الناظم وفقه الله:-

" لا يعلم الغيب سوي الرحمن فمدعي الغيب أخا الكفران"

نعم فالغيب من خصوصيات الله جل وعلا لا يعلم الغيب إلا الله ، يقول الله " قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون " ويقول الله " وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو...الآية) ويقول الله جل وعلا " عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا " فمن خاض في علم الغيب بلا علم ولا برهان فإنه كافر لأنه منتحل شيئا من خصائص الله جل وعلا ويدعي شيئا من خصائص الله جل وعلا ، ولذلك من أسباب تكفيرنا لساحر أنه يتكلم في مسائل الغيب ، ومن أسباب تكفيرنا للعراف أنه يتكلم في مسائل الغيب ، ومن أسباب تكفيرنا للكاهن والرمَال أنه يتكلم في مسائل الغيب ، فكل من ادعي أنه يعلم الغيب فإنه كافر. فإن قال قائل أوليس الإخبار بأن غدا مطر أو غدا سحاب أو غدا كسوف أو خسوف أوليس هذا تدخل في مسائل الغيب؟ نقول لا لأن الذي يدعي علم الغيب لا يستدل على ذلك بوسائل حسية قد ثبتت نفعها بالتجارب فهؤلاء لا يقلون غدا مطر أو غدا سحاب أو فدا رياح إلا وهم يستدلون على هذه الأمور أخرجها الله جل وعلا لهم من الأشياء المحسوسة ، وأما الكاهن فليس ثمة طريقة يتعرف بها على الغيب وإنما ما تلقه الشياطين في أذنه وكذلك الساحر والعراف والرمال .

وكذلك من يتكلم بما في الضمير. ولذلك من الأسباب التي كفر بها أهل السنة السحرة والكهنة والعرافين والمشعوذين من جملة الأسباب لا كل الأسباب أنهم يتدخلون في مسائل الغيب ،

ومن التدخل في ذلك أيضا استطلاع علم الساعة كما هو مشهور في ذا الزمان أن الساعة ستقوم في عام (**2012-2015 - 2023**)

وتلك الخزعبلات التي تخرج بين الفينة والأخرى وكل ذلك من دس الأنف في ما ليس للإنسان وراءه قدره على استكشاف ذلك لأن هذا مما انفرد الله جل وعلا بعلمه ،

إن قال قائل وهل الإخبار بما في الرحم أليس من الدخول في علم الغيب ؟

نقول لا لأنك لا تستدل عليه مباشرة بالنظر وإنما تستدل عليه بطرق أخرجها الله لك ، ولذلك في قول الله جل وعلا " ويعلم ما في الأرحام " ليس قضية فقط العلم بالذكورية والأنوثة لا العلم به أشقي أم سعيد ، وعلم عمره أيخرج حيا أو ميتا وسيكون ماذا مهندسا أم ضابطا أم مدرس وأين سيموت وكيف رزقه ومن سيتزوج وهل سينج أم لا ، فكل هذا يعلم ما في الأرحام ، ولكن الطبيب فقط يعرف فقط جنسه إذا تخلق ، وإلا مستحيل عليه أن يعلم ما نوعه في الطور الأول والثاني ، وكثيرا ما يخطئون بعد تخلق الجنين ، فإذا هذا لا يتعارض مع هذا والله أعلم، فالغيب من خصائص الله فلا يجوز لإنسان أن يتكلم في مسائل الغيب إلا بعلم وبرهان " فلا يعلم الغيب سوي الرحمن فمدعي الغيب أخا الكفران "

،،،،،،،،،،،،

البعض قد يتسأل عن ما يسمي بالبرمجة العصبية وما حكمها ؟

فأقول وبالله التوفيق لي رسالة في هذا الأمر لمن أراد أن يراجعها ولكن أقول أن هذا لا يجوز كونه يتعرف على شخصيتك بمجرد توقعيك أو بمجرد كتابة الحروف فهذا يسمونه البرمجة العصبية الخطية هذا كله من الدجل الذي لا أساس له من الصحة ولا شيء يسنده بل أن التجارب

كذبته لكثير من الناس ، وإن أصاب في بعض التجارب دون بعض ولكنه من باب التخبط والهوي وأخشي في يوم من الأيام أن ينفتح هذا الباب على الناس حتي يكون وسيلة للكاهن أن يدخل في هذا العلم وتخبره الشياطين بما يريد فيتستروراء هذا الستارويقول أن عندي خبره بالبرمجة العصبية ، وقد حدث معي يوما من الأيام وقال لي بعضهم وقع فوقعت فقال لي أنت إنسان عادي فقلت له كذبت ثم قال وقع مرة أخرى، فكل هذا من باب التخبط وليس له أساس من الصحة .

وأنا أضف له علما رابعا مثل ما قال الأئمة ثلاث كتب لا أصول ذكروا منها الرؤيا والأحلام وأدخل معها كتب البرمجة العصبية ، فهذه أشياء لا أساس لها من الصحة ولا دليل عليها لا من الكتاب والسنة وليس طريقة لتعرف أصلا فهؤلاء أقرب ما سيكونون يدخلون في حديث معاوية ابن الحكم السلمي الذي رواه الإمام مسلم في صحيح قال فإن منا يا رسول الله رجال يخطون قال " كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك "أي هذه معجزة نبي وانتهت فمستحيل الأن أن يتعرف أحد على وسائل الغيب بمجرد تلك الخطوط التي يأتي بها من هنا ومن هاهنا أويقرأ ، فهؤلاء يكذبون ، فهذا الأمرلا يجوز ولا يجوز الإقرارعليه وينبغي الإنكارعلى أهله والمدعين له وينبغي أن يبين زيغهم وأن يحذرمنهم .

....

ثم قال الناظم وفقه الله :-

" والحكم لله ليس يحكم في الكون والشرع غيرالله فاعلم "

هذه قاعدة الحاكمية فالله جل وعلا هو الذي يحكم في كونه وشرعه فليس ثمة حاكم ابتداء ولا استقلال إلا الله جل وعلا فكما أن الله هن الحاكم في الكون ولا حاكم في كونه إلا هو فكذلك الله هو الحاكم في شريعته ولا حاكم في شريعته إلا هو . فلا حق لأحد أن يحكم في كونه إلا بإذنه ولا حق لأحد أن يحكم في شريعته إلا بإذنه يقول الله جل وعلا " إن الحكم إلا لله" هذه هي القاعدة" الحكم كله لله " الحكم الكوني والشرعي كله لله فلا حاكم إلا الله ، فالله جل وعلا قد استقل بالحكم ، وكما أن الله جل وعلا حكم كونا بأن الشمس تطلع من المشرق وهذا حكم كوني ، وكذلك القمريبدأ في أول منازله ضعيف النور ثم يبدأ يزداد وهذا أيضا حكم كوني ، وكون السماء فوق الأرض حكم كوني ، وكون أن هذه الأرض تمطر في الوقت الفلاني فهذا حكم كوني ، فليس ثم حاكما كونا غير الله ، فالحكم الكوني كله لله جل وعلا ، وكون الصلاة فرض هذا حكم ولكنه حكم شرعي ، والزكاة واجبة حكم ولكنه أيضا حكم شرعي ، فلا يجوز لأحد أن يتدخل في حكم الله بالاعتبارين ، فكما أنه لا يحكم كونا إلا الله ، فكذلك لا حاكم شرعا إلا الله جل وعلا .

فإن قال قائل وهذه قاعدة الحاكمية تدخل في توحيد الربوبية أم توحدي الألوهية؟ نقول قال أهل العلم أما إفراده بالحكم الكوني فهي داخلة تحت قاعدة الربوبية ، وأما إفراده بالحاكمية الشرعية فهي داخلة تحت توحيد الألوهية ، فالحكام هو الله ولا حاكم إلا الله جل وعلا ، وقد أجمع العلماء رحمهم الله تعالى على حرمة الحكم بغير شريعة الله فلا يجوز للإنسان أن يقرر قانونا أو نظاما أو منهجا يخالف شريعة الله ويحكم به في الناس ، وقد وصف الله جل وعلا الحاكم بغير شريعته بأربع صفات

-:

1- بأنهم من أهل الجاهلية فقال " أفحكم الجاهلية يبغون " فإذا هم متبعون للجاهلية في أوصافهم .

2- بالكفر فقال " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون "

3- بالظلم " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون "

4- بالفسق فقال " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون "

وقد وصف حكمه بأنه أحسن الحكم فقال جل وعلا " ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون " وقد حصر الحاكمية فيه في قوله " إن الحكم إلا لله " وفي قوله تعالى " وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلا الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب " فالشريعة هي مردنا عند التنازع كما قال الله جل وعلا " فإن تنازعتم في شيء فردوه إلي الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الأخر" وقد وصف الله الذي يدعوا إلي التحاكم إلي غير شريعته بصفة أخرى وهي أنه منافق قال الله " ألم ترإلي الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلي الطاغوت وقد أمر أن يكفروا به "

فإذا لا يجوز بإجماع العلماء غير شريعته الله جل وعلا ، بل ما حصل فساد في البر والبحر ولا حصل بلاء ولا فتنة في الناس سواء في ما يرجع إلي أنفسهم أو في ما يرجع إلي اقتصادهم وأموالهم ، أو في ما يرجع إلي مجتمعاتهم وحكوماتهم ، إلا بسبب إقصاء شريعة الله جل وعلا عن الحكم والتحاكم إليه. فالخيركله في التحاكم في القرآن والسنة ، والبروالهدي والتقي والفلاح والفوز والنجاة من فتن الشبهات والشهوات كلها لا تكون إلا إذا حكمنا في أرض الله حكم الله جل وعلا ، فلا يحكم غير شريعة الله ، وأما الحكم بغير شريعته فينقسم إلي قسمين :-

فعدنا حاكم ومتحاكم (حاكم بغير شريعة الله له أحكامه عند أهل السنة-
متحاكم لغير شريعة الله له أيضا أحكامه عند أهل السنة)

نبدأ بالحاكم :- الحاكم له أحوال فنقول أما واضع النظام كالذي يقرر هذه القوانين المخالفة لشريعة الله ويدعوا الناس إلي تحكيمها ابتداء فإنه كافر الكفر الأكبر وظالم الظلم الأكبر وفاسق الفسق الأكبر المخرج عن الملة من غير نظر هل هو مستحل أم لا ، ومن ربط تكفير هذا بالاستحلال فهو من المرجئة ، فالذي يضع النظام ابتداء ويقرره على الأوراق ثم يعطيه رؤساء الدول يحكمون به وهذا النظام مخالف لشريعة الله .

فواضع النظام ابتداء وواضع القانون ابتداء هذا كافر خالع ربقة الإسلام من عنقه بالكلية ، كالذين يضعون القوانين البريطانية والفرنسية أو الذين يضعون قوانين الأحوال الشخصية المخالفة لشريعة الله ، هؤلاء كفار الذين يقررون ويبتدؤون هذه الأنظمة ويجتمعون في المؤتمرات ويقررون تلك الأنظمة المخالفة لشريعة الله هذا كافر من غير أن ننظر هل هو مستحل بقلبه أو غير مستحل هذا أولا .

ثانيا :-

من يحكم بهذا القانون الحكم المطلق ، بمعني أنه لا يرضي بأن يحكم بشريعة الله بشيء من أجزاء بلاده ولا سلطانه ونفوذه فيفتح المحاكم القانونية التي تحكم بالقوانين الشرقية أو الغربية المخالفة لشريعة الله ويوظف القضاء القانونين ويرفض الرفض التام الدعوة إلي تحكيم شريعة الله بل ويحارب من يدعوا إلي التحاكم إلي الحكم بشريعة الله وربما يسجنهم ، أو يؤذيهم في ذواتهم أو أهليهم أو

يقصيهم في أموالهم فهذا لا جرم أنه كافر الكفر الأكبر من غير نظر هل هو مستحل لهذا التحاكم أو لا ، إذا الكفر والظلم والفسق الوارد في الآيات في حق هاذين الشخصين هو الكفر الأكبر والظلم الأكبر والفسق الأكبر ،

إذا الأول :- واضع النظام ابتداء .

الثاني :- من يحكم بهذا النظام الحكم المطلق مع محاربته لدعوة إلي الحكم والتحاكم بشريعة الله جل وعلا .

الثالث :-

من يحكم بشيء من هذا النظام معتقدا أنه أفضل من شريعة الله جل وعلا ، أي يستبدل شيئا من شريعة الله بشيء من هذا النظام إذا هو عنده حكم بشريعة الله ولكنه يستبدل بعض الجزئيات في الشريعة ويضع بدلا منها جزئيات هذا القانون (معتقدا) أن ما يقرره هؤلاء في قانونهم أفضل وأكمل وأنفع وأصلح لناس من شريعة الله جل وعلا فهذا كافر الكفر الأكبر المخرج عن الملة بالكلية والعياذ بالله ، ولذلك جعل العلماء رحمهم الله من جملة نواقض لا إله إلا الله " من اعتقدا أن غير هدي رسول الله أكمل وأحسن وأفضل من هديه " وهذا بالإجماع لأهل السنة والجماعة ، ولأنه مكذب للمتواتر المعلوم من الدين بالضرورة أن حكم الله هو أحسن الحكم وخير الحكم وأفضل الحكم

الرابع :-

من يحكم بشيء من هذا القانون معتقدا مسواته لشريعة الله لم يقل أفضل ولكن معتقد مسواته لشريعة الله كأنه قال "إننا إذا حكمنا بهذا القانون في هذه

الجزئية فهي كحكمنا سواء بسواء بشريعة الله " أي أن النتائج واحدة فهذا بهذا الاعتقاد كافر خالع ربقة الإسلام من عنقه بالكلية لأنه سوي حكم الله بحكم الطاغوت ، فالحكم بغير شريعة الله طاغوت من طواغيت هذا الزمان .

الخامس :-

من حكم بشيء من تلك القوانين الوضعية المخالفة لشريعة الله معتقدا جواز الحكم بها ولو اعتقد أفضلية شريعة الله ، أي لا يلزم من الحكم بشريعة الله في هذه المسألة بل يجوز لنا أن نحكم بغير شريعة الله أفضل لنا ولكن لا يلزمنا أن نحكم بها في هذه المسألة وننتقل منها إلي تجويز الحكم بهذا القانون الوضعي المخالف لشريعة الله فهذا كافر خالع ربقة الإسلام من عنقه بالكلية،

ولكن إن قال قائل هل نشترط الاستحلال ؟

أقول لو تدبرت أخي بارك الله فيك ما قلته آنفا لتبين لك أن كلامي في من يستحل ذلك لأنني قلت (معتقدا جواز) (معتقدا مساواة) معتقدا أي جعلها عقيدة في قلبه فكيف يجعلها عقيدة إذا لم يستحلها .

بقي عندنا صنف أخير من أصناف هؤلاء الفاسدين :- وهو من يحكم بشيء من تلك القوانين الوضعية المخالفة لشريعة الله معتقدا حرمة الحكم بها وأن الحكم بشريعة الله أوجب وأفضل ولكن دعاه إلي الحكم بها مجرد الشهوة والهوي أو الرشوة ، فهو لا يعتقد جواز الحكم بها ولا يساويها بشريعة الله فضلا على أن يجعلها أفضل من شريعة الله ولكن الذي حمله إلي الهروب من شريعة الله إلي الحكم بهذا القانون في هذه الجزئية المعينة إنما هو الهوي والشهوة لا الاعتقاد والاستحلال فهذا كافر الكفر الأصغر وظالم الظلم الأصغر وفاسق الفسق الأصغر

كما قرره علماء أهل السنة والجماعة ، ولم نكفره لأنه لم يحكم بهذا القانون الحكم المطلق ولم يحكم بهذا القانون مستحلا للحكم به ولا معتقدا أفضليته على شريعة الله جل وعلا ، ولا جواز الحكم به ، وهذا قد يكون في غالب الناس في هذا الزمان ، فلو أننا كفرنا من يحكم بغير شريعة الله في بعض الجزئيات وهو في ذاته معتقدا حرمة الحكم بهذا الأمر ولكن حمله على ذلك الهوي والشهوة فإننا سوف نكفر جزء كبيرا من الناس ، فمثلا النبي ﷺ يقول " واضربوهم عليها لعشر" إذا تخلف الطفل فلو ضربته بثلاثة عشر فقد حكمت فيه بغير شريعة الله فهل تلك الأصوات الثلاثة تخرجك من دائرة الإسلام ؟

الجواب لا فقد يحمله الإنسان عليه إطفاء شهوة الغضب ، ولكنه يعتقد في نفسه أنه أخطأ وأن الواجب عليه أن يقف عند حد عشرة أصوات ، ومثال أخر أحيانا يختصم الزوج وزوجته ثم يخاف نشوزها فيطلقها مباشرة وهذا حكم بغير شريعة الله فكيف تطلق مباشرة ولديك محطات لا بد أن تقف فيها أولا فعظوهن ، واهجروهن في المضاجع، واضربوهن، ثم إقامة الحكمين ، فلا تطلق مباشرة فلابد أن تحكم بهذه المحطات التي تسبق الطلاق ، فهذا هو الذي يقع فيه غالب الناس الأن سواء على مستوي الدولة ، أو على مستوي المجموعات ن والطوائف والجماعات ، أو على مستوي البيوت والأسر الصغيرة ، فهم يحكمون أحيانا في أنفسهم أو في غيرهم بغير شريعة الله ، وهم يعلمون مخالفتهم لهذا الحكم لكن يحملهم عليها أحيانا هوي أو شهوة ، أحيانا يقد للقاضي رشوة فهذا يقع كثيرا ويترك القاضي الحكم بشريعة الله ويحكم بعير شريعة الله معتقدا حرمة ما قرره في الحكم أنه حرام وأنه لا يجوز ,وأن هذا ليس حكم الله وأنه مخطئ ، ولكنه حمله على ذلك شهوة المال فهذا نقول كافر ولكن ليس الكفر الأكبر ولا الظلم الأكبر ولا

الفسق الأكبر، وكفرنا الثاني لأن فعله دليل استحلاله، فكونه ينسف شريعة الله نسفا كاملا ولا يحكم بها أبدا مطلقا في أي جزئية من الجزئيات ويزيد على ذلك محاربة من يدعوا تطبيق فهل يأتي واحد عنده مثال ذرة من علم يقول لا بد نشوف مستحل أو غير مستحل لا ، فالله جل وعلا جعل على البواطن علامات ودلالات وإرشادات ، يقول الله " ولتعرفنهم في لحن القول " فلا ننسلق وراء المرجئة فالذي لا يكفر هاذين الرجلين المذكورين وهما (واضع النظام والحاكم الحكم المطلق) فمن لم يكفرهم إلا بالاستحلال فهذا هو منهج المرجئة ، لأنهم يقولون لا تكفير إلا بالاستحلال ، وهذا خطأ مجانب لمذهب أهل السنة ، فعندنا تكفير أحياننا نظرا إلي صورة الفعل من النظر إلي هل هو معتقد أو غير معتقد ، ودل هل التقسم المذكور آنفا على أن قول الله جل وعلا "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " قد يراد بها الكفر الأكبر تارة ، ويراد بها الكفر الأصغر تارة على هذا التفصيل الذي ذكرته ،

وكذلك قوله تعالى " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون " قد يراد بها الظلم الأكبر تارة وقد يراد بها الظلم الأصغر تارة على التفصيل المذكور ، وقول الله جل وعلا " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون " قد يراد بها الفسق الأكبر تارة الذي هو المخرج من الملة وقد يراد بها الفسق الأصغر تارة الذي لا يخرج من الملة ؛

وهذا التفصيل هو الذي اعتمده الشيخ شيخ مشايخنا الشيخ محمد ابن إبراهيم في كتابه العظيم رسالة في تحكيم القوانين الوضعية وهو من أبدع ممن تكلم في هذه المسألة من المتأخرين وسار على منهجه الشيخ عبدالعزيز ابن باز غفر الله له

فهو يقسم الكفر والظلم والفسق الوارد في هذه الآيات إلي الظلم الأكبر والفسق الأكبر وهذا هو الحق الذي تسير عليه قواعد أهل السنة والجماعة ،،،

الثاني حال المتحاكم إلي غير شريعة الله فهذا نقسمه إلي قسمين :-

1-أن يتحاكم لها اختيارا وإرادة باطنية ، وكلمة مريد يدخل تحتها إما أن يعتقد أنها أفضل وإما أن يعتقد وإما أن يعتقد المهم أن هناك إرادة قلبيه أنه يريد في قرارة نفسه أن لا يتحاكم إلي الشريعة وإنما يتحاكم إلي تلك القوانين الوضعية ، فإذا كان مريدا لتحاكم لغير شريعة الله مختارا مع إمكانية لتحاكم في بلاده لشريعة الله ويستطيع أن يذهب إلي المحاكم الشريعة ولكنه ما ذهب إليها هو أراد في قرارة نفسه أن يذهب ويدخل إلي تلك المحاكم القانونية ويعرض مشكلته عليهم فهذا كافر الكفر الأكبر المخرج عن الملة بالكلية ، ولذلك الله قال " ألم تر إلي الذين يزعمون " وعندنا قاعدة في التفسير:- " وكل زعم في القرآن فهي دليل على كذب أصحابها "

مثل " زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا" كذب أصحابها ، وقوله " ألم تر إلي الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قلبك " فزعمهم للإيمان كاذب يكذبون في هذا الزعم أنهم يؤمنون لوكنهم ما آمنوا بدليل أنه قال " يريدون أن يتحاكموا " فإذا لا بد من التحاكم حتى نحكم عليه بالكفر الإرادة الباطنية القلبية لا بد من هذه الإرادة ، ودليل هذه الإرادة أنه يستطيع أن ترفع قضيته إلي الحاكم بشريعة الله لكنه يأبي أن يحكم له بشريعة الله ويذهب إلي هؤلاء القضاة القانونين الذين يحكمون بغير

شريعة الله ،فهو عنده إرادة باطنية قلبية لتحاكم لغير شريعة الله سواء يعتقد الحلة أو الحرمة هذا لا نفصل فيه ولكن المهم وجود الإرادة هل مريد أم لا ؟ فإن كان مريد للحكم بغير ما أنزل الله فهو كافر ،

2-أن يتحاكم لهذه القوانين الوضيعة المخالفة لشريعة إجبارا واضطرارا لاستخراج حقه ، وهذا كحال أهل البلاد الذين لا يجدون شيئا من المحاكم الشرعية في بلادهم ولو أنهم ما رفعوا قضاياهم إلي تلك المحاكم القانونية لضاعت عليهم أموالهم وحقوقهم فلا طريق لاستخراج حقوقهم إلا بالرفع لتلك المحاكم القانونية فحينئذ هم يتحاكمون إلي لغير شريعة الله لاستخراج حقوقهم يرفعون قضاياهم إلي هذا القاضي القانوني الذي يحكم بغير شريعة الله لكن لا طريق إلي استخراج حقوقهم من الآخرين ولا فصل الخصومات مع الآخرين إلا بهذا الرفع فهؤلاء لا حرج عليهم ،

ولكن يجب عليهم أن يعتقدوا بغض التحاكم إلي غير شريعة الله وإنما حملهم عليها الاضطرار،ومن المعلوم أن القاعدة المتقررة عند العلماء "أن يجوز في حال الاضطرار ما لا يجوز في حال الاختيار" ،

وهذا كله يندرج تحت قاعدة " الحكم كله لله كونا وشرعا "

فهذه قاعدة عظيمة فلا حاكم كونا ولا شرعا إلا الله جل وعلا ، ولا يصلح هذا العالم إلا بالحكم بشريعته ،،،،

ثم قال الناظم وفقه :-

" والحكم لله فليس يحكموا في الكون والشرع سواه فاعلم والخلق والتصريف والتدبير بأمره فما له ظهير"

وهذه قاعدة عند أهل السنة والجماعة وهي تتعلق بتوحيد الربوبية ، لا مدبر ولا متصرف على الحقيقية في هذا العالم إلا الله فلا تسقط ورقة إلا بإذنه ومشيئته ، ولا تموت نفس إلا بمشيئته وإذنه ، ولا يولد أحد إلا بمشيئته وإذنه ، ولا يحصل شيء في هذا العالم علويه وسفليه إلا بتدبير الله وتصريفه، ومن ذلك أنه لا يملك النفع والضر إلا الله جل وعلا ولا يحي إلا الله ويدخل تحتها ضوابط كثيرة منها :-

1- لا مالك إلا الله وهذا أول الضوابط التي تدخل تحت قاعدة " لا مدبر ولا متصرف في هذا الكون إلا الله "
2- لا مالك إلا الله باسم الله
3- لا خالق إلا الله
4- لا محي إلا الله
5- لا مميت إلا الله
6- لا رازق إلا الله
7- لا مانع لما أعطى الله ولا معكي لما منع الله ويدخل تحتها أشياء كثيرة ، فكل ما يتعلق بجزئيات وتفاصيل توحدي الربوبية يدخل تحت قاعدة " لا مدبر ولا متصرف في هذا الكون إلا الله " وعلى ذلك نعرف أن من يعتقد في أحد من الأولياء أو الصالحين أو الانبياء أنه يدبر شيئا من أمور هذا الكون أو يتصرف فيها فإنه كافر الكفر الأكبر وأصل كفره أنه مشرك في توحيد الربوبية. فالمدبر والمتصرف في هذا الكون هو الله .

ولذلك يقول العلماء رحمهم الله تعالى " من استغاث بغير الله في الأمر لا يقدر عليه إلا الله فإنه مشرك الشرك الأكبر لأنه لم يستغث به في هذا الأمر الذي يعجز عنه البشر ولا يقدر عليه إلا الله إلا لعلمه بأن هناك سببا خفيا يقدر عليه هذا الرجل " أي هذا الرجل مدبر في هذا الكون أو متصرف في هذا الكون ، ولذلك أيضا يقول العلماء " من دعا غير الله جل وعلا أو استعاذ أو استعان بغير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك في توحيد الربوبية ابتداء وتوحيد الألوهية كذلك "

قالوا لأنه ما فعل ذلك إلا لاعتقاد أن له تدبيرا خفيا في الكون فكفروهم بهذا الأمر.

فمثلا رجل في مصر يستغيث بولي من أوليائه في العراق فكيف يسمعك ؟ فهو يعتقد في قرارة نفسه أن له القدرة الخارقة في هذا التدبير وله قدرة خارقة في التصريف وإلا ما يدعي الولي فكيف ميت ويدعونه ؟ فلا يدعونه إلا باعتقادهم الفاسد وهو أنه يعتقدون أن لهذا الميت تدبيرا وتصريفا مع الله في هذا الكون ، ولذلك يقول الله جل وعلا في أصل هذه القاعدة والاستدلال لها قال الله " قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له " ، وحتي الملائكة فلا تدبر لهم استقلالا إلا بإذن الله جل وعلا ، وحتي الأنبياء لا تدبر لهم ولا تصريف استقلالا في هذا الكون إلا بإذن الله جل وعلا قال الله عن الملائكة " لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون " ، فلا يقبض ملك الروح الأرواح استقلالا من تلقاء نفسه ولا يدبر شيئا من عند نفسه وإنما بأمر الله جل

وعلا ، فكل شيء بأمر الله ، فمن اعتقد أن أحدا من خلق الله يدبر ويتصرف مع الله أو أنه يملك شيئا مع الله ، أو أنه يحي ويميت مع الله ،أو أن يرزق أحدا مع الله استقلالا وابتداء فهذا كافر خارج من الإسلام ، فلا مدبر ولا متصرف في هذا الكون على الحقيقة إلا الله ، وقلنا استقلالا لأن الله يقول " وما تشاؤون إلا أن يشاء الله " فللعبد مشيئة ولكنها تابعة لمشيئة الله لا استقلالا ولذلك قلنا استقلالا بدون أمر الله وإذن الله ففرق أيها الحبيب بين هذا وهذا ، ولذلك جبريل عليه السلام ينزل بالوحي من الله إلي النبي ﷺ وهذا يعد تدبيرا ولكنه تدبير بأمر الله جل وعلا وإذن الله جل وعلا سواء إذنه الشرعي أو إذنه الكوني ، أمره الكوني أو أمره الشرعي ، وتلك تقسيمات سوف تخرج لي فيها رسالة بسيطة لأن كثيرا من الطوائف ضل في كثير من الأبواب العقيدية بسبب عدم تقسيمه لتلك المسائل ، فلم يقسموا إرادة الله إلي :- كونية وشرعية

فضل بعدم التقسيم الجبرية والقدرية

لم يقسموا الإيمان:-

إلي إيمان مطلق ومطلق الإيمان

فضل بسبب هذا التقسيم الوعيدية والمرجئة

لا يقسمون أمر الله إلي : -

الأمر الكوني والأمر القدري

فضل بذلك التقسيم طوائف

لا يقسمون إذا الله إلي:-

الإذن القدري والإذن الشرعي

ولذلك ضل بسب ذلك طوائف كثيرة بعدم هذا التقسيم

فجمعت تلك التقسيمات العقدية التي ينص عليها أهل السنة في رسالة سوف تخرج عن قريب إن شاء الله ، فالشاهد أن المدبر والمتصرف في الحقيقة هو الله جل وعلا ، فلا مدبر ولا متصرف لهذا الكون على الحقيقة إلا الله جل وعلا .

ثم قال الناظم وفقه الله :-

" والأصل في التبرك التوقيف على الدليل التخصيص لا يجب تخفيف................................"

التبرك هو:- طلب من الشيء ، وقد قرر فيها الناظم هنا قاعدة عظيمة وهي " أن الأصل في التبرك التوقيف " أي لا يجوز لك أن تطلب البركة من شيء أومن الأشياء إلا وعلى طلب البركة منها دليل من الشرع ، ويدخل تحت ذلك ثلاثة ضوابط مهمة وهي :-

1- الأصل في التبرك بالأعيان والذوات توقيف
2- الأصل في التبرك بالأزمان التوقيف
3- الأصل في التبرك بالأمكنة التوقيف

فلا يجوز للإنسان أن يتبرك بشيء من الأعيان والذوات ولا بشيء من الأزمنة ، ولا بشيء من الأمكنة إلا وعلى ذلك التبرك دليل ، وبناء على ذلك فمن طلب البركة من شيء فلا يخلوا من حالتين :-إما أن يدل على جواز التبرك بهذا الشيء فالحمد لله ، وإما أن لا يدل دليل عليه فهنا قد وقع الطالب للبركة في الشرك ،

لكن هل هو شرك أكبر أم شرك أصغر؟

نقول هذا يختلف باختلاف الاعتقاد الحامل له على طلب البركة فإن كان يعتقد أن هذا الشيء المتبرك به هو الذي يعطي البركة استقلالا وابتداء فهذا شرك أكبر لأنه اعتقد أن ثمة مدبر ومتصرف في هذا الكون مع الله جل وعلا ، فإذا جمع أحدهم ترابا من قبر طلبا للبركة ويتبرك به مثل ما يفعل في قبر الحسين أو قبر على رضي الله عنهما أو قبور بعض الصحابة فيجمعون ترابا ليتبركوا به فنقول لم يدل الدليل على جواز التبرك بتراب القبور فمن أخذ هذه الغرفة من هذا التراب واقع في الشرك لأنه طلب البركة من ما لم تأتي الأدلة بجواز التبرك به ، ولكن هل هو شرك أصغر أم شرك أكبر؟

نقول يختلف باختلاف اعتقاده فإن كان يعتقد أن حفنة التراب هذه أو هذا الولي هو الذي يعطي البركة استقلالا وابتداء بدون إذن الله ولا قدر الله فهذا هو الشرك الأكبر المخرج من الملة بالكلية ، وإن كان يعتقد أن الله هو الذي يعطي البركة ويخلق البركة ويأتي بالبركة وهو الذي يقدر البركة ولكن من جملة الأسباب التي تحصيل البركة من الله أن أجمع حفنة من تراب وأذهب بها للبيت لتبرك بها فهذا شرك أصغر ، فهو يعتقد الأن للبركة سببا ليس بسبب لا شرعا ولا قدرا فهذا شرك أصغر لسببين :-

1-اعتقد سببا ما ليس بسبب لا شرعا ولا قدرا وسوف تأتينا قاعدة في الأسباب إن شاء الله

2- أنه وسيلة من وسائل الشرك الأكبر وكل وسيلة من وسائل الشرك الأكبر فإنها تكون شركا أصغرا إذا كانت الأدلة قد وصفتها بأنها شرك ، فإذا هو واقع في الشرك ولكن نقول له إما نخرجك من الملة أو نبقيك في الملة !!!!! ولكن نقول أنت على خطر ، فإن قال وضحوا لي وبينوا لي ؟

فنقول له إن اعتقدت أن تلك الحفنة أو ذلك الولي هو الذي يعطيك البركة استقلالا وابتداء ويخلق البركة ويجدها فهذا شرك أكبر في الربوبية لأنه لا مدبر ولا متصرف في هذا الكون إلا الله ، وإما أن تعتقد أن الله هو الذي يخلق البركة فما هذه الحفنة وما هذا الولي فالله هو الذي يخلق البركة وهو الذي يوجد البركة ولكن يعتقد أن من جملة أسباب تحصيل بركة الله أخذ حفنة من التراب فأنت اعتقدت سببا وليس عليه دليل لا من الشرع ولا من القدر. فالشرع الكتاب والسنة ، والقدر التجربة إذا قالوا شرعا ولا قدر القدر معناه التجربة هل الذين أخذوا تلك الحفنات ما أصابتهم مصائب لما وضعوها في غرف البيت أو في ثيابهم أو في الأشياء الثمينة التي يخافون عليها أو يضعونها في خرق ويعلقونها على رقاب الدواب أو السيارات مثل تربة كربلاء وتربة العتبات المقدسة ، فبعض الإعلاميين يروي في أخباره ويقول (وقد قاموا وذهبوا إلي العتبات المقدسة)،وما أدراك أنت أنها مقدسة وما الذي جعلها مقدسة ولكن هذا اعتقاد غير صحيح باطل ، ولكن هناك كثير من الإعلاميين جهال وليسوا بطلبة علم ، فلا يجوز للإنسان أن يتبرك بشيء إلا وعلى هذا التبرك دليل ، ولكن العلماء رحمهم الله قسموا التبرك إلي ثلاثة أقسام ذكرت هنا في الضوابط :-

1--تبرك بالذوات

2-تبرك بالأزمنة

3-تبرك بالأمكنة

والتبرك بالذوات هو الذي أريد أن أنبه عليه ففيه قسمين خطيرين جدا وهما أن هناك نوعين من أنواع البركة :-

أن هناك من البركة ما شهدت الأدلة فيه بأن فيه بركة انتبه أيها القارئ الكريم أنا لا أتكلم هنا عن ما لم تشهد الأدلة على ما ليس فيه بركة لا لا أنا الأن أتكلم على الأنواع التي قامت الأدلة الشرعية الصحيحة على أن فيه بركة ،فهناك بركتان لا بد من التفريق بينهما وقد أوجب الخلط بينهما الوقوع في كثيرا من البدع التي لا تعد ولا تحصي ،

النوع الأول :- البركة الذاتية المنتقلة

النوع الثاني :- البركة المعنوية اللازمة .

لابد يا طالب العلم أن تفريق بين هاذين النوعين وإلا سوف تقع وتوقع غيرك في طوام عقدية لا مخرج لها ،

فالبركة الذاتية المنتقلة هي :-

تلك الأعيان التي وردت الأدلة بأن فيها بركة وأن بركتها تنتقل إلي كل شيء يماسها وهذا ورد بحق النبي ﷺ " فهو صاحب الذات الوحيدة بعد بعثته ﷺ في هذه الأمة ليس ثمة بركة ذاتيه منتقلة إلا بركة محمد ﷺ ، ولذلك كان الصحابة يطلبون البركة من ذاته فالله جعل ذاته سببا من أسباب حصول البركة ،ولتعلم أن النبي ﷺ لا يعطيهم البركة استقلالا نعوذ بالله؛ لا

وإنما مجرد سببا وضعه الله جل وعلا لحلول البركة في ما ماسه ، ولذلك كانوا يتبركون بعرقه ، وبشعره ، ونخامته ﷺ كما في حديث صلح الحديبية من رواية المسور ابن مخرمة ومعاوية ابن الحكم قال "ما تنخم النبي ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل فدلك بها وجهه وجلده وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضَوئه (بالفتح أي الماء لأن بالضم أي الفعل)، فهم رضي الله عنهم يتبركون بالماء الذي يبقي بعد الوضوء، في الصحيحين من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه قال رأيت النبي ﷺ بمكة بالأبطح وهو في قبة حمراء من أدم فخرج بلال بوضوء النبي ﷺ فمن ناضح له ونائل ،وفى رواية أخرى ومن لم يصب منه أخذ من بلل يد صاحبه ، ولم حلق النبي ﷺ شعره أشار للحلاق أن يحلق جزئه الأيمن فحلقه ثم دعا أبا طلحة ثم أشار للجزء الثاني فقال احلق ثم أعطاه أبا طلحة فقال اقسمه بين الناس ، أي أن الجزء الأيمن لأبي طلحة كاملا والثاني يقسمه بين الناس جميعا ، فقال أنس رضي الله عنه فأصابنا منه شعرة فقال أنس ابن سيرين وهي عندنا يتبركون بها ، وقد أجمع علماء أهل السنة على جواز التبرك بما يتعلق بالنبي ﷺ من ماسه جسده الشريف في حياته ، وبعد مماته أيضا مجمعون على جواز التبرك بآثاره بعد مماته لكن لا بد أن نشترط أن التيقن والتأكد التأكد الكامل أن هذا الشيء من آثاره ﷺ لأن هناك أشياء قد كثرة تنسب لنبي ﷺ ، وخذوها مني أصلا عاما وهي :-

أن جميع آثار النبي ﷺ قد فقدت في العهد الأول في زمن الصحابة فلم يبقي منها شيء في زمن التابعين لم يبق منها شيء إطلاقا ، وإنما الذي ينشرها هنا وهناك في تركيا أو في مصر أو في الشام أو في العراق أو في إيران أن هذه جبة

رسول الله ﷺ ، أو هذه نعل رسول الله ﷺ، أو هذه قبيعة سيف رسول الله ﷺ ، فكل هذا من الدجل والخرافة والكذب الكبير العظيم الذي يراد به إفساد عقيدة الناس وابتزاز أموالهم ، فلا يغتر بذلك أهل السنة والجماعة .

فهذه البركة الوحيدة هي البركة الذاتية المنتقلة وما عداها من الأعيان من ما وردت الأدلة بأن فيه بركة فإن بركته معنوية لازمة بمعني أنها بركة تلازم محلها لا تنتقل إلي ما ماسها ، من ذلك :-

بركة المسجد الحرام ففيه بركة ولكن ليس هذا دليل على أن كل حجر في المسجد الحرام فيه بركة ويتبرك به ويتمسح بالركن اليماني والأعمدة والتمسح بالحجر الأسود أو التمسح بأستار الكعبة أو يتمسح بمقام إبراهيم لا لا ، فظن البعض أن البركة الثابتة في الأدلة الصحيحة في المسجد الحرام أنها بركة منتقلة وهذا خطأ بل هي بركة معنوية لازمة ومعني البركة في حق المسجد الحرام تكون في مضاعفة أجر الصلاة ن وفي من دخله كان آمنا ، وفي عدم إقامة الحرب فيه (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتي يقاتلوكم فيه) فهذا كله من بركة المسجد الحرام ،ولكن ليس كل حجر فيه بركة أو كل عمود فيه بركة هذا خطأ واعتقاد باطل ، ومن ذلك بركة الحجر الأسود أيضا فبعض الناس يخلط بين كونها منتقلة أم معنوية؟ فنقول يخطأ بعض الناس وتجده يمسح الحجر الأسود ثم يمسح بيده وجهه وجسده ويمسح جسده بنيه بيده ظننا منه أن بركة الحجر الأسود منتقلة وتتعد محلها فنقول له لا هذه بركة معنوية لا تتعد محلها ، وقد نبه على بركة الحجر الأسود عمر رضي الله عنه فقال (إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك)

فبركة الإتباع فقط لنبي ﷺ وهذه هي البركة المعنوية ، وقد رأيت أحد الأفراد من جاليات البلاد المجاورة يلعق زجاج مقام إبراهيم لعقا لا مثيل له وآثار لعابه على كل جهة وهذا خطأ ونحمد الله على السلامة فهذه نعمة التفريق بينها من أعظم ما يكون .

ولذلك هذه من الأشياء التي سوف تخرج إن شاء الله رسالة لي قصيرة وهي " التفريعات العقدية التي أوجب الخلط بينها ضلال العقيدة "

لأنك أيها القارئ الكريم لا يكفيك أن تعلم العقيدة الصحيحة وحسب لا يكفي ، ولكن إذا عرفت العقيدة الصحيحة فمن باب كمال معرفتك للحق أن تنظر الأسباب (الأخطاء) ، ولذلك يقول حذيفة رضي الله عنه كان الناس يسألون عن الخير وكنت أسأل النبي ﷺ عن الشر مخافة أن يدركني ، فإذا عرفت الحق بدليلة فانتقل مباشرة إلي معرفة الأسباب التي أوقعت أسباب الضلال فيها حتي تجتنب فيكون عندك الحق وطريق الحق وعارف به ، فإن من لم يعرف طريق الشر ربما تزل قدمه فيه يوم من الأيام ويعرف طريق الحق فإذا الكمال المعرفي أن تعرف الضدين وكما قال العلماء وبضدها تتميز الأشياء ، فكذلك نرجع ونقول في التفريق بين أنواع البركة :- بركة يوم عاشوراء بركة معنوية ، وبركة المسجد الأقصى بركة معنوية ، وبركة مسجد المدينة بركة معنوية ، فلا يوجد الأن بركة ذاتيه أنتهي الأمر من عقب الذات الوحيدة نبينا ﷺ كل البركات بعده بركة معنوية، ونزيد ضابطا تحت ضابط التبرك ونقول البركة الذاتية المنتقلة مخصوصة بذات النبي ﷺ وما عداها من أنواع البركة فهو مما ثبت فيه البركة

فبركة معنوية لا تنتقل ، وكذلك ماء زمزم إنما هو بركة معنوية لازمة ولذلك نجد أن بعض الناس يأخذ ماء زمزم ويغسل به ثيابه ظننا منه أن البركة ستحل في ثيابه ،أو يغسل به سيارته ظنا منه ان السيارة سوف تخف أعطالها ولا يصيبها الحوادث ، ونجد أن بعض الناس ربما يغتسل به طلبا لبركة جسده ، نقول لا إنما بركته في شربه ومتابعة النبي ﷺ في شربه فقط ، والشفاء بالشرب من ماء زمزم لا يعد بركة ولكنه من آثار الشرب ، كما أنك تشرب الدواء وأنت ساخن الجسد فيفضي إلي نوع شفاء فهذا من جملة آثار الشرب ، كذلك أيضا بركة القرآن معنوية ، فمن الناس من يأخذه ويقبله فنقول ما حكم تقبيل القرآن فنقول والله لا يعرف عن السلف .

يقول ابن تيمية رحمه الله " لا يعرف عن واحد من سلف الأمة وأئمتها أنه قبل المصحف لا أبو بكر ولا المهاجرون ولا الأنصار إلا عكرمة ابن أبي جهل فقط أنه كان يضع كتاب الله جل وعلا على وجهه وجبهته ويقول "كتاب ربي كتاب ربي "

ولكن عندنا قاعدة في قواعد الأصول تقول " إذا اختلف الصحابة على قولين في مسألة لا دليل فيها فإن قول الأكثر مقدم على قول الأقل " لا سيما وأن عكرمة ابن أبي جهل رضي الله عنه لا من الخلفاء الراشدين فهو صحابي وعلى العين والرأس ولكن لن نقدم قوله على قول الخلفاء الراشدين والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

بعض الناس يجعل في القرآن بركة ذاتيه بمعني أنه يفتح المصحف للفائل، بمعني آخر لو أراد سفرا يفتح المصحف فإذا رأى آية رحمة يمضي ، وإذا رأى آية عذاب أحجم ووقف وهذا كله من باب البركة الذاتية وهذا خطأ، بل وبعضهم ربما يأخذه كتيمية فيضعه في السيارة ،أو على فراشة لطرد الجن ، أو يضعه في غرفته لطرد الجن وهذا كله من باب اعتقاده أن بركة القرآن بركة ذاتيه منتقلة وهذا خطا ولا يصلح أبدا ، فبركة القرآن في تضعيف أجر تلاوته ، وفي هداية القلوب ، وفي عظمة الثواب فيه ، وفي تدبره والعمل به ، فهو كتاب هداية وكتاب فرقان وكتاب خير وبر وهدي ، وليس بكتاب يوضع في كتاب من أجل طرد الجن لا لا يصلح مثل هذا ، ولذلك نجد أن من الناس من يضعه في مرآة السيارة فإذا سألته لما تفعل ذلك قال حتي تخف حوادثها وغير ذلك وهذا كله من الأمور الممنوعة ، فالله أنزل كتابه لمقاصد وبالإجماع لا يجوز إخراج القرآن عن مقاصد إنزاله ، فالله أنزل كتابه لقراءته بالألسنة وأنزل كتابه لتدبره بالقلوب ، وأنزل كتابه للعمل به بالجوارح ولتحاكم إليه والاستشفاء به ، وهذه يسميه العلماء " مقاصد إنزال القرآن" ، فالله ما أنزل كتابه حتي تتداخل حروفه ويتعجب الناس من الخطوط ، بل ربما تكتب الآية العظيمة كتابة تحدي من الخطاط أن يقرأه أحد فهذا إخراج للقرآن عن تيسيره فالله يقول " ولقد يسرنا القرآن لذكر" فأحيانا تجد الآيات التي تكتب على الكعبة تجد تبقي فيها زمنا طويلا إلا إذا استطعت أن تقرأ آية منها وأنت حافظ حينئذ ينبسط لك الخط وهذا كله لا أصل له ، بل ربما يعلق في أمكنة يفعل فيها اللهو وتفعل فيها المعاصي ، وربما يعلق عند أناس لا

يعرفون منه أصلا لا حرفا ولا يقرؤون منه رسما ولا يتدبرونه وإنما حظهم من كتاب الله تلك المعلقات من هاهنا ومن ها هناك فالقرآن لا يتخذ زينة فليس من مقاصد القرآن اتخاذه زينة يزين بها البيوت أو تزين بها الجدران أو تزين بها المجالس هذا كله لا فحينئذ إذا لا نقول إنها من باب العقائد لأنه لا يصاحبها إلا اعتقاد أبدا وإنما يصاحبها إرادة تجميل المكان أو تزين المكان فهذا حينئذ مسألة عملية لا علمية فحينئذ نمنعها لهذه الاعتبارات لأنها إخراج للقرآن عن مقاصد إنزاله .فبركة المصحف بركة معنوية .

وكذلك بركة رمضان بركة معنوية ، ولكن لا يأتي واحد يبتدع من عنده نفسه لشيء أن له بركة كمن يزعمون ويقولون ببركة كربلاء فهذه لا بركة فيها أصلا ، فكل شيء غير تلك الذات الكريمة الشريفة المباركة ﷺ فكلها برمة معنوية ، فهذه قاعدة طيبة من قواعد العقيدة فالأصل في التبرك بكل أقسامه سواء بالذوات ،أو التبرك بالأزمنة ،أو بالأمكنة كلها مبني على التوقيف .

....

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى :-

(قاعدة في التوسل توقفه على الدليل المعتل)

هذه قاعدة كبري من قواعد توحيد الألوهية عند أهل السنة والجماعة (الأصل في التوسل التوقيف) والتوسل والتوصل لفظان لشيء واحد ولكن يريد به أهل السنة أن يقدم الإنسان بين يدي دعائه أمرا محبوبا لله جل وعلا يكون أدعي لقبول دعائه كأن يقول اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الرحمن اغفرلي ، فتوسل هنا باسم الله الرحمن

والدعاء اغفرلي ، وهذا من جملة الأشياء التي يتحرى عندها الإجابة إن شاء الله ، وقد علم الله أنبيائه ورباهم بأن يتوسلون إليه قبل طرح دعائهم كما قال موسي عليه الصلاة والسلام (إني لما أنزلت إلي من خيرفقير) وهذا توسل إلي الله ، هذا نوع من التوسل إلي الله ، وكذلك نوح عليه السلام لما قال(رب إني مغلوب فانتصر) ، وقال زكريا عليه السلام(رب لا تذرني فردا وأنت خيرالوارثين) وكل هذا من باب التوسل إلي الله جل وعلا ، ولكن قرر العلماء رحمهم الله تعالى أن التوسل لا يجوز إلا بالوسيلة التي ثبتت جوازالتوسل بها في الكتاب صحيح السنة ، فلا يجوز لأحد أن يتوسل بشيء إلا وعلى ذلك التوسل دليل ، وقد سبرالعلماء رحمهم الله تعالى الأشياء التي يجوز بها التوسل فوجدوها جملا من المسائل :-

1- أن يتوسل إلي الله جل وعلا بأسمائه الحسني إما على العموم كأن يقول (اللهم إني أسألك بأسمائك الحسني أن تغفرلي) ،على الخصوص كأن يقول(اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الرحمن أن تغفرلي) سواء على العموم أوعلى الخصوص كل ذلك مما أجازه العلماء رحمهم الله وله شواهده في الكتاب والسنة ، ولكن قرر العلماء رحمهم الله على أن التوسل بالاسم الخاص ينبغي من باب الأدب مع الله أن يكون متناسقا مع السؤال التي تريد فلا تقول (اللهم إني أسألك بأنك أنت القهارقوي العقاب أن تغفر لي) هذا استهتاربالله جل وعلا ، ولكن لا بد أن بكون مناسبا للمقام ، فإن مانت المغفرة فعندك أسماء (الغفور – الرحيم – البر- الكريم – الجواد (بتخفيف الواو) وغيرها من الأسماء الثابتة ، وإذا كان من باب الاستعانة على الأعداء فلديك (الجبار– المهمين- القهار- القوي- القدير) ونحوها من الأسماء وكما قال الناظم في التوسل بأسماء الله تعالي (فإن

ترد على العموم جائزوأخصص لما تريده فجائز)

فهذا النوع الأول من أنواع التوسل ، ولذلك يقول الله جل وعلا (ولله الأسماء الحسني فادعوه بها) وما قال الله فادعوها وإنما(فادعوه بها) أي اجعلوها وسيلة بين يدي دعائكم فإن دعاء شيء يختلف عن الدعاء بالشيء، دعاء الشيء أن تتوجه بالدعاء إليه ، والدعاء بالشيء أن تجعله وسيلة بين يدي مطلوبك حتي يكون ذلك أدعي لاستجابة الله جل وعلا ،

2- التوسل إلي الله جل وعلا بالصفات العلي ، كما قلناه في الأسماء، فيجوز أن تتوسل بالصفات على وجه الإجمال كأن تقول (الله إني أسألك بصفاتك الحسني أن تغفرلي)،أن تتوسل إلي الله جل وعلا بصفة معينة ، قرر أهل السنة أن الصفة لا بد أن تكون متناسبة ومتناسقة مع المطلوب الذي تريد لأن هذا من باب تقدير أسماء الله جل وعلا وتقدير الله جق قدره ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن كان يقول في دعائه تارة " أسألك بأسمائك الحسني وصفاتك العلي " ،

3- التوسل إلي الله جل وعلا بالانطراح بين يدي الله جل وعلا بذكر الحال والافتقار إلي الله جل وعلا ، وهي أن تبسط حالتك بين يدي الله جل وعلا منطرحا عند عتبة باب الكريم الجواد الذي لا يرد أحدا ثم تدعوا ، فإنك إذا جئت لملك ضعيف من ملوك الدنيا وقلت أنا فقيروزوجتي فقيرة وأنا مسكين فأعطنا فإن ذلك يكون أدعي لشفقة قلبه عليك ، ولله المثل الأعلى ، وهذا هو دأب أنبياء الله جل وعلا كما قال موسي ﷺ " رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير" فدعا الله ثم قال الله " فجاءته إحداهما " جاء الفرج مباشرة ، فما قال ثم جاءته قال "فجاءته إحداهما " جاء الفرج مباشرة ، وهذا توسل إلي الله

جل وعلا بذكر الحال ، وكذلك نوح علي عليه الصلاة والسلام توسل إلي الله بذكر الحال " قال رب إني مغلوب فانتصر " إذا قبل فانتصر "إني مغلوب" وهذا توسل إلي الله بذكر الحال ، وكذلك قول الله جل وعلا عن زكريا عليه السلام" لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين " وكذلك قول أيوب عليه الصلاة والسلام "إني مسني الضروأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر" وقال الله عنه " إني مسني الشيطان بنصب وعذاب " ثم جاءت الإجابة" اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب " وهو المأثور عن نبينا ﷺ لما طرده أهل الطائف وقال دعواته المشهورة (اللهم إني أشكوا إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس إن لم يكن علي غضب فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي) وهذا من باب التوسل إلي الله بذكر الحال ، وهو من ما يتوسل به لأنه يظهر افتقار الداعي إلي المدعو وهو الله جل وعلا ، فإن من الناس من يستشعر بقلبه العظيمة حال الدعاء وهذا من أسباب رد الدعاء ، فتجد البعض يستشعر أنه قوي يستشعر أنه قادر يستشعر أن غير فقير إلي الله جل وعلا يستشعر أنه مستغن عن هذا الأمر ولكن يدعوه من جملة دعائه كما يدعوا الناس وهذا لا يستجاب له في الأعم الأغلب ، وأما الذي ينطرح بين يدي الله ويذكر حالته ويبسطها أمام ربه جل وعلا ساجدا وقائما في أدبار الصلوات ،وبين الأذان والإقامة ،وفي ساعة الإجابة ، وفي ثلث الليل الأخر فإن هذا أدعي لاستجابة دعائه لأن الله جل وعلا يحب أن يظهر عبده فقره بين يديه ، ولذلك يقول الله جل وعلا " كلا إن الإنسان ليطغي أن رآه استغني " فمتي استغني الإنسان بشيء من هذه الدنيا إما منصب، وإما مال ، وإما عز ، وإما جاه ، وإما حسب ونسب ،كثرة عشيرته ، فإنه يطغي ، ولذلك

طغاة العالم هم الذين استغنوا عن الله جل وعلا إما بأموالهم ، وإما بأحسابهم وأنسابهم ، وإما بمناصبهم ، فتجد فيهم طغيان عجيب ، ولذلك سطر الله جل وعلا في كتابه قوله " يا أيها الناس أنتم الفقراء إلي الله والله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد " ، يقول العلماء من أهل السنة رحمهم الله تعالى " إن العبد مفتقر الافتقار الذاتي إلي الله جل وعلا حتي وإن كان من أغني الناس وأصح الناس وأحسب الناس وأنسب الناس " فلا يزال في خلة الافتقار إلي الله فلا يمكن أن تنفك عنك فهذا وصف ذاتي لا ينفك عن الإنسان ، فلا يزال الإنسان هو ذلك العبد المنطرح بين يدي الله ، لا يزال ذلك العبد ضعيف بين يدي مولاه جل وعلا ، كما أن الله هو الغني عن عباده الغني الذاتي ، فلا يمكن أن يستغني أحد عن الله لأن فقر العباد فقر ذاتي ، ولا يمكن أبدا في وقت من الأوقات أن يحتاج الله جل وعلا إلي أحد من عباده ، فكما أننا الفقراء إليه الفقر الذاتي الذي لا ينفك عنا مطلقا أبدا ، فكذلك هو الغني عنا جل وعلا الغني الذاتي الذي لا يمكن أن ينفك عنه جل وعلا ، ولذلك من أسمائه الغني ، ومن صفاته أنه ذو الغني ، فهو الغني بذاته عن كل أحد، والغني بخزانه وملكه عن كل أحد ، والغني بسلطانة وهيمنته وقهره عن كل أحد ، فهو الغني سبحانه ، ولذلك من كمال غناه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، فإذا هذا من أحب الأشياء التي يتوسل بها العبد إلي الله جل وعلا لأن في انطراح القلب بين يدي الله ، وانكسار النفس لعظمة الله جل وعلا، وعلى ذلك قول النبي ﷺ "نسألك بعزك وذلنا " "بعزك" هذا توسل بالصفات ، "وذلنا " توسل بذكر الحال ، "وغناك وفقرنا " فغناك هذا توسل إلي الله بالصفات ، " وفقرنا " توسل إلي الله بذكر الحال ،

4- التوسل إلي الله جل وعلا بالأعمال الصالحة ، وأعظم الأعمال الصالحة الإيمان بالله جل وعلا ونبيه ﷺ وطاعتهما ، ومحبتهما ، هذه من الأعمال ، ولذلك ذكر الله عن عباده الصالحين أنهم قالوا " ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا " فهنا قوله تعالى " فآمنا" توسل إلي الله بالأعمال الصالحة ، وعلى ذلك أيضا ما في الصحيحين حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما في قصة الثلاثة نفر من بني إسرائيل الذين خرجوا فآواهم المبيت إلي غار فانطبق عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا " إنه لا ينجيكم من أمر هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم " وحكاه النبي ﷺ حكاية المقر لها وإقراره دليل الجواز. فالأول توسل إلي الله جل وعلا بشيء من أحب الأعمال إلي الله وهو بره بوالديه والإحسان إليهما وتقديمها على النفس والولد والزوجة ، والثاني توسل إلي الله جل وعلا بعفته عن الوقوع في الفاحشة وعظمة مراقبته لله جل وعلا مع أنه لم يكن بينه وبين الفاحشة أبدا أي أحد يمنعه فالمراءة مستسلمة وضعيفة ومنكسرة والمكان خال ولكن لما قالت " اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه " قال " قمت عنها وهي أحب الناس وتركت الذهب التي أعطيتها ومضيت " فاستجاب الله لهما ، وكذلك الثالث توسل إلي الله جل وعلا بالأمانة وإلا فمن لا يستطيع أن يفك حق ذلك العامل الضعيف الذي ترك أجرته وذهب ومع ذلك ثمر له أجرته لم يجعله تأكلها النفقات بل ثمرها له ثم لما جاء ذلك الفقير أعطاه كل هذه النفقة مما يراه من الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم حتي قال " فاستقاه كله ولم يدع منه شيئا " فاستجاب الله لهم لما توسلوا إليه بالأعمال الصالحة. وهذا من أحب الأعمال إلي الله

جل وعلا ، ولكن ينبغي للإنسان أن لا يتوسل إلي الله بالعمل الصالح مع رؤية المنة بهذا العمل على الله جل وعلا بل يتوسل إلي الله بالأعمال الصالحة مستشعرا فضل الله عليه بالتوفيق إلي هذا العمل الصالح ، وهذا ينبغي التنبيه عليه لأن من الناس من يمنن إذا استكثر ، ولذلك يقول الله " ولا تمنن تستكثر " فمهما استكثرا من الطاعات وتوسلت إلي الله جل وعلا بها فإياك أن يقوم في قلبك مقام المنة على الله فإن الله هو الذي هداك لهذا بينما أضل عنه غيرك وهو قادر سبحانه أن يضلك ويهدي غيرك والأمور بين يدي الله وليس بين الخلق وبين الله سبحانه نسب ولا قرابة وإنما هو محض هداية وتوفيق وفضل من الله جل وعلا ، ولذلك النبي ﷺ في الصحيحين من حديث المغيرة المشعبة قال " قام النبي ﷺ حتي تورمت قدماه فقيل له لما تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال " أفلا أكون عبدا شكورا " ، وهكذا العارفون بالله وسادات الصالحين من بيني آدم كلما علت مرتبتهم عند الله كلما زاد خوفهم وخضوعهم وانطراحهم بين يدي المولي جل وعلا ، فأضل هذه الأمة إيمانا بعد نبيها ﷺ أبو بكر وكان يقول رضي الله عنه " والله لا آمن ولو كانت إحدى رجلي في الجنة من مكر الله " ،ويأتي عمر إلي حذيفة رضي الله عنهما ويقول أنشدك الله يا حذيفة ابن اليمان أعدني رسول الله ﷺ من المنافقين ، ويدخل أبو شماسة المهري على عمرو ابن العاص وهو في سياقة الموت فحول وجه إلي الجدار وعمرو ابن العاص يبكي فجعل يبكي وقال له تهدئة له وقال له إنك صحبت النبي ﷺ، وإنك جاهدت معه ، وإنك وإنك فقال له عمرو ابن العاص إليك عني ، إن أفضل ما نعده شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ ، فهؤلاء هم العارفون بالله ، ولو تأملت

البعض منا قد تجده لو قام ليلة واحدة يمن بها على الله سنة كاملة وكأنه الفضيل ابن عياض رحمه الله مع أنها ركعتا خفيفة لا طويلة ولا تقارن بصلاة هؤلاء الصفوة ولكنه ينظر لنفسه بهاتين الركعتين وكأنه الفضيل ابن عياض ولا إبراهيم ابن أدهم ولا بشر الحافي وهو في الحقيقة حافيا من الأعمال الصالحة ما عنده شيء أبدا ، ولذلك احذروا من هذه الكلمة في مقام العبادة " نحن خير من غيرنا " انتبه أيها الكريم فلا يقل أحد منا أن خير من غيري ففي مقام التعبد تجد أن الشارع يندبنا إلي أن ننظر إلي من هو أعلى منا في العبادة حتي نشمر عن ساعد الجد وأما في الدنيا فلا يندبنا إلي النظر إليه ، ولذلك يقول النبي ﷺ" انظروا إلي من هو أسفل من منكم" أي في دنياكم " فذلك أحري أن لا تزدروا نعمة الله عليكم " فإذا كان راتبا مثلا ثلاثة ألاف فمن الناس من راتبه ألف ريال ومن الناس من لا يتقاض راتبا أصلا ، وأما في أمور الدين فلا تقل أن خير من غيري لأن هذا يتبعك إلي المنة ومشاهدة مقام الفضل على الله جل وعلا ويدفعك إلي الكسل والتباطء عن تلك العبادة ، يقول السلف رحمهم الله " كم من سيئة أدخلت صاحبها الجنة وكم من حسنة أدخلت صاحبها النار" مع أن الحسنة طريق الجنة ، والسيئة طريق النار ومع ذلك اختلف الأمر في هذا الإنسان ، وفسروا ذلك بقولهم إن الإنسان يذنب الذنب ثم لا يزال يتذكره بين عينيه كالجبل فكلما تذكره ازداد عملا وخوفا وتوبة إلي الله جل وعلا حتي توصله تلك السيئة إلي الجنة بالخوف من الله جل وعلا ، وإن من الناس من إذا عمل الحسنة من بها على الله جل وعلا واستكثرها على الله وظن أنه شيء فلا يزال به غروره يجري به إلي طريق النار فيدخل النار بأمنه من مكر الله جل وعلا ، ولذلك هما حالتان

يعيش بينهما المسلم كجناحي الطائر (الخوف- والرجاء) فإياك أن تغلب أحدهما إلا إذا اقتضي الأمر التغليب ، وسيأتينا قاعدة" أن المؤمن يسير إلي الله بجناحي الخوف والرجاء مستويين إلا إذا اقتضي المقام ترجيح أحدهم) ، فمثلا في حال التوبة ترجح جانب الرجاء في المغفرة ، وفى حال الأمن والصحة والعافية ترجح باب الخوف لأن من الناس من لا يحمله على المعصية إلا صحته وماله ، ومن الناس من إذا تاب ثم استشعر الخوق من الله فإنه يقنط من رحمة الله ، وعند الموت نرجح جانب الرجاء ، كما في حديث جابر في صحيح مسلم " لا يموتن أحكم إلا وهو يحسن الظن بالله " وللحديث مقام أخر سيأتينا ، المهم أن التوسل إلي الله بذكر الحال منا لمحبوبات إلي الله ومن أرجي أنواع الإجابة ولذلك ربَ الله عليه أنبيائه وذكر لنا تلك الألفاظ العظيمة التي فيها انطراحهم بين يدي الله مع أن مراتبهم من أعلى المراتب ، ومنازلهم من أكبر المنازل ومع ذلك لا يرون أنفسهم في جانب ربهم أي شيء فنبي يقول "إني مغلوب فانتصر" ونبي أخر يقول " إني لما أنزلت إلي من خير فقير" ونبي يقول " مسني الشيطان بنصب وعذاب " عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وهذا خير الخليقة على الإطلاق كما مر معنا يقول "أشكوا إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس " ،

5- التوسل إلي الله جل وعلا بطلب الدعاء من الحي ، الحاضر، القادر، وهذه ثلاثة شروط لو اختل شرط منها يقع الإنسان في الشرك وهو لا يشعر، فيجوز للإنسان أن يتوسل بدعاء الرجل فيطلب من أحد الناس أن يدعوا له ولكن لا بد في من يطلب منه الدعاء ثلاثة شروط :-

الأول:- أن يكون حيا ،واشتراط الحياة يخرج الأموات ، فلا يجوز دعاء

الأموات في مذهب أهل السنة والجماعة وقد اتفق أهل السنة رحمهم الله تعالى على حرمة ذلك . الشرط

الثاني :- أن يكون حاضرا، واشترط الحضور دليل على أن دعاء الغائب ولو كان حيا لا يجوز، كالذين يكونون في المملكة ويستغيثون بأوليائهم وساداتهم في بلاد أخري فهذا لا يجوز لأنه ما دعا الميت ولا دعا الحي الغائب إلا لأنه يعلم أن له تصرفا خفيا في الكون ولذلك يسمونه شرك السرائر (أو شرك السر –أو خوف السر) أي ليس له أسباب ظاهرة واضحة ، وقد قسمه العلماء إلي قسمين :- (حضور حقيقي – وحضور حكمي) ؛ فالحضور الحقيقي أن تري جسده أمامك ، والحضور الحكمي فهو أن تكاتبه بالرسالة ، تهاتفه بالجوال ، كمثل رجل في أمريكا وهاتفته وقلت له لا تنسانا من صالح دعائك يا أخي فأنت الأن دعوت غائبا ولكنه في حكم الحاضر لأن هناك وسيلة حسية معلومة توصل كلامك له ،ترسل له رسالة وتطلب منه أن لا ينساك من صالح دعائه وأنت تجزما جزما بأنه لن يعرف دعائك هذا إلا بعد أن يفتح الرسالة فهذا لا يعد طلب دعاء من غائب لأن هناك وسيلة حسية يصله الدعاء عن طريقها ، والدليل على جوازذلك ما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله تعالى عنه قال كان النبي ﷺ يخطب قائما فدخل رجل من نحو دار القضاء (وسميت دار القضاء لأنه الباب الذي تقاضي فيه عمر مع بعض الصحابة رضي الله عنهم فسمي باب القضاء الذي قضي دينه ، وليس معناه قضاء الحكم لا بل دار قضاء الدين)، فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل وجاع العيال فادع الله يغيثنا (فطلب من الحي الحاضر القادر) فيقول أنس فلا والله ما في السماء من سحاب ولا

قزعة فقال النبي ﷺ " اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا " يقول أنس رضي الله عنه فخرج سحابة من وراء سلـــع سوداء كالترس (وسلع هذا هو الجبل الذي يأتي إلي المدينة السحاب من قبله) فتوسطت السماء فأبرقت وأرعدت وأمطرت فلا والله ما رائينا الشمس أسبوعا كاملا " في بعض الروايات "أمطرت اليوم وغد وبعد غد وبعد بعد غد أسبوعا كاملا" قال ثم دخل الرجل غيره من ذلك الباب يوم الجمعة الأخرى فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يرفعها عنا ، فتبسم النبي ﷺ ورفع يده إلي السماء يشيرلها " اللهم حوالينا ولا علينا الله على الآكام والظراب ومنابت الشجروبطون الأودية " يقول أنس فلا والله ما أشار النبي ﷺ إلي ناحية إلا تمزق عنها السحاب تفرق عنها السحاب وخرجنا نمشي في الشمس " ، ببركة دعاء النبي ﷺ ، بل إن أنس وصف المدينة بأنها المكان المرتفع بين المياه لأن السحاب تشقشق عن المدينة ولا يزال يمطر حوالها مثل الإناء الفارغ الذي حوله ماء ، فأقره النبي ﷺ على هذا الطلب مما يدل على جوازه ،

وقولنا دعاء الرجل لا مفهوم مخالفة لها وإنما خرجت من باب التغليب فهو ليس شرطا فيجوز طلب الدعاء من المرأة إذا كانت حاضرة قادرة ، وكذلك لم نقل بشرطية أن يكون صالحا لأن الإنسان لا يقبل قلبه إلا على طلب الدعاء من الرجل الصالح ،

فأصبح لدينا ستة أنواع من التوسل إذا أفردنا الإيمان عن جملة الأعمال الصالحة، وإذا أدخلناه فيها وهو الحق لأنه من الأعمال

الصالحة فتكون خمسة أقسام ، وهذه الأقسام هي التي دل الدليل على جوازالتوسل بها .

وإن من المسائل المهمة في باب التوسل وفقك الله بين لفظ الوسيلة الواردة في الكتاب والسنة وعلى لسان السلف الصالح ، فإن الخلط بين معان التوسل هو الذي أوجب كثيرا من البدع والشركيات في هذا الباب العقدي الكبير. فإذا ورد لفظ الوسيلة في القرآن فيراد به فعل المأمورات وترك المحظورات لا غير. وقد ورد لفظ الوسيلة في القرآن في موضعين من كتاب الله جل وعلا :- في سورة آل عمران قال الله جل وعلا " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة " أي افعلوا ما أمركم به وانتهوا عما نهاكم عنه وهذه هي الوسيلة إلا الله فلا وسيلة إلي الله إلا بفعل المأمور وترك المحظور إذا الوسيلة إلي الله هي (التقوي) .

والموضع الثاني :- في سورة الإسراء قال الله جل وعلا " أولئك الذين يدعون يبتغون إلي ربهم الوسيلة " أي أن هؤلاء المشركين يدعون الأنبياء يدعون عيسي وعذيرا والملائكة وهؤلاء مشغلون أصلا في طاعته الله جل وعلا بفعل أوامره واجتناب نواهيه ، وأولئك الذين يدعون يبتغون إلي ربهم الوسيلة فما هم بالفارغين لشركم وإنما هم دائبون في طاعة الله وعبادته جل وعلا ، فإذا مرعليك لفظ الوسيلة في القرآن فاعلم أنه لا يراد به إلا فعل المأمور وترك المحظور .

وأما الوسيلة الواردة على لسان النبي ﷺ :- فإنه لا يراد بها إلا تلك المنزلة في الجنة و التي لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، في صحيح الإمام مسلم من حديث عبدالله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله

ﷺ " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صل على صلاة صل الله عليه بها عشرا ﷺ ثم سلو الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجوا أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة . فالوسيلة في لسان النبي ﷺ لا يراد بها فعل المأمورات وترك المحظورات لا هذا في اصطلاح القرآن وإنما يراد بها تلك المنزلة في الجنة التي لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وهو النبي ﷺ ،

وأما التوسل إذا ورد على لسان رجل من الصحابة فإنه لا يراد إلا طلب الدعاء من المتوسل به ، فهم لا يقصدون به التوسل بالجاه ولا التوسل بالذات وإنما يقصدون به طلب الداء به وهذا بإجماع علماء أهل السنة والجماعة ، فجميع ما يأتي من كلام الصحابة (توسلنا بك – نتوسل بك) إنهم يقصدون بذلك طلب الدعاء ، وهذا من أسباب الضلال أن تخلط بين المصطلحات المتفرقة في معانيها ن والمتقرر عند العلماء رحمه الله أن الشريعة لا تفرق بين متماثلين ولا تجمع بين مختلفين ، فما فرق الله وسوله فيه فلا بد أن نفرق بينه ، وإلا فإن الضلال يرجع إلا سببين (الجمع بين المختلفات التفريق بين المتماثلات) وهذا الضلال ، فالشرك جمع بين المختلفات فكيف يشرك مع الله غيره ويجمعهم مع الله والله أمر بالتفريق ، دائما الضلال هذه أسبابه إما أن تفرق بين شيء أمرك الشارع أن تجمع بينه ،

وإما أن تجمع بين شيء أمرك الشارع أن تفرق بينه ، فالقاعدة الكبرى ولي فيها رسالة قصيرة (شرح رسالة التفريق بين المختلفات والجمع بين المتماثلات) فالشريعة لا تفرق بين متماثلين ، ولا تجمع بين مختلفين ، فإذا

رأيت الشارع فرق بين شيئين فاعلم أن الهدي والبر والخيروالصلاح والنجاة والفلاح والاعتقاد الصحيح في التفريق بينهما ، وإذا رأيت الشارع جمع بين شيء فاعلم أن الهدي والبروالخير والصلاح والنجاة في الجمع بينهما ، ومثال ذلك ما رواه البخاري من حديث أنس قال كان عمر إذا قحطوا في المدينة دعا العباس فقال (إنا كنا نتوسل بنبيك) الذي أطلق لفظ التوسل هنا ليس هو الله جل وعلا وليس هو النبي ﷺ بل هو الصحابي فنقول إذا نحملها على معناها كما هو معروف عند الصحابة ، فانتبه وفقك الله للخيروالصلاح والهدي فهناك طوائف ضلت لا ينقصها ذكاء ، ولا ينقصها عقل ، ولكن ينقصها التوفيق من الله ، فقالوا (نتوسل بنبيك قالوا فيجوز التوسل بذات وبقبره) فنقول لا ، ولوجوب التفريق بين هذه المصطلحات ألف ابن تيمية رحمه الله كتابه الحافل الجميل (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة) من مقاصد هذا الكتاب التفريق بين هذه المصطلحات الثلاث ، فجميع من وقعوا في الخلل في باب التوسل إنما هم الذين يخلطون بين المصطلح الوارد على لسان الصحابة والمصطلح الوارد على لسان النبي ﷺ ،في كتاب الله جل وعلا ، نرجع لحديث أنس فنقول كان عمررضي الله عنه يقول (اللهم إنا كنا نتوسل بنبيك فتسقينا وإن نبيك قد مات وإنا نتوسل إليك بعم نبينا)أي (نطلب الدعاء منه) ثم يقول عمر(قم يا عباس فادعه) فيقول فينزل المطر، وإن من الأحاديث التي أوجبت ضلال أهل البدع حديث الأعمى مع ما فيه من المقال والنظر والضعف ولكن على التسليم بأنه يحتج به وهو أن أعمي دخل المسجد والنبي ﷺ جالس فقال يا محمد إني أتوسل بك إلي ربي فادع لي أن يرد إلي

بصري ، ومعني أتوسل إليك أي أتوسل إلي ربي بك أي أنني أطلب الدعاء منك ، ولذلك خيرما فسرت به السنة هي السنة (قم يا محمد ﷺ فادع)فهذه الرواية تفسرأن طلب التوسل من النبي ﷺ إنما هو طلب الدعاء ، ولكن هؤلاء أبو فهم السلف وردوه وقالوا معني اللهم إني أتوسل إليك بنبيك أي أتوسل إليك بذاته وبجاهه، ولذلك أجمع العلماء أن التوسل بذات النبي ﷺ بدعة ، بل عندنا قاعدة من القواعد تقول " التوسل بذوات أحد من الخلق بدعة" فلا يصل إلي مرتبة الشرك ولكنه يقال بدعة ، وقاعدة ثانية " التوسل بجاه أحد من الخلق بدعة " فإذا التوسل بذات النبي ﷺ وهي أكمل ذات وأعظم ذات عند الله لا يجوز ، فكيف من هو دونه في الرتبة والمنزلة فلا جرم أنه من باب أولي ، فإذا لا يجوز بإجماع أهل السنة أن يتوسل العبد إلا الله لا بذات النبي ﷺ ولا بجاهه ،

وخذها قاعدة حديثيه " كل حديث يُثبت التوسل بالجاه فموضوع " ؛ وإن من أبدع من في هذه المسألة في باب التوسل غيرشيخ الإسلام ابن تيمية الشيخ العلامة محمد ابن ناصرالدين الألباني رحمهما الله تعالى في كتابة (التوسل أحكامه وأنواعه) وهذا من الكتب الطبية التي بناها الشيخ رحمه الله على النظرفي الأحاديث الواردة والشيخ محمد بن ناصرالدين الألباني رحمه الله إذا تكلم في العقيدة فأشدد يديك بما يقول واترك عنك جهل وافتراء بعض صغارالطلبة الذين يتهمون الشيخ ببعض الاتهامات العقدية التي لا دليل عليها ، فالشيخ من أهل السنة والجماعة رحمه الله ، وغالبا الإنسان إذا أراد أن يحكم على أحد في عقيدته فلا يأخذ موضعا واحدا من

كلامه ثم يحكم عليه به ، بل من الحق العدل والإنصاف أن تستجمع جميع ما قاله الشيخ في هذه المسألة، ولا يجوز الحكم بالإرجاء على أحد بمخالفته في عمل مختلف في التكفير به ، وهذا مهم جدا ولكن بعض الناس هداه الله يخوض في العلم ويبحر وليس لديه ثم قواعد وهذه مشكلة خطيرة لبعض الناس ، فمثلا الشيخ الألباني رحمه الله لا يري تكفير تارك الصلاة الكفر الأكبر فيقولون هو مرجئ مع أنها مسألة خلافية والجمهور من المالكية والشافعية والحنفية فكلهم يقولون أنه فاسق وليس بكافر،

والقول بتكفير تارك الصلاة من مفردات الإمام أحمد رحمه الله ، فهل على ذلك نقول الجمهور وأتباعهم بذلك مرجئة ؟

فنقول لا فهؤلاء ما تأدبوا مع أهل العلم بل اتهموا العلماء بهذه الطريقة ، وكذلك تكفير الحاكم بغير ما أنزل الله فأكثير المفسرين على أن قول الله جل وعلا " كافرون " ظالمون " فاسقون" أنها كفر دون كفر، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق ،بل وهذا مذهب الجمهور فالشيخ أيضا رحمه الله يري أن الحاكم بغير ما أنزل الله ليس بكافر الكفر الأكبر وإنما هو كفر دون الكفر، فعل قولهم هذا باتهامهم له بالإرجاء فنقول إذا ابن عباس مرجئ ، ومجاهد مرجئ ، والأئمة كلمهم مرجئون ، وابن جرير الطبري مرجئ ،فهذا لا يجوز ، فلا يجوز الحكم بالإرجاء على المخالفة في عمل ثبت الخلاف في الحكم بالتكفير به ، وتلك المسألتان هما الذين أخذوهما عن الشيخ رحمه الله تعالى ،

ولذلك قوَله ما لم يقل وإني أبرأ إلي الله مما يقولون ، وأن هذا الرجل مثلنا لا يؤثر تزكية لشيخ أصلا فمن نحن أصلا عند الشيخ رحمه الله ومن نحن أصلا فنحن ما نساوي في الإسلام ولا نقطة عرق نزلت من جبينه وهو متعلق بالسقف على السلم يخرج حديثا والناس نائمون ، فكان الشيخ لا يملك كثيرا من الكتب وكان يدخل في المكتبة الظاهرية وكان يزعج الموظفين يدخل ولا يريد الخروج فأعطوه مفتاحا وقالوا له متي أردت فادخل ،ودونك الليل متي أردت ، فبدأ يقرأ من الليل ويجلس في المكتبة يبحث وينقح ثم صباحا يرجع لمحل الساعات الذي يعمل به يتكسب حق يومه ثم يعود للمكتبة الظاهرية ، ولذلك بحث بحوثا قد خفيت على المتقدمين كابن حجر والنووي فبحث بحوثا عظيمة الشيخ ، ولذلك أن أدين الله جل وعلا باعتماد تصحيحه وتحسينه ، وتضعيف هذا الشيخ وهذا أدين الله جل علا به ،

وأما بعض من لم يعرف قدر هؤلاء العلماء وجهل عليهم ، وتسلط بلسانه في عرض الشيخ وجنابه وعلم الشيخ ويتهمون الشيخ بأنه متساهل في التصحيح والتضعيف فكل هذه كلمات يراد بها إسقاط شخصيته وإسقاط ذاته ، والواجب على طالب العلم أن يعرف للعلماء منازلهم ، وأن يحترمهم ن ويعلي شأنهم ، ويعظمهم في قلبه ، لا لذواتهم ولا لأحسابهم ولا لأموالهم وإنما لما يحملونه في قلوبهم من علوم الكتاب والسنة ، وإني أوصيكم في حياتي وبعد مماتي لو لم نخرج من دروسنا وكتبنا إلا بتعظيم العلماء والله فنكون قد حصلنا خيرا كبيرا ، فاحترام العلماء أيها الطلاب ، وعدم رفعهم إلي مرتبة العصمة ، فقد يصدر من الواحد منهم خللا وخطأ ،

ولكن تبقي عندنا القواعد في النقد ، قواعد في نقد الأقوال ، وقواعد في نقد الرجال مقررة عند أهل السنة والجماعة ، ولي رسالة قصيرة (قواعد النقد عند أهل السنة والجماعة) ،

منهجنا في النقد في (القواعد عظيمة غزيرة القواعد أولها الإخلاص للمحبوب والعدل والإنصاف في المنقود وليس من منهجنا التشهير بالعيب فهو العيب يا خبير) فأغلب الناس يقع في مثل هذا. وكما قال القائل (ولتحذرن أخي الحبيب الشهوة الخفية فى نقد الناس فإنها عظيمة البلية تنقد في الناس برفع ذاتك وأنك الكامل فأحذرذلك) ، فهذا من أخطر الأشياء التكلم في هؤلاء الكبار حتي يتسلق على ظهورهم إلي قمم المجد ولا يدري أن الله جل وعلا يخسف به الأرض من حيث لا يشعر. وما رائينا عالما وفقه الله لما أعمل لسانه في العلماء حتي ابن حزم رحمه الله فمما أُخذ عليه أنه كان يقدح في علماء السنة أي لا يقدرهم قدرهم ويسميهم (بالنوكا) حتي قال في الإمام الترمذي (مجهول) ، ولذلك لا أوصي طالب العلم المبتدأ أن يقرأ كتب ابن حزم فانتبه ، لأنه من الأشياء التي سيخرج بها من هذه الكتب عدم الاحترام لمقام العلماء .ولذلك العلماء رحمهم الله منهم من يخرج الظاهرية عن دائرة الإجماع والوفاق ، ومن أهل العلم من قال إن الله عاقب ابن حزم بإحراق كتبه قبل مماته ولكن أعادها كلها أغلبها من حفظه ولكن عاقبه الله ، يقول الإمام ابن عساكررحمه الله وهويتكلم عن الرد والدفاع عن الإمام الأشعري بعد رجوعه بعد رجوعه لمذهب أهل السنة قال أما بعد "فاعلم أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله جل وعلا في منتهكي أعرضهم معلومة ومن وقع في عرض عالم بالسلب عاقبه الله قبل

موته بموت القلب" ، ويكفي انصراف قلوب الناس عنك لأنك تكلمت في أولياء الله ولديك حديث لابد أن تخاف منه خوفا شديدا كلما أدرت أن تتكلم في ولي من أولياء الله من العلماء قال النبي ﷺ في ما يرويه عن ربه عز وجل "من عاد لي وليا فقد آذنته في الحرب " فالله هو الذي يحاربك وأنت تعرف نتيجة المعركة ، أن يخسف الله بمؤلفاتك وبكلامك واختيارك وبشروعك وذاتك ولا يوفقك للهدى ولا للخير فإذا لو لم نخرج من دروسنا إلا باحترام العلماء لكنا والله على خير عظيم فوصيتي لكم في حياتي وبعد مماتي أن نحترم العلماء وأن نعلي منازلهم وأن نقدرهم حق قدرهم وأن نعظمهم في قلوبنا لما يملونه في قلوبهم من علوم القرآن والسنة ولما لهم في الإسلام من الأيادي المشكورة والجهود المشكورة التي تذكر فتشكر ولا تنكر ، وهذا الذين ندين الله جل وعلا به ، فإذا كل حديث في التوسل بجاه النبي ﷺ فإنه لا يصح ،

ومن المسائل المهمة التي ينبغي معرفتها في باب التوسل حديث الأعرابي كما قلنا أن هناك بعض أهل البدع قالوا يجوز التوسل بذاته وبجاهه ، ولكن هذا صحابي الذي قال أتوسل بك على ربي فنقول لا بد أن حمل كلامه على المعني المتقرر عندهم (الصحابة) ولذلك لا يحسن الهدي إلا إذا حملت كلام المتكلم على عرفه المتقرر عنده، وهذه قاعدة طيبة وهي أن " من أسباب الهدي أن تحمل كلام كل متكلم على عرفه المتقرر عنده " ، مثل لو جاءك رجل عامي وقال والله لا آكل لحما ، ثم أكل سمكا فإن من الظلم أن تحنثه في يمينه لأن اللحم لا يدخل فيه السمك عند العامة فإذا لا بد أن

تحمل كلام العامي على عرفه المتقرر عنده والحقيقة العرفية ثلاثة أقسام

-:

1- حقيقة شرعية 2 – وحقيقة لغوية 3– وحقيقة عرفية

والكلام عليها سيأتي في موضع أخر إن شاء الله ، فكل ألفاظ التوسل الواردة على ألسنة الصحابة لا يقصدون بها إلا الدعاء ، ومن المسائل المهمة في التوسل لأن تعرف أن التوسل بالنبي ﷺ قسمان :-

1- توسل مشروع 2– توسل ممنوع

فالتوسل المشروع :- هو التوسل إلي الله بطاعته والإيمان به ومحبته وامتثال أمره واجتناب نهيه وهذا توسل بالنبي ﷺ بإجماع العلماء بل هو الدين وفرض من فروض الشريعة في حياته وبعد مماته ﷺ وهذا النوع الأول من التوسل بالنبي ﷺ المشروع ، النوع الثاني من أنواع التوسل المشروعة أن تتوسل إلي الله جل وعلا بطلب الدعاء منه، وقد أجمع علماء الإسلام على أن هذا جائز في حياته فقط وأما بعد مماته فقد انتهي ذلك الأمر؛

يقول الناظم :- (إن التوسل بالنبي لدي الأولي سلف على سنن الهدي

نوعان بدعائه وقد انتهي بوفاته وكذا بطاعته مدي الأزمان)

فإذا التوسل الذي يستمر هو التوسل إلي الله بمحبته والإيمان به وطاعته وامتثال أمره واجتناب زجره وأما التوسل الذي انقطع فهو التوسل إلي الله جل وعلا بطلب الدعاء منه .

ولذلك أجمع علماء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على عدم المجيء إلي قبره وسؤله والتوسل به بعد مماته مع أنه كانت تصيبهم في المدينة الحروب والكروب والقحط ومع ذلك وما بينهم وبين القبر إلا خطوات يسيرة وما ثبت عنهم انهم كانوا يأتون إلي القبر ويدعون النبي ﷺ ويبتهلون إليه من دون الله جل وعلا ، بل كانوا يتحرزون التحرز الكامل والكبير من ذلك فكان ابن عمر إذا دخل المسجد النبوي جاء إلي قبر النبي ﷺ فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتي وينصرف ولا يدعوا ، بل كره مالك الدعاء عند قبره ﷺ ، وأجازه بعض الناس لشرف المكان ولكن مستقبلا للقبلة ولكن هذا لا دليل عليه فلا تدعوا عند القبر مطلقا لا متوجها للقبلة ولا متوجها للقبر وهذا أصح قولي أهل العلم كما حققه ابن تيمية رحمهم الله في كتابة (القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة) .

وأما التوسل الممنوع :- فهو التوسل بذاته التوسل بجاهه وقد بينا أنه من جملة البدع التي لا دليل عليها .

تنبيه :- ذكر الإمام ابن كثير وليته ما ذكره ولكن الكمال لله وحده ، عند تفسير قول الله جل وعلا " ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما " ذكر حكاية يقال لها(كحكاية العتبية) وهو أنه جاء إلي قبر النبي ﷺ وقال أبياتا يبتهل فيها ويدعوا النبي ﷺ أن يكون واسطة بينه وبين الله في الاستغفار له وغير ذلك قال ثم أخذته غفوة يسيرة عند قبر النبي ﷺ فراء أن يد النبي ﷺ ظن أن رجلا ناده وقال قد غفر لك يا عتبي قد غفر لك يا عتبي ، ولكن ابن كثير رحمه الله أمرها ولم يعلق عليها ولم يتكلم عنها بشيء ومع أن هذا ليس من عادته

رحمه الله وليته ما ذكرها ولكن الكمال لله جل وعلا وإلا فعادته رحمه الله أن يكرهاجما على مثل هذه الخزعبلات الخرافات التي لا يعضدها ولا سند يصححها فضلا عن مخالفتها للأدلة المتقررة في الكتاب والسنة ، فإن قلت وكيف تجيب عن الذين يقلون أن الله أطلق هذا المجيء (ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاؤوك) فلم يقل جاؤوك في حياتك ولا جاؤوك بعد مماتك ؟

فنقول الجواب عن هذا بأن الأدلة لا يجوز فهما إلا فهم السلف الصالح وقد أجمع السلف الصالح على أن المجيء المذكور في الآية إنما هو مجيء إلي النبي ﷺ في حياته وقد أجمعوا على حرمته المجيء له بقصد الدعاء والاستغاثة به من دون الله ،جعله واسطة بينك وبين الله في التوسل به بعد مماته وهذا مجمع على بطلانه وحرمته وأنه سبب من أسباب الشرك بل قد يكون هو عين الشرك المخرج عن الملة بالكلية ، فإذا دعوت الله عند النبي ﷺ فهذا وسيلة من وسائل الشرك ، وإذا دعوت النبي ﷺ فهذا هو الشرك، ولذلك فرق بين دعائه والدعاء به ، فالدعاء به جعله وسيلة ، ودعائه هو الشرك المخرج عن الملة بالكلية ، وقد أجمع علماء أهل السنة على أن الدعاء ليس تتحري إجابته عند قبر أحد كائننا من الناس كائنا من كانت منزلته ، وما يقال عنج قبر ترياق مجرب وتلك الخزعبلات الصوفية الوثنية فهذه كلها خزعبلات لا أساس لها من الصحة ، فالذين يعتقدون أن الدعاء عند قبر أحد من الناس أنه أفضل وأحسن وأولي وأرجي للإجابة فقد ابتدعوا منكرا وأحدثوا طريقا من طرق الشرك،

....

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى "................................"

هذه قاعدة ، والأصل أن هذا ضابط عن قاعدة ؛ وإلا فالقاعدة تقول " الأصل في المعلقات التي يعتقد فيها جلب الخير، أو دفع الشر المنع "

فالأصل في المعلقات التي يعتقد فيها جلب الخيرات ودفع المضرات المنع، وهذه المعلقات منها ما يسمي : التمائم ، وقد عرف العلماء رحمهم الله التمائم بتعريفين :-

الأول :- بالحد الجامع المانع

الثاني :- التعريف بضرب المثال .

أما التعريف بالحد الجامع المناع فهو عين هذه القاعدة وهي :-

كل معلق يعتقد الإنسان فيه أنه يجلب خيرا أو يدفع شرا هذا هو تعريف التمائم بالحد الجامع المناع ، بغض النظر عن نوعية هذا المعلق ، وبغض النظر عن المكان الذي علق فيه أي سواء علق على الرقبة ، أو العضد ،أو الساعد ، أو علق في السيارة أو علق في البيت ، أو علق على الدابة ، فأي معلَقٍ يوضع في أي مكان يعتقد من وضعه أن يجلب الخير أو يدفع الشر فإنه يسمي تميمة ، والأصل في هذه المعلقات المنع .

وأما التعريف الثاني :- فهو التعريف بضرب المثال وهو التعريف الجاري على لسان سلف الأئمة وأئمتها لأنه أيسر في فهم المعرَفِ من تعريفه بالحد الجامع المانع ، فإن الإنسان لو قال لك عرّف لي الصلاة ثم قمت فصليت أمامه فحينئذ يتصور حقيقة الصلاة أعظم من تصوره لو قلت له هي

التعبد لله بأقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم ، فالسلف دائما رحمهم الله يعرِّفون الأشياء بضرب مثال لها ، فقال بعض السلف :- إن التمائم هي ما يوضع على الدواب ، وبعضهم يقولون هي ما يوضع على الأطفال يتقون به العين وغير ذلك كما ذكر الإمام محمد في كتاب (التوحيد) وغيره ، العلماء رحمهم الله تعالى يقسمون التمائم إلي قسمين :-

(التمائم الشركيه ــ التمائم من القرآن) .

وأما التمائم الشركيه فهي تلك المعلقات التي فيها كتابات وألغاز وأسماء أو استغاثة بشياطين، أو طلاسم لا تعلم ، مثل (تم تم تم)وغيرها مما لا يفهم منها شيء-أو خطوط متداخلة –أو حروف لا تفهم ، وغالب ما تكون هذه الأحرف ، أو الطلاسم ، أو الكلام الذي شبه الألغاز غالبا ما يكون هو تعويذة شيطانية تمليها الشيطانين على لسان الساحر، أو الكاهن فيكتب الحجاب على ما تمليه الشياطين عليه وهذا داخل في قول الله جل وعلا "شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلي بعض زخرف القول غرورا "وداخل في قول الله جل وعلا " ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس " وهذه قد أجمع العلماء على حرمتها ولم يخالف فيها أحد من أهل السنة والجماعة ولله الحمد والمنة ، فالتمائم الشركيه المشتملة على الاستغاثة بالشياطين ، أو كتابات ، أو طلاسم أو ألغاز غير معروفة ، فهذه قد أجمع العلماء ولله الحمد على حرمتها ، والأدلة على ذلك كثيرة منها :-

قول الله جل وعلا " قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله " فهذه الآية دليل على أنه لا يجلب الخيرات ولا يدفع المضرات إلا الله ، وأما من السنة فحديث ابن مسعود وغيره يقول النبي ﷺ " إن الرقي والتمائم والتولة شرك " ، وفي صحيح الإمام مسلم أيضا أن النبي ﷺ " بعث رجلا على أن يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت" ، والأحاديث في هذا المعني كثير وقد ذكر طرفا منها صالحا الشيخ محمد ابن عبد الوهاب في كتاب التوحيد .

وأما القسم الثاني :- فهي التمائم من القرآن ، وقولنا من القرآن لا يلزم أن تكون من آية أو شيء لكن العلماء يفرون من قولهم التمائم الشرعية فلا يقولن تمائم شركيه، وتمائم شرعية لأنه لو وصفت بالشرعية لكان ذلك يفيد جوازها ولكنهم قالوا تمائم من القرآن ، وإلا أحيانا قد يكتب الحديث ، أو يكتب شيء من السنة أو تعويذات شرعية ، ولكنها تعلق ، وهذه النوع من التمائم قد اختلف أهل العلم فيه فمنهم من أجازه وقال لا حرج فيه ، ومنهم من منعه ، والذي يترجح بالنظر في الأدلة هو المنـــع وهو أنه لا يجوز أن يعلق الإنسان أي تميمة كانت يعتقد فيها أن تجلب الخير أو تدفع الشر سواء كانت شركيه أو من القرآن ، والدليل على ذلك عدة أمور :-

الأمر الأول :- العموم الوارد في أدلة تحريم التمائم فإنها لم تفرق بين تميمة وتميمة ، والأصل المتقرر عند العلماء أن " الأصل هو بقاء العموم على عمومه ولا يخص إلا بدليل" ، ومن هذه العموميات قول النبي ﷺ "إن التمائم والرقي " فكلمة التمائم جمع دخلت عليه الألف واللام وقد تقرر

عند الأصوليين أن الألف واللام إذا دخلت على المفرد ، أو الجمع ، أو اسم الجنس أفادته العموم .

ومنها قول النبي ﷺ " من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له " فقوله من تعلق هذا شرط وقوله تميمة هذه نكرة فهي نكرة في سياق الشرط وقد تقرر عند العلماء أن النكر في سياق الشرط تعم ، والذي يدلك أيضا على تحريمها دعاء النبي ﷺ عليه إذ أننا نعلم حرمة الفعل من دعاء الشارع على الفاعل لأنه لو كان أمرا مكروها لما استحق الإنسان أن يدعوا عليه الشارع ، فإذا هذا هو الحق .

الأمر الثاني :- هو لأن من مقاصد الشريعة أن لا ينصرف القلب إلي شيء لغير الله جل وعلا حتي وإن كان ذلك الشيء شعبة يسيرة ، ولا يمكن أبدا أن يعلق الإنسان على يده شيء حتي وإن كان من القرآن إلا ولا بد أن تنصرف شعبة من القلب على هذا المعلق.

الأمر الثالث :- قالوا أيضا أننا لو أجزنا ذلك لكان في ذلك امتهانا للقرآن ؛ لأنه ربما يعلق التميمة على بهيمة وتقوم من هنا ومن هنا ؛ والقرآن يسقط وتبول عليه وتروث عليه فهي عجماء لا تعرف حرمة القرآن ،فصيانة للقرآن وحماية لجناب امتهانه نمنع التمائم حتي ولو كانت من القرآن وهذا مخرج على قاعدة سد الذرائع ، وكذلك لو علقناها على طفل مثلا أو شيء فربما يبول ، أو يروث عليها الطفل ويتغوط عليها الطفل من حيث لا يشعر لأنه لا يعرف حرمة القرآن ، أو ربما يدخل بها الإنسان ولو كان كبيرا ناسيا ،أو لا يشعر ، أو متكلفا نزعها دائما ، فحينئذ لا بد أن نسد هذه الذريعة ولا

يتأتى سد هذه الذريعة إلا إذا قلنا بمنع التمائم من القرآن ؛ فدل على منعها النقل والعقل (الأثروالنظر) كما أسلفنا آنفا ، فالتمائم كلها محرمة سواء كانت من القرآن أو من غير القرآن ،

مسألة :- هل التمائم شرك أكبر أم شرك أصغر؟

فنقول النص حكم عليها بأنها شرك بقوله ﷺ" إن الرقي والتمائم والتولة شرك" وقوله " من تعلق تميمة فقد أشرك" ، لكن الدليل لم يميز بين كونه شركا أكبر أو شركا أصغر وبناء على ذلك فالقول الحق لهذه المسألة هو الرجوع إلي نية معلقها فإن كان يعتقد أن هذه التميمة هي التي تجلب بذاتها الخير ،أو تدفع الشر بذاتها بدون قدر الله جل وعلا فهذا شرك أكبر ولا جرم ، فاعتقاده أنها هي المتصرفة في جلب الخير أو دفع الشر بذاتها فإن هذا الاعتقاد يوصل العبد إلي الشرك الأكبر، وأما إذا كان يقول إن الله هو الذي يجلب الخيرات وهو الذي يدفع المضرات وإنما أنا أعلق التميمة على وجه السببية فقط فهذا شرك أصغر؛إذا هو واقع ولكن وقوعه إما في حفرة عميقة وهي الشرك الأكبر، أو حفرة صغيرة بالنسبة لمن وقع في الشرك الأكبروهي الشرك الأصغر، فإن كان يعتقد أنها هي الفاعلة والمتصرفة بذاتها فشرك أكبر ، وإن اعتقد أنها مجرد سبب فهي شرك أصغر لسببين :-

الأول أنه أعتقد سببا ما ليس بسبب لا شرعا ولا قدرا كما سيأتينا في قاعدة إن شاء الله "أن كل من اتخذ سببا لم يدل عليه شرع ولا قدر فشرك أصغر وإن اعتقد الفعل بذاته فشرك أكبر"

الثاني :- أن تعليقه بهذه النية وسيلة وذريعة إلي الوقوع في الشرك الأكبر وقد تقرر عندنا قاعدة " أن وسيلة لشرك الأكبر فهي شرك أصغر " وهذه خلاصة ما نص عليه أهل العلم رحمهم الله في باب التمائم ،

بقي هنا مسألة خفيفة في تخريج قول سعيد ابن جبير " من قطع تميمية من إنسان كان كعدل رقبة " فكيف هذا ؟ قالوا لأنه لو أن الإنسان بقيت عليه هذه التميمة لربما وقع في الشرك الأكبر الذي يوبقه والعياذ بالله في النار فيخسر دينه ودنياه ، ولكن هذا الرجل جاء وقطع التميمة عنه فكأنه أعتق رقبته من النار،فقاعدة سد الذريعة يقال فيها من وجهين :-

الجهة الأولي:- سد ذريعة امتهان القرآن وهي التي ذكرت ، وسد الإفضاء إلي الشرك الأكبر أيضا، والعجيب أن ممن أجاز تعليق التمائم من القرآن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها ، ولذلك أنا قلت في المنظومة " واحذر هديت من التمائم مطلقا حتي وإن كانت من القرآن لعمومها أعني النصوص وهكذا سد الذريعة هذه وجهان وكذاك خشيتنا دخولك في الخلا فامنع هديت قلائد الشيطان " وأن سميتها قلائد الشيطان لأن الشيطان هو الذي يوحي لمعلقيها بأنها فيها خير ونفع ، فقال الشيخ ناصر العقل وقد قرأتها عليه قال لا تقول " قلائد الشيطان " غيّرها قلت لما يا شيخ ، قال لأنه قال بها بعض الصحابة واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذة العلامة ابن القيم ، ففي الحقيقة صدق لأن هذا خلاف ليس خلافا موجبا للولاء والبراء لا وإنما هو خلاف محتمل ، وهم يستدلون بقول الله جل وعلا " وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين " فهو على أي

صورة كان يكون شفاء ، وعلى كل فهذا هو الحق الذي دلت عليه الأدلة التي ذكرتها آنفا والله أعلم ،

هناك بعض المسائل في باب المعلقات من التمائم يجدربنا التنبيه عليها وقد سئلت عنها ؛ ومنها :-

قد يقول قائل أن أعلق التميمة ولا أقصد بها شيء !!! فنقول له هذه مجرد دعاوي ، ولتعلم أيها الكريم أن كل فاعل مختار لا يمكن أبدا أن يفعل فعلا إلا ويكون قبل الفعل نية وقصد وباعث وهمة وعزيمة ، فالجنون هو الذي يتصرف تصرفات عن غير سابق تصور ، وأما العاقل المكلف المختار فإنه أبدا لا يقدم على فعله إلا ويسبق هذا الفعل نية وقصد ، أنت الأن تسير بالسيارة فهل يمكنك السير بالسيارة إلا إذا شغلتها وأدرتها بالمفتاح الخاص بها ؟ نقول لا لزاما أن تشغلها بمفتاحها ، فإذا النية والقصد والباعث والعزيمة هي تشغيلها بالمفتاح ، فمعلق التميمة هذا هو في قرارة نفسه لم يعلقها إلا لشيء ، فلا يتصور أن يسير الإنسان إلى شيء إلا وفيه نية وقصد لهذا الشيء وهذا ضربا للمثال ولله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، وضرب الأمثلة من أفضل الأشياء التي تثبت المعلومة في الذهن والله أعلم .

مسألة :- هناك شيء منتشر لدي الشباب منه ما هو طبي ومنه ما هو غير ذلك ولكن المشكلة أنا سئلت كثيرا عن منتجات طبية يعلقونها بحيث بحث أنها تمسك التوازن (تفريغ الكهرباء) وهذا لم أراها ، وهناك شيء أخر

سئلت أنا عنه ورأيته وهو ما يلبس كالأسورة لمن به مرض الروماتيزم ؟
فأقول هذه ما تخرج عن حد كونها تميمة إلا بشيء وانتبه له وهي:-

أن التميمة إنما الرابط بينها وبين الأثر المطلوب وهمي ، فهذه نسمي مثل هذا تميمة لأن الإنسان يعلق هذا الخيط وهو يرجوا شيئا ، والرابط بين هذا والشيء الذي يرجوه وهمي ، فإذا ثبت حسا واقعا بشهادة الخبراء أن الأثر ثابت فحينئذ تخرج عن كونها تميمة ولا تكون تميمة لأنها من جملة التداوي الذي يعتقد الإنسان عند تناوله تحقق أثره بإذن الله جل وعلا ، فالعبرة في التمائم أو المحك في التمائم أن الأنسان يتخيل ويتوهم أشياء سوف تحصل له فيعلق تميمة ظنا منه أن تعليقها يجلب الخير الذي فاته أو يدفع الشر الذي يخافه أو يهابه ، وهذا مجرد وهم ، لكن إذا علق الإنسان هذه الأسورة وقد ثبت علمـــيا بشهادة الخبراء العارفين بها غير المنتجين لها ، فالمنُتِج دائما يضفي على منتجة أستغفر الله وكأن الملائكة هي التي صنعته وهذا هو سبب سعادة البيت وغيرها.. ،فالمنتج لو شهدة مائة ألف شهادة لا نقبل شهادته فلا بد أن تعرض على الخبراء ، ولا أقصد الخبراء الشرعيين لا وإنما أقصد الخبراء المتخصصين في هذا الطب ، فحينئذ يرفعون تقريرهم إلي العلماء حتي يبدي العلماء بفتياهم بناء على هذا التقرير، فأنا لا أستطيع أن أقول أنها حرام ، ولا أستطيع أقول أنها جائزة إلا إذا أتينا بالمتخصصين وأخبرونا بذلك ، إذا نبقي على قضية أن الأصل هو المنع ، والشيخ ابن باز الله يغفر له عرضت عليه هذه المسألة وقال أني جمعت لها الأطباء ولم يبدو اتفاقا في مثل ذلك فأري أن الأحوط الترك ، ولكن ليس جميع الناس سيتورعون عن مثل هذا والأخذ بالأحوط

فهم يريدون قولا فصل إما حرام أو حلال ، والأحوط لا تضعني فيه ، فحينئذ لابد أن نحرر المسألة ولا نكتفي بالأحوط في مثل هذه المسألة بل لا بد أن نقنع الناس ، إذا قالوا أنها تميمة نقول له أنت تثبت أن هذا المعلق وأثره وهمي ، فإذا أثبتته اللجان الطبية المتخصصة فلا نقول حينئذ وهمي ، ولكن بعض الناس قد يعلق مثل هذه الأشياء ولكن قد يكون فعله تشبها بلاعب أو ممثل أو فنقول الأفعال تابعة للمقاصد والأحكام تختلف باختلاف المقاصد ، فإن كان قصده بهذا التعليق يقلد به لاعبا أو ممثلا أو يقلد بها أحد معين للغرب فحينئذ تدخل تحت مسألة أخري وهو باب عقدي أخر وهو التشبه إذا كان قصده مجرد التشبه ، وإذا كان يقصد دفع الشر أو جلب خير فهذا يدخل تحت باب عقدي أخر يسمي بالتمائم ، فلابد حينئذ أن نستفسر عن مقصوده بهذا التعليق ، ولكن على كل حال إذا كانت من باب التشبه فهي محرمة ،

ثم قال الناظم وفقه الله " والأصل في التمائم المنع .... تقرر المنع بنص معتمد والأصل في الغلو منع يا فتي فإنه بلية كما أتي ...."

الغلو عرفه العلماء بأنه:- مجاوزة الحد المشروع .

والغلو له صورتان :-

صورة المجاوزة إلي الإفراط – وصورة المجاوزة إلي التفريط ، والحق هو الطريق بين الإفراط والتفريط وهو طريق الوسطية ،

والغلو هو من أساسات كل بلاء وقع في هذا العالم سواء كان في المخالفات العقدية أو المخالفات الشرعية ، فإنك لو رأيت إلي أول صور الشرك وقوعا في بني آدم لوجدت أن السبب والدافع لها هو الغلو ، ولذلك يقول الإمام محمد رحمه الله " باب أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في لصالحين " ولذلك في النونية " إن الغلو بلية قد أهلكت أمما مضوا في غابر الأزمان "

يقول النبي ﷺ " إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قلبكم الغلو " وسبب هذا الحديث أنه أمر الفضل ابن عباس أن يلقط له حصيات يرمي بها جمرة العقبة فلقط له حصيات على الصفة التي أخبره بها فأخذهن النبي ﷺ ثم هزهن في يده حتي يراها الناس ثم قال" بمثل هذه فارموا وإياكم والغلو" حتي في الحصيات ، فإذا كان الغلو في الحصاة التي يرمي بها الإنسان قد حذر منه الشارع فلأن يكون من الغلو في مسائل العقيدة والشرك والقبور من باب أولي ، وإلا فقد كان بنوا آدم سالمين من مسألة الغلو عشرة قرون في ما بين آدم وبين نوح عليهما السلام حتي توفي أناس صالحون وهم (ود- سواع – يغوث –يعوق – نسرا) يقول ابن عباس "هذه أسماء رجال صالحين ولكنهم هلكوا في شهر واحد ففزع الناس على موت علمائهم فاستغل الشيطان هذه العاطفة والمحبة الكبيرة للصالحين فقال تعالوا صوروا لكل واحد منهم تمثالا واجعلوا كل تمثال إنسان منهم في مجلسه الذي كان يعبد الله فيه فإذا دخلتم مجالسهم ورأيتم صورهم نشطتم للعبادة " (خسي هذا الملعون ففرحوا بهذا الحل وفعلوا) فلما مات أولئك وجاءت القرون المتأخرة جاء الشيطان وقال إن أباءكم وأسلافكم ما

نصبوا تلك التماثيل إلا لأنهم يستنصرون بهم ويستمطرون بهم فاعبدوهم فعبدوهم وسبب ذلك هو الغلو في الصالحين وهذا أول سبب شرك بني آدم " ،

فعبادة النصارى لعيسي عليه السلام بسبب الغلو ، وعبد اليهود عزيرا بسبب الغلو "وقالت اليهود عزيرا ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله " ولذلك حذرنا الله جل وعلا من الغلو وبين أن أهل الكتاب ما وقعوا في ما وقعوا فيه من الشرك والوثنية إلا بسبب الغلو قال الله جل وعلا " قل يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم " فإذا أعظم المصائب التي ينبغي أن نحذرمنها وأن نسد أبوابها هي الغلو ، ولذلك ما قدح في صفات الله إلا بسبب الغلو ، وما أنكر القدر إلا بسبب الغلو ، وما أنكرت حكمة الله في أفعاله إلا بسبب الغلو ، وما وقع الروافض لعنهم الله في أصحاب النبي ﷺ إلا بسبب الغلو ، وما عطلت أسماء الله جل وعلا إلا بسبب الغلو ،وما خرجت الخوارج إلا بسبب الغلو ، ولا اعتزلت المعتزلة إلا بسبب الغلو ، ولا تجهمت الجهمية إلا بسبب الغلو ،

فالغلو هو آفة عظيمة ومهيع كبير جدا إذا وقع الإنسان فيه فناهيك عن المخالفات التي سيقع فيها ، ولذلك من صفات هذه الأمة الوسطية في قول الله " وكذلك جعلناكم أمة وسطا " وسوف تأتينا إن شاء الله قاعدة خاصة بالوسطية، فالوسطية هي حزام أمان من الوقوع في أحد طرفي النقيض إما إفراط وإما تفريط ، واعلم وفقك الله أن الشيطان لا يهمك تزيد أو تنقص المهم أن تجانب منهج الوسطية فهو مقصده وهمه الشاغل أن يحرفك عن هذا الطريق بأي سبيل فما دمت سائرا على هذا الطريق فهذا

يغضبه فهو يريد أن يحرفك إما إلي الزيادة والإفراط أو إلي النقص والكسل والفتور والتفريط وكلا طرفي قصد الأمور ذميم ، ولذلك تجد أن عقائد أهل السنة والجماعة دائما تسلك مسلك الوسطية بين الفرق فتجد الفرقة الأولي أخذت بطرف العصا والثانية أخذت بالطرف الأخروأهل السنة هم الذين أخذوا بأطراف الأدلة كلها لأن الوسطية تحتم عليهم الجمع بين الأدلة ، فيجب علينا أن نحذر الحذر الكبير من مسألة الغلو وهذا نحن ندع الله جل وعلا في كل صلاة من صلواتنا في كل ركعة " اهدنا الصراط المستقيم " وهذا هو صراط الوسطية ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، ثم قلنا " غير المغضوب عليهم " وهم اليهود الذي أفرطوا " ولا الضالين " وهم النصارى الذين فرطوا ، فإذا هذا دعاء عظيم ينبغي للعبد عند قراءته أن يستشعر أنه يدعوا ربه الأن أن يثبته على هذا الصراط الذي آخره جنة عرضها السموات والأرض ، فلتحذريا عبد الله من الغلو ، ولذلك جميع الأفعال التي تجدونها في المقابر إنما ورائها ذلك الخسيس الملعون الشيطان السبب الإبليسي الملعون الذي يقال له الغلو ، ولذلك حرم التصوير حتي لا يؤدي يوم من الأيام من عبادة هذه الصورة ، وحرمت التماثيل لهذا السبب ، وحرمت الصلاة في المقابر أيضا لهذا السبب ، وحرمت كتابة الأسماء وتجصيص القبور ورفع بناء القبر إلا مقدار الشبر فقط كل هذا بسبب هذا الغلو ، نسأل الله أن يعافينا من هذه البلية العظيمة .

ثم قال الناظم وفقه الله "............. ....منهج وسط فإنه نهج رشيد لا شطط"

هذه هي القاعدة التي ذكرتها قبل قليل ونصها يقول " أهل السنة والجماعة وسط بين فرق الأمة كوسطية الأمة بين الأمم " وهي قاعدة لا يمل الإنسان من شرحها ولا من تكرارها لأنها هي طريق نجاته من هذه الفخاخ الشيطانية التي يعترض بها في طريقنا وسيرنا إلي الله جل وعلا ، وأصل هذه القاعدة قول الله جل وعلا " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ..." الآية ، فالأمة الإسلامية وسط بين الأمتين المغضوب عليها وهم اليهود والضالين وهم النصارى وهذا يعرفه من يعرف عقائد المسلمين مقرونة بمعرفته بعقائد اليهود والنصارى، فاليهود معروف عنهم جانب الغلو والإفراط في كثير من عقائدهم ، والنصارى معروف عنهم التفريط والتساهل ، أن ضربت من قبل في كشف الشبهات مثالين :- عقيدتنا في عيسي ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، أما اليهود فيعتقدون أنه كذاب وابن بغي والعياذ بالله لعنهم الله ، وأما النصارى فإن عندهم قضية إفراط في عقيدتهم في عيسي عليه السلام حتي قالوا هو الله ، أو ابن الله ، أو ثالث ثلاثة ، فعبدوه من دون الله جل وعلا ، فإذا لا اليهود أصابوا ولا النصارى أصابوا ، فجاء المسلمون فقالوا كلمتين هي حقيقة الوسطية فقالوا عيسي عبد الله ورسوله فهذا هو عيسي عندنا فهو عليه السلام عبد الله ورسوله قال الله جل وعلا " ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة " وقال الله أيضا " وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم " وقال الله جل وعلا " يا عيسي ابن مريم أأنت قلت لناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد

علمته تعلم ما في نفسك ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم " إذا هو رسول وعبد ، ولا تظن أن العبودية وصف ذم لا إنما عبودية الله من أعظم أوصاف العبد التي يتصف بها ، أعظم من اتصافه بوسامته وجماله ، وأعظم من اتصافه بماله ومنصبه ، أعظم من اتصافه بحسبه ونسبه ، فمن أعظم الأوصاف التي يتحلى بها العبد ويتشرف بها أنه عبد لله ، ولذلك وصف الله به نبيه ﷺ في أشرف وأعلي مقامات محمد ﷺ وهي ثلاث مقامات :-

1- إنزال القرآن " تبارك الذي نزل الفرقان على عبده "

2- في مقام الإسراء " سبحان الذي أسري بعبده "

3- وفي مقام الدعوة " وأنه لما قام عبد الله " المقصود به محمد ﷺ .

فإذا هذه عبودية خاصة الخاصة على منهج أهل السنة لا على منهج الصوفية ، فقولهم (أهل السنة) إنه عبد الله رد على النصارى الذين قالوا هو الله ، (ورسوله) رد على اليهود لعنهم الله ، وهذه الوسطية العامة انبثقت منها وسطية صغيرة تسمي (الوسطية الخاصة) :- وهي أن الله قضي كونا أن أمة محمد ﷺ سوف تفترق على ثلاث وسبعين فرقة كل هذه الفرق في عقائدها إما أن تأخذ بطرف العصا الأيمن أو تأخذ بطرف العصا الأيسر، ولكن هناك فرقة واحدة فقط دائما تمسك بوسط العصا وهي فرقة أهل السنة والجماعة، فإذا نقول " إن أهل السنة وسط بين فرق الأمة كوسطية الأمة بين الأمم " ، فكما أن الأمة وسط بين أمة اليهود والنصارى فكذلك أهل السنة وسط بين فرق

الأمة الإسلامية كوسطية الأمة الإسلامية بين سائر الأمم ، وأضرب لك أمثلة على هذه الوسطية :-

في قضية العبادة مثلا العبادة عند المرجئة مبنية على الرجاء فقط فهم لا يعبدون الله إلا بالرجاء ولذلك سمو مرجئة ، فعندهم دائما " إن الله غفور" نعم هو غفور رحيم ولكن لا يذهبون للأخرى " شديد العقاب" هم يقفون عند الأولي فقط ، ويقولون (الله حيي سِتيِر) (العفو الغفور) دائما لا ينظرون إلا إلي نصوص الرجاء التي توجب الترغيب ، ولكنهم يتركون نصوص الوعيد ، فلأن المرجئة أخذوا بأدلة الوعد فقط سمو مرجئة ، بينما قابلهم طائفة أخرى لا تأخذ إلا بالطرف الأخرى وهي أدلة الوعيد والزجروالتهديد والتكفيروالتبديع ، والتخويف والنارولكن لا يذهبون للأخرى(غفور رحيم)(رؤوف رحيم) لا يذهبون لهذه ، فسمو بالوعيدية ، وإذا أطلقانا الوعيدية في باب أسماء الأحكام والدين فنعني بهم الخوارج والمعتزلة ، أهل السنة والجماعة أخذوا بالطريق الوسط ، وتتحقق الوسطية بأخذ الأدلة من هنا(الوعد) ومن هناك(الوعيد)جميعا ونمزج بينهما فنعبد الله جل وعلا بـــ(الرجاء ، والخوف) فمن أراد أن تستقيم عبادته لله جل وعلا فليعبده على بهاذين الأمرين أن يعبد الله راجيا وخائفا ، ولذلك مدح الله عباده المؤمنين في ذلك بقوله " ويدعوننا رغبا ورهبا" رغبا بأدلة الرجاء ، ورهبا بأدلة الوعيد ، وقال الله جل وعلا " أمن هو قانت أناء الليل ساجدا وقائما يحذر الأخرة ويرجوا رحمة ربه" يحذر الأخرة لقرائه أدلة الوعيد ، ويرجوا رجمة ربه لقراءته وعلمه بأدلة الوعد ، وهذا هو حزام الأمان من الوقوع في أحد الطرفين ، وهذه هي وسطية أهل السنة والجماعة ، والأمثلة في ذلك كثيرة ، ولي رسالة مختصرة في بيان (وسطية أهل

السنة والجماعة بين فرق الأمة) ذكرة فيها قرابة ستة عشر مثالا أو سبعة عشر مثالا ، يقول ابن تيمية رحمه الله في الواسطية في ما معناه "

فأهل السنة والجماعة وسط بين فرق الأمة كوسطية الأمة بين الأمم ،وهم وسط في باب الصفات بين المعطلة والممثلة ، ووسط في باب القدر بين الجبرية والقدرية ، ووسط في باب أسماء الأحكام والدين بين المرجئة والوعيدية ، ووسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين النواصب والروافض " أو كما قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، وهكذا إذا صار الإنسان على هذ المنهج السلفي السليم الصحيح فإنه إن شاء الله لن تزل قدمه على الصراط المستقيم يوم القيامة لأن المشي على الصراط الذي سينصب على ظهراني جهنم هو كنتيجة لاختبارك في السير على طريق الوسطية في هذه الدنيا ، فمن سار على طريق الوسطية ولم يحد يمينا ولا شمالا فإن قدمه سوف تمشي على ذلك الصراط الذي هو أدق من الشعر وأحد من السيف ولن يسقط لا يمينا ولا شمالا ، وأما من هوت به الشبهات وأبعدت به الشهوات فأبعدته يمينا وشمالا فإنه سوف تزل قدمه عن الصراط المستقيم يوم القيامة ،

ولتعلم أن الأشاعرة دائما مرجئة ولذلك إذا قلنا المرجئة فنعني بهم (الجهمية اتباع الجهم ابن صفوان- والأشاعرة أتباع أبي الحسن الأشعري – والماتور يدية أتباع أبا منصور الماتور يدي – والكُلابية أتباع محمد ابن سعيد ابن كُلاب) ، أما الوعيدية فنعني بهم (الخوارج – والمعتزلة) ، وفي باب القدر نقول جبرية ونعني بهم (الجهمية – والأشاعرة) نسميهم في باب القدرية لأنهم يعتقدون أن العبد مجبور على فعله ولا اختيار له ، والقدرية هم المعتزلة في باب القدر ولكن جرت عادة العلماء أنهم يسمونهم قدرية ،

قد يقول قائل أن أعلق التميمة ولا أقصد بها شيء فنقول له كذبت ، لتعلم أيها الكريم أن كل فاعل مختار لا يمكن أبدا أن يفعل فعلا إلا ويكون قبل الفعل نية وقصد وباعث وهمة وعزيمة ، فالجنون هو الذي يتصرف تصرفات عن غير سابق تصور ، وأما العاقل المكلف المختار فإنه أبدا لا يقدم على فعله إلا ويسبق هذا الفعل نية وقصد ، أنت الأن تسير بالسيارة فهل يمكنك السير بالسيارة إلا إذا شغلتها وأدرتها بالمفتاح الخاص بها ؟ نقول لا لزاما أن تشغلها بمفتاحها ، فإذا النية والقصد والباعث والعزيمة هي تشغيلها بالمفتاح ، فمعلق التميمة هذا هو في قرارة نفسه لم يعلقها إلا لشيء ، فلا يتصور أن يسير الإنسان إلى شيء إلا وفيه نية وقصد لهذا الشيء وهذا ضربا للمثال ولله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، وضرب الأمثلة من أفضل الأشياء التي تثبت المعلومة في الذهن والله أعلم.

....

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى:-

" والأصل في الأيمان أن لا يحلف بغيره سبحانه فلتعرف"

وهذه قاعدة متفق عليها بين أهل السنة والجماعة رحمهم الله وهي قاعدة أهل السنة في باب الأيمان ، فاليمن من جملة العبادات التي لا يجوز أن تصرف ولا أن تعلق ولا أن تعقد بغير الله جل وعلا ، فلا يجوز للإنسان أن يحلف بمخلوق كائنا من كان حتي وإن علت رتبة هذا المخلوق حتي وإن كان من أعلى الرتب عند الله جل وعلا وهم الملائكة أو الأنبياء والصالحين فكل هؤلاء لا يجوز للعبد أن يحلف

بهم فكما أنه لا يجوز أن يصلي للمخلوق فكذلك لا يجوز أن يحلف بالمخلوق ،
وكذلك أنه لا يجوز أن يدعوا المخلوق فكذلك لا يجوز أن يحلف بالمخلوق لأن
هذه كلها مسائل عبادية وقد تقرر في ما سبق من قاعدة " أن العبادات حق
صرف محض لله جل وعلا لا يجوز أن تصرف لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا
لولي صالح ، وعلى ذلك انعقد الإجماع فقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن
الحلف عبادة لا يجوز أن تعقد إلا بالله أو صفة من صفاته ، بالله أن تقول :-
والله –بالله – تالله – والرحمن – العزيز– والحكيم، وصفة من صفات الله كأن
تقول :-

وعزة الله – ورحمة الله- ووجه الله – وغيرها من الصفات الثابتة

فالصفات يجوز الحلف بها كما وردت بذلك السنة ، وقد كان أكثر حلف
النبي ﷺ أن يقول " والذي نفسي بيده "وهذه صفة من صفات الله جل
وعلا، والدليل على ذلك غير الإجماع أن النبي ﷺ نهي عن الحلف بغير الله
فقال ﷺ " لا تحلفوا بالأوثان ولا بالطواغيت " وقال ﷺ " لا تحلفوا
بآبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت " وقال ﷺ " من حلف
بالأمانة فليس منا" وقال ﷺ " من حلف فقال في حلفه واللات والعزة
فليقل لا إله إلا الله " وقال ﷺ " من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك " وفي
حديث قتيلة رضي الله عنه أن رجلا جاء إلي النبي ﷺ وقص عليه رؤيا فقال
يا رسول الله رأيت اليهود في المنام فقلت نعم القوم أنتم لولا أنكم تقولون
عزيز ابن الله فقالوا لي وأنتم نعم القوم لولا أنكم تقولون والكعبة ، قال
فمررت على ملأ من النصارى فقلت نعم القوم أنتم لولا أنكم تقولون
المسيح ابن الله فقالوا وأنتم نعم القوم لولا أنكم تقولون والكعبة ، فنهاهم

النبي ﷺ أن يحلفوا بذلك وأمرهم أن يقولوا ورب الكعبة ، فإذا كل مخلوق لا يجوز الحلف به بغض النظر عن منزلته وعلو رتبته عند الله، وبغض النظر عن عباداته ، وهذا متفق عليه بين أهل السنة.

ولكن يكدر على هذا الاتفاق رواية تنسب إلي الإمام أحمد رحمه وهي رواية في نسبتها إليه نظر وقد ضعفها كثير من الحنابلة ولكنها تنسب إلي الإمام أحمد وهو أنه يجيز الحلف بالنبي ﷺ ، حيث نسب إليه رحمه الله أنه قال " أما النبي يجوز أن يحلف به خاصة " ولكن هذه الراية مردودة بالأحاديث الكثيرة ، وعندنا ابن جرير الطبري رحمه الله قاعدة في مسألة الإجماع وقد ارتضاها جمع من أهل العلم وهي أنه إذا انعقدت كلمة عامة الأمة وكان مستند إجماعا دليلا متواترا وخالف في ذلك الواحد والأثنان فإن مخالفتهم لا تبطل الإجماع ، وبناء على هذا القول فنقول هذا متفق عليه بين أهل السنة ، فضلا على أن هذه الرواية قد ضعفها أكثر أهل العلم رحمهم الله تعالى ، ويشكل علينا في هذه المسألة شيء أخر وهي ما في الصحيح أن النبي ﷺ جاءه رجل من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يُفقه ما يقول حتي دنا فإذا يسأل عن الإسلام فقال النبي ﷺ " خمس صلوات في اليوم والليلة " قال هل على غيرها قال لا إلا أن تطوع وذكر له رسول الله الصيام والزكاة ثم قال هل على غيرهن قال لا إلا أن تطوع فأدبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد على هذا ، فقال النبي ﷺ أفلح وأبيه إن صدق " وفي الرواية الأخرى " أما وأبيك لتنبئن" وهذه مشكلة كثيرة والأحاديث بذلك قد صحت ، فقد يقول قائل كيف تقولن إن الحلف بغير الله ممنوع

وهنا النبي ﷺ قد حلف بوالد هذا الرجل ؟ نقول قد اختلفت مسالك أهل العلم رحمهم الله في الاستدلال بهاذين الحديثين ، بهاتين الروايتين :-

الجواب الأول :- ذكره الإمام الخطابي رحمه الله تعالى في معالم السنن على شرحه على أبي داود قال إن هذا مما يجري به اللسان ولا يراد به قصد العقد ، أي أن هذا مما يجري على ألسنة العرب من غير أن يقصدوا به حقيقة اليمين ، كما كان يجري على لسانهم ثكلتك أمك ، ولكن هذا ورد ولكنهم لا يريدون حقيقته ، مثل قول النبي ﷺ لزوجته صفية لما قالوا إنها قد حاضت قال " عقرا حلقا " وهذا كله دعاء ولكنه لا يراد به حقيقته وإنما هو مما يجري على ألسنة القوم من غير أن يقصدوا حقيقته، وكذلك قول النبي ﷺ لبعضهم " تربت يداك" أي لصقت يداك بالتراب من شدة الفقر، وهذا دعاء ولكنه لا يراد به حقيقته ، فكذلك قوله ﷺ " أما وأبيك لتُنبأَن " و"أفلح وأبيه إن صدق" فيقال فيه أنه مما يجري على اللسان ولا يراد به حقيقته، وهذا الجواب كأن فيه شيء من الضعف وقد ضعفه جمع من أهل العلم رحمهم الله وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

الجواب الثاني :-

قالو إن هذا من باب التصحيف كما هو معلوم أن التصحيف هو تغيير مبنى الكلمة فيتغير معناها تبعا لتغير مبناها كما قاله علماء المصطلح ، فالأصل أنك لو كتبت "وأبيه" أو"أفلح وأبيه " لصارلها (سنه) ثم (الهاء)وكان أهل الكتاب في السابق لا ينقطون الكلام فلو كتبت الله

بجوارها لو جدت أن وأبيه مع الله تختلف فقط في طول (السنة) فقط ، فلما النقط نقطت كذلك فإذا هي تصحيف ، ولكن لا يخفي على الباحث المنصف أن هذا أيضا فيه نوع تكلف .

الجواب الثالث :-

قال بعض أهل العلم أن هذا أصلا كان قبل النسخ ،أي قد كان في السابق تركت العرب على لسانها ثم نسخ ذلك بالأحاديث الواردة في تحريم الحلف بغير الله جل وعلا ، وهذا جواب بعض أهل العلم، وقد وضعه بعضهم عمدة في الإجابة عن هذا الإشكال ، ولتعلم أيها القارئ الكريم أن المسألة مسألة عقيدة ومسائل العقائد لا يدخلها النسخ ، فالحلف بغير الله لا يجوز في كل الشرائع ، فالعقيدة لا يدخلها النسخ ،

الجواب الرابع :-

وهو أصح الأجوبة على الإطلاق أنها ألفاظها شاذة ، فأما قوله " أفلح وأبيه إن صدق " فإن أصحاب مالك قرابة العشرة وكلمهم من الثقات كلهم يروونه عن الإمام مالك عن الزهري قول النبي ﷺ " أفلح والله إن صدق " إلا واحدا وهو ثقة هو الذي يرويه بقوله " أفلح وأبيه " مع أنه نفسه في طريق أخر قال " والله" فهذا يدلك على أن هذا الثقة قد قال شيئا قد خالف به الثقات، وقد تقرر في القواعد أن الثقة إذا جاء بشيء يخالف رواية الثقات فروايته تعتبر شاذة وكذلك في الحديث الثاني في الرواية الثاني " أما وأبيك" فإذا هذا هو أصح الأجوبة ، والمعروف أن الشاذ قسم من أقسام الضعيف ، وهذا هو الجواب الذي ارتضاه الشيخ عبد العزيز

غفر الله له وارتضاه قبله شيخ الإسلام ابن تيمية ، وارتضاه الشيخ محمد ابن عثيمين أيضا في بعض كتبه ، وقالوا إن هذه ألفاظ شاذة لأن الثقات من أصحاب مالك يروونه " أفلح والله " إلا ثقة واحد يرويه" وأبيه " مع أنه في طريق أخررواه "والله" فهذا دليل على أن هذه لفظة شاذة .

مسألة :-

ما كفارة من حلف بغير الله ؟

نقول لقد أجمع علماء الإسلام على أن هذه اليمين لا كفارة لها إلا قول لا إله إلا الله ،

سؤال :- لماذا لا يكون لها كفارة ؟ نقول لأن الكفارة إنما تكون في اليمين المنعقدة ، واليمين بغير الله أصلا لم تنعقد بإجماع العلماء أنها لا تنعقد اليمين بغير الله جل وعلا ، فحيث لم توصف بالانعقاد فلا تكون فيها كفارة، فلا كفارة إطعام ولا كسوة ولا كفارة فيها ، وإنما كفارتها أن يقول " لا إله إلا الله " ، وبرهان ذلك قول النبي ﷺ " من حلف فقال في حلفه واللات والعزي فليقل لا إله إلا الله " ، والمناسبة هنا بقوله لا إله إلا الله بعد الحلف بغير الله لأن حلفه هذا لا يخلوا من حالتين :-

إما أن يكون قد أوقعه في الشرك الأصغر ، وإما أن يكون قد أوقعه في الشرك الأكبر ، وكلا الداءين علاجهما التوحيدي" لا إله إلا الله "لأنه إن كان قد وقع في الشرك الأصغر فإن كلمة التوحيد ترمم هذا الكسروهذا الخرق الذي وقع في إيمانه ، وإن كان قد وقع في الشرك الأكبر فإنها علامة دخوله في الإسلام مرة أخرى ،

ومن أمثلة الحلف بغير الله تعالى :-

كالحلف بالحياة (وحياتك وحياتي) وكالحلف بـالكعبة –والعيدا روس – والسيد البدوي- والعيش والملح- وغيرها من المخلوقات) فكل هذا يدخل تحت الحلف بغير الله ، ومن الطرائف التي تذكركنت في محاضرة أبين لهم أن الحلف بغير الله شرك ومحرم ، وبعد ذكر الأدلة وكلام أهل العلم حتي اقتنع الموجودون من الناس بهذا الأمر، فقام واحد منهم أخذته الحماسة وقال خلاص يا شيخ (والنبي ما عاد نحلف بغير الله) ،

الشاهد أن هذا مما يجري علي اللسان .

وحكم الحلف بغير الله قسمه العلماء إلي قسمين :-

الأول : - أن يكون محكوما عليه بأنه شرك أصغر

الثاني :- أن يكون محكوما عليه بأنه شركا أكبر

، ويكون شركا أصغر إذا لم يصاحب الحلف تعظيم كتعظيم الله جل وعلا ، مثل هذا الرجل الذي ذكرنا طُرفته فهو يجري على لسانه من غير يقصد تعظيما معينا ، ويكون شركا أكبر إذا صاحب حلفه تعظيم كتعظيم الله جل وعلا ، وإن كثيرا من عباد القبور الأن يحلفون بغير الله جل وعلا معظمين للمحلوف به أعظم من تعظيمهم الله ، بدليل أنهم إذا أراد أن يكذبوا في أيمانهم فإنهم لا يجدون أحسن من أن يحلفوا بالله، وأما إذا أراد أن يبر في يمينه وأن يبين لك أنه مخلص وأنه صادق وأنه قد بلغ الرتبة العالية في الصدق والأمانة ، فإنه يحلف بوليه الذي يطوف حول قبره

وينذرله ويسجد ويركع له وهذا دليل على أن الحلف بغيرالله عند هؤلاء قد بلغ مرحلة أعظم من كونه تعظيما كتعظيم الله ، فإذا الأصل أن الحلف شرك أصغرإلا إذا صاحبه تعظيم كتعظيم الله فيكون شركا أكبر.

مسألة :- جاء عن ابن مسعود قوله رضي الله عنه أنه قال "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره بارا أوقال صادقا " ، فنقول كونه يحلف بالله كاذبا معصية ولا تخرج عن كونها كبيرة أوأنها محرمة من جملة المحرمات ، ولا جرم أن المعصية أخف من الشرك ، لأن المحرمات تتفاوت فأعظم المحرمات على الأطلاق هو الشرك وما دونه فهو أخف منه باعتبار نسبته إليه ،

مسألة :- قسم العلماء رحمهم الله الأيمان إلي ثلاثة أقسام :-

1 - القسم الأول اليمين اللغو:- وهي تلك اليمين التي تجري على لسان الإنسان هكذا من غيرأن يرتبط بلسانه قلبه ، أي من غيرأن يقصد عقدها ، وهي قول الرجل في بيته (بلا والله – ولا والله) وهذه غالبا ما تجري على الألسنة ، فتقول مثلا (والله لن نذهبن – والله تأكل معنا اليوم – والله تأتينا وتشرفنا اليوم- والله لأذهبن) فمثل هذا غالبا يمين لغو، ولا كفارة فيها ولله الحمد والمنة ، والدليل على ذلك قول الله " لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم " وهذا القسم الأول

2 – اليمين المنعقدة :- وهي المرادة بقول الله جل وعلا " ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان " وعقدتم أي قصدتم وأردتم بقلوبكم إرادة مدلولها

، وهذه اليمين المنعقدة يشترط لها ثلاثة شروط ، فلا تكون اليمين منعقدة إلا إذا توفر فيها ثلاثة شروط :-

الشرط الأول :- أن تكون منعقدة بالله أو صفة من صفاته كما بيناه آنفا .

الشرط الثاني :- أن تكون على مستقبل .

الشرط الثالث:- أن يكون هذا المستقبل أمر ممكن تحصيله ، فلو اختل واحد منها لا تكن يمينا منعقدة ، فقول أن يكون الحلف بالله جل وعلا ، أو صفة من صفاته لأننا نقول إن أيمان المشركين غير منعقدة

والثاني من الشروط أن يكون على مستقبل وهذا الشرط يخرج الحلف عن الأمر الماضي لأنه الأمر الماضي لا كفارة في الحلف عليه لأنك دائربين أمرين إما أن تكون بارا ، وإما أن تكون كاذبا ، فإن كنت كاذبا فهي اليمين الغموس والعياذ بالله وهي أن يحلف الإنسان على أمر مضي يعلم أنه كاذب فيه ، وإن كنت بارا فالحمد لله فلا كفارة عليك حينئذ ، فلا بد في اليمين المنعقدة أن تكون على مستقبل ،

الشرط الثالث أن يكون هذا المستقبل أمر ممكن، وبناء عليه لو حلف الإنسان على أمر مستقبل تعجز عنه قدرة البشر فإنه حينئذ تكون لغوا غير منعقدة ،كأن يقول والله لانقلن هذا الجبل من مكانه وهذا لا يمكن أبدا وهذا تعجز عنه قدرة البشر، أو يقول والذي نفسي بيده لأصلين العصر على سطح المريخ ، وهذا أمر مستقبل ولكن اختل شرط فنقول لا كفارة عليه وعليه أن يتوب ويستغفر فقط ولا يعود لمثل هذا ، ولم نقل له

بالكفارة لأن الكفارة لا تكون إلا في اليمين المنعقدة ولا تنعقد اليمين إلا بهذه الشروط الثلاثة .

قد يسأل البعض عن كفارة اليمين ؟

كفارة اليمين أصلية وبدلية

أما الأصلية :- فمخير للإنسان فيها بين ثلاث خصال :-

الخصلة الأولي في قوله تعالى " إطعام عشرة مساكين " وعندنا قاعدة في الفقه من أول الفقه إلي أخره تقول " الإطعام في الكفارات نصف صاع " فلا كفارة صاع أبدا ، والصاع يجب في الفطر (زكاة رمضان) فقط ، وأما في غير الفطر مثل :-كفارة الإطعام في الظهار – أو كفارة الإطعام في الجماع في نهار رمضان – أو كفارة الإطعام في اليمين – أو كفارة الإطعام في النذر المعجوز عن تطبيقه)فكل هذه الكفارات نصف صاع ، وحتي الكفارة في إفطار الكبير أو المريض الذي لا يرجي برأه في رمضان ، فهذه قاعدة " الكفارة دائما نصف صاع" ، وقاعدة ثانية " كل كفارة فيها إطعام فالمقصود به والمراد قوت أهل البلد " ، فما اعتاده أهل البلد من قوتهم فإنه هو الذي تطالب به ،

ثم قال الله جل وعلا في الخصلة الثانية " أو كسوتهم " والمراد بها كسوة تصح بها الصلاة مثل –(سروال – وفانيليا) مثلا أو (ثوب) ،

ثم قال الله " أو تحرير رقبة" وكل تحرر في كفارة فيشترط فيه الرقبة المؤمنة في أصح قولي أهل العلم رحمهم الله تعالى .

وهذه الخصال الثلاث أنت مخير فيها فهي داخلة تحت دائرة الواجب المخير ، فإن عجزت عن ذلك فتنتقل إلي بدل هذا الأصل وهو:- صيام ثلاثة أيام ، والصحيح أن تكون متتابعات ، وهي وإن كانت قراءة آحاديه شاذة إلا أن المتقرر عند العلماء أن القراءة الآحاديه حجة إذا صح سندها لصحابي وهذه القراءة قد صح سندها لأبن مسعود فتكون معمولا بها ، وهكذا شأن الصيام في الكفارات كله ، فالصيام في الكفارات لا بدا أن يكون متتابعا ،

وانبه لهذا الأمر حيث نجد أن بعض الناس يفزع إلي الصوم قبل التأكد من عدم قدرته على هذه الخصال الثلاث وهذا خطأ لأن المتقرر عند العلماء أنه لا يجوز أن يصار إلي البدل إلا إذا تعذر الأصل فإذا تعذر الأصل يصار إلي البدل .

القسم الثالث من أنواع الأيمان :- هو اليمين الغموس :- وسميت بذلك لسببين :- أنها تغمس صاحبها في الإثم – وتغمسه في جهنم،

فكفارتها غمسه في جهنم والعياذ بالله تعالى ، ولا يستهان بغمسه واحدة في النار والعياذ بالله ففي الحديث " ويؤتي بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيغمس غمسه في جهنم فيقال يا ابن آدم هل مربك نعيم قط ، هل مربك خير قط ، فيقول لا يا رب " ، وإنها دليل على الاستخفاف بالله جل وعلا لأن الله يعلم أنك كاذب فكونك تجعل الله أهون السامعين أو أهو الناظرين إليك فهذا دليل على ضعف الإيمان في قلبك بهذا الرب العظيم .

مسألة:- هل في اليمين الغموس كفارة ؟

فيه خلاف بين أهل العلم وأصح الأقوال لا كفارة فيها ، والذي اختل في اليمين الغموس حتي تخرج عن دائرة الكفارة أنها ليست على أمر مستقبل وإنما هي على أمر ماض ،

مسألة :- لو حلف الإنسان على شيء مضى يعتقد صدق نفسه فيه ثم يتبين له بخلافه هل عليه كفارة ؟

مثاله أن تُسأل أين أبوك فتقول في البيت وتحلف وتقول والله إن أبي في البيت وأنت حلفت لأن هذا الوقت جرت عادة أبيك أنه يكون في البيت ، ثم يتبين لك بأخرة أنه في المسجد مثلا ، فحينئذ هل تلزم أنت بالكفارة ؟ نقول فيه خلاف بين أهل العلم وأصح الأقوال ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه لا كفارة عل قائلها ، لأنه حلف على شيء يغلب على ظنه صدقه فيه ، فإذا هو عامل بغلبة الظن ، وتقرر عند العلماء أن "غلبة الظن كافية في التعبد والعمل "، فمن غلب على ظنه شيء فإنه لا يؤاخذ ،

مسألة :- أجمع علماء الإسلام على استحباب التقليل من الأيمان وتخصيصها المحتاج إلي تأكيدها من الأمور العظيمة الكبيرة فالأيمان لا ينبغي أن تكون من ديدن الإنسان في كل أمر حتي يأتي العبد في الأمور البسيطة ويقول مثلا والله لألبسن نعالي ، والله لألبسن ثوبي ، والله لأذهبن لفلان ، فكل شيء والله والله فإن كثرة الأيمان دليل على عدم تعظيم القلب لله جل وعلا ، وهذا يدل عليه قول الله جل وعلا " واحفظوا أيمانكم " كلمة واحفظوا أيمانكم قد فسرت بعدة تفاسير:-

1-لا تكثروا منها

2- أي لا تحلفوا بغير الله لأن من حلف بغير الله فقد ضيع هذه الأمانة العظيمة

3- لا تتركوها بغير تكفير إذا حلفتم ويقصدون بذلك اليمين المنعقدة لأن هذه الآية جاءت بعد اليمين المنعقدة وبعد ذكر الكفارة ،

وكل هذه التفاسير صحيحة مليحة لأن المتقرر أن اللفظ إذا احتمل معنيين أو أكثر لا تنافي بينهما فإنه يحمل عليهما ،

مسألة :- ما حكم الحلف بشيء فيه إخبار عن الله فلا هو اسم لله ولا صفة لله مثل والذي يجري السحاب ، والذي هو على كل شيء قدير ، والذي ينزل إلي السماء الدنيا ، فهنا حلفت بشيء يخبر به عن الله فكأنني حلفت بشيء من أفعاله جل وعلا فهل هذا جائز أم لا ؟ فنقول الجواب هذا جائــــز بالإجمــــاع ولا حرج في ذلك ، ولكن لا بد أن يتقين العبد أن هذا الخبر مما يصح إطلاقه على الله جل وعلا أي مما أثبتته الأدلة كتابا وسنة ، ولذلك يقول على رضي الله (والذي فلق الحبة وبرء النسمة أنه لعهد النبي الأمي إلي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق)رواه مسلم من حديث علي رضي الله تعالى عنه ، وكان أكثر حلف النبي ﷺ أن يقول " والذي نفسي بيده " وهذه ليست اسما من أسماء الله ولا صفة من صفاته ، وإنما خبر عن فعل من أفعاله أنه يحي ويميت وأن كل شيء عنده بأجل مسمي ،

وكما قال الناظم " لا تحلفن بغير ربك واقتصد   عود لسانك قلة الأيمان " ،

ولِتنبه أقول إن صفات الله ملازمة لذاته سبحانه ، فإذا قلنا الله فلا تفهم أنه الذات فقط حتي نحتاج للجواب عن الصفات بل يدخل في كلمة الله ذات وصفات ، وأنا إذا حلفت بصفات الله لا أقصد أنني أتعبد بهذه الصفات ولكني أتعبد للموصوف بهذه الصفة ، ثم اعلم أيها القارئ الكريم أن دعاء الله والاستعانة بالله، والتوسل بالله ،والحلف بالله ، فالأن الكلام في الصفة ودعاء الصفة لا يجوز ، والحلف بالصفة جائز، والاستعاذة بالصفة جائز، والتوسل بالصفة جائز، فباب الدعاء لوحده فقط ،فحينئذ تعرف الفرق بين كل ما مضي ، ولأن باب التوسل مبني على أن لا تتوسل إلا بمحبوب لله جل وعلا والله لم يتصف بهذه الصفات إلا لأنه يحبه ، وباب الحلف مبناه على أن لا تحلف إلا بمعظم والله معظم ذاتا وصفاتا ، وأما الدعاء فإنك لا يجوز لك أن تدعوا إلا من يستطيع أن يحقق لك مطلوبك وسؤلك والصفة مجرد صفة لا تحقق لك ذلك ، ثم اعلم أن قول الله " لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون" أضيف له قاعدة "أن الله له أن يحلف بما شاء من مخلوقاته " .

مسألة:- ما حكم الحلف بالمصحف كلا أو بعضا ؟

نقول إذا كان العبد يقصد بالحلف بالمصحف أنه كلام الله فيجوز لأن المصحف كلام الله وكلام الله صفة من صفاته فيجوز الحلف بكلام الله ، وأما إذا كان يقصد الحلف بالمصحف مجرد الأوراق الحبر الذي كتبت بها الآيات فهذه أشياء مخلوقة فلا يجوز الحلف بها، ثم اعلم أن كلمة والزارع جائز الحلف بها وقولك" والزارع" مع أن والزارع لا تطلق على الله اسما ولا صفة وإنما تطلق على أنها خبر، فإذا الحلف بالأسماء جائز، والحلف

بالصفات جائز، والحلف بالأخبار التي لا يراد بها إلا الله جائز، " فلا يجوز الحلف إلا بالله أو صفة من صفاته" فهذه هي أصل القاعدة ،

ثم قال الناظم وفقه الله " ...."

التصوير:- معروف وقوله " بتا" يشير به إلي تحريم التصوير بكل أنواعه وكافة مستخرجاته ، ويعني بالتصوير هنا في الأعم الأغلب ذلك التصوير الثابت ، وقد قسم العلماء رحمهم الله تعالى التصوير إلي ثلاثة أقسام :-

1 – التصوير المجسم :- يعين التصوير الذي له ظل أي أن صورة إذا وضعتها ثم أوقدت المصباح عليها يصير لها ظل من الخلف ، وهذا التصوير بهذا المعني مجمع على تحريمه ، وهو يدخل دخولا أوليا في الأحاديث الناصة على تعذيب المصورين كقول النبي ﷺ " من صور صوة في الدنيا كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ " وقول النبي ﷺ " أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورين " وقوله ﷺ " يخرج عنق من النار يوم القيامة ويقول وكلت بثلاثة... "وذكر منهم " وكل مصور" وقول النبي ﷺ في ما يرويه عن ربه عزوجل " ومن أظلم ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا شعيرة أو ليخلقوا حبة " أو كما قال ﷺ في ما يرويه عن رب العزة " والأدلة في هذا كثيرة ، فإذا هذا التصوير يدخل في هذا المعني دخولا أوليا ،

2 – التصوير الذي يسمونه تصوير الرسم :- وهو التصوير الذي لا ظل له ، بمعني أن يعمد الإنسان إلي خشبة ،أو جدار، أو صحيفة ، أو ستارة ، أو خرقة ونحوها ويرسم عليها صورة فهذه الصورة لو أوقد المصباح عليها لا يكون ير لها ظل وهذا أيضا محرم في قول عامة أهل العلم فلا يجوز

للإنسان أن يصور شيئا من تصوير ذوات الأرواح لا مجسما ولا غير مجسم، وهذان القسمان لم يشتد خلاف أهل العلم رحمهم الله تعالى فيهما ، أما الأول فمجمع عليه ، وأما الثاني فقلت في قول عامة أهل العلم ، ولكن أشتد خلاف أهل العلم رحمهم الله في

3-التصوير الثالث:- وهو التصوير الحديث بالكاميرا المعروف بـ(التصوير الفوتوغرافي):-

وقد اختلفت كلمة أهل العلم رحمهم الله تعالى فيه ، ولي رسالة مختصرة أسميتها (حكم التصوير الفوتوغرافي) وهي من أوائل ما كتبته وتوصلت في هذه الرسالة إلا أن القول الصحيح والرأي الراجح المليح في هذا النوع الثالث من أنواع التصوير أنه محرم إلا ما دعت إليه الضرورة أو الحاجة الملحة ، وقد استدللت على ذلك بجمل من الأدلة أذكر هنا أصولها وقواعدها :-

الدليل الأول :- قاعدة " الأصل بقاء العموم على عمومه ولا يخص إلا بدليل " وأدركت تحتها جميع الألفاظ العامة التي وردت في أدلة تحريم التصوير
، مثل " كل مصور في النار" فلم يخص التصوير بالمعني الأول أو الثاني أو الثالث ، وإنما قال " كل مصور في النار" والأصل بقاء العموم على عمومه، وقوله ﷺ " من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ " وقوله هنا " من صور " هذا شرط وقوله " صورة " نكرة فهي نكرة في سياق الشرط فتعم ، فالنكرة في سياق الشرط تعم ، والألفاظ

العامة في هذه الأدلة كثيرة تراجع في الرسالة المذكورة ، وهذا هو الاستدلال الأول بعموم الأدلة

2 - الاستدلال بقاعدة " سد الذريعة" وهي أن أول ما وقع الشرك في بني آدام إنما هو بسبب تصوير صور الصالحين ، فإنه بسبب الغلو في هؤلاء الصالحين صوروا تماثيلهم فصارت الأمم بعدهم يعبدونها من دون الله جل وعلا ، ولذلك يقول الناظم" فالشرك والتصوير مرتضعان" فكلما وقع التصوير في أمة كلما وقع الشرك لا سيما مع قلة العلم وذهاب العلماء ، ولا سيما إذا كانت تلك الصور التي عمت بها البلوي وطمت هي صور الملوك أو صور من تعظمهم النفوس إما لملك ورياسة وإما لحسب ونسب ، وإما لعلم أو شرف ، وهذه هي التي غالبا تعم البلوي بها ، فصورتي وصورتك والثاني والثالث هذه وإن كانت محرمة ولكن البلوي بها لا تعم كعموم البلوي بصور الملوك وتعظيمها ، أو صور العلماء وتعظيمهم ، أو صور أصحاب الشرف والجاه والمناصب العالية وتعظيمهم ، فإذا أول ما وقع الشرك في بني آدام كان مصحوبا بالتصوير، ولذلك وردت الأدلة المشددة في إغلاق هذا الباب الإغلاق المحكم ، وإننا والله لنطالع الشيطان قد برز بقرونه في مسائل الصور ، فقديما كان تعليق الصور في الدوائر الحكومة أو غيرها صور الملوك كان قديما أمرا اختياريا وكان الأمر متنازع فيه لا يجوز أم لا ثم قالوا يجوز ، التعليق صار أمرا اختياريا ثم بعد ذلك تطرق الأمر إلي أنه أمر إلزامي ، ثم تتطور الأمر ببعض الطوائف أنه جعله أمرا دليل على الولاء والبراء وطاعة السلطان ومحبة الوطن بمعني أنك لو ما علقت هذه الصور فإن ولائك مشكوك فيه ، ومحبتك لمليك مشكوك فيها ، حتي ربما تشكل

لجنة وتُساءل ، فأخشي أن يستمر بالناس زمان ويرتفع الأمر إلي أكثر من ذلك فيقع فيها التمييز بين المسلم والكافر أو بين البر والفاجر، أو بين الموحد وغير الموحد ، ولذلك سد الذرائع مطلوب شرعا ، فأنت لا تفكر في زمانك هذا ، ولذلك يقول ابن عباس " فصوروها ولم تعبد حتي إذا هلك أولئك ونُسي العلم عبدت" فالأوائل هم المتسببون في هذا وهم المخطئون في هذا ولا يسلمون من الإثم في هذا التصوير، فلابد حينئذ من سد الذرائع السد المحكم الذي لا يلج منه شيء من ظلمة الشرك على نور التوحيد ،

3- الاستدلال الثالث الذي استدللت به في هذه الرسالة المذكورة :- قلت قاعدة "القياس في مورد النص باطل " لأن جميع الذين يقولون إن التصور (الفوتوغرافي) جائز إنما يقولون هذا حبس ظل وليس فيه تصرف من الإنسان ، فقلت سواء قلتم ما قلتم فإن الذي خرج ونتج من هذه العملية يسمي صورة فيدخل في عموم أدلة التصوير، وقولكم هو حبس ظل أو عكس صورة كل هذا كلام وقياسات وأراء يراد مصادمة النصوص ، وكل قياس صادم النص فإنه باطل ، ثم لا نسلم لكم أن الصورة هذه تصدر من غير عمد لا ولكن الأعمال تختلف مشقة ويسرا باختلاف تطور هذه اللات ، فأوليس توجيه هذه الآلة عمل باليدين ،، أوليس ضغط الزر هذا عمل ، أوليس أخذ الصورة ثم خضخضتها في المحلول الكيميائي هذا عمل ، فكيف تقول أنها تقول أنها تخرج مباشرة من غير عمل !!! فإن هذا ليس بصحيح ، فمجرد التوجيه هذا عمل لكن ليس كالعمل الشاق في ما مضي ولكن اختلاف الوسائل لا يجعل الأحكام تختلف إذا كانت المقاصد واحدة ، وقد تقرر عند العلماء " أن الشريعة لا تفرق بين متماثلين ولا

تجمع بين مختلفين ، فإذا الصور الثابتة كلها بجميع تفاصيلها كلها محرمة إلا ما دعت له الحاجة والضرورة مثل تصوير البطاقة ، أو التصوير لضرورة التعريف بالنفس بالشهادة ، أو الجواز. فهذا كله يدعوا له الضرورة مع أننا ندعوا ولاة الأمر وفقهم الله إلي أن يستبدلوها إلي ما هو أقوي منها وأثبت منها ولا يمكن تزويره ولا إدخال النقص عليه وهو بصمة العين أو بصمة اليد أو نحوها ، وأغلب الدول الأن تعمل على ذلك خاصة في المسائل المهمة في الدولة والتي تتعلق بالصحة والأمن .

فالتصوير كله محرم ، وحُرِم التصوير لأنه وسيلة من وسائل الشرك والوثنية فإذا تحريم التصوير ليس تحريم مقاصد وإنما هو تحريم وسائل ، لأن الشريعة إذا حرمت شيئا فإنها تسد كل الأبواب التي تفضي إلي هذا الشيء وهذا من كمال الشريعة ، ثم اعلم أن الواجب أنك لو وجدت صورة تتطبق فيها ما رواه الإمام مسلم من حديث أبي الهياج الأسدي عن على رضي الله عنه قال له ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ قلت بلي قال بعثني رسول الله ﷺ " أن لا تدع قبرا مشرفا إلا سويته ، ولا صورة إلا طمستها " ولذلك يقول الناظم :- " واطمس معالمها فذلك سنة ثبتت عن المعصوم من عدنان"

مسألة:- هل وضع خط فاصل بين الرأس والرقبة كاف ؟

نقول لا ليس بكاف لأن النبي ﷺ يقول في الحديث الحسن "إنما الصورة الرأس فإذا قطع الرأس فلا صورة" وقد صحح هذا ،أو حسنة الشيخ الألباني رحمه الله تعالى ، فما دام الرأس لا يزال موجودا ومعالمه ظاهرة

فهو الصورة ، بمعني أنه لو وجدت صورة لا تحمل إلا الرأس فقط فهي صورة ، ولو وجدت صورة بدن لا تحمل الرأس فليست بصورة ،فإذا العمل المهم هو الرأس .

مسألة :- هل يجوز الصلاة في ملابس بها صور ؟

نقول لا ، لا يجوز الصلاة في الملابس التي فيها صور ولكن لو أن الإنسان خالف وصلي فإن صلاته فيها لا جرم أنها صحيحة ولكنها ناقصة الأجر فينغي للعبد أن ينزه نفسه ولباسه عن هذا الأمر.

مسألة :- ماحكم تصوير التي لا روح لها ؟

نقول لا حرج في ذلك كتصور الشجرة ، أو تصوير النهر، أو الجبل ، أو السيارة فهذه لا روح فيها ولا حرج فيها .

مسألة :- ما الحكم لو صورنا ذات روح بعيدة لا تبين منها تفاصيلها مثل الصورة من منارات الحرم يبين فيها أن الناس موجودون ولكن لا تبين تفاصيلهم ولا وجوههم ؟

فنقول هذا لا حرج فيه وتركه أولي .

مسألة :- ما حكم السجاد أو (الكنادر) التي فيها صورة ؟

نقول لا حرج فيها لأنها تمتهن ، فإذا وضعت الصورة على أنها على هيئة بطائن ، أو على هيئة متكئ ، أو على هيئة نعال تطئها فلا حرج لأن الصورة حينئذ ينتفي منها العلة التي من أجلها حرم التصوير وهو تعظيمها ، فإذا كونك تمتهنها فتكون انتفت فيها العلة فتبقي لا حكم لها .

مسألة :- مالحكم الصور التي تتخذها البنات الصغار؟

نقول هذا لا حرج فيه إن شاء الله لفعل عائشة رضي الله عنها أنه كان لها لعبة على شكل فرس له جناحان وكان النبي ﷺ يقرها على ذلك ، ولكن العلماء يقولون أنه لا ينبغي على أن يكون بها تفصيل زائد كتفصيل بني آدام في وجوهم ، وفي حركاتهم وسكناتهم وأصواتهم ، فلأن تجد أنهم اخترعوا أشياء تقول (ماما-بابا-وتضحك- وتتكلم معك –وبألوان مختلفة) ، وهذا حقيقة وواقع ولا أمزح بمثل هذا التوضيح ، والشاهد الذي أقصده أنه روعي فيها تفصيل زائد لنبي آدام عليه السلام ، فإذا وجد العبد مندوحة عنها فإن تركها لا جرم أنه هو الأولي وإلا فباب الصغر قد وسع فيه ما لا يوسع في غيره ، ولا جرم أن الطفل قد يطأ هذه الصورة ويرميها ، ويصفعها ، فتكون صورة ممتهنة وليست معظمة ، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلي الرسالة المذكورة آنفا للعبد الفقير.

أما التصوير المتحرك فقد تتبعت أقوال أهل العلم فيه ولم يتبين لي أنه محرم ، بل الأدلة تنص على تحريم التصوير الثابت .

ولتعلم أخي الكريم أن التصوير لا خير فيه مطلقا .

وأما الشيخ محمد ابن عثيمين رحمه الله تعالى يوصف بأنه يجيز التصوير، ولكن لو تأملت في قوله لوجدت أن الشيخ يشترط فيه شروطا لا يعمل بها هؤلاء، والشيخ محمد ليس لمثلي ولا لأمثالي أن ينقضوا فتواه ، ولكن اعلم أن الناس سوف يأخذوا أول الفتوي في هذا الزمان وينسوا الشروط جميعا فإذا غلب على ظنك أنهم سيأخذون أوائل الفتاوى ويتركون

الشروط فامنعه من باب سد الذرائع ، فباب سد الذرائع أتاح الله فيه للمفتي منع ما هو حلال بالأصالة حتي يكون سياجا عن الوقوع في الشرك ، فبعض الناس قد يفتي بالجواز بشروط ثم ينسب الناس إليه الجواز ولا يذكرون شروطه ، فالشيخ ابن عثيمين يقول لا يجوز لو كانت ستتخذ لذكري ، فكأن خلافنا مع الشيخ وكأنه خلاف لفظي ،ثم قال الشيخ محمد أما إذا كان لضرورة فجائز ، ونحن أيضا نقول لو كان لضرورة فجائز.

وقد يسأل البعض عن هذه الابتسامات التي منتشرة على مواقع التواصل الاجتماعي (تويتر – وغيره....)من وجه يضحك ووجه يبكي ،؟ فنقول هي معبرة عن تعابير الوجه فالظن والله اعلم أنه ليس هناك شيء يخرجها عن هذا الحكم(التحريم) ولا حاجة لها ولا ضرورة فلا تجوز والله أعلم .

....

مسألة:- بعض الناس قد يقول "في ذمتي" و"في عيوني " فما حكم قول مثل هذا ؟ أقول وبالله التوفيق :-

هذه مسألة مجملة وقد تقرر عند العلماء رحمهم الله تعالى أن الألفاظ المجملة تفتقر في إثبات أحكامها إلي التفصيل فلا بد أن نستفصل قائلها ، فإذا قصد قائلها أن ذمتي تتحمل الأثار المترتبة على عدم صدق هذا الخبر فلا حرج ،الله خلق هذه الزمم وجعلها آهلة وصالحة لتحمل ، ولذا قال أن أخبرك بهذا وهذا في ذمتي ، أي أن كل أثر يترتب على عدم صدق هذا الخبر فأنا أتحمله فهذا لا حرج بذلك ، وأما إذا كان يقصد بقوله "في ذمتي" أنه ينوي في قلبه أنها لفظ من ألفاظ اليمين فإن هذا لا يجوز فذمة المخلوق مخلوقة، والقاعدة أنه لا يجوز الحلف بالمخلوق ، وإن كان هذا اللفظ مما يوهم

فحينئذ ينبغي سد الذرائع في هذا الباب وترك هذا اللفظ لفظ يوهم التشريك ، وكما قال الناظم " وكل لفظ أوهم التشريك فاحذره لا تنطق به بفيك " ، فمثل هذا القول أن قصد به أنه يتحمل كل الأثار المترتبة حتي وإن كانت في أبنائي أو في أهلي فهذا لا حرج فيه ويكون من باب التحمل ، ولكن ينبغي للإنسان إذا كان يقصد الدعاء فلا يجوز له أن يدعوا على نفسه ولا على أولاده ولا على أمواله ، لما في صحيح الإمام مسلم من حديث جابر قال قال رسول الله ﷺ " لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم فتوافقوا من الله ساعة لا يسأل فيها عطاء فيستجاب له" ، ولكن لا نقول بدخولها في حيز الشرك الأصغر إلا إذا كان يقصد بها اليمين المتقرر عند العلماء أن "الأمور بمقاصدها ""والأعمال بنياتها" ، وهذه فائدة نرجو أن نفيد بها وهي :- أن الألفاظ قد تدخل في مسمي اليمين لا باعتبار مبناه اللفظي وإنما باعتبار مقصودها

مثل لفظ " على الطلاق " مثلا فهو ليس من ألفاظ اليمين ، ولكنه اكتسب حكم اليمين بالنية، ومثاله أيضا قول الرجل لزوجته " إن خرجتي من باب الدار فأنت طالق" فهذا ليس والله ولا بالله ولا تالله ولكنه اكتسب لفظ اليمين وحكمه بالنية ، وهناك من الألفاظ ما نجعله داخلا تحت حكم اليمين باعتبار مقاصد أصحابه ،

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى :-

" ...."

الكلام على هذا البيت في جمل من المسائل مختصرة وإلا فالكلام عليه يطول ولكن نحاول أن نختصر ما استطعنا :-

المسألة الأولي :- الشؤم :-

هو كراهية الشيء ، واللفظ الدارج على الألسنة غالبا ما يسمونه بالطيرة ، فالطيرة والشؤم شيء واحد ،وقد عرف العلماء رحمهم الله تعالى الطيرة بأنها توقع الخير أو الشر من مصدر لا دليل عليه شرعا ، واخترت هذا التعريف حتي لا نقول بمريء ولا مسموع أو بمكان أو زمان ، فتدخل كلها بقولنا بمصدر لا دليل على سببيته شرعا ،

المسألة الثانية :-

لقد تقرر عند العلماء رحمهم الله أنه لا يجوز للعبد أن يعتقد أن هذا الشيء سببا لهذا الشيء إلا بدليل

المسألة الثانية :-

لقد تقرر عند العلماء رحمهم الله أنه لا يجوز للعبد أن يعتقد أن هذا الشيء سببا لهذا الشيء إلا بدليل ، إما دليل شرعي(دليل الكتاب والسنة) ، وإما دليل قدري (التجربة والعادة والحس) ، فمن اتخذ سببا لم يدل عليه لا شرع ولا قدر فيكون بذلك قد أشرك شركا أصغر، وبناء على ذلك فالله جل وعلا لم يجعل من مصادر الشر الأزمنة ، ولم يجعل من مصادر الشر أمكنة ، ولم يجعل من مصادر الشر شهر، ولم يجعل من مصادر الشر يوما ، ولم يجعل من مصادر الشر بوما ولا غرابا ولا غير ذلك ، فلا يجوز للعبد أن يتوقع وجود الشر برؤية شيء إلا وعلى ذلك دليل من الشرع، وقد كان العرب في جاهليتهم بسبب فساد اعتقادهم يعتقدون أن البومة مصدر من مصادر الشر، وأن شهر صفر مصدرا من مصادر الشر، وأن الغراب والحداء مصدر من مصادر الشر، فلما بعث الله نبيه ﷺ نفي على لسانه

جميع هذه المعتقدات الجاهلية ، ففي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر" والشاهد منه قوله " ولا طيرة " فهذه نكرة دخلت عليها لام النفي وقد تقرر عند العلماء أن إذا دخلت عليها لام النفي فإنها تفيد العموم والاستغراق ، فجميع الشؤم منتف شرعا وجميع الطيرة منتفية شرعا ، وأما قوله " ولا هامة " فالهامة هي البومة ، وقد كان العرب يعتقدون أن البومة إذا وقعت على بيت أحد أو خيميته أو جداره فإن ثمة جلل ومصيبة سوف تقع في هذا المكان وكذلك كانوا يعتقدون في الغراب كما كان يقول الشاعر

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك نبأنا الغراب الأبقع ، وهذا داخل في عقيدتهم في الاستقسام أيضا بالأزلام ، فهم يجعلون أشياء لا دليل على سببيتها يجعلونها مصادر يتوقعون منها الخير أو يتوقعون منها الشر فجاءت الشريعة ناسفة ذلك كله ،

قال الناظم :- " لا شؤم لا عدوي ولا صفر ولا هام فتلك وساوس الشيطان " فهذا إنما يلقيه الشيطان على قلوب بعض الناس بسبب ضعف توكله وسوء ظنه بالله ، وضعف إيمانه وجهله بعقيدة أهل السنة والجماعة، فإذا كل هذا منتف شرعا ،

المسألة الثالثة :-

"من اعتقد أو تشاؤم ، أو تتطير في شيء فقد وقع في الشرك الأصغر" هذه حفرة لا بد أن يقع فيها ، فكل من اعتقد في شيء أنه مصدر لشر، أو أنه مصدر لشر أو لجلب الخير فإنه قد وقع في الشرك الأصغر، ولذلك يقول

الناظم هنا " والأصل أن الشؤم شرك أصغر " وهذه هي القاعدة المتقررة أنفي التشاؤم أو التطير أنه شرك أصغر، ثم قال "وإنه في بعضه لأكبر" اعلم أيها الحبيب أن التطيروالشؤم ينقلب من كونه شركا أصغرإلي كونه شركا أكبرإذا اعتقد أن هذا الشيء المتَطير أو المتشائم به هو الذي يجلب الخيرأو يجلب الشربذاته ، وعلى ذلك وردت الأدلة في وصف الطيرة بأنها شرك كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " الطيرة شرك ،الطيرة شرك ، الطيرة شرك " ، قال ابن مسعود وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل " فهي شرك أصغرإذا اعتقد أنها مجرد أسباب وأن الله هو الذي يجلب الخيرات ويدفع المضرات ، وشرك أكبرإذا اعتقد أنها هي الفاعلة بذاتها فهي التي تجلب الخيربذاتها أو تدفع الشربذاتها ، فهذا شرك أصغر، فإذا اعتقد أنها(الطيرة أو التشاؤم) أنها مجرد أسباب فشرك أصغر لشهادة الدليل بأنها شرك أصغرلأنه اعتقد سببا ما ليس بسبب ولأنها وسيلة من وسائل الشرك الأصغر، وتكون شركا أكبرضارب في اعتقاد وحدانية الله جل وعلا في أنه هو المدبروالمتصرف في هذا الكون على الحقيقة وهذا شرك في الربوبية أثمر شركا في الألوهية .

المسائلة الرابعة :-

" الجمع بين قول النبي ﷺ " ولا طيرة " وبين الحديث في الصحيح قوله ﷺ " إن كان الشؤم في شيء ففي المرأة والدابة والدار" وقال أيضا ﷺ " الشؤم في ثلاثة " وذكرهذه الثلاثة ، فكيف أن النبي ﷺ ينفي الطيرة والتشاؤم بلا النافية للجنس وفي أحاديث أخرى يثبت أن الشؤم قد يثبت في بعض الأعيان فقد يظن البعض أنهما متعارضين في الظاهر؟ نقول وبالله

التوفيق ، لقد اختلفت عبارات أهل العلم رحمهم الله تعالى في الجمع بين ذلك على أكثر من سبعة أقوال قد استوفاها الإمام العلامة الشوكاني رحمه الله في "نيل الأوتار"، وأصح هذه الأقوال هو ما اختاره الإمام مالك رحمه الله تعالى ، وارتضاه الشيخ العلامة الألباني أن الجمع بينهما يكون بقاعدة العموم والخصوص ، فقوله " لا طيرة" هذا نفي لكل أنواع الشؤم ، وقوله " الشؤم في ثلاثة " هذا إثبات لوجود الشؤم في هذه الأمور الثلاثة ، ولكن لا بد من التنبيه على أمور :-

الأمر الأول :- أن تعلم أن هذه الأشياء إنما اكتسبت هذا الشؤم بقدر الله جل وعلا فالله خلق هذه الأعيان موجبة لضرر من يقرب منها أو موجبة لشؤم من لمن يقترب منها ، فهي لم تكتسبها اكتسابا ذاتيا والعياذ بالله لا وإنما الله هو الذي خلق هذه الأعيان وخلق فيها هذا الشؤم الله هو خالق الذوات وهو خالق الصفات ،

ويكون الشؤم في المرأة :-

بعسر أخلاقها ، وعدم انقيادها وطاعتها لزوجها ، وبكثرة نشوزها ، وبالتعاون مع زوجها أو مع أمر زوجها بالمعصية ونهيه عن المعروف ، ولذلك يقول الله جل وعلا "يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم " فعداوة الزوجة والولد لك تكون إذا كان معطلا لك عن الخير وآمرا له بالمنكر فهذا في الحقيقة عداوة لأنها تبعدك عن الله جل وعلا والجنة وتقربك من الشيطان والنار، فهذا شؤم في المرأة ، فكم من الناس كان ذو لحية وثوب قصير محافظ على الصلاة ودورس العلم وما أن تزوج

هذه المرأة إلا وأشغلته عن طاعة الله جل وعلا بجمالها وبسلاطة لسانها وكثرة مشاكلها وهذا هو الشؤم في هذه المرأة ، فلو أن هذا الرجل طلق هذه المرأة ليجتنب هذا الشؤم فإنه لا حرج عليه ولا يكون ممن دخل في دائرة الشرك الأصغر، فهذه المرأة بهذه الأخلاق وهذه الطبائع مشؤمة فابتعد عنها ، كزوجة عمران ابن حطان وكان من طلبة العلم وكان من حفاظ الحديث ولكن تزوج امرأة جميلة وهي من الخوارج وكان قصدها في زواجه بها أن يهديها لمذهب أهل السنة ، ولكنها صارت أعظم منه شخصية حتي أضلته هي إلي مذهب الخوارج حتي امتدح قاتل على ابن أبي طالب رضي الله عنه وهو الذي قال تلك الأبيات اللعينة الخبيثة " يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ...." إلي أخر الأبيات " فقائل هذه الأبيات عمران ابن خطان يمدح الخوارج ويمدح من قتل على ابن أبي طالب رضي الله عنه ، فزوجته هذه امرأة مشؤمة ، ولذلك يقول النبي ﷺ " فاظفر بذات الدين تربت يداك" ، وزوجة لوط عليه السلام كانت مشؤمة أيضا لأنها كانت قوادة ومشركة ولم تؤمن بنبي الله لوط ، وكانت تدل الرجال على الرجال والعياذ بالله ، وكذلك امرأة نوح عليه السلام أيضا كانت امرأة مشؤمة ولذلك أنزل الله جل وعل في بيان شؤمهما قوله " إلا عجوزا في الغابرين " وقال الله " ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتهما " يقول العلماء لم تخنهما بالفاحشة ولكن خانتهما في دينهما لأنهما كفرتا بهما ولم تقبلا منهما الدعوة .

وأما الشؤم في الدار:- فيكون بكثرة المشاكل التي تصيب العائلة بعد الانتقال في هذه الداروكثرة الفتن والقلاقل والبلايا التي تصيب هذه

العائلة فلو أنهم كانوا في دار قديمة وكثيرعددهم قليلة مشاكلهم ثم انتقلوا منها إلي دار أخرى كثرة فيها أمراضهم ، وتنوعت فيها بلاياهم ، وعظمت فيها مصائب ، ثم تركوا هذه الدار اجتنابا لشؤم الذي خلقه الله فيها فحينئذ لا حرج عليهم ، وفي سنن أبي داود جاء إلي النبي ﷺ يقول يا رسول الله إنا كنا في داركثيرعددنا كثيرة أموالنا ، ثم انتقلنا بعدها إلي دار قل فيها عددنا وقلة فيها أموالنا قال ﷺ" ذروها ذميمة " والحديث حسن ،أي إنها دارذميمة فأمره النبي ﷺ أن يجتنب هذه الدار، فالإنسان لو ترك هذه الداروانتقل لغيرها من باب مكافحة هذا الشؤم فلا حرج عليه وهذا من الأشياء التي نص الدليل أنه لا حرج عليه فيها ولا يدخل في الشرك الأصغرولا الأكبر،

والشؤم في الدابة :-

كالسيارة لدينا الأن فكثرة الأعطال فيها ، فلول أن الإنسان كان لديه سيارة قديمة لا تصيبها أعطال ، ولا يصيبه فيها حوادث ولا شيء ، ثم انتقل إلي سيارة جديدة فكثرة أعطالها واحتاجت التصليح ، وكثرفيها الحوادث ، فحينئذ لو باعها اجتنابا لهذا الشروالشؤم فلا حرج عليه ، ولأن نفسه سوف تكرهها وكراهته لها هوهذا الشؤم فانبعاث كراهيته لهذه السيارة أو لهذه الدابة أولهذه المرأة فهذا لا حرج عليه في ذلك فول انتقل عن هذه الأشياء الثلاثة مجانبة لهذا الشؤم المخلوق فيها فهذا لا حرج عليه في ذلك ، والأقوال الأخرى التي ذكرها الإمام الشوكاني وغيره كلها يجمعها أنها نقلت قول النبي " ﷺ " لا شؤم " من حقيقته إلي مجازه ، وكلها نرد عليها بقولنا أنفي الكلام الحقيقة ولا يجوز الانتقال عنه إلي مجازه إلا بدليل ، وقد تقرر

عند العلماء أنهم حمل الكلام على ظاهره والأصل هو البقاء على الظاهر ولا يجوز الانتقال عن الظاهر إلي المعني المرجوح إلا بدليل ، ولكن القول الذي رجحته هنا ورجحه جمع كبير للمحققين فيه إبقاء كبير لهذا اللفظ على ظاهره وحقيقته وهي أن الله يخلق في بعض الأعيان شؤما وأضرارا توجب الضرر والشؤم والكراهية لمن اقترب منها فالإسلام لك أن تجتنبها وأن تبتعد عنها ولا حرج عليك في ذلك ،

ولقد قسم العلماء رحمهم الله تعالى الشؤم إلي ثلاثة أقسام باعتبار المتشائم به :-

1 – تشاءم بمريء

2- تشاؤم بزمان

3- تشاؤم بمكان0

4- تشاؤم بمسموع .

فالتشاؤم بالمريء كعادة الجاهلية أن يروا طائرا بومة أوغرابا أو من أنواع الطيور التي تتشاءم منها العرب فحينئذ يجد في قلبه كراهية لوقوع هذا الغراب ،أوهذه البومة على بيته ، أوبيت أحد من جيرانه ، فيعتقد الشر أو يتصور أن هذا علامة شر فكل هذا تشاؤم بما لم يجعله الله جل وعلا سببا لوجود الشر فيه ، أو أن يكون مصدرا لشر،

فإذا أحجم عن سفر من الأسفار لرؤية غراب أو توقع الشر على أهل هذا البيت بومة مثلا مرت على هذا البيت أو وقفت على جدارهم فهذا هو التشاؤم المنهي عنه شرعا ،

و التشاؤم بالزمان :- أن يصيب الإنسان حادث في زمان معين وكلما مر عليه هذا الزمان يتذكر هذه الحادثة أو يكره مرور هذا اليوم عليه وهذا من التشاؤم ، ويدخل في ذلك ما يسمي " بحفل النكسة " لانتكاس الدول ، فالاستعمار الغرب لم جاء وغلب بعض الجيوش الإسلامية في بعض الدول الإسلامية والعربية فيسمون هذا اليوم " يوم النكسة " فإذا جاء نفس اليوم من كل سنة ينكسون أعلامهم ويعلونون ويقفلون حوانيتهم ويجعلون هذا اليوم يوم حزن وهذا من باب التشاؤم ولكن نوعه " تشاؤم بالزمان " ، وقد أخرج النبي ﷺ هذا الأمر ببديل جديد جدا وهو قوله ما من مسلم تصيبه مصيبة ثم يتذكرها بعد زمان فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون إلا كتب له أجره يوم أصابته " أو كما قال ﷺ ، وهذا مخرجا للعبد قد يلق الشيطان في قلبه شيئا من هذه الكراهية إذا مر عليه نفس اليوم الذي أصيب فيه ، فحينئذ يخرج المؤمن هذا الوارد بمثل هذه الأذكار التي تحزن الشيطان وتغضبه فيحرص الشيطان في العام القادم أن لا يذكرك لأنك تفزع إلي الله مباشرة فلا يريد هو أن يكون سبيلا إلي فزعك إلي الله .

والتشاؤم بالمكان :- مثاله أن يصيب الإنسان بحادث في شارع من الشوارع في طريق من الطرق في مدينة من المدن ثم يتشاءم الإنسان من هذا الأمر فلا يمر طيلة حياته على هذا الشارع تذكر هذا الأمر وكرهه ، أو توقع حصول مثله إذا مر عليه ، فهذا أيضا تشاؤم محرم ومنهي عنه ، فإذا لا

يجوز للعبد أن يتشاءم مطلقا لا تشاؤم بمريء ولا تشاؤم بزمان ولا تشاؤم بمكان الله لم يجعل البومة ولا الغراب ولا هذه المرائيات سببا لحصول الشروإنما وقع الشرعليك قدرا من الله جل وعلا ، ولكن وافق نزول القدر عليك في هذا الزمان ، أووافق نزول القدرعليك في هذا المكان ، أووافق نزول القدرعليك عند رؤية هذا الشيء فقط ، فلا يجوز للمؤمن أن يربط شيئا بشيء إلا وعلى ذلك الربط دليل إما من الشرع وإما من القدر،

مسألة:- كيف نجمع بين قول النبي ﷺ "لا عدوي " وبين قوله ﷺ " فر من المجذوم فرارك من الأسد " وقال ﷺ " لا يورد ممرض على مصح " أي لا يجوز للمرض مرضا معديا أن يدخل على أناس أصحاء ، وبين قوله ﷺ في الطاعون عافنا الله وإياكم من كل سوء وبلاء " إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليها وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها فرارا منه " وهذا يدل على أن هناك عدوي ، فكيف نجمع بين الأدلة التي تدل على أنه هناك عدوي ، والأدلة الدالة تنفي العدوي ؟

الجـــــواب نقول وبالله التوفيق:-

اختلفت مسالك أهل العلم رحمهم الله تعالى في الجمع بين ذلك وأصح الأقوال أننا نقسم العدوي إلي قسمين :-

1- عدوي ابتدائه

2- عدوي انتقاليه .

والعدوي الابتدائية هي ذلك المعتقد الفاسد الجاهلي الوثني الذي كان كفارقريش يعتقدونه ، وهي أنهم كانوا يعتقدون أن العدوي تنتقل بذاتها من غير قدرالله جل وعلا ، بمعني أن العدوي تنتقل من المريض إلي الصحيح لا بقدرالله وإنما بذاتها وهذا شرك في الربوبية ،المتقرر عندنا أنه لا مدبر، ولا متصرف لهذا الكون ولا لأحواله إلا الله جل وعلا ، فأزمَة تصريف هذا الكون بيده جل وعلا ، فهذا هو الذي نفاه النبي ﷺ ، فالعدوي المنفية بقوله " لا عدوي " فنقول هي العدوي الابتدائية ، وهي أن تعتقد أن العدوي تنتقل بذاتها بدون تقديرالله جل وعلا وهو اعتقاد يوصل صاحبه إلي الشرك الأكبر، ويدل على أن العدوي المنفية هنا هي العدوي الابتدائية هي أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم لما سمع هذا لكلام من النبي ﷺ ينفي العدوي " لا عدوي " أشكلت عليه فقا يا رسول الله إنا نجد النقبة تقع بمشفرالبعير(تلك الحشرة) تقع على البعير فيجرب فتجرب لذلك الإبل ، فقال ﷺ " فمن أعدي الأول "فالذي قدرالبلاء على الأول هو الله جل وعلا ، فالذي قدرعليه العدوي ابتداء هو الذي قدرجرب الإبل بعده انتقالها ، فأراد النبي ﷺ أن يثبت بقوله

" لا عدوي " لا يريد بها العدوي الانتقالية بقدرالله وإنما أريد بها العدوي الابتدائية وهو ذلك المعتقد الذي كان يعتقده أهل الجاهلية .
وأما الأحاديث الأخرى التي تفيد وجود العدوي فهي تثبت وجود العدوي الانتقالية ، ولكن يجب علينا أن نعتقد أن العدوي تنتقل من المريض إلي الصحيح بقدر الله أيضا ، فإذا لا يمرض العبد ابتداء إلا بقدرالله ،

ولا ينتقل المرض منه إلا الصحيح إلا بقدر الله جل وعلا ، فالعدوي ابتداء وانتقالا لا تخرج عن كونها مقدورة لله جل وعلا مدبرة له ، وهذا هو التوحيد الصافي الذي نسأل الله أن يثبتنا عليه إلي أن نلقاه ، فمن لقي الله بهذه العقيدة السليمة فإنه من أهل الجنة بإذن الله وإن أصابه قبل دخول الجنة ما أصابه، فقد يموت العبد على عقيدة سليمة ولكن عنده شيء من الذنوب والمعاصي فلا يغفر له ثم يعذب في النار بقدر ذنوبه ولكن لا يخلد أحد في النار ممن معه أصل هذه العقيدة السليمة الصحيحة فهذه هي النجاة ، وهو التمسك والاستمساك بغرز هذه العقيدة نسأل الله أن يثبتنا جميعا عليها الثبات الكامل ، فالعدوي المنفية هي العدوي الابتدائية ، والعدوي المثبتة هي العدوي الانتقالية .

مسألة :-

كيف يدافع العبد تلك الواردات في قلبه فإن العبد ضعيف فربما يرد في قلبه بعض الواردات التي قال فيها ابن مسعود " وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل " أي يجد شيئا من هذا الشؤم ، فكيف ندفع هذه الواردات التي يلقيها الشيطان على قلوبنا وعقولنا يريد أن يفسد عقيدتنا في هذه الأشياء التي يتطيربها الناس من مريء أو مسموع أو زمان أو مكان ؟ نقول بعدة أمور :-

1- تكميل مراتب التوكل على الله جل وعلا فإن ما أعظم ما عولجت به هذه الطيرة التوكل على الله وأن تمضي في الأمر وأن تمضي على قصد سبيلك ولا يعطلنك أو يصدنك عن ذلك شيء أبدا ، لا

بقول سمعته ، ولا بشيء رأيته ، ولا بزمان ، ولا بمكان ، بل امض قُدما متوكلا على الله جل وعلا عازما ، عزيمة المؤمن الصادق الذي يعلم أنه ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطئه لم يكن ليصيبه ، فأعظم ما دوفعت به الطيرة هي تحقيق مقامات التوكل على الله جل وعلا ، كما قال الله تعالى " وعلى الله فليتوكل المؤمنون " " وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين " " ومن يتوكل على الله فهو حسبه " ولذلك في الحديث عن الحديث عن الفضل قال " من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك "وفي الحديث الأخر الذي يصح موقوفا " إنما الطيرة ما أمضاك أوردك" فإذا رأيت شيئا ثم ردك وأثناك عن عزيمة سفرك فهذا خطر فاحذر، وقد ذكرت هذه المسألة مفصلة في كتابي " إتحاف أولي الألباب "،

ومثال على ذلك لو عزم العبد على سفر ثم سمع رجلا يقول له يا خاسر ولا يقصده هو ولكنه سمع كلمه خسارة ، أو يا خائب ثم يقول هو لنفسه أعوذ بالله لن أسافر

ومنه أيضا قول بعض العامة "يا نهار أسود" وقول بعضهم" أما من يوم رأيت وجهك وما رأيت الخير" فكل هذه من العبارات التي تدل على وجود التطير، فإذا ردت الإنسان الطيرة بغض النظر عن سببها إما مسموع ، أو مريء ، أو زمان ، أو مكان ، فهذا دليل على أن قلبه ضعيف في توكله على الله ، فيجب عليه أن يتوكل على الله ،

الأمر الثاني :- أن يؤمن العبد الإيمان الجازم بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطئه لم يكن ليصيبه ، وأن كل شيء بقضاء وقدر ، وهو مرتبة الإيمان بالقدر، فلابد أن يؤمن العبد بالقضاء والقدر الإيمان الجازم الكامل ، أن يعلم أنه لو اجتمع من بأقطارها على أن يضروه بشيء ما كتبه الله عليه ما استطاعوا ، وأن يعلم أن بمن بأقطارها لو اجتمعوا على أن يردوا عنه خيرا كتب الله وصوله إليه فإنهم لن يستطيعوا ، فمن عنده خلل في مسألة الإيمان بالقضاء والقدر هذا هو الذي يصيب قلبه الطيرة والشؤم والعياذ بالله .

الأمر الثالث :-

أن يعلم العبد العلم اليقين أن الذي يملك النفع والضر والملكية المطلقة المتناهية إنما هو الله جل وعلا ، فالله جل وعلا يقول " قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله " فالله جل وعلا هو الذي يملك النفع والضر، وإن كان النبي ﷺ فهو لا يملك ذلك كما قال الله جل وعلا " قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله " فإذا العباد كلهم عن بكرة أبيهم لا يملكون شيئا من ذلك وإنما الله هو الذي يملكه وحده جل وعلا لا شريك له في ذلك ، وهذا من جملة الإيمان بمقتضيات ربوبية الله جل وعلا ، فمن زعم أن البومة أو الغراب أو هذا الزمان يملك شيئا من ذلك فقد اختل إيمانه بهذه العقيدة العظيمة .

ومما يدفعه عن القلب أيضا أن يعلم العبد أنها من إيحاءات عدوه الذي لا يريد به إلا الشروهو الشيطان فتلك الوساوس إنما هي مما يلقيه الشيطان على قلب العبد وروحه يريد بها أن يضله وأن يبعده عن الصراط المستقيم ، وأن يضعف سيره إلي الله بإضعاف قلبه ، فإذا عرفت أنها من إلقاء عدوك فلن تحسن الظن فيه وتقول " والله ما أراد لي إلا الشر " لا لا فالله تعالى يقول إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير " ، فالله جل وعلا لم يكتف بالإخبار بعدواته بل أمر بأن نتخذه عدوا ، فالكثير للأسف من الناس يعرف عداوة الشيطان ولكن يتخذه حميما وصديقا ، والله أمرنا بالأمرين أخبرنا وأمرنا ، فمن الناس من لا يقف عند حدود الخبر فقط فاحتاج إلي أن يؤمر.

الأمر الرابع :-

إحسان ظن العبد بربه جل وعلا وأنه لا يريد به إلا خير، فالطيرة حقيقتها سوء ظن بالله جل وعلا ، فهذا لا يجوز فالله جل وعلا ذم الذين يسيئون الظن به وتوعدهم العقوبة البليغة قال الله " الظانين بالله ظن السوء " فمن ظن السوء أن تعتقد أن الله سيصيبك بمكروه كلما مر عليك هذا الزمان، أو سيصيبك بمكروه كلما مررت على هذا المكان وهذا سوء ظن بالله ، والواجب على المسلم أن يحسن ظنه بربه ، يقول النبي ﷺ كما في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة في ما يرويه عن ربه جل وعلا " أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ..." الحديث ويقول ﷺ كما في صحيح الإمام مسلم من حديث جابر " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله "

،

الأمر الخامس :-

التسلي بالألفاظ النبوية الواردة في دفع هذه الواردات فإن النبي ﷺ قد أمرنا عند ورود هذه الواردات أن نقول بعض الأذكار التي تعيننا على إزالة ذلك ، فمثلا إذا رأيت شيئا تكرهه فقل " اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك "" أو لا إله غيرك " مثل هذه الألفاظ مما يعين القلب والعقل والروح على تخطي هذه المرحلة ، والله تعالى أعلم .

مسألة :-

التفريق بين الشؤم المنهي عنه وبين الفائل :-

فالفرق بينهما أن نقول أن المراد بالشؤم هو الذي يكون سببا في مضيك أو رجوعك فهذا شؤم ، فأنت مثلا كنت لا تريد السفر هذا اليوم فسمعت رجلا يقول يا مفلح ،يا ناجح ، يا رابح فسافرت والذي دفعك لسفرهو سماع هذه الكلمة فهذا هو الشؤم لأنها أمضتك ، فالقاعدة " إنما الطيرة ما أمضاك أوردك " وعلى ذلك استقسام المشركين بالأزلام فإنهم كانوا يأتونا إلي حجر في أحدهما امضي ، والأخر لا تمضي ، والثالث فارق ، ثم يرميها فإن خرج له حجر امضي يمضي ، وسبب مضيه ليس توكلا على الله تعالى وإنما اعتمادا على هذا السبب ، وهذا هو الشؤم ،لكن الشؤم لا يكتسب صورة الانكفاف فقط لا فأحياننا الشؤم يكتسب صورة الإقدام ، فهو لا يقدم إلا بهذا السبب ولا يحجم إلا بهذا السبب وهذا هو الشؤم المنهي عنه .

وأما الفائل فهو أن يكون عازما على السفر أصلا فهو مسافر لا محالة وعزم على السفر ولكنه سمع كلمة أضفت على قلبه وروحه شيئا من اللذة والراحة لا تدفعه لسفر هي لا لا وإنما بعثت الراحة الزائدة في قلبه فهو أصلا مسافر فهذا هو الفأل الذي يحبه النبي ﷺ ، وهو الذي من أجله أن النبي ﷺ كان يغير بعض الأسماء التي توجب الشؤم ، فكان يغير بعض الأسماء التي توجب الشؤم إلي أسماء حسنة سواء أسماء الرجال ، أو أسماء الأماكن كما هو معلوم في السنة ، الشاهد أن الفرق بين المضي الذي يدخل في دائرة الشؤم ، والمضي الذي يدخل في دائرة الفائل هي العزيمة من عدمها ، فإذا كنت عازما على المضي قدما أصلا وأنت مسافر أصلا لكن سمعت كلمة أضفت على قلبك راحة واطمئنانا وأريحية فهذه من عاجل بشري المؤمن بإذن الله جل وعلا وهي الفائل المحبوب المراد بقول النبي ﷺ "إني أحب الفائل وأكره التشاؤم " ، وأما إذا كان الدافع والسبب الرئيسي لسفرك هي هذه المرئيات، أو المسموعات فإن هذا هو الشؤم .

مسألة :-

هناك قاعدة عظيمة جدا عند أهل العلم رحمهم الله تعالى وهي " أن الحوادث الأرضية منفصلة عن الحوادث التي تكون في السماء إلا بدليل رابط " فلا يجوز لنا أيها المسلمون أن كل شيء يحدث في الأرض من ريح ، أو مطر، أو تغبير جو ،أو تغير مناخ أن ننسبه إلي شيء حدث في السماء إلا بدليل ذلك أمر غيبي والأمور الغيبية تحتاج إلي أدلة ، وأصل هذه القاعدة ما في الصحيحين من حديث زيد ابن خالد الجهني رضي الله عنه قال صلي بنا رسول الله ﷺ على إثر سماء كانت من الليل فلما سلم التفت إلينا

فقال" أتدرون ماذا قال ربكم ؟ "قالوا الله ورسوله أعلم قال " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب "

والأحاديث والأدلة على عدم تأثير النجوم ، وحركاتها والأفلاج كذلك وحركاتها لا تدل لا من قريب ولا من بعيد على هذه الحوادث الأرضية التي تكون في الأرض من رياح عاتية أو أعاصير أو زلازل أو براكين ، أو غبار، أو شدة برودة ، أو شدة حرارة ، فالأصل عدم الربط وهذه هي قاعدة في، ولكن من باب التفصيل قسم العلماء رحمهم الله تعالى هذا الربط بين الحوادث الأرضية مع الحوادث السماوية العلوية إلي ثلاثة أقسام ، فإذا حدث شيء في الأرض ثم ربطه بعض الناس بشيء في السماء فلا يخلو من ثلاثة أقسام :-

1- أن ينسب هذا الحادث نسبة إيجاد وخلق وتقدير لهذا الشيء الذي في السماء ، فيقول مثلا أن النجم الفلاني هو الذي خلق هذه الرياح وأوجدها ، والأفلاك الفلانية ، أو غروب الفلك الفلان هو الذي أجري هذه الرياح وأوجدها استقلالا ، فإذا كانت نسبة الحوادث الأرضية إلا الحوادث السماوية نسبة خلق وإيجاد وتقدير وتدبير أو تصريف فهذا شرك أكبر وهو شرك الصابئة الذين بعث لهم نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام فإنهم كانوا يعتقدون في الأفلاك أنها هي المدبرة للعالم ، ولا يزال الفلاسفة يعتقدون أن الأفلاك السبعة هي التي تدبر العالم وهي التي جمعها الناظم بقوله

" زحل شرا مريخه من شمسه فتزاهرت لعطارد الأقمار"

شرا (المشتري) ، مريخه(المريخ) ، من شمسه(الشمس) ، فتزاهرت (الزهري) وهذا الكوكب من أعظم الكواكب التي يعتقدون فيها ، الأقمار(القمر) ، فهذه الكواكب السبعة هي التي الكواكب التي يعتقد فيها الصابئة أنها تدبر أمور هذا العالم وعلى ذلك من اعتقاد الفلاسفة ، ولذلك جاءت الأدلة بإبطال ذلك في قوله " فأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافربي مؤمن بالكوكب " ، فإذا نسب هذا الحادث الأرضي إلا الحادث السماوي نسبة إيجاد وخلق وتدبير وتقدير فهذا شرك أكبر.

2- إن نسبه نسبة سبب فقط فيقول أن الله هو الذي يجري الريح وأن الله هو الذي يدبر الأمور ويقدرها ولكن من جملة أسباب هذه الرياح أو من جملة أسباب المطر خروج النجم الفلاني ، و حركة الفلك الفلاني فهذا شرك أصغر.الله لم يجعل حركة الأفلاك سببا لنزول شيئا من ذلك وإنما هذا ينزل بقدرالله استقلالا ولا شأن لنا بحركات الأفلاك ، فلا يجوز لنا أن ننسب هذا الحادث ولو مجرد نسبة سبب لهذا الحادث السماوي ، وقلنا أنه شرك أصغرلعلتين :- اعتقاده سبب ما ليس بسبب لا قدرا ولا شرعا ،وسيلة من وسائل الشرك الأكبر.

3- وهي التي عليها غالب الناس أن يربط هذا الحادث الأرضي بما ثبت في الشرع والقدر توقيته لهذا الحادث السماوي ، بمعني أنه لا يربط نسبة إيجاد وإحداث ولا نسبة سببية وإنما نسبة توقيت فقط ، بمعني يقول أنه لو

طلعت الثريا فإن كل عاهة عن الزراعة ترتفع أي أن الزرع بعد خروج نجم الثريا يأمنا العاهة ، لا الثريا هي التي ترفع العاهة استقلالا ولا أن خروجها سببا من أسباب ارتفاعه ولكن قدرالله في كونه أن يكون خروجها وقتا لارتفاع العاهة ، وكذلك قولهم خروج نجم سهيرينزل فيه المطر وهم لا يعتقدون أن سهيل هو الذي ينزل هذا المطر استقلالا ولا أنه سبب من الأسباب وإنما هي مجرد نسبة توقيت فهذه لا حرج فيها أن شاء الله ، وإن كان تركها هو الأولي من باب البعد عن مواطن الشبه إلا أنها لو حدثت من إنسان وفسرلنا مقصده بأنه لا يريد سببية ، ولا إيجادا فإنه لا حرج عليه ، فالقاعدة الأم تقول " لا يجوز لأحد أن يربط حادث أرضيا بحادث سمواي إلا بدليل " ، ولكن إذا حدث وربط فلا يخلوا من ثلاثة أحوال:-

1- إما أن يربطه ربط إيجاد وخلق وتقدير فهذا شرك أكبر.

2- وإما أن يربطه نسبة سبب فهذا شرك أصغر.

3- وإما أن يربطه نسبة توقيت فهذا لا حرج عليه في ذلك ، ومنها أيضا التنجيم ، ويدخل في ذلك مسألة مهمة وهي مسألة مهمة ، وقد قال فيها الشيخ محمد رحمه الله باب ما جاء في التنجيم " وهو الاعتقاد في النجوم ، ونقسم أيضا الاعتقاد في النجوم إلي ثلاثة أقسام :-

1- أن يربط الحوادث الأرضية بهذا النجم أو هذا النوء نسبة إيجاد وتقديروخلق فهذا شرك أكبر

2- أن يربطه نسبة سبب فهذا شرك أصغر

3- يربطه نسبة توقيت فهذا لا حرج عليه ، ولكن لا بد أن تدل العادة أو يدل الدليل على أن هذا وقت لهذا وهذا لا حرج فيه ، وهذا كله من باب سد الذرائع لأننا نعتقد اعتقادا جازما أنه لا مدبرولا متصرف ولا مدبر على الحقيقة في هذا الكون إلا الله فهو الذي يحي استقلالا ، وهو الذي يميت استقلالا ، وهو الذي ينزل المطر ، ويجري السحاب استقلالا ، وهو الذي يأتي بالرياح استقلالا ، ولذا نحن مشروع لنا عند هبوب الرياح والخوف منها أن نربطها وننسبها إلي ربها مباشرة لا ننسبها إلي نجم ، ولا ننسبها إلي شيء أخر ، وكذلك عند حدوث المطروهو حادث سماوي مباشرة بالتوحيد .

" مطرنا بفضل الله ورحمته " ثم قال " اللهم صيبا نافعا " وهذا من باب تكميل مراتب التوحيد والاعتقاد .

ومن الذي ينبغي التنبيه عليه أيضا بعض الناس قد يتشاءم باللون الأسود فإذا راء امرأة تلبس أسود يقول ما هذا هل عندكم عزاء ومأتم؟ فهذا من باب التشاؤم .

فينبغي على الدعاة والعلماء أن ينبهوا على مثل هذا الأمر (التطير) فكم من إنسان يحمل بين جنابته أشياء كثيرة من التشاؤم وهو لا يشعر.

....

قال الناظم وفقه الله:-

" واعلم بأن الشرع مبنى على ركنين الإخلاص لرب اعتلا وقفو آثار النبي المصطفي فلتتبع لا تبتدع كمن جفا "

والكلام على هاذين البيتين في جمل من المسائل:-

المسألة الأولي :-

اعلم أن العلماء مجمعون على أن الأعمال والتعبدات لا ترفع إلي الله جل وعلا إلا إذا توفرفيها شرطان :-

1- الإخلاص 2- المتابعة لنبي ﷺ .

فلا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم صوابا على سنة المصطفي عليه أفضل الصلاة وأزكي التسليم ، يقول الله جل وعلا " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحد " ذكر الله هنا أنه من كان يرجوا النجاة في الأخرة فإنه فلا بد أن يتوفر في عمله أمران ، الأول " أن يعمل عملا صالحا " والعمل الصالح هو ما وافق السنة ، الثاني "ولا يشرك بعبادة ربه أحد" فالعامل إذا كان مخلصا لله ولكن أوقع عمله على غير الصفة الشرعية فإن عمله مردود ، وإذا أوقع عمله على الصفة الشرعية ولكن على غيروجه الإخلاص فإن عمله مردود ، كما قال الإمام فضيل بن عياض في قول الله جل وعلا " الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا " قال رحمه الله أحسن العمل أخلصه وأصوبه ، قالوا يا أبا علي وما أخلصه وأصوبه قال " إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإن كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتي يكون خالصا صوابا ، والخالص ما كان لله والصواب على وفق سنة النبي ﷺ ، وقد قال الله تعالي" قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله أعبد

مخلصا له ديني " ويقول الله جل وعلا " وما أمر إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة " ويقول الله تعالى " فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص " ، وفي الصحيحين من حديث عمر رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرى ما نوي فمن كانت هجرته إلي الله ورسله فهجرته إلي الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلي دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلي ما هاجر إليه " والأدلة في هذا الباب كثيرة ،

وأما المتابعة فمن أدلتها قول الله جل وعلا " الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الآية والآية بعدها ، ويقول الله جل وعلا في آيات كثيرة "وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول " وقد أخبر الله تعالى أن الهداية كل الهداية في طاعة محمد ﷺ ، فقال الله جل وعلا " وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين " وقد أجمع العلماء رحمهم الله تعالى على أن كل إحداث في الدين فهورد ، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " وفي صحيح الإمام مسلم " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد "

وقد كان النبي ﷺ يُربي صحابته في خطب الجمعة على تحقيق هاذين الشرطين ، ففي صحيح الإمام مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتي كأنه منذر جيش يقول " صبحكم ومساكم " وكان يقول " أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل

بدعة ضلالة " وفي صحيح الإمام البخاري من حديث جابر رضي الله عنه قال جاءت ملائكة إلي النبي ﷺ وهو نائم فقالوا " إن لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقال بعضهم أنه نائم وقال بعضهم عن العين نائمة والقلب يقظان فقال بعضهم مثله كمثل رجل بني دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ، فقال بعضهم لبعض أولوها له يفقهها فقال بعضهم أنه نائم ، وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا الدار الجنة والداعي هو محمد ﷺ فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصي محمد فقد عصي الله ومحمد ﷺ فرق ، وفي رواية "فرَقٌ بين الناس" أي فرق بين المؤمنين والكافرين ،

وفي صحيح الإمام مسلم قال قال رسول الله ﷺ " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي قال ومن يأبي يا رسول الله قال " من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي " ، وفي الصحيين من حديث أبي موسي الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " مثل ما بعثني الله به من الهدي والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعانا لا تمسك ماءا ولا تنبت كلأ فذلك من فَقُه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعل وعلم ، ومثل من لا يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به ..." الحديث ، والأدلة في هذا المقام كثيرة جدا ، فقد تواتر الأدلة من كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله ﷺ على الاهتمام بهاذين الشرطين الإخلاص لله جل

وعلا ، فلا يكون الباعث لك على التعبدات والأعمال إلا إرادة وجه الله جل وعلا والدار الأخرة ، فلا يكن في قلبك محبة لرياء ولا لتسميع ولا لثناء والمدح وإنما يكون عملك خالصا لوجه الله جل وعلا ،

والشرط الثاني :- المتابعة فلا تزد في الأعمال ولا تنقص في صفاتها ، ولا في مكانها ، ولا تحدث شيئا مما يتعلق بها ، وإنما توقعها على ما أوقعوه عليه النبي ﷺ ،

يقول العلماء رحمهم الله تعالى إن الإخلاص والمتابعة بمثابة جناحي الطائر فكما أن الطائر لا يستقيم طيرانه إلا بجناحين فكذلك أيضا العبادة لا ترفع إلي الله جل وعلا إلا بجناحين (جناح الإخلاص – وجناح المتابعة) ، يقول السلف رحمهم الله " ما من فعلة وإن دقت إلا وينشر لها ديوانان ديوان لما وديوان كيف " أي لما فعلت ، وكيف فعلت ، فالأول سؤال عن الإخلاص ، والثاني سؤال عن المتابعة ، فلا نجاة من الديوان الأول إلا إذا أوقعت عملك لا ترجوا به إلا وجه الله جل وعلا ، ولا نجاة من الديوان الثاني إلا إذا أوقعت العلم على وفق ما أوقعه عليه النبي ﷺ ، وقد انقسم الناس في مسألة الإخلاص والمتابعة إلي أربعة أقسام :-

1- قوم وفقهم الله في جميع أعمالهم لتحقيق الشرطين جميعا ونسأل الله أن نكون منهم ، فلا يعبدون الله إلا على وجه الإخلاص والمتابعة.

أناس خذلهم الله فلم يحققوا شيئا من الشرطين مطلقا ، فلا لديهم إخلاص ولا متابعة كمن يرائي في الذبح لغير الله تعالى كما قيل (حشفا

وسوء كيله) فلا هي عبادة أصلا بل هي شرك ، ومع ذلك يدخله الرياء ، فلا لديه إخلاص ولا لديه متابعة .

2- أناس عندهم إخلاص لله تعالى وتفاني وقلوبهم محبة لله ولا يقوم في قلوبهم إلا الإخلاص ، ولكنه المشكلة لديهم أنه ليس لديهم متابعة كسائر أهل البدع الذين عندهم إخلاص في بدعته يريد أن يرضي الله جل وعلا بهذه البدعة ، فعنده مبدأ الإخلاص ولكن أعماله وقعت مخالفة للمشروع للمتقرر في شريعة محمد ﷺ فهذا لا ثواب لعلمه .

3- أناس عندهم متابعة وعلى هذا أكثر الناس ، ولكنه المشكلة لديهم خلل في الإخلاص ، كمن يصلي كما صلي النبي ﷺ ولكنه لماذا يصلي ؟ هذا الخلل ، وأناس أخرون يربون لحاهم كما كان النبي ﷺ يربيها ولكن لماذا يربيها ؟ هذا هو الخلل ، أناس أخرون يقصرون ثيابهم ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويعلمون العلم ، ويؤلفون الكتب ، ويدعون إلي الخير، وخطباء وأئمة مساجد، وعندهم عبادات ويقوعون تلك العبادات على نفس الصفة التي وقع عليها أمر النبي ﷺ ولكن المشكلة لديهم الإخلاص وهذا من أخطر ما يكون في بني آدم ، أعمالهم مردودة، فانفراد شرط الإخلاص عن المتابعة يرد العلم ، وانفراد شرط المتابعة عن الإخلاص يرد العلم ، فلا بد من الأمرين جميعا . وأيضا عبادة الجهاد من أعظم العبادات وأفضل القربات ، وكذلك تعليم العلم وإقراء القرآن أيضا من أعظم العبادات ، وكذلك عبادة الإنفاق في سبيل الله والصدقة في وجوه الخير أيضا من أعظم العبادات ، ولكن انتبه لما سيأتي ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو من أعظم الأحاديث وقعا على قلوب أهل الحياة ، قال النبي ﷺ " إن أول من تسعربهم النار وفي رواية أول الناس يقضي عليه يوم

القيامة رجل استشهد (مات بين الصفين في الجهاد سبيل الله تعالي) فأتي به فعرفه نعمه فعرفها (بعثه الله بين يديه وأخبره بها نعمة القوة ونعمة الجراءة والشهادة فعرفها ذلك الرجل) قال " فما عملت فيها قال يا رب هذه النعم قاتلت فيك حتي استشهدت ، ولكن هذا ظاهرك في الدينا للمخلوقين أما علام الغيوب فلا يخفي عليه شيء ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) فيقول الله له " كذبت " وفي رواية ثم تقول الملائكة " كذبت إنما قاتلت ليقال جريء وشجاع فقد قيل فأمربه فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار" وقد مات بين الصفين ، والنبي يقول ﷺ " رب قتيل بين الصفين الله أدري بنيته " ، ولذا قال الإمام البخاري في صحيحه باب " لا يقال فلان شهيد " فلا نجزم له بالشهادة ، بل نقول شهيد إذا أراد الله ذلك أو شهيد في علم الله ، أو نحسبه كذلك والله حسبه ولا نزكي على الله أحد ، لأن الجزم بالشهادة لأحد كأنك تجزم له بالجنة ، وأهل السنة لا يجزمون لأحد بجنة ولا بنار إلا من شهد له النص بذلك ، وفي الصحيحين من حديث سهل ابن سعد أن رجل كان من أصاب النبي ﷺ ما كان أعظم وقعا في المشركين منا فما كان يترك فازة ولا شاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه ، فقالنا ما أجزئ أحد منا اليوم كما أجزئ فلان ، فسمع النبي ﷺ ذلك فقال " أما أنه من أهل النار" قال رجل فكدت أن أشك " كيف من أهل النار؟ قال فتبعته فكان كلما وقف وقفت وإذا دخل في القوم دخلت ، حتي أثقلته الجراح(أشرف على الموت) قال ثم وضع زباب سيفه بين ثدييه فتحامل عليه فخرج السيف من وراء ظهره (قتل نفسه) قال فجئت إلي النبي ﷺ فقلت الله أكبريا رسول الله أشهد أنك رسول الله قال " وما ذاك " قال الرجل الذي قلت آنفا أنه من أهل النارفعل كذا وكذا ثم قتل نفسه ، فهذا الرجل ما كان يقاتل في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ولكن كان يقاتل حمية

ورياء وعصبية ، ففي الصحيحين من حديث أبي موسي رضي الله عنه قال جاء رجل إلي النبي ﷺ فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية وشجاعة ويقاتل عصبية أي ذلك في سبيل الله، فنسفها النبي ﷺ جميعا وقال " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " ، ولذلك لا يجوز لأحد أن يشهد لأحد أنه شهيد حتي وإن مات بين الصفين ، وكما ذكرت تبويب البخاري رحمه الله " باب لا يقال فلان شهيد " ثم أخرج بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " ما من مكلوم (مجروح) يكلم في سبيل الله ، والله أعلم بمن يكلم في سبيله ، " فالبعض قد يكلم ولكن ليس في سبيل الله ولكن يريد الغنية أو شيء أخر، قال " والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا بعث يوم القيامة وعليه الدم لون الدم والريح ريح المسك " أوكما قال النبي ﷺ ، فهذا دليل على أن المجاهد إن فسدت نيته ففساد نيته يدخله النارولا يشفع له عند الله أنه مات بين الصفين ، فشرط الإخلاص شرط عظيم جدا ، فاحذرمن أن يرى الله من قلبك خللا ، أورياء ، أو محبة لثاء والمدح ، ويقول الله الناس هذا والله رجل متدين وهذا ذا خلق حسن فانتبه فلا يكون همك في عباداتك إلا إرادة وجه الله والدارالأخرة ، قال " ورجل تعلم العلم وعلمه وقراء القرآن " هذه أعمال عظيمة تعلم العلم وتعليمه ، وقراءة القرآن وإقرائه ، قال " فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن فيقول كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ " فما تعلم لوجه الله ولكن تعلمت بنية فاسدة ، قال " فأمربه فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ، قال ما تركت من سبيل خيرتحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك " فهنا كذبة " لك"

فيقول الله له " كذبت " لأنه أنفق ليمدح ، ويثني الناس عليه ، ويشيرون عليه بالبنان أنك منفق في سبيل الله ، وأهلك أمواله على الفقراء والمساكين ، فيقول الله له " كذبت إنما أنفقت ليقال جواد وسخي وكريم " قال فأمر به حتى ألقي على وجهه حتى ألقي في النار" ، فهذه أعمال عبادية عظيمة حصلت فيها المتابعة ولكنها صارت وبالا على أصحابها لفوات شرط الإخلاص ، فالناس فيها أربعة أقسام :-

(منهم من أوتي الإخلاص والمتابعة نسأل أن يجعلنا منهم – ومنهم من حُرم الشرطين جميعا – ومنهم من توفر عنده الإخلاص دون المتابعة – ومنهم من توفر عنده المتابعة دون الإخلاص) ، وكل الأصناف الأخيرة هذه كلها أصناف هالكة وأعمالها مردودة عليها ، فهذا بإجماع أهل العلم أن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا صوابا موافقا على سنة النبي ﷺ ،

المسألة الثانية :- الأشياء التي تعين العبد على أن ينبعث الإخلاص في قلبه ، فالعبد يحتاج إلي سلوك طريق معينة إذا سلكها بإذن الله فسيوفق بإذن الله لأن يكون من المخلصين وهذه الطرق التي تعين القلب على مرتبة الإخلاص أذكرها لك هنا ، وقد ذكر العلماء أن هناك طرقا كثيرة يجمعها ما يلي :-

1- كثرة دعاء الله جل وعلا بأن يجعلك من المخلصين ، فالقلوب بين أصبعين من أصابيع الرحمن ، فأكثر من دعاء الله أن يجعلك من المخلِصين ومن المخلَصين ، فالمخلِصين في الدينا هم المخلَصون من الشيطان ، والمخلَصون من النار يوم القيامة ، فأنطرح بين يدي الله وأكثر من دعائه سبحانه ، وابك عند عتبة باب الرحمن جل وعلا في أدبار الصلوات وفي

السجود وفي ثلث الليل الأخر ، وعند إفطارك ، فتحري أوقات الإجابة وأكثر من دعاء الله (اللهم اجعلني من المخلصين واجعلني ممن إذا عملوا أخلصوا) وهكذا ، وقد كان سماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز غفر الله له ويعلي درجته على ما ذُكر لي أنه كان يقول " اللهم أصلح نبيتي وعملي " فدائما ما كان يدعوا بذلك ، وذلك لفقهه وعلمه بأن الأعمال لا ترفع ولا تقبل حتي وإن كثرة وتنوعت إلا بصلاح النية والعمل ، وصلاح النية هي الإخلاص ، وصلاح العمل هو المتابعة ، فأكثر من هذا الدعاء في سجودك وذهابك وإيابك (اللهم أصلح نيتي وعملي) فرب دعوة صادقة تخرج من قلب صادق تكون سببا لنجاتك وسعادتك وجعلك من المخلصين إلي يوم القيامة ، فالإخلاص ليس من الأشياء الفطرية فينشئ مع العبد من صغره لا ، إنما أشياء اكتسابيه تكتسبها بكثرة الدعاء والله مجيب الدعوات وقاضي الحاجات وهو الذي يعطي العطايا الباهرات التي لا تكون لك على بال ولا حساب .

2- أن تعلم وفقك الله أنك مأمور بالعبادة وبالإخلاص في العبادة ، فأنت مأمور بالأمرين جميعا وكلاهما فرض عليك ، فمن الناس من يحرص على العبادة فقط ويري أن ذمته بريئة ، لا لا بل إنك مأمور بالعبادة والإخلاص في العبادة ، ولذلك يقول الله تعالى " وما أمر إلا ليعبدوا الله " هذا الواجب الأول ، " مخلصين له الدين" وهذا هو الواجب الثاني ، فإذا العبادة عليك فيها واجبان :- واجب ظاهري وهو إيقاعها على الوجه الذي أوقعه عليها النبي ﷺ ، والواجب الثاني :-واجب باطني وهو أن تكون عباداتك خالصة لوجه الله جل وعلا ، فهما فرضان عليك ، فكيف تنجح في الفرض الأول ثم تخفق في الأمر الثاني وهو الإخلاص فهما واجبان عليك فاستشعرهما دائما. فأنت لست

مأمورا بالصلاة فقط لا بل مأمور بالصلاة وبالإخلاص في الصلاة ، وأنت كذلك لست مأمورا بالصدقة فقط بل مأمور بالصدقة وبالإخلاص في الصدقة . فكلما استشعر العبد أن ثمة واجب أخروهو واجب باطني وعليه مدارصحة الواجب الظاهري، أوقبول العل كله كلما كان ذلك ادعي لانزجار قلبه عن النوايا والبواعث التي تكون سببا في افساد عمله ، فاستشعار الواجبين من الأشياء التي تجعل العبد أنه من المخلصين .

3- أن تعلم أن الحساب يوم القيامة ليس على ظواهر الأعمال وإنما على بواطنها وبواعثها ، ولذلك يقول العلماء رحمهم الله تعالى " إن الأحكام في الدنيا مبينة على الظواهروالسرائر تبع لها ، وأما الأحكام في الأخرة فهي مبنية على السرائروالظواهر تبع لها " ولذلك يقول الله " يوم تبل السرائر" ولذلك في الأخرة قبل أن ينظر الله جل وعلا في الصلاة ينظر أولا في الباعث ونية الصلاة فإن كان الباعث فاسدا ما نظر في أعمالك وسجودك وركوعك وقراءتك للقرآن فلا ينظر في هذا إذا كانت النية فاسدة ، ولذلك يوم القيامة ستكون الفضائح على رؤوس الأشهاد ، ونوايا كثيرة من أناس كنا نحسن بهم الظن في الدنيا بأنهم من المخلصين ولكن إذا كشف المستور وبان المغطى إذا النوايا سوداء كاسدة بعيدة عن إرادة وجه الله وعلا والدار الأخرة ، فانتبه أيها الحبيب لا يكون فساد نيتك سبب لرد أعمالك يوم القيامة وعدم النظر فيها بسبب سوء طوية ، أو فساد نية أسررتها في نفسك فالله يعلم السر وأخفي .

4- أن تؤمن الإيمان أن الله مطلع علي نيتك وقصدك وباعثك ، مهما أخفيته عن الناس ، ومهما حاولت أن تستره فالله لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، فكما أنك تحسن صلاتك في الظاهر فيجب عليك أيضا أن تحسن محط نظر

الرب في الباطن ، فإن الله لا ينظر إلي أجسادنا ولا إلي صورنا ولا إلي أموالنا ، وإنما ينظر إلي قلوبنا وأعملنا ، فيجب علينا أن نصفي محط نظر الرب جل وعلا ، فمهما أخفيت عن الناس من الرياء ومحبة الثناء والمدح فإنك تخفيه عن أناس لا يملكون لك موتا ولا حياة، ولا نفعا ، ولا ضرا ، ولا ثوابا ، ولا عقابا ، ولكن لا تسطيع أن تخفي نيتك وقصد عن الله جل وعلا ، فالله يعلم السروأخفي ، ويعلم ذات الصدور " إن الله عليم بذات الصدور " أي ما يقوم في الصدور من الكلام والنوايا والبواعث والمقاصد فالله عليم بها فالسرعنده جل وعلا علانية ولا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، ويقول الله " يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور " فالنوايا وإن حاولت أن تخفيها عن الناس ولكن الله جل وعلا عالم ومطلع ويقيد عليك ذلك حتي تحاسب به يوم القيامة .

5- النظربتدبروتأمل وتمعن في تلك النصوص الزاجرة عن الرياء ، وفي النصوص العظيمة الدالة على حرمته ، وعلى شدة عقوبة أهله ، فإن القلب إذا نظرإلي هذه النصوص التي تزجرالقلوب عن هذا الأمرفسيكون إن شاء الله من المخلصين ، إذا لا يمكن أن يكن ثمة عاقل يسمع هذه الأحاديث المحذرة من هذا الأمروالمزلق الخطيرثم بعد ذلك يتقهم فهل هذا معقول من العبد ؟ فكيف يسمع العبد مثل هذه الأحاديث وقول النبي ﷺ " من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا لينال به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة (أي ريح الجنة حرام على أنفه) لفساد نيته فضلا عن دخولها أصلا ، ويوم القيامة تنصب صحفا كثيرة بين يدي الله جل وعلا فيقول الله لملائكته " اقبلوا هذه وردوا هذه " فتري ما في الصحف التي ردت فتقول الملائكة وعزتك وجلالك ما رأينا إلا خير صلاة وصوم فيقول الله " إن هذا قد

ابتغي به غيروجهي وإني اليوم لا أقبل من الأعمال إلا ما ابتغي به وجهي "
فليحذرالعبد ، فتأمل العبد لهذه النصوص من الكتاب والسنة فحينئذ
سوف يكون ذلك من أعظم الزواجروأبلغ ما يبعد قلبه عن مثل ذلك ،

6- الإكثارمن سيرالسلف الصالحين الذين بلغوا في الإخلاص مبلغه وعلت
رتبتهم في الإخلاص العلو الكبيرويتأمل الإنسان في كلامهم وألفاظهم وعباراتهم
وفي هديهم كيف كانوا يتعاملون مع الإخلاص ، فهذا أبو بكر رضي الله عنه
يقول " والله لا آمن مكرالله وإن كانت إحدى رجلي في الجنة " وهذا دليل على
كمال المراقبة وكمال الخوف من الله جل وعلا ، وكان عمررضي الله عنه يسأل
حذيفة من شدة إخلاص عمروخوفه من الرياء والنفاق يقول أنشدك الله يا
حذيفة أعدني رسول الله ﷺ من المنافقين ، وهذا محمد ابن واسع رحمه الله
يقول لو أن أستطيع أن أصلي نافلة ركعتين في موضع لا يراني ملكاي فيه
لفعلت ، من باب شدة تحقيق الإخلاص ، فيرد أن يختفي عن عين الملائكة حتي
يوقع ركعتين في مكان لا يراه فيه غلا الله جل وعلا ، وهذا من أعظم ما يكون ،
وقد كان بعض السلف إذا أطفأ السراج ونام بجوار زوجته يتذكرظلمة القبر
،أو تعرض لقلبه الأمر المحزن قال فيبكي حتى تبتل وسادته ولا تعلم زوجته
ببكائه ، وليس كمن إذا بكي علم الكل ببكائه وسمعه القريب والبعيد لا ،
فينغي للعبد أن يرد ما استطاع ويبعد ذلك عنه ما استطاع لأنه ربما يكون
مبدأ الإخلاص لكن يسترسل العبد معه حتى يوقعه الشيطان في شراك الهوي
، فقد يكون بعض الناس تغلبه دمعته ويبكي ولكن إذا بكي راء أن الناس قد
خش لبكائه فزاد قليلا فزيادته الثانية هذه لا تكون لله ، والله اعلم ما يقوم في
قلب العبد ، وقد كان بعض السلف له صدقة على بعض بيوت الفقراء ولا

يدري من هو فكان يأتي قبل الفجر فيدفع الصدقات للفقراء عند أبوابهم فإذا فتحو أبوابهم وجدوا تلك الصدقات ولا يجدون من وضعها إلا إذا قيل صلوا على جنازة فلان ثم تنقطع تلك الصدقات فيعلمون بعد موته أن فلان كان هو صاحب الصدقة ، وقد كان بعضهم يوصي من يغسله ويقول إذا رأيت على شيء من أثر الخير فاكتمه فذلك بيني وبين الله ولا تشهر بي مما رأيت من خير علي ، فأنظر إلي هذه الدرجة العالية بعد الموت يبحثون عن الستر ويريدون أن يكون بينهم وبين الله تعالي، فمن يطلع على سير هؤلاء القوم العظماء الذين حققوا أعلي الرتب في مسائل الإخلاص فحينئذ يهوي قلبه أن يقتدي بمثل هؤلاء ويشمر عن ساعد العزيمة والجد في أن يصل إلي شيء من المراتب التي وصل إليها هؤلاء ، فنسأل الله أن يجعلنا من المخلصين ،

مسألة:-

ماحكم العمل إذا دخله الرياء ؟ يقول العلماء رحمهم الله تعالى إن العمل إذا دخله الرياء فلا يخلو من حالتين : -إما أن يكون هذا الرياء من أصل العمل ، فمنذ أن دخل المسجد ونيته أصلا فاسدة قبل تكبيره للإحرام فهذا عمله كله حابط ، ولو أن العمل حبط لمصل هذا الرجل بدون عقوبة لكان الأمر هين ولكن عمله حابط ومعاقب عليه يوم القيامة ،

الحالة الثانية :- أن يطرأ الرياء عليه طروا ليس من أصل العمل ، فأصل عمله لله تعالى ولكن طرأ عليه شيء جعل نيته تتحول ، فهذا الطارئ إما أن يدافعه العبد عن نفسه ويستعيذ بالله منه ولا يرضي به ويحاول أن يخرجه من قلبه فهذا مأجور وليس بمأزور بل هو داخل في قول الله تعالى " والذين

جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين " وإن الشيطان ليلقي على قلب العبد شيئا من ذلك ولكن إذا دافعه العبد ولم يسترسل معه ولم يرض به ولم يسر به أو يعمل بمقتضاه فهذا لا حرج عليه ولا شيء بل هو مأجور على هذه المجاهدة ،

الأمر الأخر:- هو من يقذف الشيطان في قلبه شيء من الرياء ثم يسترسل معه ويرضي به ولا يجاهده ويعمل بمقتضاه ويسير معه ، فهذا يكون عمله حابطا ، سواء كان صحة أوله تنبي على صحة أخره أو لا ، المهم أن هذا العمل الذي وقع فيه الرياء حابط والعياذ بالله تعالى ، فالله يجعله هباء منثورا لا ينفع صاحبه في يوم القيامة .

مسألة :-

لماذا ننبه دائما على أهمية الإخلاص لله تعالى ونعيد الكلام فيه ونكرره ونزيده ونغير الطرح فيه فبعض الناس قد يمل من كثرة الكلام على هذا الأمر ؟ نقول للعبد أن لا يمل ولا يكل عن سماعه ولا من طرحه ولا من تذكير نفسك به فالأشياء التي تجعلنا نتكلم عن الإخلاص ونعظم أمره عدة أمور : -

1- هو أساس العمل فإذا كان الأساس مهتزا فالعمل يكون غير مقبول فكلمنا دائما على الإخلاص لحرصنا على المحافظة على أساس العمل ، فالله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان قائما على ساق الإخلاص فالإخلاص هو أساس العمل ، وأصل العمل ، وأرضية العمل ، فلو بنيت بيتا على أساسات مهتزة هذا سوف يسقط البيت يوما ما ، ولكنك لو

أصلحت الأساسات وضبتها واهتممت بها وحافظت على بقائها سليمة ووضعت بعض العوازل عليها فلا تتآكل ولا يأتيها الصدأ ، فلا بد أن نحرص على الأساسات قبل بناء باقي الطوابق من البيت ، فلا يكون حرصا فقط على الفروع وهي الأعمال لا بل لا بد أن يكون حرصا على الجذع الذي يبني عليه هذه الفروع ، وعلى الأصل الذي يبني عليه هذه الفروع ولأن الإخلاص هو أساس العمل فهذا يجعلنا نتكلم عنه كثيرا ونهتم به كثير.

2- شدة عقوبة من أخل به .

3- الإخلاص هو عمل الملك(القلب) والأعمال هي عمل الجنود (الأعضاء) ، فإذا طاب الملك طابت الجنود وإذا خبث الملك خبثت جنوده ، فإذا رأيت خبثا في بعض الجوارح والجنود فاعلم أن ذلك لخبث يرجع في القلب ، فإن الجوارح لا تعمل ولا تتصرف ولا تقوم إلا بما يأمرها به القلب ، وهذا هو الذي جعل النبي ﷺ يقول " ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب " ، ويقول ﷺ " التقوي ها هنا " فقل الأشياء التي تصدر من الجوارح هي من ثمرات التقوي المجودة في القلب ، فلا بد أن نكمل على إصلاح عمل الملك (القلب) الذي به قوام هذا البدن ، وصلاح هذا البدن ، وإما أن نصلح البدن أو العين ونترك الشيء المهم ونترك القلب فاسدا لا لا بل هو الأهم فاقبل على إصلاحه أولا ، فلأنه محط نظر الرب ولأنه عمل الملك ومنه تنبثق جميع الأعمال فلا بد أن نهتم به اهتماما كثيرا ،

ومن المسائل على هذا الباب أيضا :- ما قرره أهل العلم رحمهم الله تعالى من أن المتابعة لا تكون متابعة كاملة إلا إذا توفر فيها ستة شروط :-

1- متابعة النبي ﷺ في جنس العمل ،فمن فعل عبادة لا جنس لها في الشرع فإن عمله حابط لاختلال شرط المتابعة ، ومثاله :- الصوفية عندهم التعبد لله جل وعلا بالرقص (التمايل ذات اليمن وذات الشمال)، فهل عندنا في شرعنا عبادة تطابق هذا الجنس عند الصوفية ؟ فنقول صدق الله "ألم تري أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا " فتجدهم لا يتعبون أبدا ولا يسقطون من الدوران ، وإذا سقط أحد منهم فيتوهمون ويقولون هذا وصل إلي الحضرة الملكوتية المختلطة بالحضرة الناسوتية وغيرها من هذه الخزعبلات التي عندهم ، ومثال أخر :- ظهر حديثا بمن يجيز التضحية بالأرانب ، والدجاج وهذا ليس له عندنا جنس في الشريعة ، فالتضحية لا تكون إلا ببهيمة الأنعام التي هي (الأبل – البقر–الغنم) فقط ولا يوجد شيء في الشرع اسمه التضحية بالدجاج ، والأرانب ، والمشكلة صدور مثل هذه الفتوي من وزير الشؤن الإسلامية في بعض الدول العربية ، فقال بهية الأنعام سعرها مرتفع وأكثر المسلمين تحت خط الفقر، فلا نحرمهم من هذه الشعيرة العظيمة فاستحسن هذا الشيء ، فأجازلهم الدجاج ليضحي الجميع فاستحسانه باطل ، وهذا مثل رجل أخريريد الإضلال لبني آدم فقال لما تزحمون المسلمين في الحج في هذه العشر الأيام فقط وزعوها على جميع أيام السنة ، فنقسم دولة تحج في محرم ، ودولة تحج في صفر، ودولة تحج في

ذو الحجة ، فلماذا هذا الزحام ، فكل هذه أشياء ليس لها جنس في الشرع ، وكان الذي يتعبد لله جل وعلا بمعاشرة الأفاعي ، فالصوفية يطلبون الكرامات فيرقد مع أفعي ويجلس معها في غرفة يعاينها وتعاينه ، فإذا خرج الصباح سليما فيكون ولي من أولياء الله ، فيجعلونها من جملة كرماته ، ومنهم من يحبس نفسه مع أسد أو نمر أو ذئب أو ضبع ، وأغلبهم يسخرون هذه الوحوش بالسحر فلا تهجموا عليهم لأنهم يسخرونها بالشيطانين والسحر ،ومنهم من يتعبد لله جل وعلا بمعاشرة الغلمان المردة ويروون في ذلك أن النبي ﷺ عاشر غلاما أمرد وهذا كذب وزور وبهتان وموضوع لعن الله واضعه ، ويقولن إن النظر إلي وجه الأمرد الجميل عبادة ، وهذا كله من الدجل والخرافة التي يكذبون فيها على النبي ﷺ ، فتجد أن مشايخهم يجلسون مع المردان ويعاشرون المردان ويبيتون معهم الليالي ، ويفعلون معهم الأفاعيل بحجة أنه يقوم بعبادة ولا يؤثم نفسه بل هو يعتقد في نفيه أنها قربة لله وهذه كلها عبادات لا جنس لها في الشرع. فإذا من فعل شيئا من العبادات لا جنس له في الشرع فقد خالف ، وهذا من أعظم مخالفات جهات المتابعة الست هي المخالفة في الجنس، لأنه يأتي بعبادة لا جنس لها أصلا في الشرع ،

2- متابعة النبي ﷺ في السبب، بمعني أنه لا يجوز لنا أن نربط عبادة بسبب معين إلا وعلى هذه السببية دليل من الشعر ، فلا يجوز اختراع أسبابا نربط بها صياما أو صلاة أو زكاة أو ذكرا أو غير ذلك وليس عليها دليل ، فلا تربط أيها الحبيب عبادة بسبب إلا وعلى هذه السببية دليل ، نحن إذا دخل شهر رمضان جعلناه سببا لوجوب الصوم لأنه قد

دل على هذه السببية دليل وهو قول الله تعالى " فمن شهد منكم الشهر فليصمه " فالله جعل دخول رمضان سببا لصوم ، أيضا زوال الشمس سببا لوجوب الظهر، وغروب الشمس سبب لوجوب صلاة المغرب ، وأيضا نزول حيض المرأة سبب لانقطاعها عن الصلاة والصوم ووطيء زوجها ، فهذه كلها أسباب مقبولة لدلالة الأدلة على أنها سببا ، ولكن لا يجوز لك أنت أيها المكلف أن تحدث وتأتي بأسباب وتربط العبادات بها لأن السببية حكم شرعي والأحكام الشرعية تفتقر في ثبوتها للأدلة الصحيحة الصريحة ،

ومن ذلك أمثلة أوضحها هنا :- قيام ليلة النصف من شعبان وإحياء ليلها ، فهم يعتقدون أنه إذا جاء ليلة الخامس عشر من شعبان يستحب الاجتماع في المساجد فيها وقراءة القرآن والأذكار، وإضاءة الأنوار. ويجعلون لها مراسم وطقوس خاصة تختلف عن سائر ليالي العام ، ويجعلون هذه الليلة سببا لهذا الشيء فهل دل على هذه السببية دليل ؟ نقول لا فليس هناك حديث يصح مرفوعا لنبي ﷺ في إحياء ليلة النصف من شعبان ، فهم اخترعوا سببا لا دليل عليه ، ومثال أخر:- ما يسمي بالصلاة الألفية ويقرأون فيها سورة الإخلاص ألف مرة ، ولذلك سميت الألفية وهي في أول جمعة من رجب من كل عام ، ويجعلون مرور الجمعة الأولي في رجب سببا لإقامة هذه الصلاة ، فنقول هذا مخالفة في السبب فلا يجوز لنا أن نعتقد سببا إلا وعلى هذه السببية دليل من الشرع إذا كان المسألة مسألة شرعية ،

3- متابعة النبي ﷺ في الصفة ، فلا يجوز لنا أن نخترع للعبادات صفات لا دليل عليها ، مثاله :- ما يفعله من يعتقد بمشروعية صلاة القضاء العمري وهي جمع الصلوات الخمس في أخر جمعة من رمضان ، أي قبل أن يظهر هلال رمضان بعد صلاة الجمعة قم وصل خمس صلوات:- الفجر، والظهر، والعصر، والمغرب ، والمغرب والعشاء ، إذا فعلتها فقد تكون قضيت جميع ما فوت من الصلوات في عمرك كله ، ولذلك يسمونها صلاة القضاء العمري ، فهذه تعد مخالفة في الصفة فهذه ليست الصفة التي أمر النبي ﷺ بها ، وكاستعاضة الرافضة عن السلام في الصلاة بضرب الأفخاذ وهذه ليست الصفة التي أمرنا بها النبي ﷺ ، ويدخل في ذلك بدع القبور والمخالفة فيها ، وبدع صلاة الجمعة والمخالفة فيها ، وبدع الأعياد والمخالفة فيها ،

4- متابعة النبي ﷺ في زمان العبادة ، أي إذا أوقع النبي ﷺ العبادة في زمان معين فلا يجوز لنا أن نوقعها قبل ذلك الزمان ولا أن نخرجها عن زمانها بل نوقعها في نفس الزمن الذي أوقعه فيه النبي ﷺ ،

مثال ذلك :- صلاة العبد الظهر قبل زوال الشمس بخمسة عشر دقيقة فتكون صلاة غير صحيحة لأنه خالف في الزمان ، ولو أن العبد بدأ في صيام شهر رمضان قبل دخوله فنقول هذا لا يكون مجزئ عنه ولا مبرأ لذمته ، ولو أن العبد وقف في عرفة في اليوم الثامن أو العاشر من ذي الحجة فنقول وقوفه غير صحيح وغير مقبول ، وكذلك لو رمي جمرة العقبة في اليوم الثالث أو في اليوم الرابع عشر من ذي الحجة نقول غير

صحيح ، فالشريعة حددت أزمنة للعبادات فلا يجوز لك أن تخرج هذه العبادة عن زمنها المقرر لها شرعا .

متابعة النبي ﷺ في مكان العبادة ، فإذا حدد الشارع ﷺ للعبادة مكانا معينا فلا يجوز لك أن توقعها في غير هذا المكان إلا بإذن من الشرع ،

مثاله :- الصلوات الخمس المفروضة حدد الشارع لها مكانا وهي أن تقام في المساجد فهذا هو مكانها ، فلا يجوز لك أن تقيم الجماعة في غير المسجد ما دمت قادرا على الوصول إلي المسجد لصلاة مع المسلمين ، ومثاله أيضا :- في يوم العاشر من ذي الحجة ترمي جمرة العقبة لو أن العبد استبعد بعد مكان جمرة العقبة الكبرى فرمي الجمرة الصغرى فهل تكفية ؟ نقول لا لا يجزئه لأن هذا ليس هو المكان الذي رمي فيه النبي ﷺ في هذا اليوم ، بل في أيام التشريق هي موعد رميها الصحيح الذي رمي فيه النبي ﷺ لكن في اليوم العاشر لا ترمي إلا جمرة العقبة فقط ، فهكذا نعلم أن هذه الشريعة مبنية على الانضباط و التحديد ، وتربية النفوس على مراعة الأمكنة والأزمنة ، فالشريعة تربي المسلم على الانضباط ، فلو وجدت عبدا فيه انفلاتا فاعرف أنه عنده خلل في قضية معرفة مقاصد الشريعة في تحديد العبادات زمانا ، ومكانا ، وصفة ،ومقدارا ،

مثال أخر:- يقول ابن تيمية رحمه الله " وأجمع العلماء أنه لا يطاف بشيء من أجزاء الأرض إلا الكعبة فقط ، فلو طاف الإنسان حول أي شيء من أجزاء الأرض فإن الله جل وعلا لا يقبل هذا الطواف بل

الطائف به يقع في مسمي البدعة أو الشرك ، لأن الطواف عبادة قد حددت الشريعة لها مكانا وهو حول البيت العتيق ، قال الله " وليطوف بالبيت العتيق " ، وكذلك التقبيل ، قال ابن تيمية رحمهم الله وأجمع العلماء أنه لا يشرع تقبيل شيئا من اجزاء الأرض إلا الحجر الأسود ، فلو قبل العبد السياج الذي على سياج الأولياء أو قبل جدران الحرم ، أو قبل جدار الكعبة ، كل ذلك من البدع لأن التقبيل إذا كان مبناه العبادة فلا يقبل إلا في مكان واحد من هذه الكرة الأرضية فقط وهو الحجر الأسود

؛ وهي التي يلغز العلماء فيها لغزا ويقولون : عبادة تنفرد بها عن سائر المسلمين في الأرض ما هي ؟ فنقول تقبيل الحجر الأسود ، فعند تقبيلك للحجر يكون أنت وحدك الذي تقبل في هذا الوقت ، أي تكتب عند الله الأن وعند الملائكة أنه لا يفعل أحد في الأرض إلا فلان ابن فلان ،وهذا شرف عظيم ، ولذلك كان يحرص ابن عمر رضي الله عنه على التقبيل حتي ربما كان من شدة زحامه مع الناس يسيل أنفه دما ، ولكن خالفه أبوه عمر رضي الله عنه فقد كان النبي ﷺ يقول له يا عمر إنك رجل قوي فلا تزاحم الناس عند الحجر وقد تقر عند العلماء أن كل سنة يؤدي فعلها غلا مفسدة خالصة أو راجحة فالمشروع تركها كما ذكرنا في ضوابط قواعد الحديث ، فكل هذه مخالفات في المكان ،

ولما رأي ابن عباس رضي الله عنه يستلم أركان البيت كلها (الركنين الشاميين – والركنين اليمانيين) فقال ابن عباس ، أما الركنيين اليمانيين فحسن ويشرع لهما الاستلام ، ولكن الركنيين الشاميين فجاء

ابن عباس بجواره وقال يا أمير المؤمنين أنه لا يستلم من البيت إلا الركنين اليمانيين فقال معاوية يا ابن عباس أنه ليس شيء من البيت يهجر ، وهذا رائه رضي الله عنه فقال ابن عباس يا أمير المؤمنين أليس لك في رسول الله أسوة حسنة فقال له صدقت يا ابن عباس صدقت يا ابن عباس، وانتهت الحجة فهذا هو حال أصحاب النبي ﷺ أنهم يقبلون الحق ويتركون أراءهم ومذاهبهم من أجل متابعة الدليل ، فالشاهد أن ابن عباس وجد أن معاوية خالف في قضية مكان عبادة ، فالمسح ليس هذا مكانه ، بل مكانه في الركنيين اليمانيين ،

ولو قال قائل وتقبيل الركن اليماني هل نقبله ؟مخالفة في المكان لأن القبلة التي تقصد بها العبادة خالفت في مكانها ، لأن الركن اليماني يستلم فقط وهذه السنة فيه لا يقبل ولا يشار إليه إذا عجزت ، وأما الحجر الأسود فإن فيه جمل من السنن إن استطعت أن تقبله بلا مفسدة فقبله ، وإن لم تستطع أن تقبله فاستلمه بيدك وقبل يدك ، وإن لم تستطع أن تستلمه بيدك فاستلمه بعصا أو محجن كما ثبت في الصحيح وقبل ما استلمته به ، فإن لم تسطع فاشر إليه ولا تقبل لأنك لم تستلم شيئا من الحجر فما تقبل إذا ؟ فهذا لا يجوز ،

5- متابعة النبي ﷺ في مقدار العبادة ، فلا يجوز لك أن تزيد عن المقدار المحدد لك شرعا ، فلو زاد العبد الظهر خمسا وقال الزيادة خير وأنا الأن نشيط وفارغ فنقول لا لا يصح وصلاته باطلة لمخالفته للمقدار، ولو أن الإنسان أخرج كيلين في صدقة الفطر فنقول أنه لا يكتب عند الله إلا أنك أخرجت صاعا واحدا ، وأما الصاع الثاني فلا يجوز لك أن تنوي

واجبا وإنما أن تنوي به صدقة لأن الواجب لا يزاد عليه ، فالواجب عليك صاع واحد لا تزيد عليه ولا تنقص ، وكذلك التسبيح في أدبار الصلوات قد حدده النبي ﷺ وكان أكثر تحديده ثلاث وثلاثون تسبيحة وثلاث وثلاثون تحميده وأربع وثلاثون تكبيرة هذه أكثر شيء كما في حديث كعب ابن عجرة في صحيح الإمام مسلم وغيره ، فإذا لو قال العبد أن أزيد على التسبيح ليكون مائة ، فنقول لا زد على التسبيح بغير نية أن ذكر بعد الصلاة تنوي به الشيء المطلق نعم لكن لاتزد على الشيء المشروع ، إذا هذه يسمونها جهات التعبد الست ،

متابعة النبي ﷺ في :-(جنس العبادة – سبب العبادة – صفة العبادة – زمان العبادة – مكان العبادة – مقدار العبادة) من حقق في العبادات هذه الجهات الست فإن عمله يوصف بأنه قد تابع فيه النبي ﷺ ، ولو أنك تأملت أحوال أهل البدع في العالم العربي والإسلامي لوجدت أن جميع البدع ترجع إلا مخالفة في واحدة من هذه الست ، فمنهم من عنده مخالفة في الجنس ، ومنهم عنده مخالفة في اختراع الأسباب ، ومنهم من عنده مخالفة في .. وهكذا اختراع الأسباب وفي قضية الصفة ، وهكذا في سائر الأمور الست ، فلا تجد بدعة في العالم الإسلامي والعربي تفعل سواء من بدع الأعياد وبدع القبور ، أو بدع العزاء ، وغيرها من البدع المنتشر في العالم الإسلامي والعربي إلا وتجد العلة في ابتداعها هي مخالفة واحدة من هذه الجهات الست ، يقول الناظم "

واعلم بأن الشرع مبني على ركنين الإخلاص لرب اعتلا وقوفي

(متابعة) أثار النبي المصطفي فلتتبع رسولك لا تبتدع كمن جفا (أبعد)

عن طريق الحق والهدي " .

مسألة :- قرر العلماء أن الأمراض قسمان ، أمراض روحية غيبية ، وأمراض حسية ظاهرة ، والتداوي منها يختلف بحقيقتها ، فالأصل في التداوي في الأمراض الحسية فمبناه على التجربة .فمثل نقول ارتفاع درجة الحرارة في الرأس يسكنها علاج مثلا مثل (البندول) أوغيره مما عرف لمثل هذا الألم ، ولكن ليس دليل من الكتاب والسنة يدل على "البندول "يسكن ألم الرأس ولكنه مرضي حسي فمبني أدويته على التجربة ، ولذلك هذا الدواء عن الأمراض الحسية يقبل وإن كان من الكفرة ، بل غالب الأدوية الموجودة الأن إنما أنتجها الكفرة ، لأن المرض الذي نريد التداوي منه إنما هو مرض حسي (أي له أسباب معلومة معينة قد تري بالمجهر كالبكتريا وغيرها) ، وأما الأمراض الاخرى فهي أمراض روحية أسبابها غيبية وهي الأمراض التي تخص الجن من العشق ، ومن الأذى ، فبعض الناس يتلبسه الجان بسبب العشق أوبسبب الأذى، أوبسبب العين والحسد ، أوبسبب السحر . فهذه التداوي فيها وقف على ما أثبته الشرع ، فالتداوي من الأمراض الروحية توقيفي على ما أثبته الشارع .والتداوي الحسية مبناه على التجربة ، فهذا الرجل أصيب بعين إذا الله جعل لنا فرجا ومخرجا من داء العين وهو إما أن تأخذ أثر من العائن وتضعه على جسدا ماء كان أوغيره ، وإما أن ترقي نفسك الرقية الشرعية ، ولكن ليس هناك ثمة شيء ثالث كما يدعيه البعض من الأشياء التي لا أصل لها كأن

يبول على العائن ، أويصلي على العائن صلاة الجنازة فكل هذا من التداوي الذي لا أصل له ، وعند العوام يقولون (خم مكانه)أويقولون (اغسله بماء وملح) الذي طاح به وسقط فيه ، فنقول أين الدليل ليس هناك دليل ، فإن قيل كيف نقول كيف تمنعه وقد ثبت أثره ؟ نقول لا ليس كافي ، لأن الشيطان الخبيث يتدخل وهو أن وجود هذا المرض وبقائه ليس بأحظ على قلب الشيطان على دخول البدعة في قلبك واستقرارها ، ولذلك الشيطان خبيث يريد أن يخدع ، ولذلك أحيانا تأتي بطريقة بدعية فيأتي الشيطان ويبعد أثره عن هذا المصاب حتي يخدعك بأن هذه الطريقة نافعة جدا. فالشيطان لا يضره أن هذا يصح أو هذا يمرض ، ولكن أحب شيء إليه وجود هذه البدعة وتقررها في قلبك ، ثم أنت تذهب تنقلها ويتناقلها الناس ثم تنتشر حتي يهرم عليها الكبير ويشب عليها الطفل الصغير فتكون متقررة في قلوب الناس .

الأمر الثاني:- وهي أنه ليس كل دواء تحقق سببه يكون مشروعا ، أو لا يحصل الشفاء أحيانا على أيدي السحرة والكهنة !!! فهل هذا دليل على جواز الذهاب لسحرة أو الكهان ،؟ الجواب لا ، فهب أنك فعلت هذا فحصل فيه الشفاء هل هذا دليل على أنه جائز. الجواب لا فإذا خلاصة الجواب أن الشيء الذي نريد أن نتداوى منه هل هو من الأمراض الحسية ذات الأمراض المعروفة أم من الأشياء الغيبية (الروحية) ؟ من الروحية إذا نقول لا بد أن يكون دوائها توقيفيا ، ولو تحقق الأثر فيمنع أيضا لأن الشيطان يخادع ولأنه ليس كل شيء تحقق مقصوده يكون مشروعا في ذاته .

ولتنتبه أيها الحبيب إلي أمروهو أنه قد يكون الأمر الواحد قد ارتكب فيه عدة مخالفات من عدة أوجه من أوجه المتابعة .

....

يقول الناظم وفقه الله تعالى :-

" أثبت صفات الرب إثباتا بلا تكييف أو تحرف أو تأولا "

اعلم رحمك الله تعالى أن مذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات مفصل في ثلاث نقاط : -

1 – الإثبات

2- النفي

3- في مالم يرد فيه دليل بخصوصه .

1- مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات يقولون " أهل السنة والجماعة يثبتون لله جل وعلا من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله ﷺ في صحيح سنته إثباتا من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " وهذه هي عقيدتنا في الإثبات .

2- عقيدتنا في النفي في فرعان :- الفرع الأول :- أن يجب علينا أن ننفي عن الله جل وعلا ما نفاه عن نفسه من الأسماء والصفات في كتابه ، أو نفاه عنه رسوله ﷺ في صحيح سنته .

الفرع الثاني في النفي :- أن نثبت لله جل وعلا كمال الضد لصفة المنفية، لأن مذهب أهل السنة والجماعة هو وصف الله جل وعلا بالنفي الذي يتضمن ثبوتا ، فكل صفة نفاها الله عن نفسه ففيها واجبان :-

الأول :- أن تنفي هذه الصفة بخصوصها .

والواجب الثاني :- أن تثبت لله جل وعلا كمال ضدها ، فتنفي عن الله تعالى صفة الظلم لكمال عدله ، وتنفي عن الله تعالى صفة اللغوب لكمال قدرته وقوته سبحانه ، وتنفي عن الله صفة الصاحبة والولد لكمال أحديته وغناه عن كل أحد سبحانه ، وتنفي عن الله جل وعلا السنة والنوم لكمال حياته وقيوميته جل وعلا ، وهكذا . فكل صفة نفاها الله في القرآن ، أو نفاها عنه نبيه ﷺ في صحيح سنته فالواجب عليك أن تنفي ، وأن تؤمن بكمال ضد هذه الصفة المنفية، لأنه لا بد من إثبات الضد ، لأن عامة أهل البدع يصفون الله جل وعلا بالسلوب المحضة التي لا تتضمن ثبوتا ،

السلوب: - (النفي) فهم يقولن املأ الدنيا نفيا في صفات الله تعالى ولكن احذرمن أن تثبت صفة وجودية واحدة وقالوا أن الله لا داخل العالم ولا خارج العالم ، ولا فوق ، ولا تحت ، ولا يشم ، ولا يرى ، ولا يتكلم ، ولا ولا ولا ، فهم يقولون املأ الدنيا نفيا ولكن احذرمن أن تثبت صفة واحدة .

وإذا نظرت إلي هذا النفي وجدته نفيا لا يتضمن صفة كمال ، إذا قلت الله لا داخل العالم ولا خارجه فهذا نفي فهل يتضمن كمالا ؟ الجواب لا ، بل إنك تصف الله في الحقيقة بالمعدومات لما قلت أنه سبحانه لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا حي ، ولا ميت ، ولا جاهل ولا عالم ، ولا موجود، ولا معدوم ، فتكون قد وصفت الله جل وعلا بالممتنعات التي يفرض وجودها الذهن فقط ولا وجود لها في الخارج أبدا ،

إذا النفي المحض الذي لا يتضمن ثبوتا هذا لا يدخل في صفات الله جل وعلا ، ولذلك كل صفة منفيه فليس المقصود منها النفي فقط لا بل المقصود منها النفي متبوعا بإثبات كمال الضد ، قالوا ولأنه ليس كل نفي لصفات النقص يدل على ثبوت الضد ، إذا أنك قد تنفي صفة نقص عن أحد لعجزه عنها لا لكمال اتصافه بها ولذلك يقول أهل السنة وينقلون هذا البيت " قُبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل " فهو نفي عنهم صفة الغدروصفة الظلم ، لكنها لا تتضمن كمال عدلهم واستقامة أخلاقهم ، وإنما لعجزهم ولذلك حقرهم بقوله (قُبيلة) وهو تصغير تحقير لا تصغير تدليل ، وكذلك يقول العلماء رحمهم الله تعالى أن عامة أهل البدع إنما يصفون الله جل وعلا بالنفي الذي لا يتضمن ثبوتا والواجب علينا أن نكون متميزين عنهم في مذهبنا حتي لا يختلط الحابل بالنابل ، فأجمع أهل السنة أن كل نفي ثابت لله جل وعلا في الكتاب والسنة فالواجب علينا فيه أن ننفي وأن نثبت كمال الضد..

إلي هنا المسألة أرجوا أن تكون واضحة ولكن لا زلنا في النقطة الثالث في مذهب أهل السنة والجماعة وهي :-

مذهب أهل السنة والجماعة في ما لم يرد فيه دليل بخصوصه ، هناك ألفاظ تكلم بها أهل البدع إذا فتحت القرآن من الفاتحة إلي الناس، وبحثت في السنة لن تجد نصا لا في القرآن ولا في السنة يثبت هذه الصفة لله أوينفيها عنه ، فليس لها دليل بخصوصها لا في القرآن ولا في السنة ، فنحن نثبت لله الوجه لأن في الأدلة دليل بخصوصه ، ونثبت لله اليد لأن في الأدلة دليل يدل عليها بخصوصه. لكن هذه الصفات يتكلم بها أهل البدع ويردون بسببها كثيرا من الصفات الثابتة في الكتاب والسنة ، ولو نظرنا في الوحيين قرآنا وسنة لن نجدا لها ذكرا ولا أثرا ولم نسمع لها خبرا ، لا وجود لها بعينها ، فنقول في هذه الصفات التي لم يرد فيها دليل بخصوصها ، نقول مذهب أهل السنة والجماعة فيها قالوا لا نردها مطلقا ولا ننفيها مطلقا لأن القرآن لم يرد بنفيها ، ولا نثبتها مطلقا لأن القرآن لم يرد بإثباتها ، فقالوا لنا فيها مذهبان :-

مذهب يخص ألفاظها (تركيبة اللفظ ، مجموعة حروفها اللفظية) _ ومذهب يخص معانيها .

أولا المذهب الذي يخص الألفاظ :-

قالوا أما اللفظ فمذهبنا فيه أننا نتوقف فيه فلا نثبته ، ولا ننفيه ، مثل لفظ " الجهة " لا نثبته فلا نقول الله في جهة ، ولا ننفيه لا نقول الله

ليس في جهة ، فاللفظ نتوقف فيه لا نثبته لله جل وعلا لعدم ورود الأدلة بإثباته بعينه ولا ننفيه عن الله لعدم ورود الأدلة بنفية .

وكذلك لفظ "الحيز" كما سيأتي بيانه لا نقول الله في حيز فنثبت ولا نقول الله ليس في حيز فننفي ، واللفظ نتوقف فيه .

وكذلك " المكان "فلا نقول الله في مكان ولا تقول الله ليس في مكان ، فلا نثبت لفظ المكان فلا نثبته ولا ننفيه ، "فمذهبنا في ألفاظها نتوقف فيها فلا نثبتها ولا ننفيها " .

وأما المعاني فالوجب علينا أن نستفصل فيها وقبل أن أبدأ في سرد قضية الاستفصال إعلم يا رعاك الله أن من الأصول العامة الكبرى عند أهل السنة والجماعة أن :- "الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل لا تثبت مطلقا ، ولا تنفي مطلقا ". بل هي موقوفة على الاستفصال حتي يتميز حقها فيقبل من باطلها فيرد ، قالوا لا نردها مطلقا لأن فيها حق والحق لا يرد ، ولا نقبلها مطلقا لأن فيها باطل والباطل لا يقبل ، بل نستفصل فيها حتي يتميز حقها من باطلها فاقبل الحق ورد الباطل وهذه هي قاعدة أهل السنة والجماعة في الألفاظ المجملة أننا نستفصل فيها حتي يتميز حقها من باطلها فيقبل الحق وبرد الباطل ، ولي رسالة مختصرة اسمها " رسالة في بيان قاعدة أهل السنة والجماعة في الألفاظ المجملة " ،شرحت هذه القاعدة في خمسين فرعا ، وهذه الفروع المذكورة هنا جزء منها ومن أراد الاستزادة فليرجع إلي تلك الرسالة المذكورة ، ومن أعظم العلماء الذين تكلموا عنها أبو

العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى وتلميذة العلامة ابن القيم في الصواعق المرسلة ، بل إن من أعظم الأسباب التي ضل بها أهل البدع هي تلك الألفاظ المجملة لأنهم ما عرفوا كيف يتعاملون معها ولكن أهل السنة قرروا فيها أصلا ووضعوا فيها قانونا مستقيما هو هذا القانون المذكور وأنهم يستفصلون حتي يتميز الحق فيقبل من الباطل فيرد ، يقول الناظم " ولا يجوز الوصف للخلاق بالمكرر والخداع بالإطلاق بل في مقام المدح أثبتن وفى مقام الذم فرمنها "

فبالاستفصال يتميزالحق من الباطل وتتضح وجهة السبيل والطريق المستقيم ، وهذا هو التأصيل.

وأما التفريع فنقول :-

الفرع الأول :- لفظ الجهة هل نثبتها لله أوننفيها ؟

نقول لا بد أن أفصل بين اللفظ والمعني ، أما اللفظ فمذهبي فيه أن أتوقف فيه فلا أثبته ولا أنفيه ، لا أقول الله في جهة فأثبت ولا أقول الله ليس في جهة فأنفي ،

أما المعني فإنني أستفصل فيه لأن لفظ الجهة ليست معانيه كلها حق ولا كلها معانيها باطلة ، فلا بد حينئذ أن نميزالحق من الباطل فأقول لمن قال الله في جهة هل تعني بأنه جهة سفل؟ فإن قال نعم فنقول هذا معني لا يليق بالله تعالى للأن العلوصفة ذاتية لا تنفك عن الله جل وعلا فنقول هذا المعني الأول تبين لي وأبطلته .

المعني الثاني :- هل تعني بها جهة علو محيطة بالله جل وعلا؟ فإن قال نعم ، فأقول هذا باطل أيضا لأن الله لا يحيط به شيء من مخلوقاته جل وعلا ،

وإن قال أعني به أن الله فوق العالم على عرشه بائن من خلقه مستوي على عرشه ، فإن كان يريد هذا المعني فأقول هذا المعني حق أي أن الله في جهة العلو المطلق ، فأقول أحسنت هذا المعني حق ولكن يا أخي الكريم لماذا تعبر عن هذا المعني الحق بلفظ محتمل الحق والباطل ؟ لما لا تعبر عنه بالألفاظ الواردة في الكتاب والسنة ؟ فتقول " سبحان ربي الأعلى "، " سبح اسم ربك الأعلى "، " وهو العلي الكبير"، إذا الله في جهة العلو ولذلك نحن نشير إلي الله بالدعاء ونشير إليه بإشارة التوحيد ، ولما قال النبي ﷺ للجارية " أين الله "؟ قالت في السماء ، إذا العلو صفة ثابتة لله وهو لفظ متفق على استعماله في حق الله تعالى كتابا وسنة ، بل أجمع السلف رحمهم الله تعالى على هذه الصفة وهي من أعظم الصفات التي وردت لها الأدلة حتي قال الإمام ابن القيم أنه قد دل على علو الله أكثر من ألف دليل ، وألف فيها كتابه " اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية" ويقصد هنا جيوش الأدلة ، كل هذا الكتاب هو في سياق الأدلة المثبتة لعلو الله جل وعلا ، بدأ بالقرآن فلما استوفي أدلة القرآن ، بدأ بأدلة السنة ، فلما استوفي أدلة السنة ، جاء بكلام الصحابة وسبرها ، فلما انتهي منها جاء إلي كلام التابعين والأئمة في كتبهم حتي غزا المعطلة في حصونهم وأزهق أرواحهم ، فلماذا تقول الله في جهة وتعبر بهذا اللفظ البدعي الذي لم يرد له ذكر في القرآن ولا في السنة وتترك التسمية الصحيحة ، إذا هنا فصلنا بين التسمية لفظا ومعني ،

مثال ثاني :- قولهم " المكان " ، فهل يقال الله في مكان أم لا يقال الله في مكان ؟ نقول أما المكان فلنا فيه مذهبان :-

مذهب في لفظة ، ومذهب في معناه ،

أما لفظه فأتوقف فيه فلا أثبته ولا أنفيه ، وأما معناه فأستفصل فيه ، فإن أريد به الحق قبلته ، وإن أريد به الباطل رددته ، فإن كان يقصد به مكان سفل فهذا معني باطل ، وإن كان يقصد به مكان علو محيط بالله فهذا معني باطل ، وإن كان يقصد به استواء الله على عرشه ، فهذا معني حق، ولكن نقول له لما عبرت عنه بالمكان وتركت لفظ الاستواء على العرش وهو اللفظ الشرعي ، فنعبر عن المكان بمعناه الصحيح الثابت إذ أنه في مكان علو غير محيط بالله وهو الذي يقصده أهل السنة بالاستواء على العرش وانتهي الأمر، فلا نترك الألفاظ الشرعية ونذهب إلي الألفاظ البدعية التي تحتمل الحق والباطل ، فلا ينبغي مثل هذا خاصة في مسائل الاعتقاد ، كلما كان تعبيرك يا طالب العلم عن المسائل العقدية بألفاظ النصوص كلما كان أولي وأدل على المعني وأبعد عن التبعات والمداخلات التي لا تفسد الحق وتكدره ،

مثال ثالث :- "الجسم " هل يقال الله له جسم أم يقال الله ليس له جسم ؟

فنقول لفظ الجسم عند المعتزلة مشكلة كبيرة فهم نفوا الوجه لأن الاتصاف بالوجه يستلزم الجسمية والجسمية ممتنعة عن الله تعالى ، فهم ينفون الصفات الثابتة بالكتاب والسنة من أجل مراعاة لفظ لا وجود له لا في الكتاب ولا في السنة ، فهذه الألفاظ المجملة من أخطر الأشياء ، بل الأشاعرة ينفون صفة العلو وقالوا لأننا لو وصفناه بالعلو لكان في جهة والجهة ممتنعة عن الله فأنكروا الاستواء

والعلو حتي لا يكون الله في جهة ، أرأيت كيف أنكروا الألفاظ الثابتة من أجل لفظ مخترع من عند أنفسهم ،

نقول وأما إطلاق الجسم فلنا فيه مذهبانا مذهب في لفظه ومذهب في معناه ، فأما لفظه فأتوقف فيه فلا أثبته ولا أنفيه ، فلا أقول الله له جسم ، ولا أقول الله ليس له جسم ، لأن القرآن لم يثبت ولم ينفي وهذا اللفظ لم تستخدمه الأدلة أصلا لا إثباتا ولا نفيا ،وأما معناه فإنني أستفصل فيه ، فإن كان يقصد بقوله أن الله له جسم أي كأجسامنا وهي أجزاء وأبعاض متصل بعضها ببعض مفتقر بعضها إلي بعضها فإن كان هذا الذي يريد فنقول هذا هو حقيقة قول الممثلة الذين يزعمون أن لله جسم كأجسامهم تعالى الله عما يقولون علو عظيما ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، فالله يقول " ليس كمثله شيء " فإن كان يقصد جسم كأجسامنا فهذا باطل كل البطلان بالأدلة المتواترة من الكتاب والسنة ، وإن كان يعني بالجسم الذات والصفات الكاملة من كل وجه المنعوتة بنعوت الجلال الموصوفة بصفات الكمال من كل وجه فهذا معني حق ، ولكن لا أُسميه جمسا وإنما أُسميه "ذات وصفات " كما ثبت عن أهل السنة والجماعة ، ولذلك النبي ﷺ في الصحيحين في حديث عائشة رضي الله عنها قالت بعث النبي ﷺ رجلا على سرية (أميرا عليها) فكان يصلي بأصحابه فيختم في كل ركعة بقل هو الله أحد ، (يقرأ الفاتحة ثم السورة ثم يختم بقل هو الله أحد ، وهذا ديدنه في صلاته) لما رجعوا ذكروا ذلك لنبي ﷺ فقال "سلوه لأي شيء يصنع ذلك " قال لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها فقال " أخبروه أن الله عزوجل يحبه " ، ويقول في الحديث" اللهم إني أسألك بأسمائك الحسني وصفاتك العلي" والله قبل ذلك يقول في كتابه " وله المثل الأعلى " أي الوصف " في السموات والارض " فلماذا

نترك هذه الألفاظ التي نص عليها الدليل وتكلم بها أهل السنة وأثبتوها في كتبهم خالفا عن سالف من غير نكير في ما بينهم وأعمد إلي تلك الألفاظ التي أول من تكلم بها أهل البدع فهذا خطأ ، فالجسم إذا كنت تعني به جسما كأجسامنا فهذا باطل ، وإذا كنت تعني به ذاتا كاملة من كل وجه وليست مماثلة لما يخص المخلوقين فهذا حق ولكن أُسميه ذات وصفات ولا أُسميه جسما .

فإن قال قائل ما قولكم في "الحيز"؟

نقول الحيز لنا فيه مذهبان ، مذهب في ألفاظه ، ومذهب في معانيه ، فنقول في لفظه فإننا نتوقف فيه فلا نثبته ولا ننفيه ، فلا نقول الله في حيز ، ولا ننفيه أي لا نقول الله ليس بحيز ، لأن الأدلة لم تأتي بإثبات لفظه ولا بنفي لفظه ، وأما معناه فإننا نستفصل فيه فإن أريد به الحق قبلناه ، وإن أريد به الباطل رددناه ، نقول إن كنت تعني بالحيز أي الشيء الذي يحوز الأشياء وهي تحوزه أي هو يدخل فيها وهي تدخل فيه فإن كنت تقول الله حيز أي أن ذوات المخلوقين قد دخلت في ذاته ،أو أن شيئا من ذاته دخل في ذوات بعض خلقه فهذا المعني باطل كل البطلان ولا يجوز اعتقاده في الله بل إننا نكفر الحلولية الذين يزعمون أن الله حالٌّ في بعض ذوات خلقه ، فضلا عن الوجودية الذين يعتقدون أن ذات الله هي ذات العالم أصلا وإنما الاختلاف في الأشباح والصور وإلا فالحقيقة واحدة وهذا مذهب ابن عربي صاحب الفصول، وهذا كفر أكبر وردة عن الدين من اعتقد أن شيء من المخلوقات قد حلت في ذات الله أو أن شيء من ذات الله قد حل في بعض مخلوقاته فهذا هو الكفر الأكبر بعينه ، فنحن الأن في المسجد ذواتنا قد دخلت في ذات المسجد وذات المسجد قد حلت في ذات الحي فالحي حاز المسجد والمسجد حازنا نحن ، فالحيز هو امتلأ الفراغ فإذا قلت حللت في حيزه أي في فراغه ، مثل

الماء دخل في حيز القارورة ، ولساني دخل في حيز فمي ، ومعدتي دخلت في حيز بطني ، فمن اعتقد ذلك أنه في ذات الله شيء من ذوات خلقه أو في ذوات خلقه شيء من ذاته فهو كافر ، ولذلك أجمع أهل السنة على أن الله بائن من خلقه فوقهم مستو على عرشه ليس في ذاته شيء من ذوات خلقه ، وليس في ذوات خلقه شيء من ذاته ، وهذا مجمع عليه بين أهل السنة ، فالذاتان منفصلتانا وذات الله هي العليا العلو المطلق ، وأما ذواتنا فهي تحت الله جل وعلا .

وإن كان يعني بالحيز بمعني المنحاز أي المنفصل البائن فهذا حق ، فالله منحاز أي بمعني منفصل بائن من خلقه ليس في خلقه شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من ذوات خلقه ، فإذا الحيز بمعني المنحاز البائن المنفصل هذا حق، والحيز بمعني الشيء الذي يحيز الأشياء ويضمها إليه هذا معني باطل ، ولذلك بدل لفظ الحيز نعبر عنه بعبارة نص عليها أهل السنة ونقول الله فوق سماوته بائن من خلقه ولا نقول منحاز ، بل تقول بائن من خلقه منفصل عنهم كل الانفصال ، وهذه هي العبارة التي ينص عليها أهل السنة ،

المثال الخامس :- قول "ما ثم إلا الله "

قد يأتيك بعض أهل البدع ويقول ما رأيك في قول ما ثم إلا الله ؟

سؤل ابن تيمية عن هذا فقال رحمه الله ما ثم إلا الله هذا من جملة الألفاظ المجملة فإن كان الذي يقول ما ثم إلا الله إن كان يقصد ما ثم في هذا الوجود إلا ذات الله فهذا هو عقيدة الوجودية الذين يقولون أن كل شيء تراه عينك فإنه الله ،ولذلك هؤلاء السذج يقولون لقد صدق فرعون لما قال" أنا ربكم الأعلى" لأن ذات الرب في ذات فرعون ، فنقول هذا كفر ، ويقولون أن المشركين الذين كانوا

يسجدون للأصنام ليس لنبي ﷺ حق في أن ينكر عليهم لأنهم إنما سجدوا لله لأنه ليس ثمة شيء أمامنا إلا الله ، نعوذ بالله من هذا المذهب فهذا كفر وردة ناقلة عن الدين بالكلية وإذا مات الإنسان عليه فهو كافر. فإن قال ما ثم إلا الله ويقصد أن كل الأشياء تعبر عن ذات الله جل وعلا فلا جرم أن هذا معني باطل .

وإن كان يقصد ما ثم إلا الله أي ما فوق العالم إلا الله ، أي ليس ثم فوق العرش ، وثم (أي هناك) كما قال الله " وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا" أي إذا رأيت هناك في الجنة تري أكثر مما وصفته لك ، أي ليس فوق العالم إلا الله ، أي ليس هناك فوق العرش إلا الله ، فإذا قيل ما ثم إلا الله أي ما فوق العالم إلا الله ، وليس فوق العرش إلا الله فهذا معني حق ، ولكن لا يريدونه هم وإنما هم يريدون المعني الأول ، ولكن من باب الحق وإعطاء كل ذي حق حقه فصل أهل السنة إن كنت تريد هذا المعني فهو باطل وإن كنت تريد هذا المعني فهو حق ، فهذه قاعدة مباركة كبيرة جدا ويحتاج طالب العلم أن يتربى عليها وهي أن " الألفاظ المجملة لا تقبل مطلقا ولا تنفي مطلقا بل هي موقوفة على الاستفصال حتي يتميز حقها من باطلها فيقبل الحق ويرد الباطل " .

وخلاصة الكلام أن نقول أن مذهب أهل السنة في الأسماء والصفات إثباتا ونفيا في ثلاث نقاط في الإثبات ذكرناه آنفا ، وفى النفي وبينت مذهبهم آنفا ، وفي ما لم يرد به دليل بخصوصه وبينت آنفا مذهبهم ، والله أعلم ،

مسألة :- قوله " أثبت صفات الرب إثباتا بلا تكييف أو تحريف أو تأويل" قوله تكييف أي حكاية كيفية الصفة ، بمعني أن تقول أن وجه الله كيفيته كذا وكذا وكذا ، فأنت الأن تحكي كيفية وجهه ، وقد أجمع أهل العلم على أن الواجب

علينا أن نؤمن بصفات الله ونقر بمعانيها ونفوض علم كيفيتها إلي الله جل وعلا ، فلا يمكن لأحد أبد أن يستطيع أن يتعرف على كيفية شيء من صفات الله ، فالله أخبرنا أن له وجها ولكن لم يخبرنا عن كيفية هذا الوجه ، فالواجب أن نؤمن بما أخبرنا الله به وأن نمسك ألسنتنا ونكف تفكيرنا عن التوغل والتدخل في ما لم يخبرنا به ، وإن أهل العلم يقولون أن كيفية الشيء لا يمكن للعقل إدراكها إلا بثلاثة أمور :-

1- إما أن تراها فتنطبع كيفيتها في ذهنك ، وقد أجمع أهل العلم على أن الله لا يُري في الدنيا ، وهذا بالإجماع ، وإنما اختلفوا في النبي ﷺ ليلة أُسري به هل رأى ربه أو لم يرى ربه ؟ على قولين وأكثر الصحابة والسلف على أنه لم يره ، لحديث أبي ذر في صحيح الإمام مسلم يا رسول الله هل رأيت ربك قال " نور أني أراه " ، وكيف يراه وقد قال ﷺ " حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهي إليه بصره من خلقه " ، ولو كانت رؤية الرب جل وعلا في الدنيا ممكنة بعيني الرأس يقظة لا مناما لكان أحق الناس بها بعد النبي ﷺ هو موسي عليه الصلاة والسلام لما قال " رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلي الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلي ربه للجبل جعله دكا " فلما رأى موسي ما حصل للجبل سقط موسي مغشيا عليه فكيف لو رأى الله جل وعلا ، فمدركات عقولنا وأبصارنا لا يستطيع في هذه الدنيا أن تري الله ، وأما في الجنة تضاعف قوتها حتي تكون محتملة لرؤية هذا البهاء العظيم والعظمة المطلقة ، نسأل الله أن لا يحرمنا وإياكم من رؤيته جل وعلا ، ولذلك جاء في الحديث " ضرس الكافر كجبل أحد" حتي يتحمل هذا العذاب ، لأنه لو ألقي في النار على جسمه الذي كان على حاله في

الدنيا لأحترق سريعا ، ولكنه يضخم حتي يكون ضرس الكافر كما في ذكرناه آنفا في الصحيح "ضرس الكافر في النار كجبل أحد " ، وأما جسده فيضخم ضخامة كبيرة جدا حتي يكون مجلس الواحد كما بين مكة والشام ، حتي يذوق هذا العذاب ، نسأل الله العافية ، فالكفية لا تتصورها العقول إلا برؤيته ، فالله لا يري في الدنيا

ولكن لو قيل لك هل يُري الله رؤية مناميه ؟

فنقول نعم الله يُري مناما ولكن اعلم أن الرؤية المنامية لا بد وأن تختلف عن الرؤية الحقيقة تري نورا عظيما فيخيل إليك أنه الله تعالى فيفسره الرائي بأنه الله تعالى ، أو تري شيئا كبيرا لا يري له أخر فيخيل إليك أنه الله ، وعلى ذلك قول النبي ﷺ " رأيت ربي الليلة في أحسن صورة وقال يا محمد أتدري في ما يختلف الملأ الأعلى قلت الله أعلم قال فوضع أنامله بيني كتفي فعلمت ما بين السماء والأرض " فهذه الرؤية نجزم أنها ليست رؤية حقيقة على ما الله جل وعلا عليه في الواقع لا وإنما هي رؤية مناميه ،وهذه هي التي يقصدها ابن عباس رضي الله عنهما لما قال" رأى محمد ربه" لأنه هنا في هذه الرواية أطلق ، وفى رواية أخري قال "رآه بفؤاده" فيقصد ابن عباس رضي الله عنه رؤية مناميه لا رؤية يقظة ، وأما رؤية اليقظة فإن العلماء مجمعون في غير النبي ﷺ أن الله لا يري في الدنيا ، وهذا هو الطريق الأول من طريق معرفة الكيفية قد انتفي في حق كيفية صفات الله جل وعلا ،

2-أن يري شيئا يماثله ،بمعني أن أقول لقد اشتريت سيارة بالأمس فرد على أحد أصدقائي صف لي كيفية هذه السيارة فأقول هي مثل سيارة المدير، فستنطبع كيفية السيارة الغائبة عن صديقي برؤية شيء يماثلها ، وهذا

الطريق نقول ليس متحقق في صفات الله جل وعلا ، إذا ليس هناك أحد يماثل الرب جل وعلا في صفاته حتي إذا اطلعنا على صفاته عرفنا الغائبة عنا لله جل وعلا ؟ الجواب لا ، فالله يقول " ولم يكن له كفوا أحد " وفي بعض القراءات " كفؤا أحدا " لا في ذاته ، ولا في أفعاله ، ولا في أسمائه جل وعلا ،كما قال الله " فلا تضربوا لله الأمثال "، وقال تعالى " هل تعلم له سميا " ، " فلا تجعلوا لله أندادا" أي أشباه ونظراء " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" وهنا نكرة في سياق النفي فتعم ،

3- الطريق الثالث هي أن يخبرك الرجل الصادق(والمراد به هنا النبي ﷺ) عن كيفية الشيء الغائب عنك فيعرف ذهنك كيفية هذا الشيء بإخبار الصادق عنه مثاله :-

اشتريت بيتا في مدينة الرياض مثلا فقال لي بعض أقاربي وكيف هذا البيت يا شيخ ، فقلت له هذا البيت مكون من طابقين وبابه مترونصف ، وبابه زجاجي ، وفي بدايته تجد مجلس الرجال ، وتبدأ كلما زدت في الصفات والكيفية كلما تحدد كيفية الشيء الغائب عنده ، فنقول وهذا أيضا ليس بمتحقق بصفات الله ، فإن النبي ﷺ لم يخبرنا عن كيفية شيء من صفات الله تعالى ، فقد أخبرنا النبي ﷺ أن لربنا وجها ولم يخبرنا عن كيفية هذا الوجه ، وأخبرنا أن لربنا عينا وسمعا ، وبصرا ، ولم يخبرنا عن كيفية هذا السمع ولا العين ولا البصر، أخبرنا أن لله جل وعلا قدما ، وساقا ، ولم يخبرنا عن شيء من كيفية ذلك فكان الواجب علينا أن نؤمن بما أخبرنا به وأن نكف عقولنا عم لم يخبرنا به ، وهذا هو منهج السلامة في هذا الباب .

ولذلك ما ضل من ضل في باب الأسماء والصفات إلا بهذا السبب وهذا من الأسباب الرئيسة في ضلال أهل التعطيل و أهل التمثيل ، فهم أرادوا بعقولهم الضعيفة ذات القدرة المحدودة والطاقة المحدودة أن يستكشفوا كيفية شيء من صفات الله ، وهذا كيفية تفكر في صفاته ، فتفكر في صفاته تعالى ولكن إياك أن تتفكر في كيفية صفاته لأنه مهما فعلت ودبرت ومهما رسمت لن تصل إلي الحقيقة ، بل إن من الإجحاف وظلم العقل أن تقحمه في معرفة شيء من صفات الله جل وعلا لأنك تكلفه بهذه الحالة بما لا يطيق لأن الله خلقه وخلق له قدرات وطاقات فلا يستطيع العقل أن يكون تفكيره سليما إلا إذا كان داخل هذه الحدود والطاقة .

وأذكرلك أيها القارئ الحبيب هنا مثال عن الجوال الذي بين يديك فهو له منطقة استقبال مادام داخل منطقة استقباله ، ولكن متي ما خرجت من نطاق الشبكة التي يستقبل منها فلا تجده يستقبل شيئا ، فيصيرلا فائدة له لا استقبال ولا إرسال ، فهكذا العقل فالله لما خلق العقل جعل له حدود وطاقة استقبال وهي الأشياء التي تدخل تحت قدرته ومدركاته، لكن انتبه فلو ذهبت به بعيدا داخل علم الغيب سيعطل العقل ، بل لن يرجع لك عقلك إلا بالضلال ، والحيرة ، والشكوك ، والشبه، فلن يرجع كما قيل إلا بخفي حنين ، وقد يضل ولا يرجع بشيء ، فنسأل الله أن نحجم عقولنا عن التفكيرفي كيفية صفات هذا الرب العظيم فهذا مجمع بين أهل السنة والجماعة على إنكاره ،

ولذلك في القصة المذكورة عن الإمام مالك رحمه الله تعالى لما جائه رجل فقال له يا إمام " الرحمن على العرش استوي " كيف استوي ؟ فقال له

بعدما أطرق برأسه وعلاه الرحباء ثم رفع رأسه وقال (الكيف غير معقول ، والمعني غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعه ولا أراك إلا رجلا مبتدعا) ، قوله " الكيف غير معقول " أي أن إدراك كيفية صفات ذات الله غير داخلا في مدركات عقولنا ، " ومعناه غير مجهول " أي أن معني الاستواء في لغة العرب معلوم ، والواجب علينا أن نعتقد العلم بمعاني الصفات ولكن الذي يحذر علينا يحذر علينا أن نتوغل في إدراك كيفيتها ، وستأتي في ما بعد أن أهل السنة يعلمون المعاني ويجهلون الكيفية ، " قل نعلم المعني ونجهل كيفها "

يقول الناظم " واحذر سؤال الكيف عن أوصافه وأجب بقول العالم الرباني قل نعلم المعني ونجهل كيفها والسؤل يحرم يا أخا العرفان " ، وهذا الذين ندين الله جل وعلا به ،

مسألة :- هل هناك فرق بين التمثيل والتكييف ؟

نقول وبالله التوفيق لقد عرفنا سابقا أن التكييف هو حكاية كيفية الصفة ، وأما التمثيل فهو إثبات مماثل ، يقول العلماء رحمهم الله "إذا ذكرت التكييف وحده دخل معه التمثيل ، وإذا ذكرت التمثيل وحده دخل معه التكييف ، وإذا ذكرتهما معا افترقا معناهما " ، أي ذكرتهما معا فيكون حكاية الصفة مقرونة بمماثل .

والتكييف حكاية الصفة غير مقرونة بمماثل ، فإذا التكييف هو أن تحكي صفة غير معلومة للعقل .

مثاله :- تقول مثلا لقد اخترعت الصين سيارة فيها خمس إطارات ،ولها القدرة في السير على الماء مثلا ، فالأن أنا أكيف لا أمثل لأن سيارة بهذه الصفة لا تتصور ، واحكي كيفية شيء غير معلوم ، فإذا حكيت كيفية شيء غير مقروننا بمماثل معين فهذا يسمونه تكييف ، ولكن إذا قلت سيارتي كسيارة فلان ، وسيارة فلان كسيارة فلان ، وهكذا دواليك فهذا تمثيل ، فمن قال أن وجه الله تعالى كوجوه خلقه هذا ممثل ، ولكن إذا قال أن وجه الله صفة كذا كالرجل الذي رد عليه الإمام ابن القيم في الصواعق المرسلة يقول " وإن بعض الجهمية قال أن الله له وجه وفي هذا الوجه أعين كثيرة ، وله جنب وفي هذا الجنب أيد كثيرة ، فهذا يعتقدونه هؤلاء ويقولون " مما عملت أيدينا " فهي أيد كثيرة ، وكذلك قالوا " تجري بأعيننا " إذا فهي أعين كثيرة ، وما فهم أن النون هنا بأيدينا في قوله (أيدينا – وأعيننا) إنما هي نون المعظم نفسه ، مثل " إنا نحن نزلنا " من أنزل القرآن ؟ واحد هو الله سبحانه ، ولكنه سبحانه عظم نفسه فأخرجها بنون التعظيم ، فالنون هنا نون التعظيم وليست نون الجمع ،

مسألة :- هل هناك فرق بين التمثيل والتشبيه ؟

نقول إذا ذكرنا التمثيل وحده دخل معه التشبيه ، وإذا ذكرنا التشبيه وحده دخل معه التمثيل ، ولكن إذا قلنا تمثيل وتشبيه يفترقان ، فالتمثيل مماثلة في كل الصفات ، والتشبيه في أغلبها ، فإن قلت مثل فهد مشابه لمحمد لأنهما يتفقان في بعض الصفات ، وأما التمثيل فهو الاتفاق في كلها أو في ما يقارب كلها ، كما قال العلماء ، التوؤام بينهما مماثلة مع أنه ليس هناك شيئين يتماثلان في كل الصفات إلا نادرا فلا بد من وجود الاختلاف .

مسألة :-قوله (تكييف أو تحريف)

التحريف في اللغة هو التغيير، وأما في الاصطلاح فهو تغيير النص لفظا أو معنا ، فصار التحريف ينقسم إلي قسمي : -

تحريف لفظي - وتحريف معنوي .

التحريف اللفظي : - هو أن يأتي المحرف إلا ظاهر اللفظ فيغيره عن مساره ونطقه ، أما تغيير حركة أو زيادة حرف ، ومع هذا التغيير في حركات أو في حروف الكلمة قد يتغير معها المعني وقد لا يتغير معه المعني ، مثال التحريف اللفظي الذي لا يتغير معه المعني :-

كنصب لفظ الجلالة في قولك " الحمد للهَ رب العالمين " فهنا تحريف وهي أنك نقلت حركت اللفظ من الكسرة إلي الفتحة ولكن المعني لم يتغير المعني . فالمعني على ما هو عليه ، أو تقول " الرحمنُ الرحيم " فهنا تحريف وهي أنك نقلت الحركة من الكسرة إلي الضمة ، فإذا هناك تحريف لفظي لا يتغير معه المعني ، هو حرام إذا تعمده الإنسان فلا يجوز بل هو مبطل لصلاة إذا وقع تعمدا وفى الفاتحة .

وأما التحريف اللفظي الذي يتغير معه المعني مثاله :-

منها تحريف اليهود لذبيح في التوراة ، فإن فيها " يا إبراهيم اذبح بكرك و وحيدك إسماعيل "

فجاء اليهود حسدا للعرب لهذا الفضل والشرف الكبير، فقال " يا إبراهيم اذبح بكرك و وحيدك إسحاق "

فحرفوا هنا ونسوا كلمة بكرك ، فبالإجماع إسحاق ليس هو بكر إبراهيم عليهما السلام، وإن بكرك إبراهيم عليه السلام هو إسماعيل ونسوا تحريف هذه الكلمة ، كما نص عليها الإمام ابن القيم في زاد المعاد ، فهذا تحريف لفظي تغير معه المعني .

ومن أمثلتها أيضا :- نون اليهود في قوله تعالى " ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة" فأبت اليهود فقالوا " حنطة " وما دخلوا الباب ركعا لأن الساجد لا يستطيع يمشي ، فالسجود هنا بمعين الركوع ذلا وخضوعا لله ، وقولوا " حطة " أي قول يا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وحطها عنا من باب التواضع لله تعالى ، فدخلوا يسحفون على استاهم وقالوا " حنطة" فاليهود زادت النون .

ومثال أخر:- وهو لام الجهمية ، فإن الجهمي لما مر على قول الله جل وعلا " الرحمن على العرش استوي " زاد بين الواو والألف المقصورة لاما فصارت " استولي " فعندنا نون اليهود ولام الجهمية ، وقال فيها الإمام ابن القيم رحمه الله " نون اليهود ولام جهيمي هما في وحي رب العرش زائدتان " أي على كتاب الله تعالى ، وحكم هذا التحريف اللفظي الذي يتغير معه المعني حرام بالإجماع ، بل هو كفر إذا تعمده الإنسان ، فإذا تعمد العبد أن يزيد في كتاب الله تعالى كلمة أو حرفا فإنه كفر، كفعل الرافضة عليهم لعائن الله فإنهم ما زادوا حركة ولا زادوا حرفا ، بل زادوا سورا ، مثل سورة الولاية التي يقولون أنها لا تقل صفحاتها ولا عددا آياتها عن سورة التوبة ويدعون أنها حذفها أبو بكر وعمر، لأنها تدل على ولاية علي، وقالوا أيضا في قول الله تعالى " ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك

وجعلنا عليا صهرك " فزادوا " وجعلنا عليا صهرك " ، فهم زادوا سورا كاملة في كتاب الله تعالى ، بل وعندهم عقيدة أن هذا القرآن أصلا ليس هو المنزل على محمد ﷺ ، وإن قرأوه تقية ووضعوه في مكتباتهم فهم يفعلون ذلك تقية ، وإلا فهم يزعمون أن القرآن الصحيح إنما هو مصحف فاطمة ، وهو مع محمد ابن الحسن العسكري الذي يختبأ في سرداب سامراء ، ويقولن ليس في مصحفه مما في مصحف أهل السنة حرف واحد ، ولذلك يتجرؤون على تحريف كتاب الله تعالى في تفاسيرهم ،فتكون القاعدة عندهم يقولون " كل لفظة تمر عليك في القرآن فرعون وهمان فيردون بها أبو بكر وعمر " وكل لفظة تمر عليك يراد بها الشيطان فإنما يقصدون بها فلان وفلان ، وكل أهل الكفر المذكورون في القرآن ينزلونها ويضعونها على أفراد من أصحاب النبي ﷺ زورا وبهتانا ، حتي إنهم لعنهم الله يقولون في قول الله " أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة " يقولون هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فهذا تحريف لفظي تغير معه المعني تماما ، فهذا محرم وإذا تعمده العبد فإنه كافر ، ولذلك يقول ابن حزم رحمه الله " أجمع علماء الإسلام على إن من أنقص من كتاب الله تعالى حرفا متواترا متفقا عليه ، أو زاد في كتاب الله حرفا متفق على عدم زيادته فإنه كافر خالع ربقة الإسلام من عنقه بالكليلة " وهذا هو التحريف ، ‘إلا أن التحريف الأخطر لا في حكمه ، وإنما في قبول الناس له هو التحريف الثاني وهو التحريف المعنوي ، وهذا من أخطر أنواع التحريف مطلقا ، لا أقول أخطرها باعتبار حكمه لا فالأول أقبح ، ولكن الثاني أخطر باعتبار قبول الناس له وباعتبار تسويغه في اللغة أحيانا ، يقولون هو أن يبقي المحرف اللفظ على ما هو

عليه لا يغير فيه حركة ولا حرفا ، ولكن يسلب اللفظ دلالته الصحيحة ويدخل مكانها دلالة باطلة وهذا الذي جعله خطيرا ، ومثاله :- كتحريف الأشاعرة لقول الله تعالى " بل يداه مبسوطتان " فقالوا نبقي الفظ على ما هو عليه ، واليدين لا يراد بهما اليدان الحقيقيتان لله وإنما يراد بها النعمة والقدرة ، فهذا البحر الذي لا ساحل له ، " ويبقي وجه ربك " قالوا نحن مؤمنون أن وجه الله باق ، ولكن المراد بالوجه قالوا يراد بها الذات لا يراد بها الصفة ، وفي قوله تعالى " ولتصنع على عيني " قالوا نبق اللفظ على ما هو عليه لا زيادة ولا نقص ولكن قالوا المراد بالعين العلم ، وقالوا أيضا في حديث " ينزل ربنا إلي سماء الدنيا " قالوا نبق اللفظ على ما هو عليه ، ولكن نقول بينهما مقدر ينزل ملك ربنا ، وتنزل رحمة ربنا ، وينزل أمر ربنا ، وهذا خطير جدا ، وأغلب أهل البدع وقعوا في هذا ، وقالوا لأن التحريف اللفظي تمجه وترفضه النفوس ، فما أن تزد حرفا ردوا عليك وأنكروا عليك ، وهذا يعرفه الحفاظ ، فما أن تقرأ آية وزدت فيها حرفا تجد أن الأمر انقطع عندك لأن القرآن معجز بلفظه ومعانيه وسياقه ، فبين كلماته وحروفه إعجاز عجيب يعجز البشر عن إدراكه ومعرفة حقيقته ،

وهذا التحريف المعنوي حكمه :- مجمع على حرمته فهو حـــرام ، ولكن هل يصل إلي الكفر أم لا يصل ؟

نقول يختلف ، إن كان تأويل جحود أو تحريف جحود وإنكار فلا جرم أنه كفر ، فهو يقول الله أصلا ليسه له يدان وهذا الآية خطأ ، فهذا يجحد فهذا كفر ،

وإن كان تحريف تأويل أي أنه عنده شبهه وأول فهنا لا يخلوا من حالتين :-

1- أن يكون التأويل له مساغ في اللغة العربية ، وأما أم يكون التأويل لا مساغ له في اللغة العربية ، ومثاله :- يقول في قوله " بل يداه مبسوطتان " يقول يراد باليدان هنا السموات والأرض ، فنقول هذا لا مساغ له في اللغة العربية ، فالعرب لا تعبير عن السموات والأرض بأنهما اليدان ، ولا تحتمله اللغة العربية ، فنقول هذا كفر ، فلو حرف المحرف تحريفا أو أول تأويلا لا مساغ له في اللغة العربية فهذا كفرا ، فنقول الأن يكفر في حالتين :- إذا كان تأويل جحود وإنكار- وإذا كان تأويلا لا مساغ له في اللغة العربية ،

وأما إذا كان تأولا له مساغ في اللغة العربية ، فهنا شبهة قامت في ذهنه فلا يجوز لنا أن نبادره بالتكفير إلا بعد أن نقيم عليه الحجة الرسالية التي يكفر من خالفها ونكشف عنه هذه الشبهة ، فحينئذ إذا بما أن المسألة فيها تردد فالأصل فيه الإسلام فنبقي علي إسلامه ولكن نحكم عليه بالفسق العقدي ، فنقول هو فاسق فسقا عقديا ، وهو الذي يسميه العلماء الفاسق الملي (أي فاسق من أهل ملتنا الإسلامية) ، فإذا انكشفت الشبهة ولا يزال مصرا فحينئذ بعد كشف الشبهة عنه نحكم عليه بالكفر ، وهذا الذي جعل أهل السنة والجماعة لا يكفرون المعتزلة كفرقة ، ولا يكفرون الأشاعرة كفرقة ، مع أن عندهم تأويل (تحريف) ولكن تحريفاتهم ليست خارجة عن دلالة اللغة فلوجود الشبهة توقف أهل العلم في تكفيرهم .

....

بقي لدينا كلمة في بيت الناظم " أو تأولا " قوله أو تأولا هذا مأخوذ من التأويل ، والتأويل في اللغة مأخوذ من آل الشيء يؤلو أولاً ، بمعني رجع ، ولذلك يقال فلان ابن فلان آل فلان ، أي مرجعه إلا هذه القبيلة المعينة ، يقال آل إبراهيم أي من مرجعهم إبراهيم ، آل الشيخ أي من مرجعهم الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وهكذا ، فآل بمعني رجع الشيء إلي حقيقته أو إلي أصله ،

وأما في الاصطلاح فاختلفت عبارة أهل العلم رحمهم الله تعالى في تعريفه بين ثلاث تعريفات :-

الأول والثاني فهما ثابتان عن سلف الأمة وأئمتها ، وأما التعريف الثالث فإن أول من تكلم به أهل البدع ،

1- التأويل بمعني رجوع الشيء إلي حقيقته وأصله أي أنه متفق مع معناه اللغوي ، فإذا وقع الشيء فوقوعه تأويله ، ولذلك يقول العلماء رحمهم الله تعالى أن تأويل الرؤيا هي وقوعها على أرض الواقع ، ولذلك لما سجد أبوي يوسف عليه السلام وإخوته له قال " يا أبت هذا تأويل رؤياي " إذا التأويل يأتي بمعني حقيقة الشيء ومرجعه ، وكذلك وقوع ما أخبرالله جل وعلا به هو التأويل ولذلك لما توعد الله جل وعلا الكفاربالناروما فيها من العذاب الأليم قال الله لهم " هل ينظرون إلا تأويله " أي وقوع حقيقته " يوم يأت تأويله " أي يوم تأتي حقيقته " لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل " ، ولما فسر الخضر لموسي عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكي التسليم لما فسرله حقيقة أفعاله من خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وبناء الجدار ، قال " ذلك تأويل "

أي حقيقة ما لم تستطع عليه صبرا ، ولذلك يقول أهل العلم " إذا أمرك الله بأمر فتأويله تنفيذه ، وعلى ذلك ما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده " سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلي " ثم قالت يتأول القرآن أي ينفذ ما أمره الله به في قوله تعالى في سورة النصر" فسبح بحمد ربك واستغفره" فإذا هذا أمر فأوله النبي ﷺ أي أوقع حقيقة هذا الأمر ، فإذا تأويل الشيء وقوعه وحقيقته على أرض الواقع ، في قول الله تعالى " ولا تقربوا الزنا " نقول تأويله أي اجتنابه ، فإذا اجتنبت الزنا فقد أولت هذا الأمر فإذا تأويل الأمر تنفيذه ، وتأويل النهي اجتنابه ، وتأويل الخبر وقوعه ، وتأويل الرؤيا وجودها على أرض الواقع ، فحقيقة هذه الأشياء هي وجودها على أرض الواقع ، فمن امتثل أمرا من أوامر الله فقد أوله بمعني أوجد حقيقته على أرض الواقع ، ومن ترك شيئا من مناهي الله فقد أوله بمعني أنه أوجد حقيقته على أرض الواقع ، وإذا عبرت الرؤيا ثم وقعت حقيقتها فقد وقعت على أرض الواقع فذلك التأويل ، فتأويل الشيء حقيقته الذي يرجع إليها ويؤل إليها ، وهذا مصطلح القرآن ، ولذلك كل لفظة تأتيك بمعني التأويل في القرآن كقوله تعالى " وما يعلم تأويله إلا الله " أي حقيقته ، وقوله " ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا " أي حقيقة الشيء ، وقوله " هل ينظرون إلا تأويله " أي حقيقة الشيء ، فكل لفظة تأويل تأتيك في القرآن فضع مكانها حقيقة الشيء دائما ، وهذا معني متفق عليه بين سلف الأمة وأئمتها بل هو المصطلح الذي جري عليه اصطلاح الكتاب والسنة ،

2- التأويل بمعني ":- تفسير الشيء ، وهو معني مجمع عليه وعلى قبوله عند أهل السنة والجماعة ، وعلى ذلك قول الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في

تفسير يقول " القول في تأويل قول الله تعالى ويذكر الآية " والمقصود في تفسير قول الله تعالى ، فإذا التأويل يأتي بمعني حقيقة الشيء ،ويأتي بمعني التفسير، وهاذان المعنيان متفق على قبولهما عند أهل السنة والجماعة ، ولكن هناك معني ثالث لم يتكلم به أحد به من أهل السنة مطلقا وإنما أول من تكلم به أهل البدع من المعتزلة والجهمية وغيرهم ، وهو النوع الثالث :-

3- التأويل بمعني الانتقال من ظاهر الكلام إلي معني أخر، فمثلا يقولون " بل يداه مبسوطتان " لا يراد بها حقيقة اليدان وإنما يراد بها النعمة والقدرة ، فهم انتقلوا من حقيقة الكلام إلي معني أخر ويسمون هذا الانتقال تأويلا ، والسلف رحمهم الله تعالى لا يعرفون التأويل بمعني الانتقال ، ولكن يأتي بمعني الحقيقة والتفسير فقط في لغة العرب ، وأما التأويل بمعني الانتقال فهذا جاءنا من أهل البدع ، فأهل السنة متفقون على قبول المعني الأول لتأويل ، وأنهم متفقون على قبول المعني الثاني ، ولكن أهل السنة قالوا أن هذا المعني الثالث صار من الألفاظ المجملة بحسب استعمال الطوائف له ويختلف باختلاف استخدام الطوائف له ، فهو من الألفاظ المجملة ففيه حق وفي باطل ، والقاعدة عندنا في باب المجملات " أنه إذا أريد بها الحق قبلناه ، وإذا أريد بها الباطل رددناه " ، فنقول إذا كان هذا الانتقال بمقتضي الدليل القبول المعتبر عند أهل السنة والجماعة فهو تأويل مقبول ، وأما إذا كان الانتقال عن غير مقتضي الدليل فهو تأويل مردود ، فصار التأويل بالمعني الثالث له قسمان :- (مقبول – ومردود)

ويكون مقبولا إذا كان بمقتضي الدليل ، ويكون مردودا إذا كان بغير مقتضي الدليل ، ونضرب مثال لكل منهما ،

التأويل المقبول :- كقول الله عن زكريا عليه السلام " واشتعل الرأس شيبا " الاشتعال هنا لا يراد به حقيقته لأن الاشتعال هو احتراق النار في شيء معين ، ولكن يراد به كثرة انتشار الشيب في الرأس ، فانتقلنا بلفظة الاشتعال عن معناه إلا معني أخر ولكن بمقتضي الدليل وهو أن النار لو اشتعلت في رأس زكريا عليه السلام لمات ، ولكن لا يراد به ذلك وهذا أسلوب مجازي تعرفه العرب في كلامها ،

وكذلك قول الله تعالى " جدارا يريد أن ينقض " فهنا الجدار جماد والجماد لا إرادة له ، فهنا ننتقل من معني الإرادة إلا معني أخر وهو أنه أهل وقريب من السقوط كأنه يريد أن يسقط ، وهذا أسلوب تعرفه العرب في كلامها ، بل لو قلت رأيت حمارا بين الطلاب في الفصل ، فلا يأتي على ذهن الواحد منا الحمار المعروف لا وإنما تأتي إلي الطالب البليد ، والانتقال هنا في هذه الصورة من المعني الحقيقي إلي المعني البعيد بمقتضي السياق وبمقتضي الدليل لأن الحمار يبعد جدا عقلا أن يدخل مع الطلاب يدرس ، وكذلك لو قلت رأيت أسد قد أمتطي صهوة المنبر يخطب بالناس يوم الجمعة ، فلن يظن أحد يقول أن الأسد المراد به في هذا الكلام هو ذلك الأسد الذي يزأروله شعركث وهو الموجود في الغابة فلا يظن أحد هذا فانتقلت الأذهان من المعني الحقيقي للأسد إلي معني أخر بمقتضي الدليل وهو أني قلت يخطب فهذه قرينة مع كونه بالمسجد وعلى المنبر فكل هذه قرائن تدل علي أن هذا الانتقال حصل بمقتضي دليل ، فإذا إذا كان الانتقال من ظاهر الكلام وحقيقته إلي معني أخر بمقتضي دليل مقبول وقرينة فأهل به

وسهلا ، وأما إذا كان انتقالا بمقتضي الشهوة وهو العقائد الفاسدة والمذاهب الهدامة فإن هذا باطل ،

لو قيل ما القول في هذا الانتقال في قول الله تعالى "بل يداه مبسوطتان" قال أهل البدع لا يراد به حقيقة اليدين بل يراد به النعمة والقدرة ، فنقول هذا انتقال غير مقبول وإن سموه تأويلا ، ولذلك قال أهل السنة أن تسمية هذ الانتقال بغير مقتضي الدليل تأويلا إنما يراد بهذه التسمية دغدغة مشاعر أنصاف المثقفين حتي يقبل وإلا فالشريعة تسمية تحريفا " يحرفون الكلم من بعد مواضعه " ولذلك التعبير عن هذا بالتحريف خير من أن نعبر عنه بالتأويل لأن لفظ التحريف مذموما مطلقا وليس فيه جهة حسنة ، وأما التأويل ففيه جهتان حسنتان وهما :- التأويل بمعني حقيقة الشيء - والتأويل بمعني التفسير، والانتقال إذا كان مقتضاه الدليل ، فتسمية تأويلا إنما هو من باب زخرف القول الذي يراد به تمشية هذا الباطل فلذلك الحق أن نسميه تحريفا ، ولقد تقرر عندنا قاعدة متفق عليها عندنا " التعبير عن المعاني الشريعة بألفاظ النصوص أولي " فبدل أن نسميه تأويلا ونغر الناس نسميه تحريفا ، فمن انتقل إلي حقيقة الكلام وظاهره إلي معني أخر بغير مقتضي دليل فقد حرَّف ، ولا نقول فقد أوَّل ، بل نقول فقد حرف ، حتي يكون ذلك أدخل في ذمه وأزجر لنفوس عنه ،

والكلام في قول الله تعالى " واسأل القرية " نقول لا يراد بها سؤال الجداران والشوارع وإنما يراد بها سؤال أهلها وهذا يسمي مجاز الحذف ، لأن الإنسان عقلا إذا قلت له اسأل هذه البلدة عني فحينئذ يعرف

عقلا أن المراد ليس أن يسأل الجدران ، فلوراءاك أحد وأنت تسأل الجدران لظن فيك سوء في عقلك ، فنقول المراد أهل القرية ،

ومثله قول الله تعالى " واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها " أي اسأل من على العير، فانتقالنا من ظاهر الكلام إلي معني أخر ،

ولتنتبه أيه القارئ الكريمة إلي أمر أريد توضيحه وهو أن الانتقال عن ظاهر الكلام إلي معني أخر إذا كان بمقتضي النص فيكون المعني المنتقل منه لم يعد ظاهر بل الظاهر صار هو المنتقل إليه ، ولذلك لو قلت "واسأل القرية " لا يصير الظاهر سؤال الجدار لا وإنما صار الظاهر سؤال أهل القرية ، وكذلك "
العير" لم يعد الظاهر سؤال الأبل لا وإنما صار الظاهر هو سؤال من على العير، وهذا خلاصة ما ذكره أهل العلم في هذه المسألة وقد نبه على ذلك الإمام ابن القيم وجعل التأويل طاغوتا وكسره الإمام ابن القيم في أوائل الطواغيت لأن الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة " أراد ابن القيم فيها أن يكسر الطواغيت التي بني عليها أهل البدع مذهبهم ، فكسر طاغوت المجاز، وكسر طاغوت التأويل ، وكسر طواغيت كثيرة ولا مزيد على ما قاله رحمه الله ،

إذا نقول التأويل بالمعني الثالث يخرج على قاعدتين :-

1- الأصل في الكلام الحقيقة فلا يجوز الانتقال عنها إلي المجاز إلي بقرينة
.

2- الأصل في الكلام حلمه على ظاهره فلا يجوز الانتقال إلي المعني المرجوح إلا بدليل ،

ثم قال المؤلف وفقه الله " والأصل في الأسماء والصفات توقيفها بمنهج الثقات "

هاتان قاعدتان عظيمتان وأصلان كبيران في منهج أهل السنة والجماعة ومتفق عليهما بين أفراد أهل السنة ولم يخالف فيها أحد ، القاعدة الأولي تقول " الأصل في الأسماء التوقيف على النصوص " فلا يجوز أن نسمي الله جل وعلا إلا بما سمي به نفسه في كتابه أو سماه به رسوله ﷺ في صحيح سنته وهذا متفق عليه بين أهل العلم ، فلا يجوز إطلاق شيء من الأسماء على الله تعالى إلا وعلي وعلى ذلك دليل ،

القاعدة الثانية في قول أهل السنة " الأصل توقيفها على الأدلة " ، ومعناها أنه لا يجوز لنا أن نصف الله جل وعلا إلا بينما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله ﷺ في صحيح سنته ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصر جل وعلا ، فهذان البابان باب الأسماء والصفات هذه أبوابه توقيفة لا يجوز أن ندخل فيها بعقولنا ، فلا ندخل في هذا الباب متأولين بآرائنا ، ولا متوهمين بأهوائنا ،

ولكن السؤال لماذا هذه الأبواب بنيت على التوقيف ؟ نقول لأنها من أبواب الغيب ، وقد تقرر عندنا في أصول أهل السنة والجماعة أن " الأبواب الغيبية لا مدخل للعقول ولا للأهواء والشهوات فيها " فما أثبته النص من

الأسماء فهو الاسم الذي يجوز إطلاقه على الله جل وعلا ، وما لم يثبته النص من الأسماء فلا يجوز إطلاقه على الله ، وكذلك نقول في الصفات أيضا ، ما أثبتته النصوص من الصفات فهو الذي يجوز إطلاقه على الله ، أووصف الله به وما لا فلا ، وقد قرر أهل العلم رحمهم الله تعالى أن تسمية الله بما لم يسم به نفسه من جملة الإلحاد في أسمائه المحرم الداخل في قول الله " وذرو الذين يلحدون في أسمائه " وقد ذكر العلماء أن الإلحاد في الأسماء له جمل من الأقسام :-

1- أن يسمي الله بما لم يسم به نفسه ، فمن أطلق على الله شيئا من الأسماء لا دليل على إطلاقه على الله لا من كتاب جل ولا سنة نبه ﷺ فقد ألحد والعياذ بالله وهذا إلحاد في الأسماء وهو محرم ، واضرب على ذلك مثالا :-

تسمية النصارى لله جل وعلا الله بالأب ، ويسمون عيسي عليه السلام بالأبن ، ويسمون جبريل بروح القدس ، ويجعلون هذه الأقانين الثلاثة مجتمعه في شيء واحد وهو في عيسي عليه الصلاة والسلام ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا فتسمية الله تعالى بالأب تسمية باطلة شركية وثنية لا دليل عليها ، فضلا على أن الأدلة المتواترة نفت ذلك قال الله " لم يلد ولم يولد " فالله جل وعلا لا أصول له ولا فروع له " لم يلد ولم يولد " وذلك لكمال غنها سبحانه عن كل أحد ، وكذلك قول الله " ما اتخذ صاحبة ولا ولدا " فتسمية النصارى لله جل وعلا بالأب هذه تسمية باطلة ، ودليل بطلانها أن المتقرر في قواعد أهل السنة أن أسماء الله

مبنية على التوقيف ولا دليل يدل على إثبات هذه التسمية على الله فضلا على كونها باطلة في ذاتها ،

ومن الأمثلة أيضا :- تسمية الصوفية لله جل وعلا لله تعالى "صاحب الفيوضات " فهم يطلقون على الله جل وعلا صاحب الفيوضات ، وهذه تسمية باطلة لأنه منبثقة أولا من عقيدة فاسدة وهي عقيدة الحلولية الذين يزعمون أن شيء من ذات الله حل في ذوات خلقه ، أو أن شيء من ذوات خلقه حلت في ذوات الله ، ولأنه لا دليل على إطلاقها على الله ، فلا يجوز للإنسان أن يطلق لفظ صاحب الفيوضات أو اسم صاحب الفيوضات على الله جل وعلا ، وأما الإخبار عن الله أنه صاحب مقيد في السفر فإن هذا لا حرج فيه لقول النبي ﷺ " اللهم أنت الصاحب في السفر" ولكن هذا إطلاق أخبار.

ومثال ثالث :- إطلاق الفلاسفة لله جل وعلا بالعقل ، وبعضهم يقول العقل الفعال ، فإطلاق لفظة العقل على الله تعالى إطلاق تسمية هذه باطلة لعدم دلالة الكتاب ولا السنة على جواز إطلاقها على الله جل وعلا ،

ومنها ما هو مشهور عند كثير من الناس إطلاق لفظ " الدهر" فهم يسمون الله جل وعلا بالدهر، فنقول هذه التسمية ليست صحيحة فليس هناك دليل يدل على جواز إطلاق الدهر على الله جل وعلا إطلاق اسم ، فإن قلت وكيف نقول في ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ في ما يرويه عن ربه عزو جل أنه قال " يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهر" نقول

لقد تقرر عند عامة أهل السنة أن نسبة الدهرية إلي الله هنا إنما هي نسبة تصريف وتقليب لا نسبة تسمية ، ولذلك الله أطلق على نفسه الدهر لأنه هو الذي يدبر ويقلب ويصرف الليل والنهار كما تقرر عندنا في القواعد التي نسمعها دائما أنه لا مدبر ولا متصرف على الحقيقة في هذا الكون إلا الله ، وخير ما فسرت بها السنة هي السنة فقوله " أنا الدهر " يفسره ما بعده في قوله " بيدي الأمر أقلب الليل والنهار " ،فإطلاق الدهر على الله لا يخلو من حالتين :- إما أن تطلقه إطلاق خبر فهذا لا حرج فيه ، بمعني أنه هو الذي يصرف الدهر ويقلب أحواله وما يجري فيه ، وإما أن تطلقه على الله إطلاق اسم وهذا خطأ فاحذر من إطلاق الدهر اسما على الله ، وهذا خلافا للإمام ابن حزم رحمه الله الذي يقول إن من أسماء الله الدهر ويستدل بهذا النص وقد بينا ما فيه ،

ومن الأمثلة على ذلك :- إطلاق اسم القديم على الله ، فلا يصح إطلاق اسم القديم على الله تعالى لأمرين :-

1- أن أسماء الله مبنية على التوقيف وليس هناك دليل يدل لا من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسول الله ﷺ تفيد جواز إطلاق هذا الاسم على الله جل وعلا .

2- أسماء الله كلها حسني ، وسر الحسن فيها هي تضمنها لصفات كمال ، والقديم يتضمن صفة القدم وصفة القِدم لا كمال فيها ، ويستعاض عن اسم القديم باسم الله الأول كما قال النبي ﷺ " اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء " فهذا الاسم هو الثابت في القرآن والسنة ، في القرآن في أول

سورة الحديد" هو الأول والأخر" وفي السنة " اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء "

ومنها أيضا :- إطلاق اسم الناصر على الله ، فالبعض يسمي " عبد الناصر " وإطلاق الناصر على الله لا يصح إطلاق اسم ، نعم يصح إطلاق خبر على أنه هو الذي ينصر عبيده ، ويؤيده " أن تنصروا الله ينصركم " فهذا صحيح ، ولكن إطلاق اسم هذا لا يجوز ، لعدم دلالة الكتاب والسنة عليه ،

وكذلك :- إطلاق اسم الهادي على الله ، يسمي البعض " عبد الهادي " فهذا خطأ ، ولكن بعض أهل العلم يسوغه لورود بعض الأحاديث ولكنها لا يصح منها شيء مرفوع إلي النبي ﷺ ، فالهادي يطلق على الله إطلاق خبر عن فعل من أفعاله هو الذي يهدي عباده ، ويدلهم ويرشدهم ، ويوفقهم ، يقول الله " ومن يهد الله فما له من مضل " فإطلاقه على الله إنما هو إطلاق خبر عن فعل من أفعاله ، لكن لا يجوز أن نطلقها على الله إطلاق اسم ،

وكذلك مما ينبغي التنبيه عليه قاعدة عظيمة عند أهل السنة وهي أن " كل اسم من أسماء الله تعالى فإنه يتضمن صفة ولا عكس " فيصح أن نشتق من أسماء الله تعالى صفات ، في "العزيز" نشتق منه صفة " العزة" و" القدير" نشتق منه صفة " القدرة " وهكذا ، فأسماء الله أعلام وأوصاف . أعلام باعتبار دلالتها على الاسمية ، وأوصاف باعتبار دلالتها على الصفة ، ولكن العكس غير صحيح ، فلا يجوز لنا أن نشتق من الصفة

اسما مثال ذلك من صفاته تعالى أنه سبحانه يتكلم فلا نشتق منها لله تعالى اسما فنقول إنه " المتكلم " باعتبار أنه اسم " وهذا خطأ ، وكذلك من صفاته أنه يجي يوم القيامة مجيئا يليق بجلاله وعظمته ، فلا يجوز أن نشتق من هذه الصفة اسما فنقول الله هو" الجائى " ، ومن صفاته أيضا " الإرادة " فلا يجوز أن نشتق منها اسما فنسميه " المريد " فالأسماء نشتق منها صفات ، وأما الصفات فلا يجوز أن نشتق لله جل وعلا منها أسماء ، كما نبه على ذلك ابن القيم ونبيه على ذلك أيضا الإمام الحافظ الحكمي رحمه الله في " معارج القبول "

كذلك :- " الستار" ليس من أسماء الله تعالى ، فلا يجوز إطلاقه اسما على الله ، ولكن يصح إطلاقه من باب الخبرية ، أنه خبره من أفعال الله ، ولذلك ففي صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا " ومن ستر على مسلم ستره الله " فإذا الله هو الذي يستر على عباده ، ولكن لا نشتق منه من هذا الفعل اسما فهذا لا يجوز ،

ولذلك انتبه ، فعندنا ثلاثة أبواب تعبر عن ثلاثة دوائر :-

1- باب الأسماء وهو الدائرة الضيقة ، فوقها دائرة يسمونها باب الصفات ، ثم يكون هناك دائرة ثالثة وهي باب الأخبار، اخرج من الدائرة الصغرى إلي الكبرى ولا تنزل من الدائرة الكبرى إلي الصغرى فانتبه ، أي الدائرة الصغرى (الأسماء) فنحن نُخرج من الأسماء صفات ، ولكن لا ندخل من الصفات أسماء ، ونُخرج من الصفات أخبارا وليس كل خبر يصح أن يكون صفة ، فإذا نقول نشتق من الأسماء صفات ولا

نشتق من الصفات أسماء ، ونشتق من الصفات أخبارا ولا نشتق من الأخبار عن الأفعال صفات ، مثلا " اللهم منزل الكتاب " هذا خبر فليس من صفاته سبحانه أنه أنزل الكتاب فلا نشتق منها صفة فهذا مجرد فعل من أفعال الله جل وعلا ، وكذلك " المنعم " هذا خبر من أخبار الله جل وعلا ، ولكن ليس من صفاته ، وإنما هذا خبر عن أفعال الله ، وهذا باب ضيق في الحقيقة يحتاج إلي ضبط أكثر من هذا ولكن لعلل إن شاء الله الكلام عليه في قاعدته ، فلتنتبه أيها الحبيب لهذه الثلاث الدوائر التي ذكرتها آنفا ، فكل دائرة تعبر عن قاعدة ، باب الأسماء باب توقيفي على ثبوت النص ، الدائرة التي فوقه باب الصفات باب توقيفي على صحة النص ، إذا هاذان البابان توقيفيتان وهي القاعدة التي نشرحها ، وباب الأخبار ليس توقيفي على دلالة النص وإنما هو توقيفي على صحة إطلاق ذلك الخبر عن الله ، ولذلك باب الأخبار هو الأوسع ، فباب الصفات أوسع من باب الأسماء ، وباب الأخبار أوسع من باب الصفات ، وباب الأسماء أوسع من باب أولي .

ومثال لتوضيح :- يقول الله تعالى " أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون " فإطلاق الزارع هنا على الله هل هو إطلاق اسم ؟ نقول لا ما قال أهل السنة إن من أسماء الله الزارع ، فإن قيل هل هو إطلاق وصف على إن من صفات الله الزراعة سواء صفة ذاتيه أو فعليه ؟ نقول لا ، فإذا هذا إطلاق على أنه فعل من أفعاله ، فأنت تضع النبتة والله هو الذي يتولى إخراجها بأسباب حسية معلومة ، وإن لم يرد الله

إخراجها ما خرجت مهما فعلت من أسباب ، ولو أراد الله إخراجها بدون أي أسباب لقال لها كوني فتكون ،

مثال أخر:- يقول النبي ﷺ في استغاثته ودعائه لأنصاره " اللهم منزل الكتاب مجري السحاب ، هازم الأحزاب " ، فعندنا الأن منزل – مجري - هازم ، فهل إطلاقها على الله هل هو إطلاق اسم ؟ نقول لا ، وهل هو إطلاق صفة ؟ نقول لا ، بل هي إطلاق أخبار عن أفعال من أفعال الله ، إن من أفعاله أنه يهزم إن من أفعاله أنه يجري السحاب ، إن من أفعاله أنه ينزل الكتاب ، فأوسع هذه الإطلاقات هو إطلاق الخبر لأنه ليس توقيفا على ورود النصوص بل هو توقيفي على صحة إطلاق ذلك الخبر عن الله ، وكذلك :- إطلاق الصانع على الله ، " أن الله صانع كل صانع وصنعته " فإطلاق الصانع عن الله ليس إطلاق اسم ولا إطلاق وصف ، وإنما إطلاق خبر،

وكذلك :- " اللهم أنت الصاحب في السفر " ليس إطلاق اسم ، ولا إطلاق وصف ، وإنما إطلاق خبر، ولذلك الأسماء عند أهل السنة محصورة في ما ورد في الكتاب والسنة خاصة ، وأما الأخبار فتخير أي خبر تطلقه عن الله ولو لم يكن عليه دليل لكن المهم أنه يصح إطلاقه على الله ،

ولذلك نقول في إطلاق " دليل الحائرين " تقول مثلا " يا دليل الحائرين دلني على طريق الصادقين " فهل هذا إطلاق اسم أم إطلاق صفة أو خبر؟ نقول هذا إطلاق خبر، وليس فيه دليل من الكتاب والسنة بخصوصه ، ولكن إطلاقه صائب عند أهل السنة ولا إشكال فيه عند أهل السنة لأنه

ليس توقيفيا على ورود النصوص وإنما هو توقيفي على صحة إطلاق هذه الأخبار على الله جل وعلا

وكذلك :- إطلاق لفظ الشيء على الله تعالى ، نقول نعم يصح ، فالله أعظم الأشياء وهو الشيء الذي ليس كمثله شيء كما قال الله تعالى " قل أي شيء أكبر شهادة قل الله " فأكبر الأشياء شهادة هو الله ، وهو أعظم الأشياء ، وأقدس الأشياء جل وعلا ، فهو شيء لا كالأشياء ، فإطلاق الشيء على الله جل وعلا ليس إطلاق اسم ولا إطلاق وصف ، وإنما إطلاق خبر عن ذاته جل وعلا ،

كذلك :- إطلاق لفظ " واجب الوجود " ويذكره ابن تمية رحمه الله تعالى في كلامه ، يقول الله جل وعلا قديم أزلي واجب الوجود ، كما في التدميرية ، فهنا ثلاثة اطلاقات قديم ولا تصح إطلاقها اسم ولكن إطلاق خبر، وكذلك أزلي لا يصح إطلاقها اسم ولا صفة وإنما إطلاق خبر، " واجب الوجود " لا يصح إطلاقها اسم ولا صفة وإنما إطلاق خبر، ومعني " واجب الوجود " هو الذي لم يتقدم حياته عدم ولا يلحقها زوال وهو الله تعالى ، وأما حياتي أنا وحياتك فنحن ندخل تحت " ممكن الوجود " فنوصف بأننا وجودنا ممكن وغير ممكن ، فحياتي أنا تقدمها عدم " لم يكن شيئا مذكورا " ، ثم بعد ذلك أموت وأكون إلي الفناء ، فإذا حياتي داخله تحت ممكن الوجود أما حياة الله ووجود الله فليس له أول وليس لذاته أخر فهو واجب الوجود فهذا إطلاق صحيح على الله مع كونه لا دليل عليه لا من الكتاب ولا من السنة الصحيحة ، إذا علمت هذا أيها الحبيب فاعلم أنه ينبغي للإنسان أن يتحرز في إطلاق الأخبار عن الله إذا لم يكن ثمة لها دليل من الكتاب

والسنة ، لأنه بسبب قلة علم الإنسان أحيانا قد يطلق خبرا عن الله يري أنه يصح وهو في ذاته لا يصح فحينئذ إمساك اللسان عن إطلاق الأخبار التي تكون خارجة عن الكتاب والسنة هذا هو الأولي ولكن لو أطلقه وكان يصح فهذا جائز ولا حرج فيه ، نرجع إلي ما ذكرناه سابقا وهو أن باب الأسماء مبني على التوقيف فلا يجوز تعدي الأدلة فيه ، وباب الصفات مبني على التوقيف فلا يجوز تعدي الأدلة فيه .

وكذلك :- إطلاق النور على الله تعالى ، وإن كان الأمر لم يتحرر عندي كثيرا ولكن أقول أن النور المضاف إلي الله تعالى قسمان :-

نور هو صفته وهو المذكور في حديث أبي موسي الأشعري رضي الله عنه كما في صحيح مسلم قال قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات " أن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور ، وفي رواية النار ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهي إليه بصره من خلقه فهذا النور المضاف إلي الله جل وعلا هو نور ذاته وهو نور الصفة وهذا غير مخلوق ،

والنور الثاني : وهو النور المضاف إلي الله وهو المذكور في قول الله جل وعلا " الله نور السموات والأرض " بمعني منورهما كما في القراءة الأخرى ، فالنور يطلق على الله جل وعلا إطلاق صفة ، وإطلاق خبر ، فالنور إطلاق صفة لله ، والنور المضاف مثل الرحمة المضافة إلي الله تعالى " ورحمتي وسعت كل شيء " هذه إضافة الرحمة التي هي صفة ، ولكن " أن لله مائة

رحمة " فإضافة الرحمة إلي الله هنا إضافة خلق ، فالرحمة المضافة إلي الله رحمة هي خلقه وهي الجنة " أنت الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء " فهذه إضافة الجنة له سبحانه والجنة مخلوقة وليس في صفات الله تعالى شيء مخلوق فإذا هي إضافة تشريف وتعظيم ، ولكن قوله " ورحمتي وسعت كل شيء " هذه الرحمة التي هي صفة ، والنور كذلك ، فالنور الذي موجود الأن في الدنيا هو نور الله ولكن نوره هو الذي هو خلقه وإيجاده ، وأما النور الثاني الذي لو كشف الله حجابه لأحرقت سبحات وجهه _(النور والضياء والعظيمة) ما انتهي إليه بصره من خلقه فهذا إضافة صفة ،

وكذلك :- فالق الحب والنوي ، من باب الإخبار ، كقوله في ما مضي " أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون" ،

ثم قال الناظم وفقه الله " توافق الأسماء لا يستلزم توافق الصفات يا من يفهم " هذه قاعدة عظيمة جدا ، وهي لم يفز بها من الطوائف والملل والنحل إلا أهل السنة والجماعة زادهم الله ثباتا وعلوا وشرفا ورفعة ، فهم وفقهم الله لتقرير هذه القاعدة ، وخلاصة هذه القاعدة تقول " توافق الأسماء لا يستلزم تلازم الصفات " أي أن الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات ، وبيان هذه القاعدة أن نقول أنه ليس كل شيئين اتفقا في اسمهما لا بد لزاما أن يتفقا في مسماهما أو صفاتهما فهذا ليس بلازم ، أي ليس كل شيئين رأيتهما بعينك ، أو أحسستهما واسمهما متفق أنه لا بد أن تكون صفاتها أيضا متفقة ، فهناك أشياء نري أن أسمائها متفقه ولكن صفاتها مختلفة ، مثاله :- للبعيريدا ، ولذباب يدا فاتفق البعير والذباب أن كلا منهما له يد فهل الاتفاق في مسمي اليد في اسم اليد يستلزم

الاتفاق في صفة يد الذباب والبعير؟ نقول لا ، ولذلك يقول العلماء هذه القاعدة يدل عليها العقل والحس والنقل ، قالوا أما دلالة العقل على صحتها فلأن المتقرر عقلا أن الصفة تختلف باختلاف من أضيفت إليه فصفة كل أحد تناسبه، فلو قلت مثل أن هذا الرجل لين فوصفته باللين ، وقولت أن هذا الحديد بعد انصهاره لين فهذا لين يليق بمن أضيف إليه وهو الحديد ، وهذا لين يليق بمن أضيف إليه وهو هذا الرجل ، بل نقول اضاءت الشمس وأضاءت الشمعة ، فأضفنا هنا الإضاءة إلي الشمس والشمعة ، فإذا الصفة تختلف باختلاف من أضيفه إليه ، فتقول الشمس مضيئة وأضفت الإضاءة إلي الشمس فتكون مناسبة لكبر ذاتها ، وقوة حرارتها ، وتوقدها ولهيبها ،وإذا قلت أضاءت الشمعة فيكون ذلك مناسبا لضعف شعلة الشمعة ، فليس هناك عاقل يقول بما أن الشمس والشمعة اتفقا في اسم الإضاءة أو في صفة الإضاءة أن تكون صفة إضاءة الشمعة مثل إضاءة الشمس ، فهذا عقلا خطأ أن يقضي بأن كل صفة تختلف باختلاف من اضيفت إليه ، فكذلك نقول في صفات الله تعالى ، فصفة الرحمة أضيفت إلي الله تختلف عن صفة الرحمة إذا أضيفت إلي المخلوق ، ومجرد الا تفاق في اسم الرحمة لا يستلزم الاتفاق في كيفية الرحمة وكنه الرحمة ، فالاتفاق في اسم الوجه بين المخلوقات لا يستلزم الاتفاق في الصفات ، فمثلا تقول هذا وجه زيد فأضفت الوجه إلي زيد ، ثم تقول وهذا وجه عمر فأضفت الوجه الثاني إلي عمر فمع اختلاف الإضافات لا بد أن تختلف الصفات ، فلا يمكن أبدا عقلا أن تتفق الصفات والإضافات مختلفة ، ولكن هؤلاء القوم لا عقول لهم يفقهون بها

، صدق الله فيهم " أكثرهم لا يعقلون " " لا يفقهون " لا يعلمون " فما عندهم عقولهم يفقهون بها مراد الله جل وعلا ، فلا أحد يقول لي أنني لي وجه ، ولك وجه فلابد من أن تكون صفات وجوهنا متفقه لأن أسمائها متفقه (وجه) عندي وعندك (وجه) ، فإذا كان هذا غير متصور في ما بين المخلوقات بعضها البعض أفيكون ذلك لازما في حق الله جل وعلا ؟ فلو قلنا وجه الله تعالى وجه الإنسان يأتي جاهل يقول بما أن الوجه متفق في الاسم فيكون وجه المخلوق مثل وجه الله ، أووجه الله مثل وجه المخلوق ، فهذا لا يتصور أبدا ولا يقول هذا عاقلا ، إذا كان في المخلوقات في ما بينها أصلا غير متصور هذا وغير موجود وليس بلازم ، أفيكون لازما في حق الخالق القادر من كل وجه وفي حق المخلوق الضعيف العاجز من كل وجه !!!! إذا قال الله تعالى " يد الله " فأضاف اليد هنا إلي نفسه تعالى ثم قال " فوق أيديهم " أضاف اليد الثانية إلي المخلوقين ، فلا يكون أبدا يد المخلوق الضعيف المضافة إليه مثل اليد المضافة إلي الله القادر الكامل من كل وجه أبدا، فاختلفت الاضافات فلا بد أن تختلف الصفات ، فيد الله تعالى تطوي السموات والأرض على الكيفية التي يريدها الله تعالى ، فالله يقول " يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب " وفي صحيح الإمام مسلم يقول النبي ﷺ " يطوي الله سمواته ثم يأخذهن بيمينه ثم يطوي الأرضين فيأخذهن بيده الأخرى ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ، فهل هذه اليد مثل يد المخلوق الضعيفة التي لو شددت عليها لانكسرت ولو حمل شيء لتعبت ؟ فلا أحد يقول بهذا أنه صحيح ، فهذا خطأ كبير في حق الله تعالى ، فلذلك أنت لا تنظر إلي اسم الصفة واتفاقها

وإنما انظر إلي من أضيفت إليه ، إذا العقل يفرض أن الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات ، وكذلك الحس فنجد في المحسوسات أشياء قد اتفقت في أسمائها ولكنها اختلفت في صفاتها ، فيقولون أن للفيل يدا وللبعوض يد ، فهل هذا لازم في ما بينهم أن تكون يد الفيل مثل يد البعوض ؟ لا ، مع كونها مخلوقات في ما بينها البين ، وكذلك الصقر يوصف بأن له جناح ، والبعوضة توصف بأن لها جناح ومع ذلك لا أحد في الدنيا يقول أن جناح البعوض مثل جناح الصقر لأن هناك اتفاق في الأسماء ، بل أن الإمام ابن خزيمة غضب قليلا وهو يكتب في كتاب التوحيد وقال " بل إننا نقول لهؤلاء أهل البدع أن لكم وجوها وللقردة وللحمير والبغال وجوها " كأنه يقول اتفقتم أنتم والحمير والبغال والقرود أن لكل منكم وجه ، فهل الاتفاق في الأسماء يستلزم الاتفاق في الصفات ؟" فإن قلتم لا فنحن نحجم إذا كان ذلك ليس بلازم في ما بين المخلوقات بعضها البعض أفيكون لازما في حق المخلوق الضعيف من كل وجه ، والله جل وعلا الكامل القادر من كل وجه !!! .

- وأما النقل فإن النقول قد وصفت المخلوق بأسماء وصفات تسمي بها الله وتصف بها الله تعالى ، فقد وصف الله نفسه بأنه حليم ، ووصف اسماعيل عليه السلام بأنه غلام حليم ، وليس الحليم كالحليم ، ووصف نفسه تعالى وسمي نفسه بأنه عليم ، ووصف إسحاق عليه السلام بأنه غلام عليم "وليس العليم المضافة إلي الله كالعليم المضافة إلي إسحاق .

بل أن الله وصف نفسه بالقوة فقال "إن الله الرزاق ذو القوة المتين "
فوصف نفسه بالنفس والقوة ، بينما يصف عباده بالرزق والقوة قال الله
تعالى "فارزقوهم منه " وصف الأولياء بأنهم يرزقون أيتاهم الذين تحت
أيديهم ، وليس الرزق المضاف إلي الله كالرزق المضاف إلي المخلوق، وكذلك
وصف قوم بلقيس بالقوة قال فقالوا لها " نحن أولو قوة " فالقوة الأولي
أضيفت إلي الله فتكون لائقة به وكماله وجلاله وعزعظمته ، والقوة
الثانية اضيفت إلي المخلوق فتكون مناسبة لضعفه وعجزه ، فهذه قاعدة
تقضي على جميع ما قاله أهل التعطيل وأهل التمثيل ، فالقاعدة عندنا
تقول " الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات " وهي أحد
الأصول العظيمة التي بني عليها ابن تيمية رحمه الله كتابه " التدميرية "
فيناها على أصلين جامعين ومثلين مضروبين وقواعد جامعة ، الأصلين"
أن الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات " ، والأصل الثاني :-
الاتفاق في الاسم الكلي العام لا يستلزم الاتفاق بعد الإضافة بعد التقييد
والتخصيص ،

والمثلين المضروبين الذين ضربهما ابن تيمية رحمه الله في التدميرية تبين أن
الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات :-

1- قال فإننا نعلم أن الله وصف نعيم الجنة بأسماء تتفق مع أسماء نعيما في الدنيا ، ولكن ليس بين ما في الجنة وما في الدنيا إلا مجرد الأسماء ، فوصف لنا أن في الجنة لبنا ، وعندنا لبن ، وانتبه فنعيم الدنيا مخلوق ونعيم الجنة مخلوق ،ومع ذلك لم يستلزم الاتفاق بين هاذين المخلوقين في نعيمهما الاتفاق في الصفة ، فالجنة فيها لبن وفي الدنيا لبن ، والجنة فيها حوريات (نساء) وفي الدنيا نساء ، وكذلك في الجنة قصورا وخياما ، وخمرا ، وعسلا ، وغيرذلك ، ومع ذلك نجد هذه

الأسماء متحققة عندنا ، ولكن وجودها عندنا مجرد أسماء فقط ، بدليل قول الله تعالى " فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين " فأنا الأن عرفت أنه أخفي لي عسل وأخفي لي لبن ، وقال هنا الله " لا تعلم نفس ما أخفي " فالله لم يخف الأسماء وإنما أخفي سبحانه الحقائق واللذة والكيفية والنعيم ، فأنا لا أعلم عن كيفية هذا اللبن ولكن عرفت اسمه لأن الله أخبرن عن اسمه في القرآن ، فإذا قوله " فلا تعلم نفس لهم من قرة أعين " يقصد لا تعلم كيفيته ، ولذته ، وعظمته ، لكن تعلم أسمائه ، فإذا كانت الجنة مخلوقة ونعيم الدنيا مخلوق ولم يستلزم ذلك الاتفاق في الأسماء الاتفاق في صفات اللبن والخمروالنساء والخيام وغيرها ، أفيكون ذلك لازما في ما بين الخالق والمخلوق من كل وجه ؟

2- قال الروح التي بين جنبي أبن آدم ، فقد وصفتها الأدلة بأنها تقبض ، وأنها تتوفي ، وأنها تحنط في كفن وحنوط ، وأنها يصعد بها إلي السماء وأنها تطرح إلي الأرض " ومن يشرك بالله فكأنما خرمن السماء" فسره ما في السنن من حديث البراء ابن عازب رضي الله عنه أنه قال " فتطرح روحه إلي الأرض طرحا " ، فهي تطرح وتقبض ، فهل أنت تعرف حقيقة طرحها ؟ وكيفية قبضها ؟ وهل تعرف حقيقة الروح التي بين جنبيك ؟ فيقول ابن تيمية يا ابن آدم إذا كنت لا تعلم حقائق الصفات التي وصفت بها روحك التي تحملها بين جنبيك أتطلع نفسك وتطمح روحك على أن تتعرف على كيفية وجه الله أو صفة الله ؟ فأين أنت يا ابن آدم من هذا ؟

فالقبض الذي وصفت به الروح ليس هو القبض الموجود عندنا ، فهذا قبض خاص ، فالقبضان وإن اتفقا في الاسم ولكنهما يختلفان في صفاتهما ، وكذلك وضع الروح في الكفن والحنوط هذا شيء خاص وليس كوضع

الجسد ، ولكن هذا أمر قد استأثر الله تعالى بعلمه ، فهذه أصول عظيمة بها يتحرر عند طالب العلم الحق في هذا الباب ،

فإن قلت وهل خالفنا أحد في هذه القاعدة ؟

نقول خالفنا في هذه القاعدة طائفتان ، الممثلة – وطائفة المعطلة ، ومن باب بيان الحال نقول :-

لقد كان الممثل والمعطل أخوين يمشيان في طريق واحد لا يعرف ممثل ولا معطل فلم يفرق بينهما بعد، وقد أصل كل منهما أصلا ملعونا إبليسا ملعونا باطلا فاسدا يقول " أن الاتفاق في الأسماء يستلزم الاتفاق في الصفات " فهم أصلوه وجعلوه هذه القاعدة لديهم ، فلما نظر هاذان الرجلان إلي أسماء صفات الله وجودها متفقه مع أسماء صفات المخلوقين ، لله وجه وللمخلوق وجه ، والله له يد وللمخلوق يد ، والله له عين وللمخلوق عين ،وهكذا سائر صفات الله جل وعلا ، ولديهم أصلا فاسد أصلوه ، فبقوا حائرين لأن النتيجة هذه القاعدة الفاسدة التي أصلوها مماثلة الله بصفات خلقه على قولهم وتأصيلهم الملعون الإبليسي الذي أخذوه من كتب اليونانيين بعد تعريب المأمون له وهي ذلة عظيمة عند المأمون فمن أعظم الزلات للمأمون هي ترجمة كتب اليونانيين ، وهي الكتب التي لا يزال يتخرج منه الملحدون إلي الأن ويسمونها " كتب الفلاسفة " فهؤلاء الذين تكلموا في ذات الله وصفاته ويسبون رسوله إنما تتلمذوا على تلك الكتب التي تتلمذ عليها أوائلهم والتي لا تزال تباع وتشتري وللأسف ، نرجع للمثال فنظر أحدهم إلي الأخروقال هل نُشبه الله بخلقه ،

أو نصحح أصلنا ، أو نقع في التشبيه؟ فقال الثاني له لن أصلح أصلي فأصلنا هذا معتمد صحيح، وبما أن نتيجتها تشبيه فلنكن مشبهه ، فرضي أحدهما بنتيجة القاعدة فوقع في التمثيل ، فقال إذا وجه الله كوجوهنا ويد الله كأيدينا ، فصار الأن يوصف بأنه ممثل ، وأما الثاني فصار عنده تنزيه لله قليلا فقال شبه أنت أما أنا فلن أشبه ، فقال هذا الرجل الثاني لنفسه هل أعدل في الآيات أم أعدل في أصلي الذي أصلته حتي أكون متفق مع الآيات ؟ أم ماذا ؟ فقال أما أصلي فلن أتركه ، بل تحريف الآيات وأخرجها عن مدلولاتها الصحيحة كانت أهون على قلبه من تصحيح أصله ، فلو أنه زاد كلمة قبل كلمة يستلزم " لا " لصحة القاعدة ، ولكن يهدي الله من يشاء ويضل من يشاء " ومن يضلل الله فما له من هاد " فقال هذا الرجل الثاني بما أن نتيجة القاعدة شيء لا أرضاه أنا فأعطل الله عن صفاته وأريح نفسي من عناء هذا ، فليس لله وجه ، ولا عين ، ولا رحمة ، ولا له غضب ، ولا له قدم ، فحرف آيات القرآن فصارا معطلا ، فالأول رضي بالنتيجة فمثل ، والثاني أبي النتيجة فعطل ، فهنا انقسموا إلي فرقتين فصاروا (ممثلة ومعطلة)، والسبب الذي قادهم إلي التعطيل والتمثيل هذه القاعدة الفاسدة الإبليسية التي نفث بها إبليس في قلوبهم وعقولهم وهي أن " الاتفاق في الأسماء يستلزم الاتفاق في الصفات " . فهذا الأصل خطير أخي الحبيب فانتبه له ونبه غيرك له ، ولذلك تسمي هذه اللام بالذهبية ، فالقاعدة بزيادة اللام هي قاعدة رحمانية محمدية سنية سلفية ، وأما القاعدة بدون هذه اللام فهي قاعدة شيطانية، إبليسية فاسدة ، باطلة كل البطلان .

....

قال الناظم وفقه الله تعالى:-

" أسمائه سبحانه إن دلت للوصف فالواجب

أن تعدت ثلاثة إثباتها مع الصفة أثبتها ومقتضاها فاعرفه "

هذان البيتان بينا الواجب على المسلم تجاه أسماء الله جل وعلا ، وخلاصتها أن الواجب عليك كمسلم وسني تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وأن ربك له الأسماء الحسني والصفات العلي يجب أن تؤمن بثلاثة أشياء في أسماء الله جل وعلا ، ولا يكمل إيمان العبد بأسماء الله الثابتة في الكتاب والسنة إلا إذا مرعلى هذه للمراحل الثلاث وهي :-

1- أن تثبته اسما لله جل وعلا . فتدعوا الله به وتسأل الله به ، وتسم الله تعالى به ، وهذا ليس بكاف لا بد أن تتنقل من هذا الواجب إلي الواجب الثاني وهو:-

2- أن تؤمن بالصفة التي يتضمنها ذلك الاسم ، لأن المتقرر عند أهل السنة والجماعة أن كل اسم من أسماء الله فإنه يتضمن صفة من صفاته جل وعلا ، فالعزيز اسمه والعزة صفته ، والقدير اسمه والقدرة صفته ، والرقيب اسمه والرقابة المطلقة صفته ، والرحيم اسمه والرحمة صفته ، واعلم رحمك الله تعالى من أفرد الاسم بالإيمان وأنكر ما تتضمنه من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال والعظمة فإنه قد ألحد في أسماء الله جل وعلا ، وهذه صورة من صور الإلحاد ، ولذا يجب عليك أن تؤمن به اسما لله جل وعلا وهذا هو الواجب الأول ، ثم تثبت الصفة التي تضمنها ذلك الاسم .

3- وهو محط حياتنا ومحط رحالنا في هذه الحياة ، وهو الذي من أجله خلقنا أصلا في هذه الحياة وهو أن نتعبد لله جل وعلا بالأثار المتعدية لهذه الصفات ، التعبد لله جل وعلا بمقتضي أسمائه وصفاته ، وتلك هي الثمرة العظيمة التي ينبغي أن ينتبه المسلم لها ، فنحن موجودون في هذه الحياة حتي نتعبد لله جل وعلا بآثار أسمائه وصفاته . وأضرب لك أيها الحبيب عدة أمثلها في هذا الباب :-

1- اسم الله الغفور :- يجب علي فيه ثلاثة أشياء ، أن أؤمن به اسما لله جل وعلا ، ويجب علي أن اثبت الصفة التي تضمنها ذلك الاسم وهي صفة المغفرة ، ثم أتعبد لله جل وعلا بهذا الاسم ، أي أن نؤمن بالأثر المتعدي ، ويكون ذلك أنه إذا وقع العبد في الذنب ثم تاب فإنه يغلب جانب الرجاء في الله جل وعلا ، ويعلم أن ربه غفور رحيم فلا يقنط من رحمة الله فتلك المشاعر القلبية التي تنبعث في قلبه إنما مقتضاها وسببها إيمانك بأن من أسماء ربك الغفور ، فحينئذ لا يقنط العبد من رحمة الله تعالى ،

2- نحن نؤمن معاشر أهل السنة والجماعة إن من أسماء الله العفو "وهو العفو الغفور" :- ويجب عليك في هذا الاسم أن تؤمن به اسما لله تعالى فأطلقه على الله ،

والثاني أن تؤمن بالصفة التي تضمنها ذلك الاسم وهي صفة العفو ، وهي صفة فعليه لأنه يعفوا سبحانه أيحانا ويؤاخذ بالذنب أيحانا ، والثالث هو الذي يغفل عنه الكثيروهو أن أتعبد لله بتلك الصفة فأحرص ما استطعت في هذه الحياة أن أعفوا عن المخطئين وأن أتجاوز عن المسيئين ما استطعت إلي ذلك سبيلا ، وأن لا أبادر بالانتقام أو أعاجل بالعقوبة ما دمت قادرا على

العفو فإن العفو عند المقدرة كما هو مشهور عند الناس ولكنه ليس بحدث عن النبي ﷺ ، فلكثرة اشتهاره على ألسنة الناس ظن بعضهم أنه مرفوع لنبي ﷺ وليس بذلك ، فالعفو عند المقدرة ، ولذلك الله قدر عفو المخلوق بعفوه فقال تعالى " وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم " فالجزاء من جنس العمل ، فإذا عفوت عن عباد الله المخطئين وتجاوزت عنهم وصفحت عنهم فأبشر بربب يوم القيامة يلاقيك بعفوه لأن الجزاء من جنس العمل

3-نحن معاشر أهل السنة والجماعة نؤمن أن من أسماء الله الرقيب :-

فيجب علينا في هذا الاسم ثلاثة أمور :-

الأول :- نؤمن به اسما لله جل وعلا .

الثاني أن نثبت الصفة التي دل عليها ذلك الاسم وهي الرقابة المطلقة وهي من صفات الله جل وعلا الذاتية ، ونؤمن بالأثر المتعدي وهو أن نتعبد لله بمقتضي وأثر ذلك الاسم وهو أن العبد إذا خلا بشيء من معاصي الله تعالى ، وأغلب عليه باب غرفته ، وخلا بمحارم الله تعالى ، فإنه يتذكر رقابة الله جل وعلا وهيمنته واطلاعه وأنه في أرضه وسلطانه ، فلا يجوز له في الحقيقة أن يجعل الله أهون الناظرين إليه ، وهذا كلنا نخل به في الحقيقة ولكن ينبغي للإنسان دائما أن يذكر نفسه برقابة الله تعالى ، فالتقنية الحديثة الأن أصبحت يستطيع العبد أن يستخفي بها مالم يكن يستطيعه الشباب في السابق، فكان قديما الوسيلة المرئية (التلفاز) في منتصف البيت ، ولا يستطيع أن يستخفي بشيء من المعاصي ، ولكن الأن صار تلفاز كل واحد منا معه في جيبه ، فيستطيع أن يشغل ما شاء في سيارته، أو في

غرفة نومه ، أو في مكان بعيد عن الناس ولا يراه أحد ، فإذا لم يرب العبد نفسه على تلك الرقابة الذاتية لله جل وعلا ، فحينئذ ناهيك عن الذنوب والمعاصي التي سوف يقترفها في سره ، وأنتم تعرفون أن معصية السر لها شؤمها الكبير ، ولذلك يقول النبي ﷺ " يأتي بأقوام يوم القيامة ولهم أعمال كأمثال جبال تهامة بيض ، فيجعلها الله هباء منثورا ، فقال النبي ﷺ " يصلون كما تصلون ويتصدقون كما تتصدقون ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم إذا كانوا إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها " فعلى العبد أن يتقي الله وأن يعمر قلبه بمراقبة الله بمراقبة الله جل وعلا ،

لما قال ابن عمر لأحد الرعاة احلب لنا شاة قال سيدي يمنع ، قال سيدك ليس بموجود ، فقال وأين الله ؟ وأين رب سيدي ؟ فذهب ابن عمر وبحث عن سيده واشتراه واعتقه لوجه الله تعالى ، فهذا هو الذي يجب علينا أن نستشعره عند إيماننا بهذا الاسم ، فيفيد هذا أن من آمن بأسماء الله على أنها أسماء وأمن بالصفات ثم أخل في حال فعله ، وأعماله بمقتضيات هذا الاسم فيكون عنجه خلل في هذه الأسماء ، لأن الإيمان عند أهل السنة رحمهم الله " اعتقاد بالجنان – وقول بالسان – وعمل) فإيمانك بأسماء الله لا بد أن يكون منعقد عليه قلبك وناطقا بلسانك وتعمل بمقتضياتها بجوارحك، فإذا اختل هذا الأمر فيجب على العبد أن يراجع إيمانه وأن يحاول أن يبحث عن السبب الذي يجعل ذلك الميزان قد اختل في قلبه نسأل الله أن يعيننا جميعا ،

ثم قال النظم وفقه الله :-

" أسمائه سبحانه أعلام كذلكم أوصاف يا همام "

هذه القاعدة عند أهل السنة تقول " أسماء الله أعلام وأوصاف " ، وهي أن أهل السنة والجماعة أرادوا أن يتميزوا عن المعتزلة ، فقالوا نحن نؤمن بأن الله جل وعلا تسمي بأسماء وأن لكل اسم من هذه الأسماء صفات ، فأسماء الله تعالى أعلام ونعوت ، فهي أعلام باعتبار دلالاتها على الإسمية ، ونعوت باعتبار دلالاتها على الوصفية ، ونحن بذلك قد خالفنا مذهب المعتزلة الذين يؤمنون بالاسم ولكن ينكرون الصفة ، وهذا نوع إلحاد في أسماء الله جل وعلا.

ثم قال الناظم وفقه الله :- " أسمائه بالذات قل متفقه وباعتبار وصفه مختلفة"

هذه قاعدة من قواعد أهل السنة والجماعة الذين أردوا بها أن يتميزوا عن أهل البدع من المعتزلة وغيرهم ، إذا قيل لك هل أسماء الله متفقه أم مختلفة ؟

قبل الإجابة نضرب مثالين لتوضيح :-

النبي ﷺ قد سماه الله جل وعلا بجمل من الأسماء فهو أحمد ومحمد والماحي والحاشر والعاقب ونبي الملحمة ونبي الرحمة ، كما ثبت ذلك في الصحيحين من حديث جبير ابن مطعم رضي الله وغيرها ، بل إن بعض أهل العلم ولعله السيوطي إن لم أكن واهما قد أوصل أسماء النبي ﷺ إلي قرابة ألف اسم ، وهي في الحقيقة ليست أسماء أكثر من كونها لنبي ﷺ ، فهذه الأسماء لنبي ﷺ لو نظر إلي دلالتاه على الذات لوجدت أنها تدل على

ذات واحدة وهي ذات النبي ﷺ ، وليس معنها أن أحمد يدل على ذات ومحمد يدل على ذات ثانية ،بل كلها تدل على ذات واحدة ، فهي باعتبار دلالاتها على الذات متفقة ، فحمد هو أحمد ، ومحمد وأحمد هو نبي الرحمة ﷺ ، ومحمد وأحمد ونبي الرحمة هو نبي الملحمة ، ومحمد وأحمد ونبي الرحمة ونبي الملحمة هو العاقب والحاشر. فكل هذه الأسماء متفقة (مترادفة) باعتبار دلالاتها على ذات النبي ﷺ ، لكن لو تأملت إلي صفات هذه الأسماء التي تحملها لوجدت أن كل اسم منها يحمل صفة غير التي الصفة التي يحملها الاسم الأخر. فمحمد مثلا يحمل صفة الناس يحمدونه ، فهو محمود على كل لسان ، ولا يذرك اسمه إلا يصلي عليه ويسلم ﷺ ، فمحمد بمعني كثرة حمد الناس له ، وأحمد هو كثير الحمد في ذاته فإذا هو باعتبار كثرة الحمد الصادر منه هو أحمد ، وباعتبار كثرة الحمد الصادر لغيره له هو محمد ، فلا خلاف بين الاسمين ، فأحمد دليل على أنه كثير الحمد ، ومحمد دليل على أنه محمود يحمده الخلق ، ونبي الملحمة دليل على أنه بعث بالسيف والجهاد ، ونبي الرحمة دليل على أنه إنما بعث رحمة للعالمين كم قال الله جل وعلا " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " ، والحاشر فسرها النبي ﷺ " الذي يحشر الناس على قدمي " أي يحشرون خلف النبي ﷺ على الكيفية والصفة التي يريدها الله تعالى ، والعاقب فسرها النبي ﷺ الذي بعده أحد أي أنه أخر الأنبياء والرسل فليس بعده أحد ﷺ ، فهذه الأسماء لنا فيها نظران:-

1- باعتبار دلالتها على ذات واحدة

2- باعتبار دلالتها على صفات متعددة .

فإذا قيل هل أسماء النبي ﷺ مختلفة أم متفقة ؟ فقل هي متفقة باعتبار دلالاتها على ذات واحدة ولكنها مختلفة باعتبار دلالاتها على صفات متعددة

المثال الثاني :-

النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة قد سمت يوم القيامة بجمل من الأسماء الكثيرة ، فسمته يوم القيامة .،واليوم الأخر ، والصاخة، والطامة ، والواقعة ، ويوم التغابن ، فأسماء كثيرة في الكتاب والسنة ، وهذه الأسماء كلها تدل على ذات يوم واحد ، فتلك الأسماء المتعددة لكها تدل على ذات يوم واحد ، فكلها متفقة باعتبار دلالاتها على ذات يوم واحد ، ولكن صفة كل اسم منها يدل على صفة أخرى غير الصفة التي يدل عليها الاسم الأخر، فاليوم الأخر يدل على آخريته بمعني أنه لا يوم بعده ، يوم القيامة دليل على قيام الناس من قبورهم حفاة عراة غرلا لفصل القضاء ، ويوم التغابن دليل على شدة الحصرة والغبن العظيم الذي سيحصل فيه ، فأهل النار يغبنون أهل الجنة ، وأهل الجنة يغبن أصحاب الدرجات السفلي يغبنون أهل الدرجات العلي ، ويوم القارعة دليل على شدة الأهوال التي ستكون فيه وشدة الأصوات التي تقرع القلوب وتصخ الأذان فهو يوم الصاخة فسماء تتشقق ، وشمس تكور ، وجبال تسير ، فأصوات ذلك اليم عظيمة والأذان تصخ في هذا اليوم العظيم ، (والصخ) عطل بسيط يصيب السمع بشيء بسبب شدة الصوت القريب

والواقعة أن الله جل وعلا أخبربأنها واقعة " أن عذاب ربك لواقع ما له من دافع " ، فصارت هذه الأسماء تحمل صفات مختلفة ، ولكنها تدل كلها على ذات يوم واحد

فنقول أسماء يوم القيامة متفقة باعتبار دلالتها على ذات يوم واحد وهو اليوم الأخر ، ومختلفة باعتبار دلالتها على ما يكون من صفات مختلفة لهذا اليوم وما فيها ،

مثال ثالث :-

الأسد سمته العرب بعدة أسماء ، فهو الأسد ، والعباس ، وحفص ، والهزبر ، والليث ، الغضنفر ، فكلها أسماء للأسد ، فعند العرب قاعدة أنها " إذا أحبت شيئا وعظمته أكثرت من أسمائه ". ولذلك أعظم العظماء على الأطلاق هو الله ولذلك أكثر الله من أسمائه لأن هذا يقترن بالعظمة ، ولأنها أسماء توقيفية فلم يفتح المجال لناس حتي يسمون الله وإنما هو الذي سمي نفسه ، وسمي نبيه ، كالسيف له أسماء عدة ، وكذلك الأسد له أسماء كثيرة ، فكل شيء تعظمه العرب وتحبه وتجله وتقدره فإنها تجعل من جملة تعظيمها له تعبيرا لذلك أن تكثر من أسمائه فكلما كثرة أسماء الشيء كلما دل على عظمته ،

فالأسد كل هذه الأسماء تدل على ذات واحدة وهي ذات الأسد ، ولكن تدل على صفات مختلفة ، ومثلها أيضا كما ذكرنا أسماء السيف (البتار– الصارم– المهند) فكل هذه أسماء تدل على ذات السيف وهي ذات واحدة ولكنها تدل على صفات ومختلفة .

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى:-

" .... كما أتي به الدليل المعتمد "

وهذه قاعدة تقول " أسماء الله لا تحصر في عدد معين " وقد استدل العلماء على ذلك بحديث الكرب " أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك " فدل ذلك على أن هناك أسماء قد أستأثر الله جل وعلا بها في علم الغيب عنده لا يعلمها أحد ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وإنما أطلعنا الله جل وعلا على جمل من أسمائه جل وعلا ، فهناك أسماء لا يعلمها أحد إلا الله ، وأظن والله تعالى أعلم والشك مني والعقيدة لا يقال فيها بالرأي ولكن ليس هذا من المسائل الكبيرة في العقيدة أقول هي تلك الأسماء التي سيعلمه الله نبينا محمد ﷺ فيتوسل إليه في فصل القضاء بها ، لأن قال في الحديث " فيفتح الله من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتح لأحد من قبلي " ، أي أنه يفتح الله عليه من تعريفه وتعليمه جل وعلا بهذه الأسماء التي يتسول بها الله في فصل القضاء ، والله أعلم بحقيقة الحال ، والمهم أن أصل القضية أنه يجب علينا أن نؤمن بأن أسماء الله كثيرة لا يعرف عددها على التحديد إلا الله جل وعلا ،

ويجاب على ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول ﷺ " أن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة ، وفى رواية " من حفظها دخل الجنة "

وفي رواية "وهو وتر يحب الوتر" والحديث كما ذكرت في الصحيحين ، بأن هذا حصر الثواب في هذا العدد لا حصر العدد ، وضرب المشايخ أمثلة كثيرة في ذلك منها مثل :-

لو قلت مثلا عندي مائة بيت من الشعر من حفظها اشتريت له سيارة ، فهذا ليس دليلا على أنني لا أملك من الأبيات الشعرية إلا هذا المقدار فقط ، ولكنني أخرجت ثوابا فحصرت من أراد هذا الثواب فحصرت هذا العدد في الثواب ، فقلت من أراد هذا الثواب فليحفظ من الأبيات هذا المقدار، فكذلك قول النبي ﷺ " أن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة " أي أن الله جل وعلا جعل للجنة طرقا كثيرة من جملة هذه الطرق أن تحصي من أسمائه هذا المقدار " تسعة وتسعين اسما" فإذا لا يدل على أنه ليس لله إلا هذا المقدار، ولأن المتقرر عند العلماء رحمهم الله " أن الجمع بين الأدلة واجب ما أمكن " والجمع بين هذا الحديث والحديث الثاني "أو استأثرت به في علم الغيب عندك " هو أن نخرج الحديثين على هذا التخريج الذي تقرر عند العلماء ، وهذا عليه عامة أهل السنة والجماعة على أن أسما الله لا تحصر في عدد معين ، وجعلوها من الأصول والقواعد التي يدرسونها ، ويؤلفون فيها ،

أيضا إذا قلت مثلا " أن عندي مائة دينار أعددتها لصدقة " ، فهذا ليس دليلا على أنني لا أملك من الدنانير إلا هذا المقدار، وإنما هناك شيء أعددته لشيء وهو هذه المائة ، ولكن قد أملك مليون دينار، فإذا هذا لا يدل على حصر أسماء الله في هذا المقدار،

تنبيهات :-

1- معني قول النبي أحصاها :- المراد بإحصائها أي حفظها عددا ، وإحصائها عملا ، ليس المقصود فقط أن تحفظها وتجعلها كالمتن تراجعها فيحفظها عقلك وقلبك فقط بدون أعمال لا ، فلابد من إحصائها حفظا وإحصائها عددا ، ويدل على ذلك قوله من حفظها ، فالمراد بالحفظ حفظ الألفاظ وحفظ العمل لأن هذا هو الحفظ العامل ، فإذا لابد من إحصائها عملا بمعني أن أحفظ من الله تسعة وتسعين ، ثم أتعبد لله جل وعلا بهذه الأسماء ،

2- لم يرد في السنة الصحيحة المرفوعة تحديد لأعيان وأفراد هذه الأسماء ، وإنما ورد عند الترمذي رحمه الله تعالى في جامعه تحديدها وتعديدها ، ولكن العلماء حكموا على الحديث المُفَصِل لها اسما حكموا عليه بالضعف لأنه من رواية الوليد ابن مسلم وهو مدلس تدليس شيوخ ، فحديثه ضعيف ولم يصرح هنا بالسماع ، وقد حكم بضعف هذا الحديث شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، ومن المعاصرين الشيخ الألباني ، وغيرهم من أهل العلم ،
فالمسألة فيها نوع اجتهاد فالمجال أمامك مفتوح فإذا مررت على اسم من أسماء وأنت تقرأ القرآن فاكتبه جانبا ، وإذا مررت على شيء من أسماء الله في السنة فاكتبه جانبا ، ولكن لا بد أن تفرق بين أنواع الإطلاق على الله ، لأن هناك ما يطلق على الله ويراد به إطلاق الإسمية ، وهناك إطلاق على الله ويراد به إطلاق الوصفية ، وهناك إطلاق على الله ويراد به إطلاق الخبر ، مثلا إذا مررت على قول الله " أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون " فلا تكتب أن الله من أسمائه الزارع انتبه ، فالمسألة مسألة اجتهاد فإذا أحصيت من هذه الأسماء

تسعا وتسعين اسما انظر كيف تتعبد لله جل وعلا بها ، ومن أمتع الكتب التي اطلعت عليها في أسماء الله تعالى مقرونة بأدلتها مثل كتاب الشيخ " السقاف " "الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة" ، وفي الشيخ محمد ابن عثيمين الله يغفر له ، والشيخ الألباني ، وشيخ الإسلام ابن القيم ، لهم اجتهادات في البحث عن أسماء الله جل وعلا ،

ثم قال الناظم وفقه الله :-

" .... "

هذا يبين أن صفات الله جل وعلا صفات عليا ، نحن نؤمن بأن له من صفاته الحكمة ، ولكن الحكمة البالغة المتناهية المطلقة ، نحن نؤمن أن لله العزة ولكن أي عزة .؟ هي العزة البالغة المتناهية المطلقة ، ونؤمن أن لله القوة ، وأي قوة .؟ هي القوة البالغة المتناهية المطلقة ، فكل صفة نثبتها لله فيجب علينا أن نثبت لله جل وعلا المطلق منها ، وهذا من جملة ما يفرق فيه بين صفات المخلوق وصفات الخالق من جملة وإلا فالفروق كثيرة جدا ، لكن من جملة ما يفرق وهي أن المخلوق له عزة ، ولكن المخلوق له مطلق العزة ، والله له العزة المطلقة ، المخلوق له مطلق العلو في جبل أو شيء بعض العلو ، أما الله تعالى فله العلو المطلق ، المخلوق له مطلق القدرة ، والله له القدرة المطلقة ، المخلوق له مطلق القوة ، والله له القوة المطلقة ، فالشيء المطلق هو كل الشيء ، ومطلق الشيء هو بعض الشيء ، وهذه من جملة الفروق التي نص عليها الإمام القرافي رحمه الله تعالى في كتابه العظيم الواسع " الفروق " ، فهذا الذي نثبته لله تعالى ، وبرهان هذه

القاعدة قول الله " وله المثل الأعلى في السموات والأرض " والمراد بالمثل الأعلى يعين الوصف الأعلى ، ولذلك قد يقول قائل هل يجوز أن أقول للمخلوق أن أقول له لك تحياتي ؟ نقول أما التحيات المطلقة الكاملة المتناهية فهي لله تعالى ، وأما للمخلوق مطلق التحيات ، وكذلك قولنا جلالة الملك وأطلق الجلالة على الملك ، نقول مثل الأخر إن كان يراد به الجلالة المطلق فهذا لا يجوز وإنما الجلال المطلق لله تعالى ، وأما المخلوق فله جلال يناسبه أي مطلق الجلال .

ثم قال الناظم وفقه الله:-

" ولا يجوز الوصف للخلاق بالمكروالخداع بالإطلاق بل في مقام المدح أثبتنها وفي مقام الذم فرمنها "

وهذه قاعدة طيبة وعريقة جدا ، وهي تقول " الصفات التي هي كمال باعتبار ونقص باعتبار ثبت لله جل وعلا حال كمالها ، وتنفي عنه جل وعلا حال نقصها "

وتفصيلها أن نقول :- إجمالا أن الصفات من حيث اثباتها ونفيها لله جل ولعا لا تخرج عن ثلاثة أقسام :-

1 – صفات هي من جملة الكمال المطلق فهذه نثبتها لله على وجه الإطلاق مثل صفة الحياة ، والقدرة ، السمع ، والبصر، العلم ، العظمة ، الهيمنة، كل هذه صفات كمال من حيث جئتها وجدتها كمالا فهذه تثبت لله جل وعلا على وجه الإطلاق وليس هذا النوع من الصفات محط قاعدتنا هذه .

2-عكس القسم الأول وهي صفات نقص مطلق كالموت ، والغدر، والظلم ، والعجز، واللغوب ، والخيانة، والضعف ، والإعياء ، هذه نقول يجب علينا فيها أمران :- أن ننفيها عن الله تعالى ، ونثبت له كمال ضدها ، فننفي عن الله الظلم لكمال عدله ، وننفي عن الله النوم والسنة لكمال حياته وقيوميته ، ننفي عن الله جل وعلا الولد والصاحبة لكمال غناه جل وعلا عن كل أحد وهكذا ، وهذا القسم الثاني ليس هو محط رحالنا في هذه القاعدة ، ومحط رحالنا هي تلك الصفات التي أن جئتها من هذه الجهة وجدتها كمالا ، وإن جئتها من هذه الجهة وجدتها نقصا ، فهذا مذهبنا فيها أن نثبتها لله جل وعلا حال كونها كمالا وأن ننفيها عن الله جل وعلا حال كونها نقصا ، ويفرع على ذلك جملا من الفروع الصغيرة المختصرة :-

منها صفة المكر كما قال الناظم " ولا يجوز الوصف للخلاق بالمكروالخداع " المكر ليس من قبيل صفات الكمال المطلق حتي نلحقه بالقسم الأول ، ولا من قبيل النقص المطلق حتي نلحقه بالقسم الثاني بل هو من جملة القسم الثالث ، فالمكر إن جئته من هذه الجهة وجدته كمالا ، وإن جئته من هذه الجهة وجدته نقصا ، فيكون المكر كمالا إذا كان من باب الجزاء والمقابلة ، فمثلا يأتي أحد المخلوقين يمكرويخادع عباد الله المؤمنين ثم يقع مكره وتدبيره عليه ، كما قال الله جل وعلا " ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله " فالمكريكون هنا كمال ، وكان المكر من باب المقابلة والجزاء كمالا لأنه دليل على كمال علم الله ، والقدرة على المعاملة بالمثل ، وهذا من أعظم أنواع الكمال

وأما المكر الابتدائي وهو المكر بمن لا يستحق المكر ، عبد ضعيف لم يفعل شيئا ثم يمكر به نقول هذا المكر نقص لأنه دليل على الظلم والاعتداء والعدوان ، وهذا ينزه الله جل وعلا ، فنقول إذا المكر الذي يوصف الله به هو المكر من باب الجزاء والمقابلة ، وأما المكر ابتداء فإنه نقص لا يوصف الله به ، كما قال الناظم " بل في مقام المدح أثبتنها ، وفي مقام الذم فرمنها " مثلها يقول " بالمكر والخداع " قول بالخداع أي المخادعة ، فنقول وصف الله تعالى بالمخادعة ليس من القسم الأول حتي نلحقه بالكامل المطلق ، ولا من القسم الثاني حتي نلحقها بالقسم الثاني ، بل الخداع من الكمال باعتبار ومن النقص باعتبار ، فحينئذ نثبت صفة المخادعة لله حال كونها كمالا و، وننفيها عن الله جل وعلا حال كونا نقصا ، وتكون كمال مثل ما قلناه في المكر ، فنقول المخادعة ابتداء نقص من غير أسباب توجيبها فهذا نقص ، والمخادعة جزاء ومقابلة كمال لأنها دليل على كمال القدرة وكمال العلم ، ومثلها أيضا يقال في المكر ،فالمكر الابتدائي لا نثيثه لله ، وأما المكر من باب الجزاء والمقابلة فنثبته ، ولذلك هذه الصافات لا تجدها في القرآن مضافة إلي الله إلا مقيدة فلا تجدها مطلقة مثل " ومكروا ومكر الله " ومكروا مكرا ومكرنا مكرا " ، " إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم " " إنهم يكيدون كيدا وأكيدا كيدا " فإذا هذه لا يوصف الله بها على وجه الإطلاق ، وإنما يوصف الله بها من باب الجزاء والمقابلة ، وأيضا صفة الاستهزاء ، فأما الاستهزاء الابتداء فهو نقص ينزه الله عنه ، وأما الاستهزاء من باب الجزاء والمقابلة على الكيفية التي يريدها الله فهذا كمال ، ولذلك الله جل وعلا قال عن المنافقين " وإذا خلوا إلي شياطينهم قالوا إنا معكم

إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم " ، وكذلك لفظ السخرية هل يوصف الله بالسخرية ؟ نقول أما السخرية الابتدائية فهي نقص لا يوصف الله به ، فلو جاء أحد لا تعرفه ولا يعرفك وتسخر منه فهذا نقص ، فالله لا يوصف الله به ، وأما السخرية الجزائية من باب الجزاء والمقابلة فهذا كمال يوصف الله جل وعلا لكمال الدليل ، لأن الدليل على كمال العلم وكمال القدرة ، والإحاطة ، وأنه لا يخفي عليه جل وعلا شيء في الأرض ولا في السماء ، والدليل على ذلك في قول الله " الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منه " فهذه طائفة من المنافقين لما أمر النبي ﷺ بتجهيز جيش العسرة كان بعض المؤمنين يأتي بشيء يسير فيقول المنافقون إن الله عن هذه الصدقة لغني ، وإذا جاء إنسان أخر بكثير قالوا ما جاء بها إلا رياء وسمعة ، فلا هؤلاء سلموا منهم ، ولا هؤلاء سلموا من كلامهم ، ولكن همهم فقط أن يقدحوا ، وأن يغمزوا ،،وأن يلمزوا ، فلا سليم منهم الواجد (المطوع بالكثير) وما سلم منهم الذي لم يجد إلا جهده ؛ "فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم " ، بقي عندنا فرعان لا أريد الإطالة فيهما وهم فرع : - النسيان – العجب .

فهل يوصف الله تعالى بالنسيان ؟ نقول من باب التفصيل ؛ النسيان إذا كان بمعني الغفلة والذهول عن الشيء ، مثل نسيان العبد فيكون الشيء معه ، وأمامه ويسأل عنه ، فهذا نسيان بمعني الغفلة والذهول عن الشيء فهذا نقص ينزه الله جل وعلا عنه ، وهو المنفي في قول جل وعلا " قال فما بال القرون الأولي قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسي " أي لا

يغفل ولا يذهل عما عملته الأمم الماضية ، فالنسيان له في لغة العرب معنيان :-

1-نسيان بمعني الغفلة والذهول عن الشيء ، فهذا نقص يصيب عقول المخلوق ، وتفكير المخلوقين ، وعلوم المخلوقين ، وإحاطة المخلوقين .

فهذا فينا نحن البشر ، وأما الله جل وعلا فهو منزه عنه ، وهو النفيان المنفي في الأدلة

والمعني ترك الله للمنسي عن علم ، وعمد ، مع ما تحتمله مقتضياته ، ومعني تركه أي أن العبد يتركه الله جل وعلا عن علم وعمد ، لا عن غفلة وذهول منه جل وعلا وحاش وكلا ونعوذ بالله من ذلك ، وإنما ترك عن علم وعمد من باب الجزاء والمقابلة ، ولذا لا تجد النسيان مثبتا لله جل وعلا إلا من باب الجزاء " نسوا الله فنسيهم " وقول الله جل وعلا " كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسي " وقول الله جل وعلا " الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ، وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم " والأصل في إضافة الصفة إلا الله أنها صادرة منها ، ولكنه النسيان بمعني الترك عن علم وعمد ، بمعني أنه لما تركوا الإقبال على ما ينفعهم من الإيمان بالله ورسوله وملائكته عن علم وعناد واستكبار فلا بد أن يعاملوا بمثل هذا الأمر فيتركهم الله جل وعلا في أحوج ما يكونوا له سواء في الدنيا أو في الاخرة عن علم وعمد جزاء ومقابلة ، ويدخل في ذلك النسيان بمقتضياته ومعني مقتضياته هو الاستدراج ، قال الله جل وعلا " وأملى لهم إن كيدي متين " ،

بمعني أنه ييسر لهم من الأسباب ما يزيد نسيانهم له ، ولذلك يقول الله جل وعلا " فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم كل شيء حتي إذا فرحوا بما أتوا أخذناهم بغته " فهذا من جملة الآثار المترتبة على أن الله جل وعلا لا يريد منهم العودة للإيمان ولا يريدهم أن ينتبهوا ، ولتعلم أن كل ما يجريه الله على العبد من المصائب فهو نعمة عظيمة لأن تلك المصائب أحيانا تكون أبوابا عظيمة لمراجعة النفس ، ولمحاسبتها ، ولزجرها عن التقصير ، والتوبة إلي الله جل وعلا ، ولذلك في الصحيحين من حديث كعب ابن مالك رضي الله عنه قال " مثل المؤمن في هذه الدنيا كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح ، تصرعها مرة وتعدلها أخرى ، وأما المنافق فهو كالأَرَزَة المجذية على أصولها لا يصيبها شيء حتي يكون انجعافها مرة واحدة " وفي الصحيح يقول النبي ﷺ

2- " من يرد الله به خيرا يصب منه " فهذا الله لا يريد أن ينساه يوم القيامة ولا يتركه فيسر له من الأسباب ما يجعله دائما يتذكر ربه ، لأن من نسي الله في هذه الدينا عن علم وعمد فإنه سيُقَابل بنسيان الله له ، فإذا اضيف النسيان إلي الله فاعرف أنه بمعني الترك عن علم وعمد ، جزاء ومقابلة ، وهذا بإجماع أهل السنة والجماعة ،

وقد قال الناظم وفقه الله تعالى :-

" والله ينسي والمراد به هنا ترك الإله لفاعل العصياني علما وعمدا لا ذهولا يا فتي فاعرف هنا المقصود بالنسيان " ، وقال أخروفقه الله تعالى

" كذلك النسيان معنيان أولها الذهول ثم الثاني " الترك عن علم وعمد يدخل حينئذ في وصفه لا الأول " (أي الذهول والغفلة عن الشيء)

2-الصفة الثانية وهي صفة العجب :- هل يوصف الله بالعجب أم لا ؟ نقول العجب الذي ينسب إلي الله جل وعلا إنما هو خروج الشيء عن حكم نظائره لا خفاء الأسباب ، وأما العجب الذي سببه خفاء الأسباب المتعجب منها فهذا منتفي عن الله لأن هذا نعوذ بالله نقص في ذات الله جل وعلا.

مسألة :- هل يوصف الله بالأسف أي أن الله جل وعلا يتأسف ؟ نقول إذا كان الأسف يراد به الغضب فهو يوصف الله جل وعلا به لأنها كمال لقول الله جل وعلا " فلما أسفونا انتقمنا منهم " أسفونا أي أغضبونا؛ فجاء بعدها بالانتقام وهو أثر من آثار الغضب " انتقمنا منهم " فالأسف بمعني الغضب يوصف الله جل وعلا به ، وإذا كان الأسف معناه الحزن والضعف فلا يوصف الله به ، وعندنا آية في القرآن تدل على أن الأسف يطلق على الحزن وهي قول الله جل وعلا " وقال يا أسفا على يوسف " وكذلك " ولما رجع موسي إلي قومه غضبان أسفا " جمع بين الوصفين غضبانا ؛ أسفا ، غضبان من فعلهم ، ومتأسفا على قومه ،

وكذلك في " الانتقام " هل وصف الله به ؟ نقول نفس الشيء فهذه قاعدة طيبة ومباركة ، فنقول الانتقام الابتدائي بدون أي أسباب لا يوصف الله به ، ولذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب ، حتي يقيم الحجة على الناس فلا يكون لناس على الله جل وعلا بعد الرسل ، فالله لا يعذب ابتداء يقول الله جل وعلا " وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا " ، فالله لا يعذب أحدا إلا بعد إقامة الحجة عليه ، ولذلك اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في أصحاب الفترة ، وهي الفترة الطويلة بين النبيين

؛ بحيث تخفي شريعة النبي الأول ولما يبعث النبي الجديد في الشريعة، فماتوا قبل أن يُبعث لهم رسول ، فأهل السنة والجماعة يقولون لا لا يعذبهم الله لأنه ما بعث لهم رسول ، وشريعة النبي الأول قد اندثرت واندرست ، فحينئذ نقول القول الصحيح في أصحاب الفترة أنهم يمتحنون يوم القيامة ، فمن علم الله أنه لو أرسل إليه رسول استجاب له يوفقه الله في نتيجة هذا الامتحان والابتلاء ، وأما من علم أنه لا يؤمن بالرسول بعد بعثته فإنه لا يوفقه للإجابة ، وهذا علم الله الكمال ، وهم ما بعد آمنوا ولكن الله يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن أن لو كان كيف يكون ، فهؤلاء لو أنهم أدركوا البعثة لعلم الله هل يؤمنون أم لا ، بدليل " ولو ردوا لعادوا " فهو يعرف ما لم يكن أن لو كان لو كان كيف يكون جل وعلا ، ولتعلم أيها الحبيب أن الشرف أن يرضي عنك من في السموات ذلك هو الشرف العظيم أن يرضي عنك هذا الرب العظيم ، فالمخلوق لو سعي في إرضاء ملك أو أمير أو وزير، أو فلانا من أجل أن يعطف عليه بشيء من المال ، أو المناصب ، فكون بعض الخلق يحرصون على هؤلاء المخلوقين من أجل متاع زائل من هذه الدنيا ، فلأن نسعي جاهدين في هذه الحياة قبل فواتها ، وخروج الروح ، أن نسعي جاهدين في إرضاء الله جل وعلا ، أعظم الفخر وأكبر تاج الجمال والملك عليك أن تمشي فوق أرض الله ومن فوق العرش راضٍ عنك ، كلما نظر إليك سبحانه ضحك ، فأسأل الله أن يجعلنا ممن رضي عنهم وهذا قمة الفخر، فلا تسعي لإرضاء المخلوقين .. بل اسع في إرضاء الله ومن سعي في إرضاء الله في كل سكناته ، ولحظاته ، وحركاته ، وأقواله ، وأفعاله ، فهذا كفيل بأن يشرح الله له الصدور ، وأن يرضي عنه الخلق جميعا ، فإياك أن تتكلم بكلمة إلا وتعرف هل ترضي الله أم تسخطه جل وعلا ، ولذلك ليس الشيء أننا نحب الله فكلنا نحب الله فكل من أنعم عليك أحببته ، ولكن الشاهد هل هو سبحانه يحبك أم لا ، فالكفار يقولون نحن نحب الله ، ولكن هل هو يحبك أم لا ؟ فالشأن أن تفعل الأشياء التي تجوب رضاه ومحبته ، وطوبي لمن أحبه الله ورضي عنه ، وأعظم شيء يحقق ذلك الدعاء فادع وقول " اللهم اجعلني ممن احببته ورضيت عنه " فدائما ادعوا في سجودك " اللهم اجعلني ممن أحببتهم

ورضيت عنهم ولا تقبض روحي إلا وأنت قد رضيت عني ، فمثل هذه الدعوات إذا علم الله من قلب صاحبها الصدق فإنها تكون سببا لتوفيقه وثباته إلي أن يلقاه ، يقول النبي ﷺ " إن العبد المؤمن يلقي ربه كالمسافريلقي أهله " فالمسافر إذا أطال السفر ثم رجع إلي فانظر كيف يكون استقباله بالحفاوة والترحاب ،وتجد فيها لحظات لا يستطيع الإنسان أن يعبرعنها فعلا ، فكذلك المؤمن إذا لقي ربه فرح عظيم جدا ، فتلك اللحظات تبقي في ذاكرتك إلي أن تموت ، خاصة إذا طال السفر ، قال "والكافريلقي ربه كالعبد الذي أبق من سيده " ، فتجد هذا العبد الآبق منكسا رأسه ، ومتذلل، وضائق صدره ، وسيد أعده لها ألوان العذاب والعقاب ، فلنكن من الصنف الأول وأن نموت على الإيمان حتي إذا قابلنا الله يكون كالمسافر الذي يقابله أهله ،وكما بين الناظم وفقه الله تعالى أن الواجب المحتم في نفس الصفة ثلاث اثبات هذه الصفة ونفي تمثيل مع قطع الطمع .

....

ثم قال الناظم وفقه الله :-

".. "

هذه القاعدة العظيمة من القواعد التي اعتمدها أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه القيم " التدميرية " وخلاصتها يقول " القول في الصفات فرع عن القول في الذات" وهو أصل عظيم متقرر عند أهل السنة والجماعة بإجماعهم ، أجمع أهل السنة والجماعة على أن كل شيء تقوله في ذات الله جل وعلا فإنه لزاما عليك أن تقوله في صفاته " ، ويتفرع على ذلك عدة أمور :--

1 – إذا أثبتنا أن ذات الله جل وعلا موجودة فيجب علينا أن نثبت وجود صفاته ، فأي شيء نجزم به في الذات فإننا مباشرة نقوله في الصفات .

فليس ثمة احد عطل الله جل وعلا عن ذاته ، فجميع الفرق تؤمن بأن الله جل وعلا له ذات ، ولكنهم يتكلمون في أسماء هذه الذات وفي صفاتها ، فمنهم من أثبت الذات ولكن أنكر ما يطلق عليها من الأسماء والصفات ، فنقول أنتم وقعتم في التناقض لأنكم تثبتون الذات فتقولون في الذات قولا لا تقولونه في الصفات وهذا خطأ ، بل الواجب عليكم إذا أثبتم لذات شيئا فإنكم تثبتونه مباشرة لصفات ، فأول شيء نرد به على هؤلاء أن نقول أنتم تؤمنون بأن ذات الله جل وعلا موجودة ؟ فإذا قالوا نعم فيجب عليكم أن تؤمن بأن صفات الله جل وعلا موجودة ، وهذا لا يكون أبدا ، فما من ذات إلا ولها صفات ، فلن تجد ذاتا في هذا الوجود إلا وهي تتصف بصفات ، فهذا الكرسي ذات له ذات وصفات ، فهذه ذاته والذي نرها ونحبط به صفاته ، وهذه الذات عبارة عن الصفات ، والعين لا تري الذات، وإنما تري صفات هذه الذات ، فكذلك أنا ، وأنتم ، والثاني ، والثالث ، كلنا لنا ذوات ، فإذا نحن إذا أقررنا بوجود ذات الله جل وعلا فيجب علينا أن نؤمن بجود صفاته ، ولذلك أخطأ الجهمية في قولهم " إن ذات الله مجرده عن الصفات

" وأخطأ المعتزلة لما قالوا " إذا ذات الله مجردة عن الصفات " ، وأخطأ الأشاعرة الذين يقولون "إن ذات الله جل وعلا مجردة عن الصفات الخبرية ، وأما الصفات العقلية السبع فإنهم يثبتونها لله جل وعلا " ، فكل من نفي صفة فإن نفيه لهذه الصفة قدح في إيمانه بذات الله جل وعلا لأنه لو كان إيمانه بذات الله هو الإيمان الكمال لأثبت جميع ما وصف الله به نفسه في كتابه وما وصفه به نبيه ﷺ في صحيح سنته ، إذا هذا أول شيء

تثبته هو إثبات الصفات ، وإذا كنت تؤمن بأن ذات الله جل وعلا موجودة فيجب عليك إذا أن تؤمن بأن صفات الله موجودة ، إذا ما من ذات في الخارج إلا ولها صفات (وإذا قالوا في الخارج يقصدون خارج الذهن) ، قال ابن تيمية رحمه الله " لأن الذهن قد يفرض ذات الله صفات لها ، ولكن في الخارج في العيان (المشاهدة) لا نستطيع أبدا أن نري شيئا إلا وله صفات ، بل إذا أردت أن تعطل شيئا عن الذات عطله مباشرة عن الصفات ، ولذلك أهل السنة والجماعة يقولون " إن مآل قول الجهمية هو تعطيل الله عن ذاته " لأنهم انصبوا عن تعطيله عن أسمائه وصفاته ، فكأنهم ضمنا يعطلون ذاته إذا ما من ذات موجودة في الخارج إلا ولها صفات ، فإذا قلت إن هذه الذات لا صفات لها فكأنك إذا تنفي الذات ، هذا أول شيء ، فنحن نؤمن بجود ذات الله فلزما على من آمن بهذه الذات أنها موجودة أن يؤمن أن لها صفات .

2- أننا نؤمن جميعا نحن والأشاعرة، والجهمية ، وجميع الناس ، يؤمنون بأن لله ذات لا تماثل الذوات ، هم يؤمنون بأن لله ذات لا تماثل الذوات فهم يقولون في الذات بأنها لا تماثل الذوات ، فإذا كان هذا هو قولهم في الذات فإذا مباشرة لا بد أن يقولوه في الصفات ، فإذا أثبت أن لله جل وعلا ذات لا تماثل الذوات فيلزمك عقلا ونقلا أن الله جل وعلا له صفات أيضا لا تماثل الصفات ، إذا لا يمكن أبدا أن تختلف الذوات وتتفق الصفات ، فإذا نحن نأتي لهؤلاء الممثلة فنقول لهم هل أنتم تؤمنون بأن لله ذات ؟ فيقولون نعم ، نقول هل تؤمنون بعد ذلك أنها تماثل ذوات المخلوقين ؟ يقولن لا والممثلة يعتقدون أن ذات الله تخصه لا تماثل ذوات المخلوقين ،

ولكن قولهم في الصفات أنها مماثلة فهذا تناقض صريح ، إذا رأيت شيئين قد اختلفا في صفاتهما فأعرف أن اختلاف الصفات فرع عن اختلاف الذوات ، فإذا اختلفت الذوات اختلفت الصفات ، وإذا اتفقت الذوات اتفقت الصفات ، فيما أن الله له ذاته تخصه لا تماثل ذوات المخلوقين ، فكذلك يجب علينا عقلا وشرعا ولزاما أن نؤمن أيضا بأن له صفات لا تماثل صفات المخلوقين ، مع اختلاف الذوات تختلف الصفات ، فأي شيء نثبته لهذه الذات فإننا مباشرة نثبته لصفات ، ولذلك يقول أهل السنة إذا جاءك المعتزلي فقال " الرحمن على العرش استوي كيف استوي ؟" فقل له مباشرة " أنت تطلب مني أن أبين لك كيفية استوائه فأنا أطلب أولا منك هل أنت تؤمن بأن لله ذاتا ؟ سيقول نعم، هل تؤمن بأنها ليست كالذوات ؟سيقول نعم فالمعتزلة يؤمنون بهذا ؛ ولا أعلم أحد من بني آدم قال إن الذات لله جل وعلا كذوات خلقه ، وإنما هم يتكلمون فقط في ما هو متعلق بهذه الذات من أسماء وصفات ، فقل له إذا استوائه لا يمكن أن يكون كاستواء المخلوقين ، وهذا الأمر الثاني .

3- أي أحد يطلب منك تكييف شيء من صفاته فأطلب منه أولا أن يكيف لك ذاته ، فلو جاءك وقال " كيف استوي ؟ وكيف علو الله ؟ كيف يد الله ؟ كيف وجه الله ؟ فقل له أول شيء أنت تطلب مني أن أبين لك صفة هذه الذات أنا أطلب منك أولا أن تبين لي كيفية هذه الذات حتي أبين لك كيفية الصفة ، فيقول هو أنا لا أعلم كيف ذات الله ، فأقول له إذا كنت أنا وإياك نشترك جميعا في عدم علمنا في كيفية ذات الله جل وعلا فإنه من باب أولى أن لا نعلم كيفية صفاته لأن العلم بكيفية الصفة فرع عن العلم بالذات .

فإذا كنت أنا وأنت نشترك جميعا في عدم علمنا بالذات فإذا نحن أيضا لا يمكن أبدا أن تعرف على كيفية شيء من صفات الله ، ولذلك يقول أهل السنة والجماعة رحمهم الله " فمن يقل كيف استوى فقل له كيف بذات الرب ؟ كيف كنهه ؟ فإن يقل لا أعلمن كنهه ، فقل كذا استواؤها يتبع له ، أي أنه لا يمكن أبدا أن تتعرف على كيفية صفة شيء إلا بعد أن تعرف ذات هذا الشيء ، فهذه قاعدة مباركة عظيمة جدا وهي " أن القول في الصفات فرع عن القول في لذات " بمعني أن كل شيء نقوله في ذات الله فمباشرة نقوله في صفاته ، فمن فرق في الكلام بين الصفات والذات فقد وقع في التناقض وخالف المنهج السليم وتنكب عن الصراط المستقيم وفضح من حيث يريد أن يفرمن إثبات ما أثبته الكتاب والسنة ، فهذه ثلاثة أمور فاشدد يديك بها أيها الحبيب وأحفظها جيدا :-

1- إذا كنا نثبت أن ذات الله مجوده فإذا لا بد لزاما علينا أن نثبت أن صفات الله موجودة .
2- إذا كنا نؤمن بأن ذات الله لا تماثل شيء من ذوات خلقه فكذلك أيضا يجب علينا لزاما أن نؤمن بأن له صفات لا تماثل صفات خلقه .
3- إذا كان العلم بكيفية ذاته متعذرعن عقول بني آدام ، وكذلك أيضا العلم بكيفية صفاته متعذرعلى عقول بني آدم.
4- الذات التي نصف الله جل وعلا بها فنقول الله له ذات فهل هي الذات الكاملة المطلقة من كل وجه؟ التي لها الكمال المطلق من كل وجه ؟ والجمال المطلق من كل وجه ؟ نعم فذات الله لها الكمال المطلق من كل وجه، ولها الجمال المطلق من كل وجه ، ولها العظمة المطلقة من كل وجه ، ولها القداسة المطلقة

من كل وجه ، ولها العلو المطلق من كل وجه ، فأي شيء تقوله في هذه الذات قله مباشرة في الصفات ، فبما أن الله جل وعلا له ذات كاملة من كل وجه فكذلك أيضا له صفات كاملة من كل وجه ، كما أن ذات الرب جل وعلا لا يعتريها النقص بوجه من الوجوه فكذلك صفات الرب جل وعلا لا يعتريها النقص بوجه من الوجوه ، وهذا هو الصراط المستقيم الذي قرره أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى في مسألة التلازم بين ما تقوله في الذات ، وما تقوله في الصفات ،

وتجد في التدميرية لأبو عباس ابن تيمية قال عن أُناس سبحان الله بلغوا في إنكار صفات الله مبلغا وصلوا به نفي النقيضين (فبعض الناس يقول إن الله لا أسماء ولا صفات له وهم الجهمية، وهؤلاء أعظم الطوائف الذين نتكلم معهم ، ولكن هناك طوائف فوقهم وهم الفلاسفة يقولون املأ الدنيا نفيا ولا تثبت صفة واحدة ، وفوقهم القرامطة الباطنية الإسماعيلية النصيرية في سوريا ونجران وغيرهم فهؤلاء يقولون لا يجوز لك أن تثبت صفة أحد النقيضين لله جل وعلا ، فلا تقول الله لا حياة له فقط ، لا بل قل لا حياة له ولا يموت ، فلا تقول الله ليس بعالم فقط لأنك لو قلت ليس بعالم فأثبت الجهل له ولكن قل وليس بجاهل ، فهم سلبوا النقيضين ، وهؤلاء أعظم الطوائف الذين لا يصفون الله بأنه معدوم فقط بل بأنه ممتنع ، كما قال ابن تيمية في التدميرية " فإن سب النقيضين كجمع النقيضين كلاهما من الممتنعات " فهؤلاء من أخس الطوائف الذين كفرهم أهل السنة والجماعة بإجماع أهل السنة والجماعة أن هؤلاء كفار؛ لأنهم يقول الله لا عالي ولا سافل ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا حي ولا ميت ، ولا مجود ولا معدوم ، قالوا لأنك لو أثبت الصفة شبهته بالمجودات ، وإذا نفيتها مثلته بالمعدومات ، فإذا تنفي الصفتين إراحة لك ، فنقول هم شبهوا الله جل وعلا

بالممتنعات التي لا تقبل الوجود أصلا نعوذ بالله من هذا ، ولا نشغل عقولنا بمثل هذه المذاهب التي تمجها النفوس وأحيانا قد يقع الإنسان بشي من الشبه فيها .

ثم قال الناظم وفقه الله :-

" .... "

وهذه قاعدة أيضا من قواعد أبي العباس ابن تيمية في التدمرية ؛ لأنه بني التدميرية على أصلين مضروبين ، ومثالين وعلى قواعد جامعة :-

1- الأصل الأول قوله الكلام عن الصفات فرع عن الكلام في الذات .

2- " والقول في البعض لها جميعا فكن لما أذكره سميعا " ، أي تقول القاعدة " القول في بعض الصفات كالقول في بعض "

اعلم رحمك الله أن باب الصفات باب واحد لا يتنوع القول فيه مطلقا ، بل ما تقوله في صفة واحدة لزاما عليك أن تقوله في جميع الصفات ، لا يجوز لك أن تفرق القول في باب الصفات فإنه باب واحد ، فإن كنت صفة واحدة وتنفي صفة واحدة ؛ فحينئذ أنت تقع في التناقض وهذه القاعدة من أوضح وأقواها في الرد على الأشاعرة ، لأن الأشاعرة مذهبهم مبني على الإيمان ببعض الصفات وإنكاربعض ، وقلت سابقا وهي الصفات السبع ، ويسمونها الصفات العقلية وهي :- (الحياة – الكلام – البصر – السمع – الإرادة - العلم – القدرة) ، فهذه سبع صفات كما نظمها السفاريني رحمه الله تعالى في الدرة المضية ، فهؤلاء يثبتون هذه السبع ، فأنت يا سني أول شيء تتطلب من الأشعري قل له أنا أطلب منك الفرقان الذي جعلك تثبت هذه الصفات وتنفي هذه الصفات ؟ فأنت الأن أثبت هذه ونفيت هذه فما الذي جعلك تثبت هذه الصفات ولا تخاف ، وتنفي هذه الصفات لأنك تخاف منها فما الفرقان ؟ فستراه يجيبك بأحد جوابين لا ثالث لهما :-

1- سيقول الصفات التي أثبتها لا تقتضي تمثيل الله بخلقه ، والصفات التي نفيتها تقتضي مماثلة الله بخلقه ،فنقول لا القول في بعض الصفات كالقول في بعض ، فإذا كانت الصفات التي أثبتها لا تقتضي تمثيلا ، فكذلك الصفات التي نفيتها لا تقتضي تمثيلا ، فما لك حق في التفريق بين الصفات الواحدة ، وإذا كانت الصفات التي نفيتها تقتضي تمثيلا ، فكذلك الصفات التي أثبتها تقتضي تمثيلا ، فإن كان إن الصفات التي نفيتها إنما تخص المخلوق فقط ، فقل وكذلك الصفات التي أثبتها هي تخص المخلوق ، فيقول لك إن المخلوق له رحمة فكيف اثبت الرحمة لله ؟ قل له والمخلوق له قدرة ، فكيف تثبت القدرة لله ؟ والمخلوق له حياة ، ففرقانك هذا يلزمك أن يكون هناك أحد أمرين:- أما أن تسكت وتثبت الصفات التي نفيتها ، وإلا تنفي الصفات السبع التي أثبتها حتي لا تقع في التناقض ، فإما أن تثبت فتلحق بركب أسيادك أهل السنة والجماعة ، وإما أن تنفي وتلحق بركب إخوانك من القردة الخنازير من أهل المعتزلة، فلا تثبت بعضا وتنفي بعضا ، فلا يستطيع أحد أن يجيب عليك منهم ،

فإذا قال أنا أثبت حياة لائقة بالله جل وعلا لا تقتضي تمثيلا ، فقل له قل هذا الكلام في كل الصفات وتكون على الصراط المستقيم ، إذا كل شيء يلزمك في الصفات وخفت منه وفررت فنفيت ما نفيت من الصفات فأعلم أنه يلزمك في الصفات التي أثبتها فإذا كان المحظور الذي من أجله نفيت الصفات محظور التمثيل لأن المخلوق متصف بالوجه ، واليد وغيرها ، فاعلم أن الصفات السبع كلها مجودة في المخلوقات كلها ، فلله حياة وللمخلوق حياة، والسمع ، والكلام والقدرة ، والإرادة ، والعلم ، كل هذه مجودة في المخلوقات ،ثم انتبه أيها القارئ الكريم " أي جواب عن اعتراض يجيب به الأشعري دفاعا عن الصفات التي نفاها فهو جواب السني عليه

في الصفات التي أثبتها " فإذا قال لا أن أثبت علما لائقا بالله ، فقل له ضع هذه في الرحمة ، والغضب ، والكراهة ، فأثبت رحمة لائقة بالله ، فهو فرق بين متماثلين ، والشريعة جاءت بالجمع بين المتماثلين ، والتفريق بين المختلفين ، فعين التناقض هو أن تجمع بين أمرين مختلفين ، وتفرق بين أمرين متماثلين ، كما فعله الأشاعرة ، وهناك جواب أخروسديد وهو أن بعض أهل السنة يكسل عن الجواب فنقول له استحضر أمامك الأن أشعري و معتزلي ، ستجد أن المعتزلي غيرراض عن الأشعري في السبع صفات ، فالمعتزلي ينكرعلى الأشعري ، سوف يورد المعتزلي بعض الاعتراضات في إثبات السبع الصفات عند الأشعري فيقوم الأشعري بالرد عليه ، فمباشرة يتكلم السني قائلا هذا الرد سوف نصكه في وجهك مرة أخرى أيها الأشعري بالصفات التي نفاها ، يقول ابن تيمية في التدميرية " فهذا المفرق بين بعض الصفات وبعض(يقصد الأشعري) يقاله كما يقوله هو لمخالفه(المعتزلي) في ما أثبته " ، فالمعتزلي اعتراضات في ما اثبته الأشعري ، والأشعري يرد ، فما يقوله الأشعري ردا ودفاعا عن صفاته خذها مباشرة أيها السني وقلها له ، لأنه متناقض يفرق بين المتماثلات ، وهذا من أعظم التناقض ، فهذه قاعدة طيبة " القول في البعض لها جميعا فكن لما أذكره سميعا " ، هذا الجواب الذي يجيب به الأشعري ، ولكنه لديه جواب أخرإذا ألزمه أهل السنة بهذه وضيقوا عليه الخناق خرج من قضية الأدلة وقال لا ، فيقول إن الصفات التي أثبتها إنما دل العقل على اثباتها ، فأنت إنسان عقلي تجعل مناط الإثبات والنفي في باب أسماء الله وصفاته على عقلك وهذا خطأ ، فإذا ما قال إن العقل دل على هذه الصفات السبع ؛ فإيجاد الشيء دليل على حياة من أوجده ، .والحي إما أن يكون قادرا مريدا أولا ؛ فهذه حياة ، وإرادة ،وقدرة ، والحي القادرالمريد إما أن يكون متكلما سميعا بصيرا ، عليما أولا ، وضدها نقص فالله جل وعلا ، فصاركله كلامه مبني على إثبات العقل ، ففي هذه الحالة ترد عليه أيها السني قائلا أنا أجيب عنك بعدة أجوبة :-

1- أن هذا باب غيبي ولا مدخل للعقول فيه ، فعندنا قاعدة متقررة أنه لا مدخل للعقول في أبواب الغيب " فإن مبني هذا الباب إثباتا ونفي إنما هو توقيفي على النصوص ، فما أثبتته النصوص من الأسماء والصفات لله فإننا نثبته ، وما لا فلا ، فلا حق لك أيها الأشعري أن تدخل بعقلك في إثباتا أو نفيا في هذا الباب ، ولكنه لن يرضي لأن الأشاعرة والفلاسفة عندهم تعظيم لمسألة العقل ، ويجعلونه هو المهيمن الحاكم على كل شيء ، حتي جعلوه متحكما في النصوص ويسمون بالعقلانيين .

2-ومن قال أيها الأشعري أن الصفات التي نفيتها لا نستطيع أن نثبتها بالعقل في ما لو لم يرد النص بإثباتها ، فإذا كان عقلك أنت أيها الأشعري عاجز لا يستطيع أن يثبت إلا سبعة فقط فإن عقل غيرك قد يثبت أكثر من ذلك ، فقال كيف ذلك ؟ نقول له أنت أثبت حياة الله جل وعلا لأنه هو خالق الأشياء وموجدها ، وخالق وموجودها لا يوصف بأنه ميت بل لا بد أن يكون حيا ، فهذا دليلا عقليا ، وأنت تنكر صفة الرحمة لأن عقلك لا يعي إثباتها ، فالسني يقول له أليس إكرام الطائعين وخلق الجنة بما فيها من النعيم المقيم والدرجات العلي واللذة المتناهية دليل على أن الله جل وعلا رحيم ، أو ليس إغاثة اللهفان ،وتفريج الكربات ، وإجابة الدعوات ، وإعانة المساكين ، ونصر المظلومين والوقوف معهم ومعيتهم أليست دليلا على رحمة الله جل وعلا ، فأثبتنا الرحمة بالعقل ، فضلا عن أدلة الكتاب والسنة ، فنحن الأن نخاطبك بعقلك ، لا تجعل عقلك فقط هو العقل السائد المتحكم في أن السبع ، فهناك من هو أكثر منك عقلا يستطيع أن يثبت الصفات كلها ، بل والله العظيم في اسم الله من أسماء الله واحدا فقط نستطيع أن نثبت كل أسماء الله وصفاته وهو اسم الله الأعظم ((الله)) فإنه الله ذو الألوهية ولا يمكن أبدا أن يكون الله مستحقا للألوهية إلا إذا كان متصفا بصفات الكمال منعوتا بنعوت الجمال والجلال ، ولذل كالله يستدل على بطلان الاهية غيره بسلب صفات الكمال عنه ، قال الله حكاية عن الخليل عليه

السلام إبراهيم " يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا " ، " لا يضرهم ولا ينفعهم " ، فهذا برهان عظيم على وحدانية الله ، وهي أن الله يسلب صفات الألوهية وصفات الكمال عن المعبودات كما بينته في " إتحاف أهل الألباب" فالشاهد أننا نستطيع أن نثبت بعقولنا صفات فوق السبع ، ونقول له أيضا البغض والكراهية ، فنقول أوليس خلق النار وما أعد فيها لأهل المعاندة والكبر ، والشرك ، من السلاسل والأغلال والزمهرير والزقوم ، وغيرها دليل على غضب الله جل وعلا ، أوليس إهلاك الطغاة ، وإهلاك الأمم لما كفروا به سبحانه وبرسله بأنواع الهلاك " فمنهم خسفنا به الأرض ومنهم أغرقنا " أليس هذا دليل على غضبهم عليهم ، فأثبتا لهم السخط بالعقل ، فلا يستطيع أن يرد بشيء هذا الأشعري ، والرضي نستطيع أن نثبته بالعقل ، مع أن أهل السنة والجماعة لا يجيزون دخول العقل استقلالا في أبواب الغيب ، ولكنهم يخاطبون هؤلاء بما يفقهون ، وهذا هو الجواب الثاني .

3- نقول لها أيها الأشعري بأي عقل نزن الكتاب والسنة ؟ هل بعقلك الذي أثبت الأسماء وسبع صفات فقط ، أم بعقل أخيك المعتزلي الذي أنكر السبع هذه ، أم بعقل أبيكم الجهمي الذي لم يثبت لا أسماء ولا صفات ، أم بعقل مدير الكلية الفلسفي هذا الذي يقول لا تثبتون إلا إحدى صفتي نقيض ، بأي عقل نزن الكتاب والسنة ، الأن أن تقول مقتضي العقل إثبات الأسماء سبع صفات ، بينما هذا الذي تراه مقتضي العقل أخوك المعتزلي يقول ليس هذا مقتضي العقل بل هذه سفاهة كيف تثبت السبع صفات ، ويأتي الجهمي يقول أيها المعتزلي وأنت سفيه لما تثبت الأسماء فقط ، بل أنكر الأسماء واجعلك معنا ، فلو فُتح هذا الباب أمام العقول لاضطرب الباب اضطرابا عظيما في ما يثبت وينفي ، فلابد أن ينضبط هذا الباب لأنه يتعلق بالله فلا نتلاعب في أشياء ترجع إلي الله جل وعلا ، ولا يمكن أن يضبط هذا الباب إلا إذا كان موقوفا على النصوص فقط ، وأما العقول فإنها مضطربة متفاوتة ، مختلفة ، فأحيانا أنا أري بعقلي أن هذا

الشيء لابد أن يكون ، بينما يأتي غيري ويقول بعقله ومقتضاه لا يمكن أن يكون ، فإذا لا يفتح هذا الباب أمام العقول أبدا ، فهذه هي الأجوبة الثلاث :-

1-لا مدخل للعقول في هذه الأبواب لأنه باب غيبي .

2- أننا نستطيع بعقولنا أن نثبت ما نفيته وزعمت أن العقل لا يثبته .

3-العقول في هذا الباب متفاوت مضطربة فما تراه أنت أنه عقل المعتزلي لا يري أنه عقل ، وما يراه المعتزلي أنه عقل ، الجهمي لا يري أنه عقل ، وما يراه الجهمي أنه عقل ، الفلسفي لايري أنه عقل ، وما يراه الفلسفي أنه عقل القرامطة ، وغلاة الباطنية والنصيرية لا يرون أنه عقل ، فإذا بأي عقل نزن الكتاب والسنة !!!! فهذا هو الحق الذي ذكره الشيخ أنه لامجال للعقل فالعقل في هذا الباب يكون تابعا لنص ، وخادما لنص ، وعبد لنص ، وهذا من مقتضي العقل ، وأقسم لكم بالله أن ما أنصف العقل من أدخله في أبواب الغيب ،

أضرب لك مثالا فأنت أيها القارئ لك قدرة وطاقة فلو جئت وحملتك حجرا كبيرا وطلبت من جسدك أن يحمله ألا أكون ظالما لك ؟ فالعقل الأن له قدرة وطاقة لو حملته أن يستكشف ما وراء الغيب لحملته حجرا ثقيلا لا يستطيع أن يحمله فهذا ظلم للعقل ، فالعقل خلقه الله بحدود وطاقات ، فليس من حدوده ولا طاقاته ، ولا من مدركاته أن يتقحم في باب الغيب ويدخل فيه ، ويستكشف ما وراء الغيب ،فإذا هذه قاعدة طيبة وهي "

أن كل شيء يقوله الأشعري في صفته التي يثبته ، يجب عليه لزاما أن يقوله في الصفة التي نفاها ، وإلا وقع في التناقض لأن باب الصفات باب واحد فما نقوله نقوله في صفة واحدة يجب علينا أن نقول هذا في جميع الصفات ، ولذلك صياغة مذهب أهل السنة والجماعة بسيط جدا ، والاستدلال بمذهب أهل السنة

والجماعة بسيط جدا ، والجواب عند المخالف عند أهل السنة والجماعة بسيط جدا، ‘إذا أردت أن تصيغ مذهبا من مذاهب أهل السنة قل مباشرة " يعتقد أهل السنة والجماعة وكلمة يعتقد أهل السنة والجماعة تتكرر معك في كل الصفات في الوجه ، وفى اليد ، وفى السمع تقول يعتقد أهل السنة والجماعة ، قل " يعتقد أهل السنة والجماعة أن لله (وجه –يد – عين –ساق – أصابع – كف -) والتي بعدها نقول ((يليق بجلالة وعظمته)) ، فإذا جئنا لنصيغ مذهب أهل السنة والجماعة في الوجه نقول " نعتقد أهل السنة والجماعة أن لله وجها يليق بجلالة وعظمته " ، وكذلك في اليد " نقول يعتقد أهل السنة والجماعة أن لله يدا تليق بجلاله وعظمته " ، وكذلك مذهب أهل السنة والجماعة في العين نقول " يعتقد أهل السنة والجماعة أن لله عينا تليق بجلاله وعظمته "، وكذلك في إثبات القدم " يعتقد أهل السنة والجماعة أن لله قدما تليق بجلاله وعظمته "، وهكذا تقول في سائر الصفات،

والاستدلال على الصفات قل الإجماع ، فدليل الإجماع دليل معتمد عند أهل السنة والجماعة ، والدليل على إثبات صفة الوجه لله الإجماع ، معني أن الآية " ويبقي وجه ربك " ، ولكن الإجماع معنا دليل .

والرد على من حرف شيء من الصفات عندنا ردَينِ :-

1-خلاف الدليل .

2-خلاف اللغة .

وقد تزيد أحيانا ولكن هذه احفظها ، فصياغة مذهب أهل السنة والجماعة لا يوجد أبسط منه ، والاستدلال على عقيدة أهل السنة

والجماعة ليس هناك أبسط منها ، والرد على المخالف ليس هناك أبسط منه ، فهو مذهب يسير متناسب مع قول الله جل وعلا " ولقد يسرنا القرآن لذكر فهل من مدكر" ، وأما مذاهب هؤلاء لا تعرف تفهم لهم شيء ، بل يصل الأمر أن طلب العلم يحجمون عن القراءة في كتبهم لأنهم أصلا يفهمونها لعصوبة معانيها ، فإذا كان كبرائهم ،وعلمائهم ، والمقدَمون منهم قد لا يفهمون أصلا القواعد التي بني عليهم مذهبهم فيكف بالعامة منهم ، فالحمد لله على سلامة الاعتقاد ، ونسأل الله أن يثبتنا عليه إلي أن نلقاه .

ثم قال الناظم وفقه الله :-

" ....كما تحرر ...."

هذه قاعدة طيبة وهي أن " أهل السنة والجماعة يعلمون معاني الصفات ويجهلون كيفياتها " ، اعلم رحمك الله أن أهل السنة والجماعة ينظرون إلي الصفات من جهتين :- من جهة معانيها المتقررة في لغة العرب - من جهة كيفياتها .

أما باعتبار المعني فإنهم يعلمون معاني الصفات ، لأن الله جل وعلا قد خاطبنا في القرآن باللسان العربي المبين ، فوجب علينا أن نحملها على معاني اللسان المتقرر عندنا ، لا يمكن أبدا أن يخاطبنا الله جل وعلا وهو يريد منا معاني غير المعاني المتقررة في لغة هذا اللسان أو في معاني لغة هذا اللسان وإلا لكان ذلك إيهاما وإلغازا وتعجيزا ، ولكن ترك الناس بلا إنزال كتاب أولي ، إذا كيف يخاطبنا الله في القرآن بشيء ثم نؤمن بمدلوله على مقتضي لسان العرب فإذا جئنا يوم القيامة يقول لنا يوم القيامة لم أكن أريد منك ذلك ، أنا خاطبتكم بالسان العربي وأريد منك المعاني الأخرى فهل هذا يمكن !!!؟ هذا لا يمكن أبدا

لأن القرآن كتاب بيان ، وهدي ، وإرشاد ، وفرقان بين الحق والباطل ، فأي لفظة في القرآن فالواجب عليك أن تحملها على المعني اللساني المتقرر عندك ، فمثلا إذا قيل ويبقي وجه ربك " قل الوجه في لغة العرب هو ما تحصل به المواجهة وقف هذا هو معانه في لغة العرب عندي لأن الله خاطبني بهذه اللفظة العربية فأراد مني أن أفهم معناها ، لكن إذا قيل لك وما كيفيته ؟ فقل لا أقف هنا ، فأنت الأن تتطلب مني شيئا غير داخل تحت مدركات عقلي ، فإذا لا بد أن تفرق بين الأمرين (معني الصفة ، وكيفيتها) ،

فأما المعاني فأهل السنة مجمعون على العلم بها ، ومن نسب أهل السنة إلي الجهل بالمعني فقد نسبهم إلي مذهب خطأ كما فعله الإمام السفاريني رحمه الله وأجزل له الأجر والمثوبة فإنه ينسب أهل السنة والجماعة إلي أنهم لا يعلمون معاني الصفات وخطأه أهل العلم رحمهم الله في ذلك ، فهذا ليس مذهب أهل السنة والجماعة ، بل هو مذهب أُناس من أهل البدع يقال لهم " المفوضة " الذين يفوضون المعاني ، ويفضون الكيفيات ، وبالمناسبة فأهل السنة في هذا المذهب وسط بين فرقيتن بين فرقة الممثلة وبين فرقة المفوضة ، الممثلة الذين قالوا نحن نعلم المعاني ، بل ونعلم الكيفيات لأنهم يجعلون كيفية صفات الله ككيفية صفة المخلوق ، فهؤلاء علموا المعني وعلموا الكيف ، والفرقة الثانية المفوضة الذين قالوا لا نعلم معنا ولا نعلم الكيف ، أهل السنة توسطوا فقالوا أما المعني فهو معلوم ، وأما الكيف فإنه مجهول ، وبينت آنفا لماذا نعلم المعاني والدليل على ذلك أن الله خاطبنا في الأدلة بلسان عربي مبين ، فيجب علينا أن نحمل تلك الألفاظ على تلك المعاني المتقررة في هذا اللسان .

إذا قال قائل كيف أن أهل السنة يعلمون المعني وإمامكم الإمام أحمد ابن حنبل قال كلمة أنه لا يعلم المعني ؟

قالوا أولم يثبت عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال نؤمن بآيات الصفات لا كيف ولا معني ؟ وهذا إمام أهل السنة يقلو لا معني ، وأنتم تقولون أن أهل السنة والجماعة مجمعون على العلم بالمعني ، فكيف تجيب عن هذا ؟ نقول أما قوله لا كيف فهذا لا إشكال فيه ، ولكن قوله " ولا معني " نقول إن المعني الذي ينفيه الإمام أحمد ليس المعني المتفق مع اللسان العربي

والذي تفهمه العقول السليمة والفطر المستقيمة وهم أهل السنة والجماعة لا فالإمام لا ينفي المعاني الصحيحة ، ولكنه ينفي تلك المعاني التي ابتكرتها الجامية واخترعها الأشاعرة والمعتزلة وزعموا زورا وبهتانا أنها هي المعاني في آيات الصفات ، فالإمام يقول " لا كيف ولا معني "أي لا تتكلموا بهذه المعاني التي ليست صحيحة ولا يجوز أن تلصق بآيات الصفات ، فهو من أكثر الناس اثباتا لهذه القاعدة الإمام أحمد رحمه الله وبينها ونبه عليها أن أهل السنة والجماعة يعلمون المعاني ، فيجب علينا أن نحمل كلامه لامعني على نفي المعاني الغريبة المخترعة المبتكرة التي يتفوه بها أهل البدع ، ويلصقونها بآيات الصفات ويزعمون زورا وبهتانا أنها هي المعاني الصحيحة به ، إذا المعني قسمان :- معنا باطل وهو الذي ينفيه الإمام أحمد ، ومعني صحيح وهو والذي يفهمه أهل السنة والجماعة هذا يثبته الإمام أحمد ؛ فإذا لا إشكال في كلمة الإمام أحمد ،

ولتعلم أيها القارئ أن أهل السنة والجماعة لا يدخلون في كيفية الصفات ، ويتوقفون ويخافون من الدخول في الكفية لأن كيفية الشيء لا تعرف إلا بثلاثة أمور :-

1- برؤية ذاته

2-رؤية نظيره وما يماثله

3-إخبار الصادق عن كيفيتها

وكل هذه طرق منتفية في حق صفات الرب جل وعلا ، فالله لا يُري في الدنيا ،ولن يُري في الدنيا ، وهذا بإجماع أهل السنة والجماعة ، أجمع أهل السنة والجماعة أن الله لا يمكن أن تستطاع رؤيته في الدنيا رؤية بصرية يقظة فهذا منتف في جميع الخلق ، وإنما اختلفوا في واحد فقط وهو النبي ﷺ ليلة أُسري به ؛ هل رأى ربه أم لا ؟ والقول الحق في هذه المسألة أنه لم يري ربه ليلة أسري به ،وعلى ذلك أكثر الصحابة كعائشة وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم وأرضاهم ، وبعض الصحابة قالوا رأيه ويستدلون على ذلك بقول ابن عباس " رأى محمد ربه " ولكن القول الصحيح أن ابن عباس إنما يثبت رؤية الفؤاد (المنام) ونحن نتكلم في رؤية اليقظة لا رؤية المنام لأنه في حال الإسراء به لم يك نائما بل كان مستيقظا كما هو جادة مذهب أهل السنة والجماعة ، فإذا النبي ﷺ ما رأى ربه ليلة أسري به ، وكذلك موسي عليه السلام ، فقد طلب من الله جل وعلا أن يراه ولكن أثبت الله له بالدليل الحسي أن قدرات موسي عليه السلام وقوة موسي عليه السلام وبصره عاجز عن رؤيته في هذه الدنيا ، فلما تجلي ربه للجبل جعله دكا ، فلما رأى موسي عليه السلام ما حصل للجبل اندك (سقط)موسي عليه السلام فكيف في ما لو رأى الله جل وعلا ، وفى الجنة تقوي المدركات ، وتقوي الحواس ، حتي تتحمل رؤية الله جل وعلا نسأل الله أن لا يحرمنا من رؤيته ، فرؤيته في الأخرة متفق عليها بين أهل السنة والجماعة في

الجنة ، فالطريق الأول وهو أننا لم نري الله جل وعلا فكيف ونحن لم نره كيف نتكلم عن صفاته ؟ فالأن مثلا أن اشتريت بيتا في مكان ما فقلت لرجل صف لي هذا البيت الذي اشتريته صف لي هذا البيت فلا يستطيع لأنه ما رأى البيت 0

1- الطريق الثاني أن أري شيئا يماثله ، فمثلا لو اشتريت سيارة في معرض معين فقال لي بعضهم وكيف هذه السيارة ؟ فقلت له مثل سيارتك تماما ، فالأن عرف كيفية السيارة الغائبة لأنه رأى شيئا يماثلها ، وهذا الطريق أيضا ليس بثابت في حق صفات الله تعالى ، لأنه ليس ثمة أحد يماثل الله جل وعلا " ليس كمثله شيء " " هل تعلم له سميا " " فلا تضربوا لله الأمثال" إلي أخر الآيات الدالة على انتفاء مماثلة الله جل وعلا لأحد من خلقه 0

2- الطريق الثالث أن يخبرك الصادق عن كيفية صفته ، فمثلا لو اشتريت بيتا في بلد معين فسألني رجل قائلا وكيف صفة هذا البيت ؟ فأخذت أصف له معالم البيت من أول مدخل البيت حتي أخر جزئية في البيت ، فحينئذ يعرف كيفية الصفة ، وطريقة معرفته لكيفية هذا البيت بإخباري لك بكيفيته ، والمراد بإخبار الصادق عنه هنا هو النبي ﷺ ، فلم يخبرنا النبي ﷺ عن كيفية شيء من صفات الله ، ولكنه أخبرنا أن لله وجها ولم يخبرنا عن كيفية هذا الوجه ، وأخبرنا أن لله يدا ولم يخبرنا عن كيفية هذه اليد ، أخبرنا أن لله علوا واستواء ولم يخبرنا عن كيفية هذا العلو والاستواء ، فيجب علينا أن نؤمن بما أخبرنا به ، وأن نكف عقولنا وألسنتا عن التوغل في ما لا شأن لنا به ، وهذا المراد منك وهو قط الطمع عن التعرف على كيفية هذه الصفة ، فلا يمكن أبدا مهما قلبت وفكرت ، ومها دبرت ونظرت ، ومهما قارنت وبحث وحققت لن تستطيع فاقطع الطمع في مثل هذا لأنه لن يرجع حتي بخفي حنين ، بل لن يرجع إلا بالشبه

والشكوك والاضطراب العقدي والعياذ بالله ، ولذلك النظر في إدراك شيء من كيفية صفات الله هذا باب عظيم من الأبواب التي ضلت بها الطوائف ، فالممثلة مثلوا فضلوا بسبب إدخال عقولهم في كيفية صفات الله جل وعلا ، وكذلك عطلت المعطلة بسبب إدخال عقولهم فيه كيفية صفات الله ، فإذا من أراد السلامة في هذا الباب فليجب عقله عن الدخول في هذا الباب إلا في ما أثبته له النص ، جاء رجل لإمام مالك فقال يا إمام الرحمن على العرش استوى كيف استوى ؟ فقال كلمته المشهورة التي هي " الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعه " ، قوله " الاستواء غير مجهول " أي غير مجهول معناه في اللغة العربية ، لأن كلمة استوى إذا جاءت مقرونة بعلى فإنها تفيد العلو ، والثبوت ، والاستقرار ،كما بينته في شرح الواسطية ، وقوله " والكيف غير معقول " أي أن كيفية الاستواء غير داخلة في مدركات حدود عقولنا ،وقوله " والإيمان به واجب " لأنه خبر ورد في الكتاب والسنة ، وما في الكتاب والسنة من الأخبار فإنه يجب الإيمان به ، وقوله " والسؤال عنه بدعة" أي السؤال عن الكيفية بدعة لأن الصحابة قد طرقت آذانهم هذه النصوص وآمنوا بمقتضاها ومدلولها ولم يتكلف الواحد منهم أن يسأل النبي ﷺ عن كيفية شيء منها ، فكونك تحدث مثل هذا السؤال عن الكيفية فأنت محدث في عقيدة المسلمين بدعة منكرة ، وكل إحداث في الدين فهو رد ، وهذه هي السلامة ، إذا أهل السنة والجماعة يعلمون المعاني ويجهلون الكيفيات ، يقول الناظم " وإن تسل كيفية الصفات فمالك أجباهم بالآتي معلومة المعني صفات ربنا مجهولة الكيف وبدع من ثنا ، وبدع من ثنا أي بدع

من كرر السؤال بعد علمه بحرمة الكيفية ، لأنه جاء بشيء لم يأت به سلف الأمة ولا أئمتها

ثم قال الناظم وفقه الله :-

" ...."

هذه قاعدة تقول "إن باب الصفات أوسع من باب الأسماء ، وباب الأخبار أوسع من باب الصفات " ، وقد ذكرنا قبل ذلك ومثلته بمثال الثلاث دوائر، وقلت أن هناك ثلاث دوائر أضيقهن الأسماء ، ثم بعدها دائرة الصفات ، ثم بعدها دائرة الأخبار، فاخرج من الدائرة الضيقة إلي الدائرة الواسعة (أي كل اسم من أسماء الله فإننا نشتق منه صفة) ، ولا عكس (أي كل صفة من صفات الله لا نشتق منها اسم) ، وكل صفة من صفات الله فنشتق عنها خيرنا عن الله جل وعلا ولكن ليس كل خبر عن الله نشتق منه صفة ، وق مر هذا ولله الحمد .

ثم قال الناظم وفقه الله :-

" ...."

هذه قاعدة عظيمة جدا في باب الأسماء والصفات وهي الأصل في نصوص الصفات حملها على حقائقها ، فلا يجوز لنا أن ننتقل عن الحقيقة إلي المجاز إلا بدليل ناقل ، وهذا ليس في نصوص الصفات فقط ، بل وفي كلام العقلاء جميعا ، فالأصل في الكلام كله سواء كلام الله ، أو كلام النبي ﷺ ، أو كلام سائر العقلاء الأصل الواجب علينا أن نحمله على حقيقته ، فل يجوز لنا أن ندخل في هذا الباب متأولين بآرائنا ، ولا متوهمين بأهوائنا ، فمن نقل الكلام عن حقيقته إلي مجازه فإنه مطالب بالدليل الدال على الانتقال لأن " الأصل هو

البقاء على الأصل حتي يرد الناقل " ، فالأصل في الكلام أن نحمله على حقيقته ،

مثاله :- قال الله جل وعلا " بل يداه مبسوطتان " حقيقة هذا الكلام إثبات اليدين الحقيقيتين اللائقتين بالله جل وعلا ، يأتيك الأشعري ويقول لا هذا الكلام لا يراد به تلك الحقيقة وإنما يراد به المجازوهو محمول على النعمة والقدرة ، فترد عليه أيا الأشعري إنك الأن انتقلت من حقيقية الكلام وظاهره إلي مجازه فخالفت الأصل فنطالبك بالدليل الدال على هذا الانتقال ، وسوف يفغرفاه ولن يأتي بدليل إلا تلك الشبهة والقواعد الفلسفية المناقضة للمعقول ، والمخالفة للمنقول التي يتفوه بها هؤلاء ،" وحجة تفاهة كالزجاج تخال وحقن وكل كاسرمكسور" فليس لها أصلا أبدا ، وكذلك قول النبي ﷺ " ينزل ربنا " هنا أضاف دليل النزول إلي الله ، فحقيقة الكلام أن الذي ينزل هو الله نزلا يليق بجلالة وعظمته ، فيأتيك الأشعري ويقول لا ينزل الله ، وأين أنت أيها الاشعري من حقيقة الكلام !!؟ فيقول الذي ينزل هو أمرالله ، ورحمة الله ، وملائكة الله ، فأولوه إلي ثلاثة تأويلات منهم من قال ينزل أمره ، ومنهم من قال ينزل رحمته ، ومنهم من قال ينزل ملك من الملائكة ، فقل له مباشرة أنت الأن انتقلت من حقيقة الكلام إلي مجازه ، فأنت مطالب بالدليل الدال على هذا الانتقال ، وإلا يكون انتقالك يسمي تحريفا ، فمن انتقل من حقيقة الكلام إلي مجازه بدون دليل ناقل فإنه محرف ، وهذا يدخل في قول الله جل وعلا " يحرفون الكلم من بعد مواضعه " ، وكذا في قول النبي ﷺ جل وعلا " إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن " فهنا أضاف الله الأصابع له وهذه الإضافة حقيقتها إثبات صفة الأصابع لله جل وعلا ، فيأتيك الأشعري ويقول

لك لا المراد بها علم الله جل وعلا ، فهم يدعون أنهم أصحاب عقول ، ولكن كلامهم ينافي هذه الدعوي ، ولكن اعلم يا رعاك الله أن هؤلاء أُتوا من شيء خطيرجدا أُتوا من عُجمتهم ، كما تجد الجهم ابن صفوان الترمذي من " ترمز" من بلاد من وراء النهربلاد خرسان في الاتحاد السوفيتي في روسيا ، وليس بعربي ، وكذلك الجعد ابن درهم كذلك هم من بلاد ما وراء النهر ، فكل هؤلاء من المبتدعة أُتوا من عجمتهم ، فليس لديهم تمرس ولا معرفة بسعة لغة العرب والواجب فيها ،

وكذلك في قول الله جل وعلا " ورحمتي وسعة كل شيء " يأتي الأشعري ويقول الرحمة لا يراد بها حقيقتها وإنما يراد بها إرادة الثواب ، فنقول لا أنت انتقلت من حقيقة الكلام إلي مجازه فأنت مطالب بالدليل الدال على ذلك ،وهذا جواب حكيم ، ولن يستطيع أن يأتي لك بدليل ، فكل انتقالك بدون دليل هذا تحريفا وليس تأويلا ،

مسألة :-

هل في القرآن مجاز ؟

نقول هذا المسألة فيها خلاف بين أهل العلم رحمهم الله ، على أقوال :-

1-من أهل العلم من نفي المجاز مطلقا ، لا في لغة العرب ، ولا في الأدلة الشرعية ، وعلى رأسهم ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وتلميذه العلامة ابن القيم ، بل إن ابن القيم جعل المجازطاغوتا من طواغيت العالم ، وكسره في الصواعق المرسلة التي بناها على كس خمس طواغيت (التأويل – المجاز – صرف الكلام عن ظاهره -----) .

2- قال أما اللغة العربية المطلقة في لسان العرب في شعرهم ونثرهم ففيها مجاز، ولكن إذا جئت في الأدلة الشرعية ليس فيها مجاز، وهذا أخف من الأول .

3- وهو المشهور عن أهل السنة والجماعة وأكثر أهل العلم ، بل هو قول جماهير أهل السنة والجماعة " أن اللغة فيها مجاز، والأدلة الشرعية فيها مجاز إلا ما كان من باب الغيـــــب) فما كان من باب الغيب فالواجب البقاء فيه على الحقيقة ولا تقبل فيه دعوي المجاز ، فالانتقال من حقيقة الكلام إلي مجازه هذه عملية عقلية ، وشرط هذا الانتقال أن يكون عقلك عارفا ومدركا لحقيقة الكلام ، فمثلا لو قلت رأيت أسدا يخطب يوم الجمعة ، فهل يمكن لعقلك أن يحمله على الاسد المفترس؟ بالتأكيد لا لأنك تعرف حقيقة الأسد المفترس ، فلا يمكن أن يأتي المسجد ويحضر خطبة ويخطب ، فالذي جعلك عقلك يعجز عن حمله على الحقيقة هو معرفة عقلك لحقيقة الأسد المفترس ، فلا يمكن أبدا أن يكون الأسد المفترس في هذا التركيب الكلامي ، أو مثلا يقول رأيت حمارا بين الطلاب ، فلا يمكن أيضا أبا حمله على الحمار المعروف للجميع، لأننا نعرف حقيقة الحمار فلا يمكن أن يدخل بين الطلاب ، فالأن الانتقال من حقيقة الكلام إلي مجازه فرع عن معرفة العقل للحقيقة ، فإذا قلت في قول الله جل وعلا " بل يداه مبسوطتان " فتأتي تقول لا يمكن أن يراد به الحقيقة ، أي حقيقة تفر منها أنت ، فهل حقيقة يد الله داخلة تحت معرفة عقلك !!! مثل دخول حقيقة الأسد في عقلك ؟ فأي حقيقة تفر منها ؟ فالحقيقة التي هي حقيقة كيفية يد الله عقلك لا يعرفها ، فكيف تفر من حقيقة عقلك

يجهلها أصلا وتقول لا يراد به الحقيقة وإنما يراد به المجاز، فأي حقيقة إذا التي تقول لا يراد ؟ ، وكذلك في قوله تعالى " ويبقي وجه ربك " يقول لا يمكن أن يراد به حقيقة وجه الله ، لماذا أيها الأشعري ؟ فهل تصورت حقيقة وجه الله ثم قلت والله هذا الكلام لا يمكن أن يحمل على الحقيقة ، كما تصورت حقيقة الأسد فقلت إن قولك رأيت أسدا يخطب لا يمكن أن يراد به الحقيقة ؟ ، وكذلك في قول النبي ﷺ " ينزل ربنا " يقول لا يمكن أن يراد به أبدا نزول الله ؟ ولا يراد به الحقيقة ، نقول له لماذا يا الأشعري ؟ وهل أنت تعرف حقيقة نزول الله جل وعلا حتي تفر منها ؟ ، وهذا يفيدك أيها السني أن الحقيقة التي يفهمها هؤلاء ليست هذه هي حقيقة صفات الله ، فالحقيقة التي يقولون عنها إن يد الله لا يراد بها حقيقتها فأي حقيقة يفرون منها ؟ هي الحقية أنهم لو أثبتوا يد الله فيستلزم أن تكون كيد المخلوقين ، فإذا هي تلك الحقيقة التي يفرون منها ، فهم مثلوا أولا وعطلوا ثانيا فرارا من هذه الحقيقة التي فرضتها عقولهم ، ولكن لو أنهم جروا على ما جري عليه أهل السنة والجماعة وقالوا إن يد الله لا تماثل يد المخلوقين ، فحينئذ لا يمكن أبدا أن يفروا من هذه الحقيقة التي يجهلونها ولا يعرفونها ، ولذلك نحن نقول الحقيقة نقصد بها الكيفية ، فأنت تفر من كيفية صفات الله جل وعلا ، فهل أنت رأيت هذه الصفات أصلا ؟ أم هل حُدثت عنها ؟ بالطبع لا فكيف تفر من شيء تجهله ، وهم مصرون على نفي مراد الحقيقة ، وإن سألتهم يقولون لو ثبت الوجه هنا سيكون كوجه المخلوق وأنا أفر من هذه الحقيقة ، فنقول له أنت مثلت ، ثم عطلت .

ولكن نقول التمثيل بريد التعطيل ، فالمعطل لم يصل إلي درجة التعطيل إلا بعد أن صعد إلي درجة التمثيل ، ولذلك القول الصحيحين في هذه المسألة " هو أن اللغة العربية فيها مجاز، والأدلة الشرعية فيها مجاز إلا في ما كان من أبواب الغيب لأن أبواب الغيب ليست داخلة تحت مدركات العقول ومن شرط الانتقال من الحقيقة إلي المجاز معرفتك بكيفية الحقيقة أولا ، فيما أن كيفية صفات الله غائبة عن عقولنا حينئذ لا يجوز أن نقول لا يراد بهذا النص حقيقته ، فإذا نعلم أن الانتقال من الحقيقة إلي المجاز علمية عقلية ، فكيف نقحم العقل في أمر أنت لا تعرفه ، فعقلك لا يعرفه ، ولكن أبا العباس ابن تيمية وشيخ الإسلام ابن القيم أرادو أن يكسروا طاغوت المجاز وإخراجه من دائرة اللغة مطلقا حتي لا يكون القول بوجوده في اللغة ذريعة يتذرع بها هؤلاء إلي إدخاله في ما لا يجوز إدخاله فيه ، فأردوا نفيه مطلقا من لغة العرب ،وهو لم ينفيه لمجرد أنه يريد إخراج المجاز لا ؛ بل نفاه لأنه يري في اجتهاده أنه لا مجاز أصلا ، ولكن من الأشياء التي دفعت أبا العباس لتأكيد على هذه القضية هو حتي لا يكون القول بجودها المجاز في اللغة ذريعة، وطريقة يتوصل به هؤلاء أهل البدع إلي إدخالها في أبواب الغيب فأراد أن يغلق الباب مطلقا وإلا فهو في ذاته أتي بأدلة من نظرها بعين التأمل تبين له أنه لا مجاز في اللغة ، ونقل ذلك عنه كثيرا الإمام الشنقيطي رحمه الله تعالى في أخر "أضواء البيان " ولكن الخلاف بيننا وبين من نفي المجاز في اللغة العربية إنما هو خلاف لفظي ، لأنهم يقولون لا يراد به حقيقة ولكن لا يسمي مجازا ، نقول سموه ما شئتم ولكن هل يراد به حقيقتها؟ يقولون لا ؛ مثل قول الله جل وعلا " واشتعل

الرأس شيبا " فحقيقة الاشتعال النار، ولكن هنا شبه (إذا هنا مجاز) ، فهم يحاربون لفظة مجاز ، ولكن يقولون هذا أسلوب من أساليب اللغة العربية ، نقوله لا يضر تسميته أسلوب أو مجاز، ولكن نقول بوجود ثمرة الخلاف في الغيبيات ، والغيبيات قسمان :-

1- شيء يتعلق بذات الله وأسمائه ، وصفاته
2- شيء يتعلق باليوم والأخر، والجنة ، والنار، ونعيم الجنة ، وعذاب النار، فهذه لا يجوز لك أن تدخل فيها بعقلك ، ولا أن تنقل النصوص الواردة فيها من الحقيقة إلي المجازللعلة التي ذكرتها من قبل وهي أنها لا تزال في حيز الغيب ، وما كان في حيز الغيب فلا مدخل للعقل فيه ، والمجازعملية عقلية فكيف تدخل عقلك في شيء غيرداخل تحت قدرته وطاقته ،

بعد سرد كل هذا تعلم أخي الحبيب أن الحقيقة التي يتفوه بها أهل البدع أنها ما يخص المخلوق ، فهم لا يفهمون وجها لائقا بالله وإنما يفهمون وجها كوجه المخلوق ، ولا يفهمون يدا لائقة بالله وإنما يفهمون يدا كيد المخلوق ، ولا يفهمون عينا لائقة بالله ، وإنما يفهمون عينا كعين المخلوق ، فهم أرادو أن يفروا من هذه الحقيقة .

....

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى:-

".."

هذه القاعدة تقول " الأصل في الكلام حمله على ظاهره ولا يجوز الانتقال عن الظاهر إلا بقرينة دالة على هذا الانتقال "

فالأصل حمل الكلام على ظاهرة ؛ والمقصود بظاهره أمران :-

1-الظاهر الذي يتبارد لفهم أهل لسنة والجماعة .

2- الظاهر التي تقتضيه لغة العرب .

فلا بد من الاهتمام بهاذين الأمرين ، فإذا قلنا حمل الكلام على ظاهره فنقصد الأمرين جميعا ، وبالجملة فإن جميع ما تقتضيه لغة العرب هو الذي يفهمه أهل السنة والجماعة ولكن من باب التفصيل والتدقيق في العبارة فقط ، إذا قيل لك أيها الحبيب هل ظاهر نصوص الصفات مراد أم غير مراد ؟ فنقول يلزم من التفصل في الإجابة ، ونأسف لأن لفظ الظاهر صار يستعملها أهل البدع فهناك ظاهر يفهمه أهل السنة ، وظاهر يفهمه أهل البدع ، فالظاهر الذي يفهمه أهل السنة والجماعة هي الصفات اللائقة بالله جل وعلا ، إثبات الصفة على الوجه الذي يليق بالله جل وعلا ، والظاهر الذي يفهمه أهل البدع إنما هو مماثلة صفات الله جل وعلا بصفات خلقه ، فالذي يفهمه أهل السنة والجماعة من ظاهر قول الله جل وعلا " بل يداه مبسوطتان " أنهم يفهمون أن فيها إثبات صفة اليدين حقيقة على الوجه اللائق بالله جل وعلا ، ولكن الظاهر عند أهل البدع أنها تماثل يد المخلوق ، وكذا في قول الله جل وعلا " ويبقي وجه ربك " الظاهر المتبادر عند أهل السنة والجماعة هو إثبات صفة الوجه لله جل وعلا ، والظاهر المتبادر عند أهل البدع هو إثبات وجه كوجه المخلوقين فألزمهم ذلك بالفرار منه والقول أن المراد هنا هو الذات ، فإذا قيل هل ظاهر النصوص مراد

أم غير مرادة ؟ فنقول لا نقول هو مراد مطلقا لأنه يوهم أنك تريد الظاهر الذي يريده أهل البدع لا سيما إذا كان السائل واحدا منهم ، ولا نقول إنه غير مراد لأنه يوهم أنك مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة ، فالجواب نقول :- بما أن اللفظ صار مجملا بحسب استعمال الطوائف له لا بد فيه من الاستفصال ، فنقول إن كنت تريد بالظاهر ما يتبارد لذهن عند أهل السنة والجماعة فإنه مراد ، وأما إذا كنت تريد بالظاهر ما يفهمه أهل البدع من نصوص الصفات فإنه غير مراد ، وهذه قاعدة عند أبي العباس ابن تيمية في التدمرية قال رحمه الله "إذا قيل هل ظاهر النصوص مراد أو غير مراد ؟ فأجاب بهذا التفصيل المذكور آنفا " أنه إذا كان الظاهر هو الذي يفهمه أهل السنة والجماعة فلا بد أن تقول إنه مراد ، وإذا كان الظاهر هو الذي يفهمه أهل البدع فإنه غير مراد ، لأننا نخشي بأن نجيب بأنه مراد مطلقا فيكون المخاطب رجل من أهل البدع أو يستمع كلامك رجل من أهل البدع ولا يفهم من الظاهر إلا ما يقتضي مشابهة صفات الخالق بخلقه فنقع في مشكلة ، ونخشي أن نقول غير مراد فيسمعك أحد من أهل السنة والجماعة فينسبك إلي مذهب السوء ، فلابد من الاستفصال ".
فدائما عندنا قاعدة ينبغي حفظها " عند موارد الإجمال لا بد من الاستفصال " حتي يتميز الحق من الباطل فيقبل الحق ، ويرد الباطل ، وبناء على ذلك ففي قول النبي ﷺ " ينزل ربنا إلي سماء الدنيا " هذا حديث أبي هريرة في الصحيحين " ينزل ربنا " الظاهر المتبادر لذهن من أول مرة والذي يقتضيه مذهب أهل السنة والجماعة ، وتقتضيه لغة العرب هو :- أن النزول هو نزول الرب جل وعلا على الوجه اللائق به لا ندخل في هذا الباب متأولين بآرائنا ، ولا متوهمين بأهوائنا ، وقلنا إن هذا هو الظاهر لأن النزول مضاف إلي الله جل وعلا والأصل أن ما

أضيف إذا كان لا يقوم بذاته فإنه من باب إضافة الصفة إلي موصوفها ، وهنا النزول لابد أن يُضاف إلي محل وهو النازل ، فلما أضاف النبي ﷺ النزول إلي الله جل وعلا دل ذلك على أن الله هو الذي ينزل حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته جل وعلا ، وأما أهل البدع فيفهمون منها أن الذي ينزل إما ملك ،أو الرحمة ، أو الأمر ، فهم خالفوا الظاهر الأن بل خالفوا لغة العرب ؛ لأنهم يقحمون تقديرا بين كلمة ينزل وبين كلمة ربنا ، فمنهم من أقحم ملك فقالوا ينزل ملك ربنا مع أن الملك غير مذكور ، ولكنهم قالوا هو مقدر ، والأصل في الكلام عدم التقدير ؛ فهم يكون إذا فهموا ظاهرا مخالفا للغة العرب ، هذا هو الذي يقصده أهل السنة والجماعة إذا قالوا " إن الظاهر هو البقاء على ما يفهمه أهل السنة والجماعة ، وعلى الظاهر الذي تقتضيه لغة العرب .

وكذلك قول الله تعالى " ورحمتي وسعت كل شيء " هذه العرب لا تفهم منها إلا إضافة الصفة إلا موصوفها لأن الرحمة عين أضيفت إلي شيء ؛ وهذه العين المضافة من ما يقوم بذاته ، وإذا أضاف المتكلم شيئا لا يقوم بذاته فإنها من باب إضافة الصفة إلي موصوفها ، ولكن هؤلاء يفهمون منها غير ذلك ، ولذلك إذا أردت أن ترد عليهم فعندك جوابنا لا تختلف أبدا :-

1- فهمكم وقولكم هذا مخالف لفهم أهل السنة والجماعة .
2- قولكم هذا مخالف للغة العرب .

فتحريفاتهم دائما تخالف لغة العرب ، مثل قول الله جل جلاله " لما خلقت بيدي " يدي هنا مثني ، أهل السنة والجماعة يفهمون منها إضافة اليدين الحقيقيتين اللائقتين بجلاله وعظمته جل جلاله ، لكن

يفهم منها أهل البدع أنها النعمة والقدرة ؛ وهذا مخالف للغة ، ووجه مخالفته أن العرب في استخداماتها في كلامها وأساليبها وبلغاتها شعرا ونثرا لم تستخدم النعمة مثناة.. وإنما تستخدم النعمة مفردة ، أو مجموعة ، فتقول لي عليك نعم أو تقول لي عليك نعمة ، لكن ليس هناك عرب تقولوا " نعمتان" هذه ليست مجودة في لغة العرب عند إضافتها إلي المتكلم ، فلا تقول العرب " لما خلقت بنعمتي " ، فأي نعمتين فالله جل جلاله نعمه لا تعد ولا تحصي ، فهذا مخالف للغة العرب فضلا عن مخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة ، فإذا هذه قاعدة عظيمة " الأصل وجوب البقاء على الظاهر، ولا يجوز الانتقال عن الظاهر إلا بناقل " وهذه ليست قاعدة عقدية فقط ، بل هي قاعدة أيضا فقه ؛

وأضرب لك عليها مثالا :-

اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في الجنة التي أُدخلها أبونا آدام ، فمن العلماء من قال إنها هي جنة الخلد التي سيدخلها المؤمنون يوم القيامة وهي موجودة في السماء السابعة ، ومنهم من قال بل هي بستان في جبل في قمة جبل سكنه آدام وعلى ذلك عامة أهل البدع ، ولكن ابن تيمية رحمه الله في المجلد الرابع من الفتاوي ينقل اتفاق السلف الأوائل على أن الجنة التي أُدخلها أبونا آدام إنما هي جنة الخلد ، وأن من قال بأنها جنة في الأرض أو بستان فيها فقد قال قولا ساقه عن أهل البدع " ، مع أنه قال بهذا بعض أهل السنة ولكن أصل هذا القول من أهل البدع ، ولكن السلف الأوائل من الصحابة والتابعين إنما يقولون إنها جنة

الخلد ، ودخل هذا الفرع أن الله جل جلاله في الكتاب ، والنبي ﷺ في السنة إذا أطلق لفظ الجنة معرفا غير مضاف إلي شيء فإنه لا يراد به إلا جنة الخلد ، فلو أراد جنة في الأرض لقيدها ، مثل قول الله جل جلاله " واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب " ،فأضاف الجنتين إليهما ، وهذا الأسلوب الدارج في الكتاب والسنة ، أن الله إذا أراد جنة الخلد فإنه يطلقها ولا يضيفها إلا إليه جل وعلا وتكون معرفة بالألف واللام وهذا هو الظاهر؛ والأصل البقاء على الظاهر حتي يرد الناقل ، وإليك مسألتين فقهيتين من طيب ما درسنا الفقه :-

1- في قول النبي ﷺ " توضؤوا مما مست النار" ، اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في تفسير توضؤوا هنا إلي قولين :- فمنهم من حملها على الوضوء الشرعي ، ومنهم من حملها على مجرد غسل اليدين ، كما حكاه الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم ، فنقول القول الراجح الصحيح حمله على الوضوء الشرعي لأن إطلاق لفظ الوضوء لا يراد به في لسان الشارع إلا الوضوء الشرعي ، وأما قولهم " إن من بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده "فهذا لا يصح مرفوعا لنبي ﷺ ، ولذلك يقول ابن تيمية والضوء بمعني غسل اليدين لا تعرفه إلا لغة اليهود (الوضوء قبله والوضوء بعده) وأما في لغة المسلمين فإذا جاء على لسان الشارع الوضوء فإنه لا يريد به إلا الوضوء الشرعي الذي هو استعمال الماء على صفة مخصوصة في الأعضاء الأربعة .

2- وكذلك اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في قول النبي ﷺ " توضؤوا من لحوم الإبل " على قولان كما ذكرهما النووي رحمه الله في شرح صحيح

مسلم ، الأول :- أنه الوضوء الشعري ، والثاني :- أنه مجرد غسل اليدين ، فنقول القول الراجح هنا أيضا أنه الوضوء الشرعي لأن هذا هو الظاهر المتبادر لذهن أول مرة إذا أطلق الشارع لفظ الوضوء ، وكهذا ينبغي أن نفهما .

3- وكذلك اختلافهم في معني الوضوء المذكور في حديث عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ " فمن من قال توضأ أي بمعني غسل يديه فقط ، ومنهم من قال توضأ الوضوء الشرعي ، فالراجح أنه هو الوضوء الشرعي لأنه الأصل هو البقاء على الظاهر ولا يجوز لنا أن ننتقل عن الظاهر إلا بدليل ، وهذه قريبة من قاعدة " الأصل في الكلام الحقيقة ."

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى

" .... "

يقول العلماء رحمهم الله تعالى " صفات الله جل وعلا ثبوتية وسلبية " وهذه قاعدة مهمة ، ثبوتية أي مثبتة ، وسلبية بمعني منفيه ، أي أننا لما رأينا ما أضافه الله لنفسه أو نفاه عنه في القرآن وجدنا أن هناك صفات أضافها ، وهناك صفات نفاها ، فأضاف لنفسه سبحانه صفة الحياة ، والسمع ، والبصر ، واعلم ، والإرادة وغيرها ، ومن الصفات التي نفاها ، مثل صفة الولد ، والزوجة ، والنوم ، والسِنَة ، واللغوب ، والظلم وغيرها ، ننتقل بعد ذلك إلي قاعدة أخري ليست في الصفات المنفية ، ولكن في الصفات الثبوتية لما رأينا إلي الصفات التي أثبتها الله لنفسه جل جلاله وجدناها أيضا تنقسم إلي قسمين :-

1- صفات ذاتية
2- صفات فعلية

وهذا التقسيم لابد أن يكون معروف أنه منبثق من التقسيم الأول ، فالتقسيم العام لصفات الله أنها قسمان :- (صفات أثبتها – صفات نفاها) ، والصفات التي أثبتها تنقسم إلي قسمين (صفات أثبتها على أنها صفات ذاتية – صفات أثبتها على أنها صفات فعلية) إذا صفات الله جل جلاله تنقسم إلي ذاتية وفعلية :-

" قاعدة العَلِّية أقسامها ذاتية فعلية "

وقد عرف العلماء رحمهم الله تعالى الصفات الذاتية :- بأنها الصفات الملازمة لذات التي لا تنفك عن الله جل جلاله أزلا ولا أبدا ؛ فهو متصف بها دائما وأبدا جل جلاله فلا يمكن أبدا أن تنفك عن ذاته ؛ كصفة الحياة فهي صفة ذاتية لله جل جلاله لا يمكن أن تنفك الحياة عن ذاته جل جلاله ، وكذلك صفة السمع أيضا صفة ذاتية لله جل جلاله لا يمكن أبدا أن تنفك ذات الله عن السمع ، وكذلك صفة البصر صفة ذاتية لله جل جلاله لا يمكن أبدا أن تنفك صفة البصر عن الله جل جلاله ، وهكذا .

وأما الصفات الثانية فهي الصفات التي ليست متعلقة بالذات وإنما متعلقة بالإرادة والفعل فمتي ما شاء الله جل جلاله فعلها ومتي ما شاء لم يفعلها وهي التي تسمي ب" الصفات الفعلية" لتعلقها بفعل الله جل جلاله وإرادته ومشيئته ، مثل صفة النزول إلي السماء الدنيا فالله سبحانه لا نقول أنه نازل إلي السماء الدنيا لازما وأبدا ، ولكنه سبحانه ينزل في وقت دون وقت فهي صفة فعليه فيفعلها الله جل جلاله في وقت ويتركها في وقت .

وكذلك صفة الرحمة فهي صفة فعلية لا ذاتية مطلقة فسبحانه يرحم من يشاء ويعذب من يشاء .

وكذلك صفة الرضا فهي صفة فعلية لله جل جلاله ، وأما صفة اليدين فهي صفة ذاتيـة لأنه لا يمكن أبدا أن تنفك ذات الله عن يديه ، وصفة الأصابع صفة ذاتية ، وصفة العلو صفة ذاتية .

وأما صفة الاستواء على العرش فنقول هي صفة فعلية لأنه لم يحصل هذا الاستواء إلا بعد أن خلق الله العرش ، ويقول العلماء رحمهم الله تعالى إن من الصفات ما يحمل الاعتبارين جميعا : فيكون ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار وهي:-

" صفة الكلام " ، فالكلام صفة ذاتية باعتبار أصله (أي القدرة على الكلام)لأنه لو نزعت القدرة على الكلام لوصف الإنسان بأنه أخرس ، فالأخرس ليس بقادر على الكلام متي شاء ، فأصل صفة الكلام أي أصل القدرة على الكلام متي ما شئت هذه صفة ذاتية ، وصفة فعلية آحاده وأفراده (أي إذا بدأت تتكلم وتخرج أفراد وآحاد الكلام فتكون هي الأن صفة فعلية فبدأت تفعل الكلام وتنطق) ، ولكن هل يسمي الإنسان في حال سكوته متكلما ؟ نقول نعم باعتبار أنه قادر على الكلام ، لأنه لو لم يوصف بأنه متكلم حال سكوته لكان أخرس ، فهو متكلم باعتبار الأصل ، ولكن إذا بدأ بالكلام فيكون صار متكلما باعتبار الأصل وباعتبار الآحاد ، فإذا نظرنا إلي كلام الله جل جلاله " ولله المثل الأعلى " باعتبار أصله وقدرته عليه متي شاء فهي صفة ذاتية ، وإذا نظرنا إليه باعتبار أفراده وآحاده فهي صفة فعلية ، وبعض العلماء رحمهم الله تعالى يقول هذا

الكلام ليس خاص بصفة الكلام فقط بل هو في جميع الصفات الفعلية ، الله جل جلاله قادرباعتبار الأصل على أن يرحم فإذا رحم صارت صفة فعلية ، والرضا هو قادرعلى الرضا جل جلاله باعتبار الأصل على أن يرضي ليس الله عاجزا عن الرضا بل هو قادرعلى أن يرضي ، فإذا تحقق الرضا منه على أحد معين صار صفة فعلية ، وهو كلام صحيح ولا غبار عليه ، ولكن أغلب أهل السنة والجماعة يمثلون بالكلام لوضوح متعلق مناط التمثيل به حتي لا ندخل الناس في اضطراب ،فالكلام باعتبار أصله صفة ذاتية ، وباعتبار آحاده صفة فعلية ، يقول الناظم " آحاده حادثة فعلية وأصله قل صفة ذاتية " ، وهناك فرق أخروليس مشهورا عند أهل السنة والجماعة ولكنه فرق صحيح تفرع عليه كثيرمن صفات الله جل جلاله الذاتية والفعلية ،وإذا لم تفهم هذا الفرق يكفيك الفرق الأول .

خلاصة هذا الفرق يقول :-

" كل صفة لا يصح اتصاف الله بنقيضها فهي ذاتية ، وكل صفة يصح اتصاف الله بنقيضها ففعلية " .

مثال الحياة نقيضها الموت ، ولا يصح اتصاف الله بالموت ، فنقول إذا الحياة صفة لا يصح اتصاف الله بنقيضها فتكون الحياة صفة ذاتية ، لأن الحياة والموت نقيضان إذا ارتفعت الحياة حل الموت ، فلابد أن تكون حياة الله جل جلاله متصفا بها أزلا وأبدا دائما جل جلاله .

مثال ثاني :- السمع نعرف أولا ما هي الصفة وما نقيضها ، فنقيض السمع الصمم ، والصمم أبدا ليست صفة يصح اتصاف الله جل جلاله بها

وتعالى الله عن ذلك ؛ فإذا السمع صفة ذاتية لأن الله لا يصح أن يتصف بنقضيها .

مثال أخر البصر:- فنقيض البصر العمي ، فالبصر صفة ذاتية لأنه متعلق بذات الله أزلا وأبدا ؛ ولأنه لا يصح اتصاف الله بنقيضه ،

وكذلك العلو نقيضه (ولا تقول ضده بل الأصوب قول (نقيضه) فنقيضه السفل ، والسفل لا يصح أن يتصف الله جل جلاله بها ، فالعلو صفة ذاتية ،

وكذلك الوجود نقيضه العدم ، فالوجود صفة ذاتية لله ، وكذلك

الرضا نقيضه عدم الرضا ، والله جل جلاله قد يُوصف بعد الرضي عن أحد " ولا يرضي لعباده الكفر " فالرضا صار صفة فعلية لأن الله يصح أن يتصف بنقيضها ، ونقول في صفة الرحمة أن نقيضها عدم الرحمة ، والله جل جلاله قد يوصف بأنه لا يرحم أُناسا معينين فتكون هذه صفة فعلية ، والقدرة صفة ذاتية لأن نقيضها العجزوالعجز صفة لا يصح أن يتصف الله جل جلاله بها فتكون القدرة صفة ذاتية ،

وكذلك العلم فهو صفة ذاتية لله ، إذا هما فرقان صحيحان ولكن غالب أهل السنة والجماعة دائما في مسائل الاعتقاد لا يفزعون إلا التفريق بما قد يُشكل على بعض الأفهام ولكن يفرقون بالفرق الظاهر الواضح ، وقد سمعت من بعض المشايخ أن ضرب مثالا ثم قال " ولله المثل الأعلى" فقال أنت الأن بصرك هذا أنت متصف به مذ ولدت حتي تموت فلا ينفك عنك ، ولا تنفك عنك العين عنك ، فتكون هي ملازمة لك ولكن ملازمة ليست

الملازمة المطلقة وإنما مطلق الملازمة لأنك مخلوق فتكون صفة مناسبة لضعفك ، فإذا بما أن عينك ملازمة لك فتكون صفة ذاتية لك أنت ، ثم قال " ولله المثل الأعلى" فعين الله لا تنفك عنه فهي صفة ذاتية ، ولكن أخشي أن يقال هذا أمام الناس فيقعون في محظور التمثيل ، مع أن المأخذ صحيح فاليد لا تنفك عنك فهي صفة ذاتية لك أنت ، وإذا انتقلنا إلي يد الله جل جلاله فلا تنفك عنه سبحانه ، ولكن نخشي أن نربط الذهن بين الصفة التي تخص المخلوق والصفة التي تخص الخالق فنقع في مخالفة قول الله جل جلاله " ليس كمثله شيء " فنبقي على هاذين الفريقين اللذين قررهما أهل السنة والجماعة .

قد يقول قائل إن الله جل وعلا أن من أسمائه (الرحيم – الرحمن) وكلاهما يحملان صفة الرحمة ، ولكن الرحمة أعم متعلقا من الرحمة في اسم الله الرحيم ، فيقول العلماء إن الرحمة في الرحمن هي الرحمة العامة المرادة بقول الله جل جلاله " ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما " ، وأما الرحمة في اسم الله الرحيم فهي الرحمة الخاصة ،

ولتنبيه نقول إن المعية تنقسم إلي قسمين :-

معية عامة – ومعية خاصة .

ومن تمام الفائدة أن نقول أن العبد له أن يحلف بالصفات التي هي ذاتية ، والصفات التي هي فعلية ، فيجوز أن تقول وغضب الله ، ورحمة الله فلا إشكال في هذا ،

ومن باب ما يذكرهنا سؤل بعض العلماء عن قول بعض أهل البادية " يا وجه الله " فأجاب بالتفصيل بين ما كان من قبيل الصفات الذاتية وبين ما كان من قبيل الصفات الفعلية ، يقول إذا كان ما بعد ياء النداء من صفات الله الذاتية فهذا لا حرج ، وإذا كان ما بعد ياء النداء من باب الصفات الفعلية فهذا لا يجوز وهذا قول لم يسبقه إليه أحد من أهل السنة والجماعة ، بل إن المتقرر أن هذا من دعاء الصفة ، وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله في كتاب "الاستغاثة " وقرره تلميذه العلامة ابن كثير في تلخيص " الاستغاثة " بأن دعاء الصفة كفر بإجماع أهل السنة والجماعة ، فهذا القول محـــرم ولا يجوز (يا وجه الله) لأن هذه ياء النداء ، والصفة لا تنادي ، وإنما ينادي الله جل جلاله ،

مسألة :- هل يجوز للإنسان أن يشير بشيء من صفاته التي تخصه عند ذكره لشيء من صفات الله جل جلاله ؟ كأن تقول لله عين وتشير إلي عينك ؟ نقول إذا كان المقصود مجرد التوضيح وبيان إرادة الحقيقة ، أي كما أن هذه هي حقيقة عين المخلوق فأنا أريد حقيقة عين الخالق فهذا لا حرج فيه ، ولكن أقول عند عوام الناس الأسلم تركه لأنه بعضهم قد لا يكون عنده علمية مسبقة تجعل الكلام محمول على محامله الصحيحة ، فلابد من اشتراط أمن ورود الواردات المخالفة للعقيدة عند ذهن السامع .

ثم قال الناظم وفقه الله :-

"..."

نص القاعدة يقول " الأشياء المضافة إلي الله جل جلاله إن كانت لا تقوم بذاتها فهي إضافة صفة إلي موصوفها.

وإن كانت تقوم بذاتها فتكون إضافة تشريف وتكريم " ، وبالمثال يتضح المقال :-

قال الله جل جلاله " هذه ناقة الله " الأن هنا مضاف ومضاف إليه ، والمراد هنا ناقة صالح عليه السلام التي هي معجزته والتي عُذب قومه لما عقروها ، وهذه الناقة قد أضيفت إلي الله

فالناقة مضاف والاسم الأحسن مضاف إليه ، فالله هنا أضاف له شيئا وهذا الشيء ليس بمتصل بالله تعالى بل هو عين قائمة بذاتها منفصلة عن الله كل الانفصال ، فهنا أضاف الله شيئا قائما بذاته منفصلا عن ذاته فهذه العرب تقول إنها إضافة تشريف وتكريم ، فيفهم من إضافة الناقة له جل جلاله أن هذه ناقة مشرفة ومكرمة ومعظمة ، وحقها أن لا تهان ، وأن لا تقل ، وأن لا يتعرض لها بأي شيء من السوء لأن الله أضافها له سبحانه ، فاكتسبت هذه الناقة التشريف ، والتكريم والتعظيم بمجرد إضافتها إلي الله جل جلاله ، ولم نجعلها من باب إضافة الصفة إلي موصوفها لأن هذا شيء منفصل عن الله كل الانفصال قائم بذاته ،

مثال أخر:- قال الله جل جلاله عن النبي ﷺ " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله " فأضاف الله محمد ﷺ له لأنه رسول الله ، فنقول هنا هذه إضافة تشريف وتكريم لأن ذات النبي ﷺ ذات قائمة بنفسها منفصلة عن الله جل جلاله كل الانفصال ، فليس في ذات محمد ﷺ شيء من ذات الله ، وليس في ذات الله شيء من ذات محمد ﷺ كما يقوله هؤلاء الصوفية الكفرة ، فهذه إضافة تشريف وتعظيم فالنبي ﷺ ذاته ذات مكرمة ، ومعظمة ، ومشرفة، فهي أشرف الذوات عند الله جل جلاله .

مثال أخر:- يقول الله جل جلاله " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا " فعباد الرحمن هنا ، المضاف هنا العباد ، والرحمن مضاف إليه ؛ وهذه إضافة تشريف وتعظيم وتكريم ؛ لأن عامة المؤمنين منفصلون قائمون بذواتهم منفصلون عن ذات الله جل جلاله ، فليس في ذات الله شيء من ذواتنا ، وليس في ذواتنا شيء من ذاته جل جلاله ، فهذه تكون إضافة تشريف وتكريم .

مثال أخر:- يقول الله جل جلاله لإبراهيم وإسماعيل عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام " أن طهرا بيتي لطائفين والعاكفين والقائمين والركع السجود " ، فنقول البيت هنا قائم بذاته منفصل عن ذات الله جل جلاله كل الانفصال ، فإضافته إضافة تكريم وتشريف ،

مثال أخر:- فى الحديث " إن قلوب بني آدام كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن ......" الحديث هنا في هذا المثال إضافة الأصابع للرحمن إضافة صفة إلي موصوف لأن الأصابع لا يمكن أن تنفصل وتقوم بذاتها بل لا بد لها من محل تقوم ، فتكون من باب إضافة الصفة إلي موصوفها .

مثال أخر: - يقول الله جل جلاله " ورحمتي وسعت كل شيء " نقول الرحمة هنا مضافة من باب إضافة الصفة إلي موصوفها لأن الرحمة لا يمكن أن تنفصل عن الراحم ، فالرحمة صفة تصدر من الراحم سبحانه فهي لا تنفصل عن الراحم سبحانه وتعالى ولا تقوم بذاتها .

مثال أخر:- يقول النبي ﷺ في حديث الشفاعة " فيكشف رب العزة عن ساقه فيسجد له كل من كان يسجد في الدنيا " ، فالساق هنا إضافة صفة

إلي موصوف لأنه لا تقوم بذاتها ، ولا تنفصل عن الله جل جلاله ، ولا يتصور انفصال الساق عن محله ،

مثال أخر: - يقول الله جل جلاله "لما خلقت بيدي " نقول هنا إضافة اليد إضافة صفة إلي موصوفها ، لأن اليد لا تقوم بذاتها ، ولا يتصور انفكاكها عن الله جل جلاله ، نرجع للقاعدة حيث قالت " الأشياء المضافة إلي الله إن كانت لا تقوم بذاتها فإضافة صفة إلي موصوف ، وإن كانت تقوم بذاتها فتكون إضافة تشريف وتكريم " وهذا التفريق قد أجمعت عليه كلمة أهل السنة والجماعة ، وقد اتفقت كلمة أهل البدع على مخالفته ، فالإضافة عند أهل البدع كلها إضافة واحدة وهي إضافة تشريف وتكريم ، فقالوا " ويبقي وجه ربك " قالوا الوجه مضاف إلي الله كإضافة الناقة إليه فبما أن الناقة لا تكون من صفات الله فكذلك الوجه لا يكون من صفاته هكذا يقولون ، وقال" بل يداه " أضيفت اليد إلي الله إضافة مجازة من باب التشريف والتكريم وإلا فالمراد بها النعمة والقدرة ، وكذا قالوا في حديث " ويكشف عن ساقه " قالوا الساق أضيف إلي الله إضافة تشريف وتكريم وإلا فالمقصود به كشف يوم القيامة عن كربته وشدته عرصاته ، وهكذا ، ولذلك احتاج أهل السنة والجماعة بما أنها توحيد بمعني أن الاضافة سبب في ضلال كثيرمن أهل البدع في باب الأسماء والصفات احتاج أهل السنة والجماعة التفريق بين الحق والباطل فقسموا هذا الباب إلي قسمين فوفقهم الله جل جلاله لهذا القانون المستقيم الذي لا يمكن أبدا أن يختل ولا يختلف ، ولا أن يضطرب في أي شيء اضافه الله جل جلاله له ، وأسبر القرآن من أوله إلي أخره ، وكل شيء أضافه الله له سبحانه تسأل

نفسك هل هويقوم بذاته ؟ أم لا يقوم بذاته ؟فإن كان يقوم بذاته فتشريف وتكريم ، وإن كان لا يقوم بذاته فصفة إلي موصوفها .

ثم قال النظام وفقه الله تعالى " وكل ما حرفه... ...." هذه قاعدة في ما يجاب به أهل البدع عن كل تحريف نقل عنهم ؛ وهي ثلاثة أجوبة لا تختلف في أي جواب عن تحريف من تحاريف أهل البدع فاحفظها ولتعلم أن هذه الثلاث ليست هي كل الأجوبة لا لا تفهم خطأ وإنما هي تتكرر معك في كل جواب من أجوبتك على أهل البدع ، فإذا قال لك البدعي " بل يداه مبسوطتان " يراد بها النعمة والقدرة فقل له :- قولك هذا خلاف فهم السابقين ، وخلاف قول أهل اللغة (أي خلاف اللغة) ، - ولا دليل (أي لا دليل على قولك وتحريفك هذا) فهذه الثلاث احفظوها جيدة وهي :-

1- خلاف فهم السلف .
2- خلاف اللغة .
3- ليس عليه دليل .

وقد تقرر عندنا " أن كل فهم في مسائل الاعتقاد يخالف فهم السلف فهو باطل " .

الجواب الثاني :- خلاف اللغة وقد تقررعندنا " أنه لا يجوز فهم الأدلة التي نزلت باللسان العربي المبين إلا على مقتضي ما تقتضيه لغة العرب " فأي فهم يخالف فهم العرب في هذه الأدلة فإنها فهوم باطلة

؛ وهذه المسائل مسائل غيبية لا يجوز أن يثبت فيها أوينفي إلا ما قام الدليل على إثباته ونفي؛ ولذلك تقول وقولك هذا لا دليل عليه ، فتكون هي ثلاثة أجوبة وليست هي كل الأجوبة ولكنها تتكرر في كل جواب عن أهل البدع ، فمن حرف في صفة اليدين فأجبه عن تحريفه بهذه الأجوبة الثلاثة ، وكذلك من حرَّف صفة العين ، ومن حرف صفة الأصابع ، فأجب عن الجميع بهذه الأجوبة الثلاثة وقل له قولك هذا خلاف فهم السلف ، وخلاف اللغة العربية (لغة العرب) ،. وليس عليه دليل ، ثم قال له من الذي سوغه وسبقك به من السلف وقال هذا وأجاز لك أن تنتقل من ظاهر الكلام أو حقيقته إلي شيء أخر!!!؟ فإذا كان قولك هذا مخالف لفهم السلف ومخالف لأهل اللغة ، ومخالف لدليل فمن الذي سوغة لك وأجازه لك !!!!!! ؟

فإن جاء أحدهم وقال لك في حديث النبي ﷺ " ينزل ربنا " وقال لك أي ينزل ملك ربنا ، فتقول له هذا القول باطل لأنه مخالف لفهم السلف ، وخلاف اللغة ، ولا دليل عليه .

وهناك زيادة في الرد على هذه التحريفات بأشياء أخرى فنقول :- وأن الملك لا يتصور أن يقول "من يدعوني " فالذي نزل هو الذي يقول " من يدعوني " ولا يتصور أن ملك يتجرأ ويقول هذا ، ولكن هم يريدون نفي صفة النزول وحسب ، ولم ينظروا إلي أخر الحديث بعين التفكر والتدبر فلم يسلموا ، فالملك لا يدعي ، ولا يُستغفر، ولا يُسأل ، إنما الذي يدعي هو الله ، ولكن هؤلاء قوم بهت أعاجم لا يفقهون شيء من كلام العرب .

مسألة :- كلمة خليفة الله هل يجوز إطلاقها ؟ نقول إذا كان المقصود بالخليفة الاستخلاف الشرعي وهو القيام بمقتضي التكليف الذي أُمروا به من قِبل الله فلا جرم أننا مسَتَخلفون ولذلك الله جل جلاله يقول " وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه " فنحن خلفاء الله في هذا المال وليس بمعني أننا نتصرف في شيء بأموال على غير مراد الله جل وعلا لا ، وإنما هو الذي خولنا هذا المال وأمرنا فيه بأوامر فنحن مستخلفون في أن نطبق هذه الأوامر في هذا الذي استخلفنا فيه ، فالله جل جلاله جلعنا في الأرض خلائف يخلف بعضنا بعضا ونقيم شريعته ،

فنحن خلفائه باعتبار تطبيق ما أمرنا به في مسائل التكليف

، وهذا وصف معظم فلا ينبغي أن يطلق على أي أُناس من باب التجمل بالعبارات فقط ، بل ينبغي أن ينطبق على أُناس سيقمون بمقتضي الخلافة ، كهذا الرجل في السفيه في أمريكا اسمه " خليفة " قال أن المقصود بقول الله جل جلاله " إني جاعل في الأرض خليفة " ولما سُئل كيف يأتيك الوحي ؟ قال يأتيني عن طريق الكمبيوتر برسائل ، فوجود مقتولا في شقته وكفانا الله منه .

ثم قال النظام وفقه الله تعالى :-

" خبر الآحاد ...."

هذه قاعدة عظيمة عند أهل العلم وهي أصل أصيل ، وركن ركين عند عامة أهل السنة والجماعة فقد انعقدت كلمة أهل السنة والجماعة " أن خبر الآحاد يقبل في باب الاعتقاد " ، وقد أجمع على مخالفتها

، ولهذه القاعدة أدلة من الكتاب والسنة .

. قول الناظم وفقه الله تعالى :-

" قاعدة في خبر الآحاد يقبل إن صح في الاعتقاد "

هذه القاعدة التي ذكرها الناظم في هذا البيت نصها يقول " خبر الآحاد حجة في باب الاعتقاد " ، والكلام على هذه القاعدة في جمل من المسائل : -

لقد قسم علماء الحديث رحمهم الله تعالى الأخبار المنقولة عن النبي ﷺ

1- باعتبار طريق نقلها إلي قسمين :- (متواتر - آحاد) ،

وعرفوا الخبر المتواتر بأنه :- ما رواه جمع عن جمع من مبدأ السند إلي منتهاه بحيث تحيل العادة تواطؤهم على الكذب "

وقد ضرب العلماء لها أمثلة كثيرة ؛ قال في " اللؤلؤ المتناثر في نظم المتواتر"

"مما تواتر حديث من كذب ومن بني لله بيتا واحتسب ورؤية شفاعة والحوض ومسح خفين وهذه بعض ".

والأخبار المتواترة كثيرة ، وقد أُلف فيها مؤلفات .

وأما القسم الثاني :-

فهو خبر الآحاد وقد عرفه ابن حجر رحمه الله فقال : هو ما لم يجمع شرط التواتر ، أو ما فقد شرط التواتر . فبما أن المتواتر هو الذي يرويه جمع عن جمع ، فالآحاد هو ما يرويه الواحد عن الواحد أو الاثنين عن الاثنين ، أو الثلاثة عن الثلاثة ، فيدخل فيها الخبر الغريب ، والخبر العزيز ، والخبر

المشهور مالم يصل إلي حد التواتر، والكلام الأن ليس على المتواترات وإنما الكلام في الآحاد ، ويتضح هذا بالمسألة الثانية وهي :-

2- هل هذا التقسيم (متواتر – آحاد) مقبول أنه غير مقبول ؟ نقول الأصل قبوله إلا إذا أفضي إلي بدعة فيرد ، فإذا كنا نقف بهذا التقسيم على حدود ما يريده علماء الحديث من أهل السنة والجماعة فإننا نقبل هذا التقسيم ولا حرج في قبوله ؛ و أهل السنة والجماعة إنما قسموا السنة إلي متواترة وآحاد يريدون بهذا التقسيم معرفة الطرق التي تَرد بها الأحاديث لأن هذا من جملة ما يُرجَح به بين الأحاديث المتعارضة ، وأما هذا التقسيم على معتقد أهل البدع فإنه مرفوض لأن أهل البدع يريدون من وراء هذا التقسيم أن يردوا كثيرا من أمور العقيدة ؛ ولذلك فالقاعدة عند أهل البدع " أن أمور العقائد لا يقبل فيها أخبار الآحاد بل لا بد فيها من المتواترات " فإذا جاءت العقيدة عندهم بخبر آحاد فإنهم يردونها ، وهذا التقسيم الأصل قبوله إذا كان لا يفضي إلا ما يريده أهل البدع ، ويتضح هذا بالمسألة الثالثة وهي :-

3- اعلم رحمك الله تعالى أن القاعدة العامة عندنا أقصد (أهل السنة والجماعة) تقول " خبر الواحد الصحيح يُقبل مطلقا " فأهل السنة والجماعة رحمهم الله لا يشترطون في قبول الخبر المنقول إلا شرطا واحدا فقط وهو " أن يكون صحيح النسبة إلي النبي ﷺ " فلا يشترطون شيئا زائدا على ذلك ، فأي خبر يصح عن النبي ﷺ فالواجب قبوله والإذعان له ، والانقياد له ، والإيمان بمدلوله ، وامتثال مقتضاه ، ولا يجوز أن تعارض الأحاديث الصحيحة بقواعد فلسفية باطلة ، أو أصول يونانية مخالفة للمنقول ومناقضة للمعقول ، فخبر الواحد يقبل مطلقا ، وقولنا مطلقا

(أي سواء ورد في العقائد أو في الشرائع) خلافا لأهل البدع ، وكذلك يدخل في قولنا مطلقا سواء ورد في مسألة تعم بها البلوي أو في مسألة لا تعم بها البلوي خلافا للأئمة الحنفية رحمهم الله ، ويدخل في قولنا مطلقا سواء وافق خبر الآحاد قياس الأصول أو لم يوافق خلافا لبعض المالكية ، فإذا لا يجوز أن نرد شيئا من أخبار الآحاد بحجة أنها في العقائد ، أو بحجة أنها في ما تعم به البلوي ، أو بحجة أنها تخالف القياس ، أو بحجة أنها تخالف الأصول العامة فكل ذلك مما لا يجوز لطالب العلم أن يفتح له سمع قلبه ولا سمع أذنيه ، فاحفظ هذه القاعدة يا رعاك الله " خبر الواحد الصحيح حجة مطلقا " ، ويتضح هذا بالمسألة الرابعة وهي بيت القصيد ...

4- انبثق من هذه القاعدة العامة قاعدة خاصة تقول " خبر الواحد الصحيح حجة في باب الاعتقاد وهذا الذي نظمه هنا الناظم ، فلا يجوز لنا أن نرد شيئا من أخبار الآحاد بحجة أنها وردت في مسائل الاعتقاد ؛ وبناء عليه فأهل السنة مجمعون متفقون لم يختلفوا في هذه المسألة مطلقا على أن كل عقيدة ثبتت في خبر الآحاد فالواجب قبولها واعتماد والإيمان بها ، ولا يزل أهل السنة والجماعة يقيدون هذا الإجماع في كتبهم المنقولة في مسائل الاعتقاد ، وإن كثيرا من علماء الأصول ممن ينتسبون إلي أهل البدع قد تولوا كِبر القول برد حديث الآحاد في مسائل الاعتقاد وهذه مسألة عقدية وأصولية. فتجد أن غالب الكتب التي تؤلف على طريقة المعتزلة أو على طريقة الأشاعرة تجدهم إذا بحثوا هذه المسألة يقولون " ولا نقبل خبر الواحد في مسائل الاعتقاد " ، وأما أهل السنة والجماعة فهم مجمعون الإجماع القطعي المنقول خلفا عن سلف والمعلوم من مذهب

أهل السنة والجماعة بالتواتر" أن خبر الواحد الصحيح يقبل مطلقا بغض النظر عن كونه في عقيدة أو شرائع " ، ويتضح هذا بالمسألة الخامسة وهي :-

5- الأدلة على أن خبر الواحد يقبل في باب الاعتقاد

وهذه الأدلة ليست في هذه القاعدة فقط بل في قبول خبر الواحد في كل شيء فمن هذه الأدلة :-

1-ما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذا جاءهم أت وقال إن النبي ﷺ قد أُنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها ، قال فاستدروا كما هم إلي الكعبة ، ووجه الدلالة منه أن استقبال بيت المقدس ثابت بالتواتر أي (بالسنة المتواترة) فقد صلي النبي ﷺ بعد هجرته إلي بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا كما في صحيح البخاري من حديث البراء وغيره ، ومع ذلك يأتيهم رجل واحد ويخبرهم بأن القبلة قد نسخت من بيت المقدس إلي بيت الله الحرام ثم يقبلون خبره فهذا دليل على أن الصحابة مجمعون على قبول خبر الواحد ، ومثل هذا الامتثال العظيم وهو تحولهم في أثناء الصلاة من القبلة المنسوخة إلي القبلة الناسخة لا يمكن أبدا أن يخفي على النبي ﷺ ، ولا نعلم أنه أنكر ذلك فإقراره بعد علمه دليل على صحة ما فعلوا ؛ فأفاد ذلك على أن الصحابة لم يكن قبول الأخبار عندهم متوقفا على كون الخبر متواترا أو آحاد وإنما كانوا ينظرون فقط إلي صحة هذا الخبر عن النبي ﷺ وجب قبول مدلوله ، وانتبه أيها الحبيب فإن

عندنا أدلة من القرآن ولكني أحببت البداية بهذا الدليل لوضوحه وصراحته ، ومثل الدليل الثاني :-

2- في قول النبي ﷺ " نضر الله امرءا سمع منا مقالة فوعاها فأداها كما سمعها فرب مُبلَغ أوعي من سامع " فهذا دليل على وجوب قبول خبر الواحد الذي ينقل شيئا عن من الأحكام أو العقائد عن النبي ﷺ ، فلو لم يكن قبول خبره واجبا لما استحق ناقله هذا النقل العظيم والدعاء العاطر .

3-ما في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذا إلي اليمن فقال له يا معاذ " إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إلا الله " وفي رواية " إلي عبادة الله " وفي رواية " إلي أن يوحدوا الله " " فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة فإن أطاعوك بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن أطاعوا لك بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ، فإن قلت وما وجه الاستشهاد بهذا الحديث ؟ فنقول وجه الاستشهاد به أن النبي ﷺ أراد أن يقيم الحجة على أهل اليمن فأرسل لهم واحدا يدعوهم إلي مسائل العقيدة والشريعة ، والتوحيد والعبادة ، وشهادة أن لا إله إلا الله ، وهذا خبر آحاد لأنه مع معاذ فقط فهو خبر آحاد ؛ فلو لم تكن الحجة تقوم بخبره لما كان النبي ﷺ قد أدي وقد بلغ البلاغ المبين ؛ ولقال أهل اليمن إنك أرسلت إلينا معاذا وهو

واحد والمتقرر عندنا أن خبر الآحاد لا يقبل في باب العقائد !!! ولكنهم ما قالوا هذا ، فهنا اكتفي النبي ﷺ بإرسال معاذ لهم .

4- أن النبي ﷺ كان يبعث رسائله وكتبه إلي ملوك الأقطار المجاورة كفارس والروم ومصر وغيرها من الأقطار المجاورة وكان يرسل بكتبه الواحد فقط يدعوهم إلي التوحيد ويدعوهم إلي الإيمان بالله جل جلاله ، ويدعوهم إلا نبذ ما كان يبعدونه أو يعبده أباءهم من دون الله جل جلاله ، فلو لم يكن خبر الواحد موجوب للقبول والاعتماد لما كان النبي ﷺ قد أدي الرسالة على وجهها الصحيح ونعوذ بالله من هذا الظن الفاسد .

5- ما في الصحيح أن النبي ﷺ لما جاءه رجل فقال أيكم محمد قال الصحابي ذلك الرجل الأبيض المتكئ فجائه فقال إني سألك فمشدد عليك فلا تجد في نفسك ، قال "سل عما بدا لك" قال من خلق السماء قال " الله " قال من خلق الأرض قال " الله " قال من نصبها هذا الجبال قال " الله " قال فأسألك بالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك قال " نعم " قال فأسلك بالذي خلق السماء ..." إلي أخر أركان الإسلام كلها يخبره النبي ﷺ بها ، يقول " اللهم نعم " ثم قال أنا ضمام ابن ثعلبة وأنا رسول من ورائي من قومي (أي أنت لا ترسل لأحد وإنما أنا سوف أتولي ما علمتنيه الأن إلي قومي) فذهب إلي قومه فأخبرهم فآمنوا فجاء بهم وفودا إلي النبي ﷺ ، فلو لم يكن خبر الواحد مقبولا واجب الاعتماد لما كان في إرسال هذا الرجل إلي قومه كبير فائدة ، وهذه مسألة متفق عليها بين أهل العلم وهي من المسائل المفصولة عندهم ، بل إن أحاديث الأذان كثيرة عندنا أبي محذورة رضي الله عنه ، وحديث عبدالله بن زيد ابن عبد

ربه ، وأحاديث أخرى وكلها تدل على أن المؤذن في الغالب يكون واحدا فقط في البلد فإذا أذن المؤذن فالواجب على من سمع أذانه أن يقبل خبره في دخول الصلاة ، وفي وجوب المجيء إذا كان رجلا ليصلي مع جماعة المسلمين في المسجد ، بل ونقبل خبر المؤذن في الإمساك وفي الإفطاروهذا مجمع عليه بين المسلمين جميعا ، مع أن آذانه هذا إنما هو خبرواحد ، فدل ذلك على قبول خبر الواحد .

6- أن النبي ﷺ في غزوة الأحزاب قال " من يأتيني بخير القوم " فقال الزبير ابن العوام من أشجع لأصحاب رسول الله أنا يا رسول الله فذهب وأتي بخبر القوم فقبل النبي ﷺ خبر الزبير وبدأ يبني عليه أحكاما ،فدل على ذلك على أن خبر الواحد مقبول ولا يجوز رده .

7- النبي ﷺ لما جاء يقضي في قضية العسيف (الرقيق) الذي زني بامرأة سيده قال النبي ﷺ " أكم الوليدة والغنم رد عليك واغدوا يا أُنيس إلي امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها " فقل اعتراف هذه المرأة بإخبار أنيس ، أي أنه إذا جاءه أنيس وقال إن المرأة اعترفت فإن هذا كاف في الأمر برجمها ، مع أنه إقامة حد ولكن النبي ﷺ أخذ بقبول خبر الواحد .

8- بل وفي القرآن هناك ما يدل على قبول خبر الواحد وأنا أخرت دلالة القرآن قليلا إلي هذا الموضوع لا لأنها ليست قوية لا ؛وإنما لأن دلالة السنة على هذه المسألة قد تكون عند بعض العقول أظهر ، فمن أدلة القرآن التي ذكرها العلماء قول الله جل جلاله " يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة " وفي قراءة ابن مسعود " فتثبتوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين" فأمر الله جل جلاله بالتثبت من

الخبر إذا كان ناقله فاسقا ، وأفاد هذا بمفهوم المخالفة أن خبر العدل لا يلزمنا أن نتثبت منه فإذا جاءنا عدل بخبر فالواجب علينا قبوله واعتماده ، لأنه لو كان يجب التثبت من خبر العدل كذلك لما كان لتقييد بالفاسق كبير فائدة ،لكن لما قيد الله وجوب التثبت من الخبر إذا جاء على لسان الفاسق أفاد أن خبر العدل يختلف ، فنقبل خبر العدل من غير تثبت ، وخبر العدل خبر واحد فنقبله من غير تثبت .

9- قول الله جل جلاله " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك " والرسول واحد ومع ذلك يخبرنا بأن الوحي يأتيه بالتوحيد والصلاة والحج وبسائر الشرائع ، ومع ذلك فنحن مأمورنا بأن نصدقه في أخباره مع أنها خبر واحد ؛ فدل ذلك على أن خبر الواحد يقبل مطلقا في العقائد وفي غيرها ، ولذلك ما اعتمده أهل البدع من رد أخبار الآحاد لو تدبرناه فيه نسف لشريعة كلها ، لأن الشريعة جاءت على لسان محمد ﷺ وهو واحد ، فكيف تقولون إن خبر الواحد غير مقبول ، ومنها أيضا قول الله جل جلاله " وأضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذا جاءها المرسلون إذا أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث " إذا هم ثلاثة فلا يخرجون عن أخبار الآحاد ، ومع ذلك عُذبت القرية بسبب تكذيبهم وعدم إيمانهم بما أمرهم به هؤلاء الرسل .

10-قول الله جل جلاله " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " فقد أمر الله جل جلاله بسؤال أهل الذكر، ويدخل فيهم سؤال الواحد من أهل الذكر وسؤال الاثنين وسؤال الثلاثة من أهل الذكر، وسؤال الخمسين من أهل الذكر، فيدخل في أهل الذكر هنا الواحد والأثنين والثلاثة ، فإذا سألت رجلا من أهل الذكر وأفتاك فيجب عليك قبول فتواه مع أنها خبر

واحد ، ويجب عليك قبول ما يخبرك به من العقائد والشرائع بنص القرآن ، وهذا دليل على أن خبر الواحد مقبول ، ولكن لو سألت في مسألة عقدية ثم أجابك المفتي ، فقلت له يلزمك أن تأتي بخمسين رجلا من أجل قبول هذا الأمر لأن هذا خبرك خبر واحد !!!! فهل هذا مقبول !!!!!!! .

11-ومنها أيضا قول الله جل جلاله " وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون " فقسم الله جل جلاله المؤمنين إلي طائفتين (طائفة متفقهة تبقي عند النبي ﷺ حتي تتعلم وتستمع ما نزل إليه من الوحي – وطائفة تنتدب للجهاد) فالطائفة التي انتدبت للجهاد كيف تتعلم وكيف تسمع الوحي من رسول الله ﷺ !!؟ فإذا رجعت هذه الطائفة المجاهدة سألوا إخوانهم عن ما نزل من الوحي مما استجد من الشرائع فيخبرونهم ، والطائفة اسم يصدق على خبر الواحد والأثنين والثلاثة والعشرة ، فإذا أخبرت الطائفة المتفقهة بشيء من الشرع لطائفة المجاهدة فيجب على الطائفة المجاهدة أن تقبل خبر هذه الطائفة المتفقهة ولم يشترط الله جل جلاله عددا في الطائفة المتفقهة وإنما قال " طائفة ليتفقهوا في الدين " والطائفة تصدق على الواحد والأثنين والثلاثة ، فهذا دليل على أن خبر الواحد مقبول ، وقد انعقد إجماع أصحاب رسول الله ﷺ على قبول خبر الواحد، وكذلك انعقد إجماع التابعين وتابعيهم ولا يزال أهل السنة والجماعة رفع الله منازلهم وقدرهم في الدنيا والأخرة ورحم أمواتهم وغفرلهم وثبت أحيائهم يتناقلون في كتبهم وفي دروسهم العلمية ، وفي عقائدهم ، وفي تدريسهم

وتعليهم لناس يتناقلون هذه العقيدة المجمع عليها بين فئام أهل السنة والجماعة .

فإن قلت سلمنا لك ذلك ولكن عندنا شيء يشكل على هذا (إجماع الصحابة) :-

فمثلا ما القول في عدم قبول النبي ﷺ لخبر ذي اليدين لوحده حتي شهد معه من في المسجد لأن النبي ﷺ لم يصلي الظهر أو العصر إلا ركعتين كما في الصحيحين من حديث محمد ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال " صلي بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي إما الظهر أو العصر وسماها أبو هريرة ولكن نسيت أنا (ابن سيرين) فلما سلم قام النبي ﷺ إلي خشبة معروضة في مقدم المسجد فاتكئ عليها كأنه غضبان وشبك بين أصابعه ووضع خده الأيمن على كفه اليسرى فخرج سرعان الناس من المسجد فقالوا قصرت الصلاة وفي القوم أبو بكر وعمر فهاباه أن يكلماها ، وفي القوم رجل في يديه طول يدعوه النبي ﷺ ذا اليدين فقال يا رسول الله أنسيت أم قصرت الصلاة ؟ قال " لم أنسي ولم تقصر" قال بلى قد نسيت ،(والنبي ما قبل خبره ولكن قال ..." أصدق ذو اليدين " فقالوا نعم وفي رواية في الصحيح " فأومئوا برؤوسهم أن نعم " فقام النبي ﷺ وتقدم وصلي ما ترك إلي أخر الحديث " فيقول هؤلاء لو كان خبر الواحد يجب قبوله لقبل النبي ﷺ خبرذي اليدين ، فلما رده دل على أن خبر الواحد غير مقبول ، ولكن أجاب العلماء عن ذلك بأن رده له ليس لأن خبر الواحد غير مقبول ولكن لأن خبر الواحد أحاط به ما يوجب رده فأراد النبي ﷺ أن يزداد من التثبت إذا يبعد جدا أن يصلي ورائه أفاضل أصحابه والعلماء

من أصحابه ثم يسكتون ولا يتكلمون ويتكلم رجل أعرابي دونهم وهم صامتون ، فهذا لم يرده النبي ﷺ لأن المسألة المتقررة أن خبر الواحد غير مقبول لا لا ؛ وإنما لأنه أراد زيادة التثبت والتبين وذلك لأن خبر الواحد ليس مفيدا بذاته القطع واليقين لا وإنما يفيد غلبة الظن ، فالنبي ﷺ رأى أبا بكر لم يتكلم ورأى عمر لم يتكلم وغيرهم من الصحابة لم يتكلموا ولم يتكلم إلا ذو اليدين فقط وهم صامتون فأراد أن يتأكد منهم أصدق أم لا ، فالنبي ﷺ لم يرد الخبر وإنما أراد الاستثبات ،

وعلى ذلك يجاب عن رد عمر لحديث أبي سعيد في الاستئذان فإن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه جاء وطرق الباب على عمر ثلاثا فلما لم يجبه ذهب أبو سعيد فخرج عمر فقال لماذا ذهبت قال سمعت النبي ﷺ " الاستئذان ثلاثا فإن أذن لك وإلا فارجع " ، فقال عمر أما والله لتأتيني بشاهد وإلا لأوجعتك ، فهنا عمر رد خبر أبي سعيد ، فلو كان خبر الواحد مقبولا كما تقول لقبل عمر الخبر من غير أن يطلب شاهدا ، قال " فذهب أبو سعيد يرجوه إلي قومه من الأنصار، فقاموا يتضاحكون عليه فقالوا قم يا محمد ابن مسلمة فقام محمد ابن مسلمة إلي عمر وشهد أنه سمعه من النبي ﷺ ، قال عمر أما إني لم أرده تهمة لك ولكن خشيت أن يتجرأ الناس على التحديث عن رسول الله ﷺ ، فهنا عمر أفصح على أن رده لهذا الخبر ليس لأن المتقرر في قلبه عدم وجوب قبول خبر الواحد وإنما أراد أن يرسم لناس خطة عظيمة من باب الزجر، والتخويف أن لا يتجرأوا ويتسرعوا في نقل شيء من الأحاديث إلا بعد التثبت الكامل من ثبوتها عن النبي ﷺ ، وعمر رضي الله عنه في صور كثيرة ثبت عنه أنه قبل أخبارا كثيرة آحاديه ، بل إن

الإمام الطوفي يقول سلمنا جدلا أن عمررد قبول خبرالواحد فكم شهد معه !!!! ؟ اثنين فلم ينتقل بالأثنين من كونه آحاد إلا متواتر ، والمتواترهو ما راوه جمع عن جمع فهذا دليل عليهم لا لهم في الحقيقة ، والقاعدة في الاستدلال المتقررة " أنه لا يمكن أبدا أن يكون في الأدلة الشرعية الصحيحة حجة لمبطل " فإذا رأيت رجلا من المبطلين يريد أن يحتج على باطله بالكتاب والسنة ، فاعلم أن ما احتجب به هو حجة عليه ولكن يحتاج إلي شيء من الاستدلال ، فكل من جاء بحجة من الكتاب والسنة يريد الاستدلال على بطلانه فاعلم أنها بعد التمحيص والنظر الدقيق ممن يعلم أوجه الاستدلال أنها حجة عليه لا له ولكن يحتاج الأمر إلي شيء من التثبت ، فالصحابة مجمعون على قبول خبر الآحاد .

والذي يري أهل البدع يطلبون المتواترات في العقائد احتياطا يظن أن هذا من باب حرصهم على العقيدة وهم من أخس خلق الله في مسائل الاعتقاد ، فلو سلمنا لهم جدلا أن خبر الواحد غير حجة ولنترك خبر الآحاد فلو طالبناهم بالعقائد التي ثبتت بالمتواتر تجدهم لا يقولون به ، فلا يثبتون صفة الوجه وصفة الوجه متواترة ، وكذلك لا يثبتون صفة اليدين وهي متواترة ، وكذلك صفة المجيء ، وكذلك صفة الاتيان وكل هذا من الأخبار المتواترة التي لا يمكن أبدا أن يدخلها ريب ولا شك ، فهي منقول بكتاب الله جل جلاله والعلماء مجمعون على أن القرآن متواتر،

فالذي يريده هؤلاء القوم لا يردون زيادة الحرص على العقيدة ، بل هم لا يردون أن يؤمن بالصفات أصلا ، فالصفات عندهم أمر صعب ومعقد ، فهم قدروا على رد الصفات الواردة في أحاديث الآحاد بأنها آحاد فردوها

سندا ومتنا ، وأما المتواترات فلو أنهم ردوها سندا لفضحوا وبأن عورهم ، ولكنهم قالوا نردها معنا فنقول " بل يداه مبسوطتان " هذه سندها صحيح قرآن ولكن ليس المراد بها اليدين الحقيقيتين اللائقتين بالله وإنما يراد بها النعمة والقدرة ، فهم قدروا على الآحاد فردوا ما فيه من العقائد سندا ومتنا ، وأما المتواترات فلو ردوها سندا لفضح أمرهم فردوها معنا ، فهم يردون المتواترات معنا ، ويردون الآحاد سندا ومتنا ، فهم لا يردون الاستثبات في العقائد أو الاهتمام بأمر العقيدة ، ولكنهم يخادعون السذج من الناس ،

فإن قال قائل وهل هناك عقائد أثبتها أهل السنة والجماعة في أحاديث الآحاد ؟ فنقول نعم وهي المسألة السادسة في مسائل الكلام على هذه القاعدة فنقول :-

المسألة السادسة :- جمل على الصفات التي أثبتها أهل السنة والجماعة بخبر الآحاد فمن ذلك :-

صفة الأصابع لله جل جلاله :-

في صحيح الإمام مسلم من حديث عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ " إن قلوب بني آدام كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء " .

وفي الصحيحين من حديث أبي مسعود قال جاء رجل من أحبار اليهود إلي النبي ﷺ فقال يا محمد إنا نجد في التوراة أن الله يضع السموات علي أصبع والأرضين على أصبع ، والجبال على أصبع ، والماء والثري

على أصبع ، والخلائق على أصبع ، ثم يهزهن فيقول أنا الملك أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ، قال فضحك النبي ﷺ تصديقا لما يقول الحبر" فهذه الأحاديث لا ترتفع إلي رتبة الأحاديث المتواترة بل هي أحاديث آحاد ومع ذلك فقد أجمع أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى على أن من الصفات الذاتية لله جل جلاله صفة الأصابع ، فيعتقد أهل السنة والجماعة أن لله أصابع تليق بجلاله وعظمته لا تماثل أصابع المخلوقين لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

2- صفة الضحك لله جل جلاله:-

في صحيح الإمام البخاري من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ " يضحك الله إلي رجلين يقتل احدهما الأخر كلاهما يدخل الجنة " قال كيف يا رسول الله قال " يقاتل أحدهما فيُستَشهد ثم يتوب الله على القاتل فيقاتل فيُستشهد فكلاهما يدخلان الجنة " وهذا حديث آحاد وهو يثبت عقيدة من عقائد الصفات وهي صفة الضحك لله جل جلاله ، فيعتقد أهل السنة والجماعة أن لله جل جلاله ضحكا يليق بجلاله وعظمته لا يماثل ضحك المخلوقين ؛ والاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات .

3- صفة الفرح لله جل جلاله :-

في الصحيحين من حديث أبي حمزة أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " لله أشد فرحا من بتوبة عبده حين يتوب من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ... الحديث " فأخذ أهل السنة والجماعة من هذا الحديث الآحاد صفة يعتقدونها في ربهم جل جلاله ،

وهي من جملة الصفات الفعلية وهي صفة الفرحِ ، فيعتقد أهل السنة والجماعة أن لله فرحا يليق بجلاله وعظمته لا يماثل فرحِ المخلوقين لأن الله لا تُضرب له الأمثال .

4-صفة الكف لله جل جلاله :-

فيعتقد أهل السنة والجماعة أن لله كفا يليق بجلاله وعظمته لا يماثل شيئا من كف المخلوقين ، ودليل هذه الصفة حديث آحاد يقول النبي ﷺ " لا يتصدق أحدكم من كسب طيب إلا وقعت في كف الرحمن " فالكف هنا قد أضيفت إلي الرحمن وهي مما لا يقوم بذاته وقد تقرر عندنا في القاعدة التي مرت " أن الشيء إذا أضيف إلي الله وهو لا يقوم بذاته فإنها من باب إضافة الصفة إلا موصوفها " .

5- صفة الأنامل لله جل جلاله :-

فيعتقد أهل السنة والجماعة أن لله أنامل تليق بجلاله وعظمته بإجماعهم ، والدليل على ذلك حديث الصورة قال ﷺ " رأيت ربي الليلة في أحسن صورة فقال يا محمد أتدري في ما يختصم الملأ الأعلى قلت لا يا رب قال فوضع كفه بين كتفي حتي وجدت برد أنامله في صدري .. الحديث " فيثبت أهل السنة والجماعة أن لله أنامل تليق بجلاله وعظمته .

6-صفة الجمال لله جل جلاله :-

وهي من الصفات الذاتية لله جل جلاله ، وقد ثبتت في صحيح الإمام مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ " لا يدخل الجنة

من في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقام رجل فقال يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا ، فقال " إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس " ، أي ازدراء الناس ، فهو الجميل الجمال المطلق الكامل في ذاته ، والجميل الجمال المطلق في أسمائه ، والجميل الجمال المطلق في صفاته ، والجميل الجمال المطلق في أفعاله ، نسأل الله أن لا يحرمنا رؤيته يوم القيامة ، وهذا الحديث المُثبِت لصفة الجمال حديث آحاد ومع ذلك لم يمتنع أهل السنة والجماعة من اثبات الصفة التي وردت في هذا النص بكونه خبر آحاد .

7- صفة التردد لله جل جلاله :-

فلله تردد يليق بجلاله وعظمته ، ودليلها ما رواه في صحيح الإمام البخاري من حديث أبي هريرة في حديث الولي وهو أصح حديث في حديث الولاية يقول النبي ﷺ في ما يرويه عن ربه " ما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتي أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ،وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، وإن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته " فهنا التردد مضاف إلي الله جل جلاله ، فقد انعقد إجماع أهل السنة والجماعة على أن لله تردد يليق بجلاله وعظمته ، ويقول ابن تيمية إن معني التردد هو تعارض الإرادتين ؛ فالمؤمن كونا لا بد أن يموت وشرعا لا يريد أن يُسئ إلي عبده أو يدخل عليه الحزن .

8- صفة الستر لله جل جلاله :-

فالستر من الصفات الخبرية لله جل جلاله مما يُخبر عن الله وهو من صفاته الفعلية ، ودليلها حديث آحاد يقول النبي ﷺ "إن الله حيي سِتّير " ، وفي صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة قال النبي ﷺ " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والأخرة ، ومن ستر مسلما سترة الله في الدنيا والأخرة " فيثبتها أهل السنة والجماعة مع أن حديثها حديث آحاد .

9- اسم الله السيد : -

وهو المتضمن لسيادة المطلقة الكاملة فإنه ثبت بحديث آحاد ، لما جاء وفد إلي النبي ﷺ فقالوا أنت سيدنا وابن سيدنا قال ﷺ " إنما السيد الله " فأثبت أهل السنة والجماعة أن من أسماء الله جل جلاله السيد ومن صفاته السيادة المطلقة في السموات والأرض جل جلاله ، كما أنه في السماء إله وفي الأرض هو الإله ، والجمع بين نفي النبي ﷺ السيادة عن نفسه وبين ما في صحيح الإمام البخاري من حديث أبي هريرة " أنا سيد الناس يوم القيامة " ، فكيف رفض هنا وفي الحديث الأخر قال أنا سيد الناس ؛ نقول إن كلمة سيد الناس إنما من باب الوصف فهو من صفاته ﷺ أنه سيد ، وأما نفيه عن نفسه السيادة فهي نفي لتسمية ، فالسيد تسمية لا تطلق إلا على الله جل جلاله فهو من خصائص الرب جل جلاله ، وأما قوله أنا سيد الناس فهو من باب الوصف فالمنفي غير المثبت ؛ فالمثبت صفة والمنفي اسم فلا تعارض بين الدليلين .

10-الشخص :-

يقول أهل السنة والجماعة إن من ما يطلق على الله جل جلاله أنه شخص ، ولذلك في صحيح الإمام البخاري يقول النبي ﷺ " لا شخص أغير من الله ، ولا شخص أحب إليه العذر من الله ولذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب " أو كما قال ﷺ ، فقد أطلق الشخص على الله فأطلق أهل السنة والجماعة الشخص على الله مع أنه خبر آحاد .

10-الصورة :-

فمن صفاته جل جلاله أن له صورة تليق بجلاله وعظيمته لا ندخل في تفسيرها ولا تأويلها متأولين بآرائنا ، ولا متوهمين بأهوائنا ، والدليل على ذلك قول النبي ﷺ في حديث أبي سعيد حديث الشفاعة قال " فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون " وبعدها قال " فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون " ، ويقول النبي ﷺ " إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته " الهاء في كلمة صورته ، وقال ﷺ " لا يقل أحدكم قبح الله وجهك ووجها أشبه فإن الله خلق آدم على صورته " ، فلله صورة تليق بجلاله وعظيمته فآدم عليه السلام له صورة ، والله جل جلاله له صورة ، فاتفقت في الاسم ولكن المتقرر عندنا أن الاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات ، فمن صورة آدم أن له وجها ، ومن صورة الله جل جلاله أن له وجه ، ولكن وجه آدم يختلف عن وجه الرب جل جلاله ، ومن صورة آدم أن له عين والله جل جلاله له عين ، ولكن الاتفاق في اسم العين لا يستلزم الاتفاق في الصفات ، فالله جل جلاله خلق آدم عليه السلام على صورته بمعني أنه جعل له عينا وله وجه ،وهذا له وجه وهذا

له يد ، ولكن ما يخص المخلوق من الصفات ليس كالمضاف إلي الله جل جلاله فلينتبه لهذا .

12-صفة الطيب لله جل جلاله :-

فالله جل جلاله هو الطيب الطيب المطلق جل جلاله ، يقول النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة " إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإنه قد أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين .... الحديث " ، وهذا حديث آحاد ، ومع ذلك أثبت أهل السنة والجماعة كل هذه العقائد مستنديا في أخبارها إلي أخبار آحاد فأفاد ذلك الإفادة القطعية التامة إن شاء الله أن خبر الواحد في مسائل الاعتـــــقاد ؛ وهذا متفق عليه بين أهل العلم رحمهم الله تعالى .

مسألة : - هل يجوز للعبد أن يتسمى بأسماء الله جل جلاله ؟

قد تقرر عند العلماء رحمهم الله تعالى أنه يجوز للعبد أن يتسمى بشيء من أسماء الله بثلاثة شروط: -

1- أن لا يكون هذا الاسم من الأسماء الخاصة به سبحانه ، فلا يجوز لأحد أن يطلق على نفسه الله – الرحمن – الرب معرفا مطلقا وغيرها .

2-أن لا يراقب فيها معني الصفة كما غير النبي ﷺ اسم الحكم إلي أبي شريح .

3-أن لا تكون معرفة بأل لأنها إذا صارت معرفة بأل صارت من خصائص الله جل جلاله ، فالسيد ليس من الأسماء الخاصة بالله جل جلاله والذي نطلق عليه سيد في مهده ولا ندري ما الذي سيصير عليه في مستقبله وما

سيكون ، فلا نراقب فيها معني الصفة، ولا بد أن تكون مفردة فنقول 0(سيد) فلا حرج فيها . ، وأما الوصف فلا حرج كأن يقال (سيادة الرئيس) ولك المنهي عنه التسمية ، فكلمة السيد مثل الرب معرف مطلق لا يطلق إلا على الله جل جلاله ، مثل الرب ، ولكن لو قلت سيد الأسرة ، سيد البلد ، فهذه ليست معرفة ومع ذلك هي مضافة ، وأما السيد السيادة مطلقا فهي لله جل جلاله .. ويجوز إطلاق الوصف على الإنسان كأن تقول (فضيلة الأخ العزيز) مقيدة وتكون هنا إطلاق أوصاف لا أسماء .

....

ثم قال الناظم وفقه الله :-

" قاعدة والنقل إن صح فلا يعارض العقل الصريح .... "

هذه القاعدة تقول " لا يتعارض نص صحيح مع عقل صريح ؛ بمعني أنه إذا صح النص فلا يمكن أبدا أن يتعارض مع العقل السليم ، وقولهم العقل الصريح يقصدون به هذا العقل الذي لم يتلوث بالملوثات الكلامية الفلسفية ولم يؤمن بشيء من تلك القواعد اليونانية التي تناقض المعقول وتخالف المنقول ، وذلك لئن الذي أنزل النص هو الذي خلق العقل وهو أصدق قيلا وأصدق حديثا من خلقه جل جلاله ، فلا يمكن أبدا أن ينزل الله شيئا من كلامه أو وحي على نبيه ﷺ يتعارض مع العقول أبدا ، فإذا وجدنا ما يوهم المعارضة بين النقل والعقل فإنه لا بد من أحد أمرين :-

إما أن يكون النص غير صحيح أصلا ؛ فحينئذ لا بد أن نطلب صحة النص ، فإذا نظرنا في صحة النص فوجدناه نصا صحيحا سليما فإننا ننتقل إلي المرتبة الأخرى وهي :- سلامة العقل لأنه من شرط النتائج الطيبة في النظر إلي النصوص أن يكون العقل الناظر في النصوص عقلا سليما ، ولذلك لا نعلم كلمة واحدة عن أهل السنة والجماعة من السلف والأئمة أنهم قالوا بأن هناك تعارض بين العقل والنقل أبدا ، فكل من يدعي وجود تعارض بين العقل والنقل فإنه إنما يكون من أهل البدع ، فلا نعلم عن الصحابة أنهم قالوا هناك تعارض بين بعض النقول أو بعض العقول .. ولا عن سلف الأمة ولا أئمتها ، فإذا توفرت سلامة العقل ، وصحة النص فأقسم بالله العلي العظيم ثلاثة أيمان أنه لا يمكن أن يكون هناك تعارض أبدا ، ولكن أحيانا بعض الناظرين يكون هو قليل في العلم أصلا وليست عنده المعرفة التامة في الطرق التي يكشف بها التعارض بين ما ظاهره التعارض فحينئذ يدعي وجود المعارضة ونقول أبدا ليس في ذات النصوص ليس بينها تعارض وبين العقول ، ولأهمية هذه المسألة عند أهل السنة والجماعة فقد ألف فيها شيخ الإسلام ابن تيمية كتابه الحافل في تسع مجلدات " درء تعارض العقل والنقل " فهو يريد أن يثبت في هذا الكتاب قضية واحدة وهي إذا ثبتت صحة النصوص وسلمت أسانيدها ومتونها وكان الناظر فيها ذا عقل سليم فإنه لا يمكن أبدا أن تتعارض مع العقول ، ولكن لا بد من التنبيه على مسألة مهمة وهي :- أن النصوص لا يمكن أن تأتي بما يتعارض مع العقول ؛ ولكنها تأتي أحيانا بما تحار فيه العقول ، فأحيانا يأتيك النص بمعني واسع جدا عقلك الضعيف بقدراته وإمكانياته لا يستطيع أن يطيق إحاطة بهذا النص من كل جوانبه فيدرك بعضا ويخفي عليه بعض ، فهنا نقول جاء النص بما يَحار فيه العقل فهذه ثابته ، وأما أن تأتي

النصوص بشيء يتعارض التعارض الكامل مع العقول فإن هذا لا يمكن أن يكون أبدا ، وهذه النصوص التي يوردها علينا أهل البدع ويزعمون أنها نصوص متعارضة مع العقل نرد عليها بالآتي :-

نحن معاشر أهل السنة والجماعة نؤمن إيمانا جازما بأن صفات الله جل جلاله كلها كاملة وليس فيها نقص ، فصفات النقص لا بد وأن ننزه الله جل جلاله عنها وهذا شيء نتفق عليه

ولكنهم قالوا لنا كيف نفعل بما رواه في صحيح الإمام مسلم أبي هريرة أن النبي ﷺ قال " أن الله يوم القيامة يقول عبدي مرضت فلم تعدني ، عبدي جعت فلم تطعمني ، عبدي استسقيتك فلم تسقني "

فقال أهل البدع ظاهر هذا الحديث أن فيه ثلاثة صفات لله جل جلاله وهي من صفات النقص (المرض – الظمأ – الجوع) ، فها هو نص يعارض العقل لأنه يتنافى مع دلالة العقل تنافيا مطلقا ؟

نقول لهم أولا ننظر في صحة النص ، وفي سلامة العقل الناظر في النص ، فمن شرط العقل الذي ينظر في نصوص الصفات أن يكون متربي على قواعد أهل السنة والجماعة ، لو نظر أهل السنة والجماعة ما أنتج لهم تلك النتيجة الفاسدة التي نتجت لما نظر أهل البدع في هذا النص ، فنقول لهم إن المتقرر عند العلماء رحمهم الله تعالى أن خير ما فسرت به السنة هي السنة ، وقد ورد في نفس هذا الحديث تفسيرا لظمأ المنسوب إلي الله والجوع المنسوب إلي الله ، والمرض المنسوب إلي الله ، أنه ليس حقيقته أن المرض صفة من صفات الله جل

جلاله لا لا ؛ وإنما هو مرض العبد وجوع العبد ، وظمأ العبد ، بدليل أنه قال وكيف تمرض وأنت رب العالمين قال " أما علمت أن عبدي فلانا مرض " فالمرض منسوب الأن إلي العبد " أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما لو عدته لوجدتني عنده " هذا هو الرد ، تكملة الحديث " وكيف اطعمك وأنت رب العالمين ، قال " أما علمت أن عبدا فلانا (في يوما من الأيام) استطعمك فلم تطعمه ، أما لو أطعمته لوجدت ذلك عندي " " قال وكيف تستسقني وأنت رب العالمين قال " أما علمت أن عبدي فلانا استسقاك فلم تسقه أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي ". وهذا أسلوب تستخدمه ملوك الأرض ، فتجد بعض ملوك الدول يقول مثلا " من أطعم الفقراء فكأنه أطعمني ، ومن أعطي المحتاجين فكأنه أعطاني " بل ملك الملوك جل وعلا يقول " من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا " فالله سبحان لم تنفد خزانه لكي يحتاج سبحانه إلي من يقرضه سبحانه وحاش وكلا ، ولكن هذا كله يفهم منه أهل السنة والجماعة الترغيب في هذه الأعمال والحث عليها ، فلا يفهمون أكثر من هذا ، فإذا نسب الكامل الكمال المطلق صفة النقص إليه التي يتصف بها عبده من باب الحث لكشفها عن عبده فهذا دليل على الحث والترغيب بالقيام بهذه الأعمال ، وهذا هو الفهم الصحيح لهذا الحديث ، فالله تعالى لم يمرض وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبير، ولم يجع ، ولم يظمأ ، وإنما الذي مرض عبده والذي جاع عبده ، والذي ظمأ عبده ، ولكن من باب الترغيب والحث وإثارة الهمم والعزائم على القيام لهذه الأعمال نسبها الله جل جلاله له ، فالعقل الناظر في النص ليس صريحا (سليما و الخالي من الآفات الكلامية).

2- النص الثاني :-

قالوا أولم يقل نبيكم ﷺ كما في حديث ابن عباس " إن الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن قبله وصافحه فكأنما صافح الله وقبل يمينه " ، فأنتم تعتقدون أن ذات الله فوق العرش ، ونحن نقول فالله له العلو المطلق فوق السماء السابعة مستو على عرشه سبحانه استواء يليق بجلاله وعظمته ولا ندخل في هذا الباب متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ، مع الاعتقاد الجازم بأنه ليس في ذات الله شيء من ذوات خلقه ، ولا في ذوات خلقه شيء من ذاته جل جلاله ، فالأن الحديث يقول " الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن قبل الحجر الأسود أو استلمه فكأنما قبل يد الله واستلم يمينه ، فهذا الحديث يثبت أن شيء من ذات الله جل جلاله حالٌ في الحجر الأسود وهي يمين الله جل جلاله وهذا يتعارض مع العقل ، فقلنا لهم لا ونبدأ في البحث عن الأمرين جميعا :-

1- صحة الحديث : لما نظرنا وجدنا أن الحديث إسناده مظلم لا يصح نسبته لنبي ﷺ ، ولكنه يصح موقوفا عن ابن عباس رضي الله عنه ، ولكن لو سلمنا بأنه موقوف فإن له حكم الرفع لئن هذا لا يقال بمجرد الرأي فلا تزال الشبهة قائما فهنا نفينا الرفع الحقيقي ؛ وأثبتنا له الرفع الحكمي ، بما أن الصحة موقوفا عن ابن عباس فننظر في الشرط الثاني وهو:-

وهو سلامة العقل الناظر في النص ، فلما نظر أهل السنة والجماعة وقلبوه ونظروا أوله وأوسطه وأخره قالوا لا إشكال فيه فالحديث يفهم على جهتين فلا بد من أمرين حتي نفهم الحديث :-

1- يمين الله التي هي صفة من صفاته والملازمة لذاته هذه يمين مطلقة وليست يمينا مقيدة بمعني أن ابن عباس لم يرد حقيقة يد الله جل جلاله والتي هي يمينه

والملازمة لذاته بل قال " هي يمين الله في الأرض " وابن عباس من أهل السنة والجماعة يعلم أن اليمين الملازمة لله جل جلاله لا تنفك عن ذاته جل جلاله ، فقوله في الأرض " هذه قرينة ظاهرة بأنه لا يريد حقيقة يد الله جل جلاله ، وأضف إلي هذا القرينة الثانية ليتضح الأمر وهي أنه قال " فمن قبله أو صافحه (الحجر الأسود) فكأنما قبل يد الله أو صافح يمينه " وما قال " فقد قبل " وإنما قال فكأنما " وهذا في اللغة العربية التي لا يفهما هؤلاء العجم بالنسبة للغة وهذه في اللغة العربية أسلوب تشبيه ، وقد تقرر بإجماع العرب أن المشبه غير المشبه به ، فمثلا لو قلت وجهك كالقمر فلا أقصد أن وجهك هو عين القمر ، ولكن فيه بعض ملامح القمر، فهذا أسلوب تشبيه فيكون القمر له ذاته المستقلة ، ولوجهك ذاته المستقلة ولكن هناك نوع تشابه في ما بينكما ، كذلك لو قلت هذا الخطيب كالأسد فلا يأتي واحد يقول هو كالأسد في كل صفاته لا ، ولكنه كالأسد في بعض صفاته ، فالأسد له ذاته المستقلة المنفصلة عن ذات الخطيب ، فابن عباس هنا يقولوا فمن صافحة وقبله فكأنما قبل " فابن عباس لا يقول أنه قد قبّل حقيقة يد الله جل جلاله لا لا ؛ وإنما هذا أسلوب تشبيه ، وابن عباس شبه هذا التشبيه لأنه من عادة ملوك الدنيا أنهم يجعلون لهم مكانا يجلسون عليه في اجتماع رعاياهم فإذا دخل عليهم رعاياهم حيوهم بتحية الخلافة ، ويصافحونهم ويقبلون أيديهم وهذه هي عادة الملوك في الدنيا إلا من منع رعيته من تقبيل يده تواضعا لله جل جلاله ، فالشاهد أنهم يقبلون يد هؤلاء الملوك ، فابن عباس يقول إن الذي يدخل بيت الله الذي هو أعظم بيوته جل جلاله وهو أول بيوته التي وضعها في الأرض فإنه قد دخل بيت الملك ، فلا يمكنه أن يقبل يد الملك ويصافح يمين الملك وهو الله جل وعلا فلذا جعل الله في بيته مكانا من استلمه وقبله فكأنما استلم يد الله جل جلاله

وقبل يمينه ، فهذا هو تخريج الحديث وتخريجه في موضوعه الصحيح عند أهل السنة والجماعة ليس فيه أي نوع من أنواع الإشكال .

3- الشبهة الثالثة قالوا أنتم تروون عن النبي ﷺ أنه قال " إني أجد نفس الرحمن من قِبَل اليمن " فيقولون هذا النفس المراد به الشهيق والزفير فهذا يثبت أن الله جل جلاله حالٌ في اليمن بحيث أن النبي ﷺ أحس ووجد نفس الله جل جلاله من قبل اليمن ، فهؤلاء لم ينظروا لنصوص نظرة صحيحة مبنية على القواعد السليمة والأصول المعتبرة التي تدل عليها الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة لما أوجدت لهم تلك النتائج الفاسدة ،فهم يقولون أن هذا الحديث يرجح عقيدة الحلولية والله حالٌ في بعض أجزاء أرضه ، فنرد عليهم ونقول لا كذبتم ، فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ولا بد أن نتأكد من أمرين :-

1-سلامة النص ، ووجدنا إسناده حسن فهو يرتقي إلي مرتبة الاحتجاج ولا حرج فيه ، فسلم النص، فلننظر إلي الجهة الثانية وهي:-

سلامة العقل الناظر في هذا النص ، فلما نظرنا في العقل وجدنا أن العقل الناظر فيه إنما هو عقل بدعي ولذلك نتج هذه النتائج الفاسدة ، ولكن لما قلَّبه أهل السنة والجماعة ونظروا فيه قالوا لا إشكال فيه ، فالذي أوجب لهم الإشكال ظنهم أن النفس المذكور في الحديث أنه الشهيق والزفير، وهذا خطأ ، وإنما المقصود به (من نفْس ينْفس تنفِسيا فهو نفْس) ولذلك سمي خروج الدم من المرأة نفاسا لأنه ينفس عن الجسد فلو احتبس هذا الدم للمرأة لأوجب لها المشاكل الكبيرة التي قد تؤدي بحياتها ، ولذلك كثيرا من النساء يتعالجن من احتباسه حتي لا يطول زمن احتباسه فتهلك المرأة

، فالله جل جلاله لما أخرج هذا الدم سمي خروجه نفاسا لحصول التنفيس به ، فأهل اليمن يحصل بهم التنفيس " إني أجد نفس الله" أي إني أجد تنفيس الله على عباده من قبل اليمن وليس هذا تأويلا وإنما قاله أهل السنة والجماعة ، وقد حصل هذا فقد نفس الله على عباده المؤمنين بصدقهم وعزيمتهم ، وخبرتهم القتالية ، لما ارتدت العرب حول المدينة في حروب الردة ، فأكثرما استفاد أبو بكررضي الله عنه إنما كان استفادته من جنود أهل اليمن ؛ فقد نفس الله عن عباده المؤمنين في قلة عددهم وعتادهم بأهل اليمن مع كثرة المرتدين مع أن أبا بكر سيربعد موت رسول الله ﷺ جيش أسامة رضي الله عنه ، فقال " لا أحل لواء عقده رسول الله ﷺ " وقال " والله لأسيرن جيش أسامة حتي ولو تخطفنا الطيرفي المدينة " ولذلك نفس الله عن المؤمنين مع قلة عدهم وعتادهم بأهل اليمن فتحققت نبوءة النبي ﷺ وظهرعلم من أعلام رسالته ﷺ وهو وقوع هذا الأمر الغيبي ، وبهذا النظرلا يكون في الدليل إشكال ، ولذلك ابن تيمية رحمه الله يقسم على أنه لا يمكن أن تتعارض النصوص الصحيحة مع العقول السليمة ، ولكن المشكلة قد تكون في اختلال أحد الأمرين فإن اختل أحد الأمرين يوقع العبد في مشاكل .

4-الشبهة الرابعة :- ما رواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه من حديث أبي هريرة حديث الولي وهو أصح أحاديث الولي يقول النبي ﷺ في ما يرويه عن ربه عزوجل " ما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصربه ، ويده التي يبطش بها ،

ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه " ،

فقال أهل البدع إن هذا يقتضي عقيدة حلول سمع الله في سمع المخلوق ، وحلول الله جل وعلا في عبده ووليه المؤمن حتي يكون هو سمعه وبصره ويده ورجله ، فكيف تقولون في هذا الحديث ؟

أجاب أهل السنة والجماعة عن ذلك بقولهم إن المتقرر في قواعد أهل العلم الراسخين أن خير ما فسرت به السنة هو السنة ، والنبي ﷺ ذكر ألفاظا في هذا الحديث تدل على استقلال الذاتين عن بعضهما وهي قوله تعالي" ولئن استعاذني لأعيذنه " فهناك مستَعاذ منفصل عن المستَعاذ به ، فلو كان المستِعاذ هو عين المستَعاذ به لما كان لهذا الفصل فائدة ، وكذلك قال " ولئن سألني لأعطينه " فلو كان السائل هو عين المسؤول لما كان هذا التفريق فائدة ، فهناك مستعيذ ، ومستعاذ به ، فالمستعيذ هو المخلوق الضعيف ، والمعيذ هو الله جل جلاله الكامل القادر من كل وجه ، وهناك سأل وهناك مسؤول بنص الحديث ، بل إن في أخره قال " وما ترددت عن شيء ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته " فهذا دليل على أنه ليست الذات الإلهية قد حلت في ذات البشر لا أبدا ، ولا يفهم من هذا أحد لا من الصحابة ولا من التابعين ولا من أهل السنة والجماعة ، ولا من العلماء رحمهم الله ، وإنما يفهمون أنهما ذاتان مستقلتان بعضهما منفصل عن بعض الانفصال الكامل ولكن من كمال توفيق الله جل جلاله وتسديده لهذا الولي بحيث لا يستخدم جوارحه إلا في ما يقربه إلي الله ويرض الله جل جلاله عليه صار بمنزلة من يسمع بسمعه ، ويبصر ببصره ويبطش بيده وهكذا ، فهذا من باب التوفيق فقط .

مثل طالب يجادل رجلا من أهل البدع فقال له ذلك المبتدع أنت تجادل بعلم قوي فقال هذا علم الشيخ ، فقصده بكلمة " هذا علم الشيخ " فلا يقصد أن العلم الذي

في قلب الشيخ أنه حل في هذا الطالب أبدا ليس هذا هو المقصود ، ولكن هذا من تعليم الشيخ فنسب العلم لشيخ لأن الشيخ هو الذي علمه ودله وهداه وأرشده ، فكذلك في الحديث " كنت سمعه الذي يسمع به " لأن هذا الولي لا يسمع إلا ما يرضي ربه جل جلاله ، " وكنت بصره " لأنه لا يبصر إلا ما يرضي ربه جل جلاله ، " وكنت يده التي يبطش بها " بمعني أنه لا يبطش ولا يأخذ ولا يستلم بيده ولا يعطي بيده إلا ما يرضي الله جل وعلا ؛ فلأن جوارح هذا الولي صارت منبثقة من ما تأمره به الشريعة فحينئذ صار الأمر منسوبا إلا الله جل جلاله من باب نسبة التوفيق والإلهام والكمال والهداية ، ومن أراد الاستزادة من هذه القاعدة فليرجع إلي كتاب شيخ الإسلام رحمه الله ، ولكنه كتاب كبير مفيد مستصعب في تسع مجلدات مع ما فيه من الصعوبة ولكن مفيد في الباب ،

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى :-

" وكل نص مجمل يفصل فإن أريد الحق يقبل ، وإن أريد باطل فرده

.................................."

هذه قاعدة عظيمة وأصل كبير عند أهل السنة والجماعة في الألفاظ المجملة ، والواجب عليك في القاعدة المجملة أن تحقق فيها القاعدة المتقررة عند أهل السنة والجماعة التي تقول " الألفاظ المجملة لا تقبل مطلقا ولا تنفي مطلقا ، بل هي موقوفة على الاستفصال حتي يتميز حقها من باطلها فيقبل الحق ويرد الباطل " وهذا هو المنهج الصحيح السليم ، والمجملة أي المحتملة للمعني حق ومعني باطل فهذه لا ترد مطلقا ولا نقبلها مطلقا بل هي موقوفة على الاستفصال حتي يتميز حقها فيقبل من باطلها فيرد ، فنحن لا نقبلها مطلقا لأن فيها باطلا ، ولا نردها مطلقا لأن فيها حقا ، ولا يجوز أن تقبل باطلا ، ولا ترد حقا بل لا بد أن تفصل حتي

يتميز الحق فيقبل من الباطل فيرد وهي من قواعد الوسطية عند أهل السنة والجماعة .

والجدير بالتنبه هو أن هذه الألفاظ المجملة لا يجوز استخدامها في مسائل العقيدة مطلقا بإجماع أهل السنة والجماعة ؛ ولذا لم يرد عن أهل السنة والجماعة لفظ من هذه الألفاظ التي تخرج على هذه القاعدة ، وإنما الذي بلانا بمثل هذه الألفاظ هم أهل البدع ، ولكن أهل السنة والجماعة لم يثبت عن واحد منهم أنه تلفظ بشيء من هذه الألفاظ التي تخرج على هذه القاعدة ، فجميع عبارات أهل السنة والجماعة في تقرير عقائدهم إنما هي عبارات لا تحتمل إلا الحق وليس هناك شيء من العبارات يكون مجملا ، فلم يتركوا الباب للمجملات ، لأن من أعظم ما فسدة به العقيدة هو إقحام وإدخال هذه العبارات المجملة في باب الاعتقاد ، فكم حرفت بسبب هذه الألفاظ المجملة كثير من النصوص ، وكم رد بسببها من الحق ، وكم لُبس بسببها على كثير من العوام الهوام الطوام الذين لا يفقهون شيئا ، ولذلك من جملة الطواغيت التي لابد من كسرها تلك الألفاظ المجملة ، وكسرها أهل السنة والجماعة رحمهم الله بهذه القاعدة ، فإذا جاءك لفظ مجمل من فم رجل من أهل البدع يحتمل الحق ويحتمل الباطل فانتبه واحذر منه لأنه ليدك لفظ مجمل متشابهة وليس باللفظ الصريح !!! فلا تقبله لأن فيه باطل ، ولا ترده لأن فيه حق ، ولكن استفصل فيه حتي يتميز الحق من الباطل فيقبل الحق ويرد الباطل ، وهذا داخل تحت قول النبي ﷺ " فأعط كل ذي حق حقه " ، وهذا اللفظ ليس من حقه الرد مطلقا وليس من حقه القبول مطلقا ، وإنما من حقه أن يستفصل فيه فلابد أن نعطيه حقه الشرعي وهو أن نستفصل فيه ، وإن أغلب الذين يلبسون على الناس عقائدهم إنما يدخلون عن من هذا

الباب الواسع (الألفاظ المجملة).. بل إن بعض إن بعض الطوائف قد جعلوا هذه الألفاظ المجملة هي أصل متأصل في عقائدهم فجلعوا يقيسون كتاب الله جل جلاله وسنة رسول الله ﷺ على هذه الألفاظ المجملة فما وافق هذه الألفاظ المجملة من الوحيين قبلوه وما خالف هذه الألفاظ المجملة من الوحيين ردوه أو حرفوه أو أولوه ، أو عطلوه عن دلالته الصحيحة وهم الأشاعرة ، والجهمية ، والماتوريدية ، وكثير من الفلاسفة ، والقرامطة وغيرهم يجعلون أصل دينهم التعامل مع هذه الألفاظ المجملة ،

مثال ذلك لفظ الجهة : فقد جعله كثير من الأشاعرة سببا لرد الأدلة الواردة في مسألة علوا الله جل جلاله ، فلو سألت المبتدعة لماذا ردوا الآيات المتواترة في إثبات علوا الله جل جلاله ؟ لقالوا لو أثبتا له العلو لأثبتنا أنه في جهة لأن الجهات ست ، والله لا تحويه الجهات الست ، ولا يصح أن تقول الله فوق ، أو الله أمام ، أو الله خلف ، أو الله يمين ، أو الله شمال ، فهذا لا يصح أن تقول ذلك على الله كما قال الأشاعرة ، فلأن وصف الله بالعلو يستلزم وصفه بالجهة فقالوا نعطل صفة العلو، مع أن هذه الصفة (العلو) من الصفات المتواترة من الكتاب والسنة التي ذكر فيها ابن القيم رحمه الله في اجتماع الجيوش الإسلامية أنها تصل إلي ألف دليل ؛ من أجل هذا اللفظ المجمل فنفيتم صفة العلو لله تعالى !!!! فجعلتم أيها الأشاعرة هذا اللفظ المجمل حاكما على ألف دليل ، ولذلك فسدت عقائد كثير من الناس بسبب عدم معرفة القواعد التي بها يتعاملون مع هذه الألفاظ المجملة ولكن سلم الله أهل السنة والجماعة رحمهم الله فلم يقعوا في شيء من تلك الحفر، ولم يدخلوا في شيء من تلك الزوايا المظلمة ولم يردوا شيئا من النصوص لا من الكتاب ولا من السنة لأنهم

عرفوا كيف يتعاملون معها ، فنحمد الله على هذه الهداية فهي نعمة عظيمة ، ومن أعظم الهداية لنا أننا نشأنا في هذه الدولة السنية السلفية فهي نعمة كبيرة وعظيمة ، وهذا مفخرة لنا أن نشأنا في هذه الدولة ، فلله الحمد ما ربانا أحد من أهل البدع ولا تربينا في مدرسة جهيمة ، ولا خارجيا ، ولا رافضيا ، فمنذ نشأنا ونتعلم " كيف عرفت ربك " لشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله ، وهذه مفخرة لنا في هذه الدولة يجب علينا أن نشكرها لها ونسأل الله أن يثبتنا ويثبت وولاتنا وعلمائنا على هذا ، فلو تغير نظام الحكم عندنا قليلا لرأيت الخوارج يطالبونا بتدريس كتبهم ، والروافض يطالبون بتدريس كتبهم ، ولرأيت الصوفية يطالبون بتدريس كتبهم ، ولذلك ينبغي للشعب وأنا أقولها كلمة حق ولا أجمال بها أحدا ينبغي لنا أن نلتف حول قادتنا وأن نسكت عن مثل هذا الخلل الذي يحصل من هاهنا ومن ها هنا فالكمال لله ولا ندعي الكمال ، ولا ولاتنا يدعون الكمال ، ولكن انتبهوا لا تفسد المصالح العامة من أجل مراعاة كصالح خاصة ، ولا نرتكب الأضرار العامة من أجل أضرار خاصة ، فلو تغير الحكم قليلا والذي نفسي بيده ليدخلن الرافضي ويقول أعطوني مناهجي أدرسها وكذا الصوفية ، وغيرهم ، وتخيل كيف لو نشأ الأجيال على كتب الرافضة والصوفية، والرافضة كيف تكون حال البلد، ستري القبور ، وتعود الأمور الشركية كما كانت في هذه البلاد مقررة قبل دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله ، فقد كان عندنا سدرة اسمها " فحل الفحول " فكانت المرأة إذا تأخرعنها الإنجاب ذهبت تطوف حول هذه السدرة في هذه البلاد ، فلول الله ثم الشيخ محمد الله يغفرله ، ولكن لما اجتمعت كلمة الحق بالحجة والبيان التي قام بها الشيخ محمد مع سيف الحق الذي قام به آل سعود والله الذي لا

إله إلا هو اجتمعت قوة الحق وقوة السيف حينئذ انتصرت الدعوة التي لا يزال الناس يجنون ثمارها الزكية العاطرة إلي وقتنا هذا ، وليس في المملكة فقط بل إن دعوة الشيخ محمد رحمه الله وصلت إلي أطراف المغرب ، وإلي أطرف الصين ، ولله الحمد والمنة ونسأل الله الثبات ، ولذلك هذه الدولة هي شامة في جبين الدول نسال الله الثبات لنا وللقاداتنا وعلماءنا على كل خير. فنرجع ونقول لما أن أحسنا التعامل مع هذه الألفاظ المجملة لم نقع في شيء من تلك الحفرولم ندخل في شيء من تلك الزوايا المظلمة التي وقع فيها أهل البدع ، فنقول نحن في لفظ الجهة أن الصواب أنا لا نثبته مطلقا ، ولا ننفيه مطلقا ؛ لأنه يحتمل حق وباطل فإن كان أريد به جهة علو غير محيطة بالله فهو حق لا نسميه جهة ولكن نسميه علوا ، لأن هذه الألفاظ لم ترد في الكتاب ولا في السنة ولا على لسان السلف ، وإن كان أريد به جهة سفل فهذا باطل فنرده ، وإن كان أريد به جهة علو محيطة بالله فهذا باطل فنرده ،فتجد هنا أيها القارئ الكريم أنا لم تعاملنا بلفظ الجهة بمقتضي هذه القاعدة ما وقعنا في الأخطاء التي وقع فيها غيرنا .

وكذلك قولهم المكان ، فنفي الأشاعرة استواء الله على عرشه بحجج كثيرة وخيالات وشبه كثيرة منها :- أنهم قالوا لو أننا أثبتا أن الله مستوي على عرشه لأثبتا أنه في مكان معين ، والمكانية ممتنعة عن الله فلذلك ننفي صفة الاستواء ، فنفوا ما ثبت ما جاء في الكتاب والسنة من أجل مراعاة لفظ مجمل !!!! فنفوا الاستواء لله على العرش وهو ثابت بسبعة أدلة من القرآن " السجدة الرعد الحديد ويونس وبطه والأعراف والفرقان " من أجل مراعاة لفظ مجمل وهو لفظ " المكان " ، ولكن لما نظر أهل السنة والجماعة إلي هذا اللفظ فقالوا أمر

لفظه (المكان) فنتوقف فيه فلا نثبته ولا ننفيه ، وأما معناه فإننا نستفصل فيه ، فإن كان أريد به مكان سفل فهو باطل ، وإن كان أريد به مكان علو محيط بالله جل جلاله فهذا أيضا باطل ، وإن كان أريد به مكان علو غير محيط بالله جل جلاله على ما يليق بجلاله وعظمته فهذا معني حق ولكن لا نسميه مكانا وإنما نسميه استواء .ولى رسالة " قاعدة أهل السنة والجماعة في شرح رسالة التعامل مع الألفاظ المجملة" في خمسين فرعا ، فكل هذه الفروع لم يتوفه بها أهل السنة والجماعة ولا بواحدة ، ولكنها ألفاظ بلانا بها أهل البدع ويتكلمون بها وينشرونها بين الناس ويلبسون الحق بالباطل بسبب هذه الألفاظ فاضطر أهل السنة أن يميزوا بهذه القاعدة بين الحق والباطل ،

بل والأدهى والأمر من لفظ الجهة ، والمكان ، فالمعتزلة نفوا صفات الله جل جلاله كلها ، فعندهم ربهم الذي يعبدونه ليس له وجه ، ولا علو ، ولا استواء ، ولا عين ، وبلا يد ، ولا رجل ،، ولا ساق ، ولا حياة ، وقالوا بعقولهم السخيفة الساذجة أن الله جل جلاله ليس له أي صفة لأننا لو أثبتنا أن له صفة لاستلزم أن يكون جسما والجسمية ممتنعة عن الله (أي لا يوصف الله بأنه جسم) فأنكروا جميع الصفات ، والصفات الاستقلالية مثل اليد وغيرها أو الصفات التبعية للأسماء ، قالوا عزيز ولكن لا عزة له ، وكريم ولا كرم له ، وعلة نفيهم هذا الكلام لو أثبتنا له اليد لاستلزم أن يكون اليد جسم والجسمية ممتنعة عن الله جل جلاله ، فأنظروا كيف حرفوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ من أجل مراعاة هذا اللفظ المجمل الخبيث ، ولكن أهل السنة والجماعة قالوا أما لفظ الجسم فنتوقف فيه فلا نثبته ولا ننفيه ، وأما معناه فنستفصل فيه : فإن أريد به الحق قبلناه ، وإن أريد به الباطل رددناه ، فقالوا إن كنت تقصد الجسم

المعهود الذي هو معهود من المخلوقين فإن الجسم بهذا المعني ممتنع عن الله لأن الله جل جلاله لا يماثله شيء من خلقه" ليس كمثله شيء " فإن كنت تفر من الجسمية المماثلة لأجسام المخلوقين فنحن معك فنحن نفر منه لأن هذا لا يجوز إثباته لله جل جلاله ولا يجوز اعتقاده في شيء من صفات الله فالله تعالى يقول " هل تعلم له سميا " ويقول جل جلاله " ولم يكن له كفوا أحد " وغيرها من الآيات التي تنفي مماثلة الله جل جلاله بشيء من خلقه ، وأما إن كنت تقصد بالجسمية الذات الكاملة من كل وجه المتصفة بصفات الجمال ، والمنعوتة بنعوت الجلال والعظمة والكبرياء والبهاء فهذا حق ولسنا معك في نفيه ؛ فالله له ذات كاملة وصفات كاملة ولكن المشكلة لديك أنك تسمي هذه الذات والصفات " جسم " ونحن لا نطلق عليها جسما وإنما نقول ذات وصفات ، والدليل على جواز إطلاق الذات على الله ما في صحيح الإمام البخاري قال ﷺ " لم يكذب إبراهيم إلا ثلاثا وكلها في ذات الله " ولقد نطق بها الصحابة كعبد الله ابن رواحة قال " ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أشلاء شلو ممزع " أو كما قال رضي الله عنه وأرضاه ، وقد أنعقد إجماع أهل السنة والجماعة على إطلاق الذات على الله جل جلاله ولا إشكال فيه ، فكيف لهؤلاء يسمون هذه الذات جسم ثم ينفون من شيء وكلمة (جسم) أنت وضعتها من تلقاء نفسك وتحجن نفسك عنها ، ولو نظروا لها بالنظرة الصحيحة والعقل السليم ما نتج عنها هذه النتائج ،وأما تحريف هؤلاء لآيات كثيرة من القرآن والسنة لصفات الله تعالى فكيف يكون !!! والله تعالى أنزل كتابه ليعرفنا بثلاثة أشياء :-

1-يعرفنا به سبحانه .

2-يعرفنا بشريعته .

3-يعرفنا بمن كان قبلنا أو ما سيأتي بعدنا من الجنة والناروغيرها .

فهذه أغلب مقاصد القرآن ، فهؤلاء أهملوا ثلث القرآن ، ولذلك تجد أن أكثرالآيات " إن الله عزيزحكيم" " غفور رحيم " عفوا غفورا " فكل هذه الآيات عند المعتزلة لا شيء من أجل هذه اللفظة الخبيثة التي ابتدعوها من تلقاء أنفسهم ولم تأتي لا في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ولا على كلام أحد من سلف الأمة وأئمتها ، فنحمد الله على السلامة لهذا الاعتقاد ، ووالله وإن ضاقت علينا الأموال ، والمناصب ، ولو تعطلت عنا الوظائف ، ولو ضاقت علينا الأحوال كل ذلك من الابتلاء المحتمل المقدور عليه الذي يرفعك الله به درجات ، ولكن لو ابتلاك الله في عقيدتك أو في دينك !!!!!! فكما قال القائل " كل المصائب قد تهون على الفتي إلا مصيبة دينه فتعاب " ، فجميع المصائب قد يتحملها العبد بل هي رفعة له في الأخرة إلا مصيبة الدين ، وهذه من أعظم الكرامة عندنا أن يوفقنا الله أن يجعلنا مسلمين بحق ؛ فالمعتزلي ينتسب للإسلام ، والخارجي ينتسب للإسلام ،والرافضي ينتسب للإسلام ، ولكن الله زادك رتبة أخرى أن جعلك من أهل السنة والجماعة ، ولم يكتف بذلك جل جلاله ، بل زادك فوق رتبة الإسلام والتزام أهل السنة أن جعلك من العلماء الذين يقررون الحق لناس وهذا من أعظم النعم ، ونسأل الله أن يثبتنا على الحق إلي أن نلقاه جل جلاله ، فهذه القاعدة متفق عليها بين أهل العلم ، ومن الأراد الاستزادة منها فليرجع إلى الكتاب المذكور آنفا .

مسألة :- ما حكم قول " ما ثم إلا الله " ؟ وثم أي هناك ، " وإذا رأيت (في الجنة) ثم رأيت نعيما وملكا كبير " ، " ما ثم بها إلا الله " هذا الكلام لم ينطق بها أهل السنة والجماعة ، وإنما نطق بها الحلولية من أهل وحدة الوجود أتباع ابن العربي " صاحب الفصوص الطائي الدجال هذا الذي يعتقد عقيدته الكفرية أن الكون هو الله والله هو الكون ، وأن الخمرة هي الماء ، والماء هو الخمر ، وأن الأم هي الزوجة ، وأن الزوجة هي الأم ، وأن فرعون هو الله والله هو فرعون ، ولذلك ينكر على موسي عليه السلام لما قال فرعون " أنا ربكم الأعلى " فدافع ابن عربي عن فرعون وقال نعم ما كذب لأن الله حالٌّ فيه ، ولذلك يصحح عبادة المشركين للأوثان ؛ويشجع عليها ويقول هو سجد لله لأن الله حالُّ فيه ، ونعوذ بالله من ذلك ، فعندنا هنا نعمة فلا تعاشر إلا أهل السنة والجماعة ولا تعيش إلا مع أهل السنة والجماعة ، وإذا ما خرجت من حدود المملكة وتري العجب والمصائب والشيء العظيم .

فهذه الكلمة " ما ثم إلا الله " كلمة خبيثة مجملة ؛ فإن كان يقصد " ما ثم هناك إلا الله " أي ما ثم شيء تراه إلا وهو عين وذات الله فهذا كفر أكبر مخرج عن الملة بإجماع المسلمين ، وإن يقصد أنه ما ثم إلا الله أي ما ثم خالق لهذا الكون إلا الله ،وما ثم معبود لهذا الكون بحق إلا الله ، وما ثم مهيمن على هذا الكون إلا الله ، وما ثم مقدر لما يكون إلا الله ؛ فهذا حق ، وهم لا يردون هذا الحق ولكن أهل السنة والجماعة من باب إعطاء كل ذي حق حقه قالوا بهذا الاستفصال ، وإلا الذي أطلق هذه الكلمة إنما أراد بها المعني الباطل أصلا ولكن من باب إعطاء كل ذي حق حقه .

مسألة :- ما حكم قول " الرسول واسطة بيننا وبين الله " يرددها الصوفية ؟

نقول إن كان المقصود بالواسطة هنا واسطة التبليغ فهذا حق ونقبله لأن الشريعة لا تؤخذ إلا من الرسول ﷺ ؛ فالرسول واسطة بيننا وبين الله في تبليغ الشرع ، وإن كان يقصد بالواسطة أنه واسطة بيننا وبينه في دعائه ؛ والاستغاثة به من دون الله ، أو طلب الشفاعة منه من دون الله جل جلاله فهذا معني باطل ، فقد انعقد إجماع أهل العلم على أن من اتخذ بينه وبين الله وسائط يدعوهم في كشف الملامات ، ويستغيث بهم في تفريج الكربات فقد أشرك .

من الألفاظ الجميلة العجيبة أن بعض أهل السنة والجماعة يطلق قبر رسول الله ﷺ ويريد به حقيقة المسجد ولا يريد به القبر ، كما فعله الصابوني رحمه الله في عقيدته قال " ثم يأتي قبر النبي ﷺ ويصلي فيه " فإذا سمعتم هذه الكلمة عن بعض أهل السنة والجماعة فاعرفوا أنهم يردون بالقبر حقيقة المسجد لا القبر ، ولذلك بعضهم يقول " ويجوز شد الرحال إلا لا ثلاثة مساجد ؛ إلا المسجد الحرام ، وإلي المسجد الأقصى ، وإلي قبر رسول الله " يقصد المكان الذي قبر فيه النبي ﷺ وهو المسجد النبوي فلينتبه لهذا ، ولذلك إذا سمعتم عن بعض أهل السنة والجماعة أنه يقول بجواز شد الرحل إلي قبر النبي ﷺ فهو لا يقصد حقيقة القبر أو لذات القبر أو للقبر ، وإنما يقصد بها المسجد فلينتبه لهذا جيدا وفقكم الله لأن اللفظ صار لفظا مجملا .

مسألة :- حكم قول " في ذمتي " ؟

نقول لا بد من التفصيل فبالتفصيل يتحقق التمييز بين الحق والباطل فتقبل الحق ، وترد الباطل .

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى :-

" وكل نفي في النصوص أيضا ففيه اثبت وليس محضا ...."

هذه القاعدة تبين أن الله جل جلاله لا يوصف بالنفي المحض ، فلا يدخل الوصف بالنفي المحض في صفات الله جل جلاله ، فلا يجوز أن تصف الله جل جلاله بالنفي المحض ؛ فالنفي المحض إنما يطلقه على الله جل جلاله أهل البدع ، فيقول الفلاسفة وغيرهم ممن تبعهم ممن ينتسب للإسلام " املأ الدنيا نفيا ولكن لا تثبت صفة واحدة " فيقولون الله لا الله لا داخل العالم ، ولا خارج العالم ، ولا فوق . . ولا تحت ، ولا محايد ، ولا يري ، ولا يُشَم، ولا حياة ، فيقولون املأ الدنيا نفيا ، لكن هذا النفي لا يتضمن صفة كمال ، فالنفي المحض لا يدخل في صفات الله جل جلاله مطلــقا ، فإن قيل أولم ينفي الله عن نفسه بعض الصفات ؟ نقول نعم ، ولكنه من النفي الذي يتضمن ثبوت كمال ضد الصفة المنفية ، فقال الله تعالى " لا تأخذه سنة ولا نوم " فهذا ليس نفيا محضا بل تقول لا تأخذه سنة ولا نوم لكمال حياته وقيوميته سبحانه ، فأنت نفيت واثبت فهو ليس نفيا محضا مجردا عن إثبات لا بل هو نفا يتضمن ثبوتا ، يقول الله جل جلاله " ولا يظلم ربك أحدا " أي لا تقول لا يظلم فقط ولا أدرى لماذا لا يظلم ؟ لا وإنما تقول لا يظلم وأعلم لماذا لا يظلم لكمال عدله ، فأنت نفيت وأثبت وهذا هو النفي الذي يدخل في صفات الله ، ولكن لو قلت الله لا داخل العالم ولا خارجه ، فما الصفة التي اثبتها بهذا الكلام ؟فنفيك هذا هل تضمن ثبوتا ؟ لا فهذا نفي محض ، والقاعدة تقول " لا مدخل لنفي المحض في صفات الله جل جلاله ". ولأنه ليس كل صفة منفية عن شيء يكون هذا الشيء متصف

بكمال ضدها كما قال الشاعر " قُبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل " فنفي عنهم صفة الظلم والغدرولكن قال " قبيلة" وهذا تصغيرتحقيرمن ضعفهم فلوكانوا قادرين على الظلم والغدر لظلموا وغدروا ؛ لأن القبائل كانت تفتخربالظلم والغدرفي ما بينها .. فالقبيلة التي لا تظلم ولا تغدرهذه مذمومة عندهم ، فهونفي عنهم صفى الظلم لعجزهم عن الظلم ، ولكن إذا قلنا نحن " ولا يظلم ربك أحدا " هل لعجزعن الظلم ؟ نقول لا وإنما لكمال عدله جل جلاله في خلقه فإنه لا يظلم .

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى :-

" إثباتنا في وصفه مفصل والنفي في الغالب نفي مجمل "

هذه القاعدة تمثل عقيدة أهل السنة والجماعة في طريقة الإثبات والنفي ، أهل السنة والجماعة يثبتون صفات الكمال إثباتا مفصلا وينفون صفات النقص نفيا مجملا ، وهذه هي طريقة الرسل ، وأما من زاغ وحاد عن طريقهم فإنهم يعكسون المسألة ويفصلون في جانب النفي ويجملون في جانب الإثبات ، وهذا أدخل في التعظيم ، فإنك لو جئت لإثبات صفات الكمال لله ففصل فيها فلا حرج بل الله جل جلاله يحب أن يسمع ذلك فتقول يا رب أنت الكريم ، يا رب أنت الرحيم ، فأنت الأن تثبت ففصل ؛ يا رب أنت الغفور ، يا رب أنت السلام ، يا رب أنت المهيمن ، يا رب أنت الرحمن ، يا رب أنت العزيز فصل فأنت الأن تثبت صفات الكمال فكلما تنوعت وتعددت كلما كان ذلك أدخل في تعظيم الله جل جلاله وأمدح لله تعالى ، فالله جل جلاله يحب المدح يقول النبي ﷺ " لا أغيرمن الله ... ثم

قال " وليس شخص أحب إليه المدح من الله " فالله جل جلاله يحب أن يمدح بأسمائه الثابتة في الكتاب والسنة وصفاته الثابتة في الكتاب والسنة ؛ فامدح ربك ، فإذا جئت لصفات الكمال فأنت تمدح الله فكلما تعددت صفات الممدوح كلما كان أدخل في مدحه وأرضي له جل جلاله ، فلو جئت لملك من ملوك الدنيا بقصيدة ولم تذكر فيها إلا صفة واحدة فقط فقلت " أيها الملك أنت الكريم" فهل يكون هذا مدح!!! بل قد يعاب عليك بهذا البيت بل قد تنال سخط الملك بهذا البيت الواحد ، ولكن لو قال " أنت الكريم الذي لا يضاهى والشجاع الذي لا يغالب وأنت وأنت ... " فلو جلس الساعات الطويلة يمدح في الملك سيتركه الملك ولن يقول له اسكت لمحبته للمدح ، فإذا كان هذا كمال في المخلوق في ذاته ؛ فكيف بملك الملوك جل جلاله !!!!!!!

فإذا هذه الطريقة بما أنها كمال في حق المخلوق فالله أولى بها ، فكما أننا ندخل السرور والسعادة على ملوك الدنيا بالتفصيل في الثناء عليهم ومدحهم فكذلك الله جل جلاله لا بد أن نرضيه وأن نعلي قدره ، وأن نكثر في مدحه ، وأن نزيد في تفصيل إثبات صفاته .

ولكن إذا جاءت نفي صفات النقص فلا تفصل بل أجمل ، فقل "الله ليس كمثله شيء " فهذا هو الكمال عند العرب ، فلا تفصل في النفي ، فهل تجد أن أحد من الشعراء لو دخل على أحد الملوك فيقول له أيها الملك أنت لست بزاني ، ولا لوطي ، ولا غشاش، ولا كذاب ، ولا ولا ولا .. أبدا لا يكون هذا !!! ولكن لو دخل عليه وقال "له أيها الملك أنت لا يساميك أحد من ملوك الدنيا " وسكت فتري أن يغدق عليه بالعطايا ، فهذا إذا كان كمال في

حق المخلوق فهو كمال في حق الخالق سبحانه ، فعندنا شيء اسمه" قياس الأولى " وهو أن الله جل جلاله لا يستخدم في حقيه لا قياس التمثيل ، ولا قياس الشمول ، وإنما يستخدم في حق الله جل جلاله القياس الأولوي وهو أن كل صفة كمال في المخلوق لا نقص فيها فالله أحق أن يتصف بها ، وكل صفة نقص في المخلوق لا كمال فيها فالله أحق أن ينزه عنها ، فإذا كانت في المخلوق كمال فالله أحق بها .

ولتعلم أيها القارئ الكريم أن هذه قاعدة أغلبية وليس كلية لأننا نجد الله أجمل في الاثبات وفصل في النفي ، أجمل في الاثبات في قوله " ولله الأسماء الحسني " لم يفصل بل أجمل ، وفي قوله " وله المثل الأعلى " وهذا مدح ومع ذلك أجمل ، ونجده أيضا في صفات النفي فقال " ما اتخذ صاحبة ولا ولدا " لا ولا ففيه تفصيل ،وكذلك " لا تأخذه سنة ولا نوم " ، وقال أيضا " وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل " فهنا تفصيل ، فالقاعدة أغلبية وليست قاعدة كلية ، وفي الأعم الأغلب أن الله جل جلاله لا يفصل في صفات النفي ولا نص عليها إلا لرد على الطوائف الذين وصفوه بها .

....

ثم قال الناظم وفقه الله :-

" لا ثبت الأسباب جزما بالنظر بل بالدليل أما شرع أو قدر........"

هذه قاعدة نصها يقول "الأصل في الأسباب الشرعية التوقيف "

وذلك أن العلماء رحمهم الله تعالى يقولون إن الله جل جلاله هو الذي خلق السبب وأثره ، فالله هو الذي يخلق السبب ويخلق أثره ، فلا يجوز للإنسان أن يثبت شيئا سببا لشيء إلا وعلى هذا الإثبات دليل أما من الشرع وأما من القدر،

مثال ذلك :- الذي خلق النار هو الله ، وأثر النار الإحراق ، فالذي خلق الإحراق هو الله جل جلاله ، فالله هو الذي خلق السبب وخلق أثره ، والله هو القادر القدرة الكاملة أن يحول بين السبب وأثره ، فيوجِد السبب ولا يوجد أثره ، فالنار التي أُلقي فيها أبونا إبراهيم عليه السلام وجد السبب ولكن أثره نزِع ولذلك يقول الله جل جلاله " قلنا يا ناركوني بردا وسلاما على إبراهيم " يقول العلماء لو لم يقل الله سلاما لمات إبراهيم من شدة بردها ، ولكن قال " بردا وسلاما " فجمع الله بينهما بردا وسلاما أي متناسبا مع جسم هذا الشيخ النحيف حتي لا يموت من شدة البرد ، فالله هو الذي يخلق السبب وأثره .

فعندنا السحاب سبب وأثره المطر ولكن قد يوجد السحاب ولا يوجد المطر ، وكذلك الزواج سبب والإنجاب أثر فقد يوجد الزواج ولا يوجد إنجاب ، فالله هو الذي خلق الأمرين جميعا ، فهو الذي خلق السبب وهو الذي خلق أثره ، والعلاقة بين السبب وأثره لا بد أن يكون مبناها على أحد دليلين :-

1- دليل الشرع
2- دليل القدر.

فلا يجوز للعبد أن يثبت سببا إلا بدليل من الشرع أو القدر، وإذا قلنا القدر فنعني بها (التجربة) .

وأضرب عدة أمثلة لتوضيح :-

1- الرقية :- سبب لشفاء ، واعتقدنا سببية هذه الرقية لشفاء بالشرع وهو قول الله " وننزل من القرآن ما شفاء " ويقول الله " قل هو للذين آمنوا هدي وشفاء " ويقول الله " وشفاء لما في الصدور " وثبت عن النبي ﷺ أنه فعلها وأمربها ،وأقرعليها ، فإذا اعتقدنا أن الرقية من أسباب الشفاء فهذا اعتقاد جائز لأننا اعتقدنا سببية الرقية لشفاء بدليل الشرع .

2- لو ارتفعت درجة حرارة عنك فقال لي رجل اذهب إلي (الصيدلية) واشتر(بندول) أو... فإن مخفض الحرارة يخفضها ، فهنا اعتقد شيئا سببا لشيء ، فهو يعتقد أن هذا الدواء سبب لتخفيض الحرارة ، وهذا الأمر وهو (بندول) لم يرد في الكتاب ولا في السنة أنه سبب لتخفيض درجة الحرارة ، ولكن بقي الكلام عن دليل القدر وهو دليل التجربة فإننا بالتجربة التي لا تكاد تنخرم إلا قليلا أو نادرا أن من ارتفعت حرارته ثم تناول هذا العلاج فإنها تكون سببا لتخفيض الحرارة فهنا صح اعتقاد السببية ؛ فيصح أن تعتقد أن هذا الشيء سبب لهذا الشيء إذا دل على الربط بين الأثر وسببه دليل الشرع أو دليل القدر، فهذه قاعدة مهمة وهي أن " الأصل في الأسباب التوقيف" أما على دليل الشرع وأما على دليل القدر ؛ وبناء على ذلك استنبط العلماء قاعدة أخرى وهي " من اعتقد سببا ليس عليه دليل لا من الشرع ولا من القدر فقد أشرك شركا أصغر" لأن هذا تدخل في فعل الله لأنه من أفعال الله فمن أفعاله سبحانه أنه يخلق السبب ويربط به ما شاء جل وعلا من الأثار، فكونك أنت تعتقد أن هذا الشيء

سببا لشيء وتربط بينهما بفعلك أنت لا من دليل الشرع ، ولا من دليل التجربة والقدر فهذا تدخل في فعل الله جل جلاله وأقل أحواله ذلك أن يوصف صاحبه بأنه شرك أصغر ، فلا يجوز لك أن تعقد أن شيء سبب لشيء إلا بأحد الدليلين وإلا وقعت في حفرة اسمها حفرة الشرك الأصغر، وإن اعتقدت أن هذا السبب هو الفاعل بذاته فهو شرك أكبر كما سيأتي في القاعدة التي بعد ذلك إن شاء الله 0

فإذا لا يجوز لنا أن نعتقد أن شيئا سببا لشيء إلا وعلي ذلك دليل أما من الشرع (الكتاب والسنة) أو من القدر (التجربة) ، ولذلك يقول " لا تُثبت الأسباب جزما بالنظر (بالهوي) بل بالدليل أما شرع أو قدر" ، وعلى ذلك جمل من الفروع :-

1- إن من الناس من يعتقد أن تعليق التميمة يدفع عنه الضرر والتمائم هي المعلقات التي يعتقد فيها جلب خير أو دفع شر وذكرنا قواعدها في قاعدة المعلقات ، والأن الذي يعلق التميمة هو يعتقد أن لها أثرا وهو أما جلب خير أو دفع فهو يعتقد أنها سبب ، ونحن لا نقبل اعتقاد هذه السببية منه إلا بعد مطالبته بالدليل على هذه السببية فنقول أنت علقت التميمة وتعتقد فيها أثرا فما الدليل على أنها سبب لدفع الشر وجلب الخير؟ ولن يجد له دليلا من الشرع لأنه لم يرد في الشرع إلا تحريم هذه التمائم أصلا ؛ قال الله " قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته " ، وفي صحيح الإمام مسلم أن النبي ﷺ بعث رجلا قال لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت " ، وفى حديث ابن مسعود " إن الرقي والتمائم والتولة شرك " ، إذا ليس هناك دليل من الشرع ، فهنا

انتف الدليل الأول ، فنقول الدليل الثاني دليل التجربة ؛ فهل كل من علق التمائم ثبت بالتجربة التي لا تنخرم أن من علق التميمة لا يصيبه شيء ؟ فنقول لا بل إن من الناس من يعلق التمائم وتصيبه من الآفات ، والمصائب ما لا تدفعه هذه التمائم ، فالشيء يسمي تميمة إذا كان الرابط بينه وبين أثره رابط وهمي ،كمن يضع خيطا علي يده ويقول لن يأتني ضرر ما دمت وضعت هذا على يدي ، فالرابط بين الخيط وعدم تحقيق هذا الشيء رابط وهمي ، وعليه نقول هذه الحلقة التي يجعلونها في اليد هل الرابط بينها وبين أثرها المطلوب رابط قد أثبتته التجارب ، وقررته المجامع الطبية واللجان المعتبرة في مثل هذا الأمر؟ فإذا قرر الأطباء ثبوت الأثر في مثل هذه الأشياء فيكون الرابط بينها وبين آثارها واقعي فتخرج عن كونها تميمة لأن الرابط بينهما حقيقي وواقع ، فلا يسمي المعلق تميمة إلا إذا كان الرابط وهمي ، وأنا لا أعلم إلي الأن أن العلماء أفتوا فيها ، فتبقي على أصل المنع حتي يأتينا دليل القدر، بل نجد أن النبي ﷺ لما رأى رجلا وفي يده خيطا من الحمي (حلقة من صُفر) قال " انزعها عنك فإنها لا تزيدك إلا وهناً فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا " ، فلا دليل الشرع دل على سببيته التمائم لجلب الخيرات ودفع المضرات ولم يدل عليه دليل القدر؛ فنقول بعد ذلك من اعتقد في التمائم أنه شرك أصغر لأنه سببا لا دليل لا من الشرع ولا من القدر.

2-من الناس من حصل شيء من الحوادث الأرضية فإنه ينسبه مباشرة إلي شيء حدث في السماء ، فإذا نزل مطرفإن من الناس من ينسب هذا المطر إلي النوء نسبة سبب ، فنقول له أنت تقول هذا المطرسببه خروج النجم الفلاني أوغيابه وهذه نسبة سببية فهل دل دليل الشرع أن خروج

النجم الفلاني سبب من أسباب نزول المطر؟ فنقول لو بحثث في الكتاب والسنة لن تجد أية في القرآن تقول أن خروج النجم الفلاني بسببه ينزل المطر فلن تجد في القرآن أية تقول " يا أيها الذين آمنوا إذا خرج النجم ... " لن تجد ، فليس ثم دليل لا من القرآن ولا من السنة ، بل نحن لا نجد في الكتاب والسنة إلا نفي السببية بين حوادث السماء وحوادث الأرض وذكرنا قاعدة لها " لا تنسب الحوادث الأرضية لحادثات في السماء العلوية إلا بدليل " وقد ثبت عن النبي ﷺ وصف من ينسب المطر لنوء بأنه كافر ؛ ففي الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهني قال صلي بنا رسول الله ﷺ على إثر سماء كانت من الليل فلما سلم قال " هل تدرون ماذا قال ربكم " قلنا الله ورسوله اعلم قال " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر" فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا (والباء هنا سببية) وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب " فإذا دليل الشرع ليس عليه دليل لهذه السببية ، ولو نظرنا لدليل القدر والتجربة نجد أن التجربة عند الناس تقول ليس كلما خرج هذا النجم نزل المطر، أي ليس كمثال مخفض الحرارة ، فقد ينزل وقد لا ينزل ، وقد ينزل المطر بلا خروج هذا النجم فإذا هذه النسبة بين المطر وبين الأنواء اختفاء وظهورا لم يدل عليها لا الدليل الشرعي ولا دليل القدري

؛ فحينئذ من اعتقد أن هذا المطر سببه خروج النجم الفلاني فإنه قد وقع في الشرك الأصغر لأن من اعتقد سببا لا دليل عليه لا من الشرع ولا من القدر فقد وقع في حفرة الشرك الأصغر.

3- إن من الناس من يعتقد أن الغراب إذا وقع على دار أحد فإن ثمة مصيبة سوف تقع في هذا البيت (الغراب أو الحدأة أو البومة) ، فيعتقدون أن البومة (وهذا ما يسمونه التطير وهو نسبة هذا الشؤم إلي مرور الطير كالغراب والبومة وغيرها مما تتطير به العرب) ويقول الناظم فيها " زعم البوارح (الغراب) أن رحلتنا غدا وبذاك نبأنا الغراب الأبقع " معني كلامه أنه استقسم بالأزلام فخرج سهم اذهبوا ومع ذلك جاء الغراب الأبقع (في جبينه شيء من البياض) وهو يتفاءل به العرب تفائلا كبيرا ، فيعزموا السفر بسبب مثل هذا ، فهم يعتقدون أن هذا الطير سبب من أسباب السوء ، أو سبب من أسباب الضرر ، فهم يعتقدون سببا لشيء فنبحث عن أحد دليلين أما دليل الشرع وأما دليل القدر، فلم يثبت في الكتاب أو السنة عن النبي ﷺ أن البومة أو الغراب أو الحدأة إذا وقفت على بيت أحد من الناس أنه سيموت له ميت ، أو تنزل عليه مصيبة ، فما علق الله شيء من الضرر على نزول الطيور على بيوت الخلق وبذلك انتفي دليل الشرع ، وأما دليل التجربة أيضا لم يثبت هذا ، فكم من الناس الذين تصيبهم المصائب بدون بومة ولا غراب ، وكم من الناس يربون البومة في بيوتهم ومع ذلك أمورهم مستقيمة ولا إشكال لديهم ، فلا دليل على التطير أو التشاؤم بالبوم أو الغراب أو الحدأة لا من دليل الشرع ولا من دليل القدر، فمن اعتقد هذه السببية فيكون مشرك شركا أصغر.

3-إن من الناس من يعتقد أن دعاء الله جل جلاله عند القبور من أسباب الاستجابة ، فهو يعتقد شيئا سبب لشيء ، فنقول قبل أن نقبل هذه السببية لا بد أن يأتينا بدليل أما من الشرع وأما من القدر، فهل دل دليل

من الكتاب أو السنة أن من الأماكن التي يتحرى لإجابة الدعاء عند قبور الأولياء والصالحين ؟ الجواب لا بل ورد في الأدلة ما يمنع ذلك منعا باتا ، والأدلة المحرمة للبناء على القبور وتعظيمها التعظيم المفضي لمعظمها بالخروج من دائرة الإسلام كثيرة جدا وليس هذا مجال ذكرها ، فليس لديه دليل من الشرع بل دليل الشرع على المنع ، وأما دليل التجربة أيضا فلم يثبت أن كل من دعا أو غالب من دعا عند هذه القبور يستجاب له مباشرة ، فلماذا يلبس على الناس هؤلاء الصوفية ويبتزون أموال كثير من المسلمين ، وقد وظفت بعض الدول على هذه القبور المعظمة سدنه يخترعون القصص العجيبة فمن امرأة تأخر سن زواجها ثم ما إن جاءت إلي السيد البدوي ودعته قليلا إلا والخطاب توافدوا عليها زحاما بعد مجيئها لسيد البدوي ، وأخرى ضاع ابنها وهو صغير ولا زالت تأتي عند قبر " الست زينب " وتبكي عندها وتشكوا إليها حالها وتطلب منها أن ترد إليها ولدها ثم ما لبث إلا وتجده أمامها في الطريق ، ورجل أخر يبحث عن الوظائف وأبواب الشركات تصد في وجهه وملفه يرمي من كل مكان يذهب إليه فما إن جاء وانطرح عند قبر السيد الحسين إلا وانهالت عليه المكالمات من الشركات ومدراء الإدارات كلهم يتمنون أن يعمل لديهم بأعلى الرواتب ، وغيرها من القصص التي يسمعها العوام التي خلت قلوبهم من الاعتقاد وعششت في قلوبهم ظلمات البدع فتجد مكانا فسيحا لقبولها ثم يبدأ الناس يتوافدون على هذا القبر بسبب هذه القصص التي تحاك حوله ،حتي إن قرأت في بعض الكتب التي تتكلم عن بدع القبور أن بعض الدول المجاورة أرادت أن توسع طريقا فمهدوا الطريق وكان من ضرورات هذا

الطريق أنه يمر على بعض القبور المعظمة يقول السادن فما فجئنا إلا والقبور ينشق وتخرج منه يد الولي ثم يقول قفوا والناس تبكي وتصيح ، فما هذه الخرافات والبدع ، ولكن تجد لها قلوبنا تصدقها ، فالحمد لله على سلامة الاعتقاد ، فنرجع ونقول ليس هناك لا دليل لا من الشرع ولا من القدر يدل على من أسباب الاستجابة الدعاء عند الولي فمن اعتقد أن من أسباب الاستجابة الدعاء عند قبر الولي فقد وقع في الشرك الأصغر لأنه اعتقد ما ليس سببا شرعا ولا قدرا ، فصارت عندنا قاعدتان قواعد :-

1- الأصل في الأسباب التوقيف .

2- كل من اعتقد سببا ليس عليه دليل الشرع ولا القدر فقد أشرك شركا أصغر.

فلا يجوز لك أيها المسلم أن تعتقد أن شيئا سببا لشيء إلا وعلى هذه السببية دليل من الشرع أو القدر .

ثم قال الناظم وفقه الله " .... الأسباب .... "

وهذه قاعدة تبرز وسطية أهل السنة والجماعة رحمهم الله في اعتقادهم في الأسباب فالأسباب عند أهل السنة والجماعة مؤثرة لا بذاتها وهذا أصل القاعدة " الأسباب مؤثرة لا بذاتها " ، فلو تصوروا أن ثم زجاجا ثم رميناه بحجر ما الذي سيحصل له ؟ الأن السبب هو الرمية ، والأثر هو الكسر ، فالعلاقة بين الأثر والرمية ، اختلف أهل القبلة إلي ثلاثة طوائف في العلاقة فقط بين الأثروبين السبب :-

1-قالوا إن الرمية بذاتها هي التي خلقت وأوجدت الانكسار لا بتقدير الله جل جلاله ، وهؤلاء يسميهم العلماء مشركية الأسباب ، فمن اعتقد أن

السبب هو الفاعل بذاته بدون وسطية تقدير الله وأمره وإرادته فهذا مشرك ، فهم يقولون إن الرمية بذاتها بدون وسطية قدر الله ولا إرادة مشيئة الله ، وبدون أي شيء يتعلق بالله وإنما الحجر هو بذاته هو الذي كسر الزجاج ، فيجعلون الربط بين السبب وأثره رابط ذاتي بدون قدر الله جل جلاله ، وهؤلاء نصطلح على تسميتهم ب(مشركية الأسباب) ، مشرك ولكن إشراكه في الأسباب ، فعندنا قاعدة تقول " من اعتقد أن السبب فاعل بذاته (بدون تقدير الله) فمشرك شركا أكبر" ونعوذ بالله من مذهبهم .

2- الطائفة الثانية :- قالوا عكس كلام الطائفة الأولي تماما قالوا الرمية ليس لها أثر في الانكسار أصلا لأن الكأس كان سينكسر في هذا الوقت أصلا حتي ولو لم تحصل الرمية ، فيقولون لا أثر للسبب في أثره ، بل الله هو الذي خلق الأثر ولكن وافق خلق الأثر اصطدام الحجر بالزجاج ، بمعني أنه لو لم يرمي أحد لانكسر الزجاج في هذا الوقت ، وهؤلاء يسمون ب(معطلة الأسباب) فعطلوا الأسباب عن أثارها ، فما جعلوا لسبب أثرا أبدا ، وهذا يكون بابا واسعا للمجرمين في أن يأتي المجرم ويرمي أخر ويموت المرمي هذا ويقول سبحان من قلته وأماته وعند القاضي يقول إن الرمية لا أثر لها في قتله بل الله خلق الموت عند دخول الرصاصة لصدره فالرصاصة لا أثر لها ، وهذا قدح في العقل ، ولذلك عندنا قاعدة نبيه عليها أبو العباس وتقول هذه القاعدة " إن من يعتمد على الأسباب اعتمادا كليا وهم مشركية الأسباب هذا قدح في الشرع لأنهم يكفرون بهذا ومن نفي أثرها فهو قدح في العقل " فالذي يقدح في سببية الشيء هذا مجنون ، ولذلك لا نظن أن أحدا يبقي لا يتزوج ويقول أريد أولاد ، فنقول له الأولاد لهم أسباب ومن

أسبابهم أنك تتزوج وتجامع ، فحقق السبب حتي يأتيك أثره ، فيقول لا إن الولد لو أراد الله جل جلاله لكان ، ولكن أيها المسلم اعلم أن الله قادرولكن الله ما ربّانا على الاعتماد على كمال قدرته دائما مع تعطيل الأسباب بل أمرنا بالاعتماد وفعل الأسباب ، ولذلك إذا أردت الولد فلا بد أن تسلك طريقه ، فهذا المذهب يبطل الدنيا كلها فالذي ينفي أن تكون الأشياء مؤثرة في الأسباب هذا يعطل الدنيا كلها ، وسينشر البطالة فلن يذهب أحد لعمله ويقولون لو أراد الله أن الراتب ينزل في حسابك البنكي في أخر الشهر سينزل ولو لم أذهب للعمل ، وسيأتي أولاد من غيرزواج ، فهذا قادح في العقل ومعطل لشرائع وللحياة ، وهذا مذهب معطلة الأسباب .، فلا الأولون أصابوا ولا الأخرون أصابوا ، فليس السبب مؤثرا بذاته ، وليس السبب لا أثر له مطلقا ، والحق هو مذهب أهل السنة والجماعة أن السبب مؤثر لكن بتقدير الله جل جلاله ، فإذا أراد الله أن يرتب الأثر على السبب رتبه ، وإذا أراد الله أن يفصل الأثر عن سببه فصله ، فالكون كله أزمته بيد الله جل جلاله سببا وأثرا ، فالله جل جلاله بني هذا الكون على أسباب وهذه الأسباب لها أثار، وتلك الأسباب لا تفيد أثارها إفادة ذاتية لا وإنما إفادة قدرية لأن الله جل جلاله هو الذي يقدر الأثار عند السبب ، وهذا يطلعنا على مسألة مهمة وهي :-

أنه من الناس من يقول أذكار الصباح والمساء ومع ذلك ربما يصيبه جن ، أو سحر، أو حسد ، فلا يستغرب ويقول كيف أحافظ على الأذكار وجاءني هذا ، فنقول هل أنت تعتقد أن السبب يفيد أثره ذاتيا (أي لابد أنه لا يأتيك شيئا أبدا تأكيدا) ؟ الجواب لا أهل السنة والجماعة يقولون

السبب مؤثر لكن بإذن الله ، فأنت حققت السبب لكن الله ما أراد وجود الأثر ، ألا ترى أن النبي ﷺ أصيب بالسحر وهل كان النبي ﷺ أهمل شيئا من الأذكار بأبي هو وأمي ﷺ ؟ الجواب لا ولكن الله أراد أن يبين بشريته وأنه لا يستحق شيئا من الألوهية ولا من الربوبية وأراد الرد على هؤلاء الذين سيتواجدون في أخر الزمان من أمته ، فهو أصابه الضرر ﷺ فلو كان ربا وإلها لما أصابه الضرر ، يقول الله جل جلاله عن نفسه في الحديث القدسي " يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، ولن تبلغوا ضر فتضروني ، فهؤلاء اليهود وصلوا إلي ضر النبي ﷺ فلما استطاعوا أن يضروه دل على أنه لا يصلح أن يكون ربا ولا إلها مع الله ولا من دون الله جل جلاله ، ولكن لو اجتمعت الدنيا على أن يضروا الله ما استطاعوا فالله لا يصله ضر أحد ، فهذا فصل الله الأثر عن السبب حتي يبين لناس بشريته ﷺ ، فسبحانه رب عظيم بيده الأمر ، أزِمة كل شيء ، ما تسقط من ورقة إلا بأمره ، ولا تلد المرأة إلا بتقديره ، ولا تنفخ الروح في جنين إلا بعد تقديره جل جلاله ، لا راد لقضائه ولا معقب لحكم ، فحق القلوب على أن تعتمد على هذا الرب الكريم وأن تتوكل عليه كمال التوكل ولكن يجب علينا أن نسعي في طلب الأسباب المتاحة المشروعة الحلال التي شرعها الله جل جلاله لعباده قال الله جل جلاله " هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها " فخلاصة الأمر أن أهل السنة والجماعة وسط في هذا المسألة بين طائفتين :-

1- مشركية الأسباب الذين يقولون أن السبب يؤثر بذاته .

2-معطلة الأسباب الذين يقولون أنه ليس لسبب أثرا مطلقا .

والوسطية هم أهل السنة والجماعة وقد قالوا أن السبب يؤثر ليس بذاته ولكن بتقدير الله جل جلاله .

ثم قال الناظم وفقه الله " وكل إحداث في الدين فهو رد وكل بدعة ضلالة ورد ...." هذه قاعدة كبرى " كل إحداث في الدين فهو رد " هذه الأولى ، والقاعدة الثانية " كل بدعة ضلالة " والمراد بالمحدثات أي الأمور التي أحدثا الناس في أمر العبادات ، كإحداث صلاة الرغائب أو ما يسمي بالصلاة الألفية ، أو البدع التي يفعلها الناس في شهر رجب ، أو إحياء ليلة النصف من شعبان ، أو البدع التي أحدثا الناس في المقابر من الطواف حول القبور ، ودعائها من دون الله ، وبناء المساجد عليها أو غير ذلك ، فالنبي ﷺ أعطانا في هذه المسألة قانونا مستقيما نرد إليه جميع هذه المحدثات قال ﷺ كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " وفي رواية الإمام مسلم " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد " فإذا جميع بدع الموالد مردودة لأنها ليست على أمر النبي ﷺ ، وجميع بدع المقابر مردودة ، وجميع بدع الأفراح ، وجميع بدع العزاء ، وجميع بدع التي تفعل في يوم الجمعة ، وجميع بدع الصلوات ن وجميع بدع الأعياد ، كل هذه من البدع التي أعطاها النبي ﷺ حكما واحدا وهي أنها " رد " أي مردودة على أصحابها لا ثواب لهم فيها بل يعاقبون لأنهم محدثون في شريعة محمد ﷺ ، هذه القاعدة تصد عنا كل البدع التي احدثها الناس في العَالَمَين الإسلامي والعربي ، فجميع البدع تدخل تحت هذه القاعدة " كل إحداث في الدين " ، وقوله " كل إحداث في الدين " هذا قيد يخرج لنا الإحداث في أمور الدنيا فالناس لهم أن يحدثوا ما شاءوا من أمور الدنيا

مما لا تعلق له بالدين ، فنحن أحدثنا السيارات ولم تكن على عهد النبي ﷺ ولكنه إحداث في أمور الدنيا ، فإذا تقييده بقوله " من أحدث في أمرنا " دليل على أن الإحداث في أمور الدنيا الأمر فيه مفتوح والباب فيه واسع ، فأحدث ما شئت من " التكنولوجيا " العسكرية ، وما شئت من التكنولوجيا الطيرانية ، وما شئت من التكنولوجيا الطبية ، وأحدث ما شئت من أي أمور الدنيا ولكن إن جئت في الشريعة فانتبه أن تحدث شيئا لأن الدين قد اكتمل يقول الله " اليوم أكملت لكم دينكم " فدين الله جل جلاله لا يحتاج إلا بدع ، ولا إلا كلام زيد ولا إلي إحداث عبيد ، فالدين كامل بتكميل الله جل جلاله ، فما مات نبينا ﷺ وطائر يقلب جناحيه في السماء إلا وذكر لنا منه علما ، فلا يجوز أن نحدث في الدين لا وصفا لا دليل عليه ، ولا زمانا لا دليل عليه ، ولا مكانا للعبادة لا دليل عليه ، ولا مقدارا للعبادة لا دليل عليه ، ولا صفة للعبادة وهيئة لا دليل عليها ، ولي رسالة فيها " نصر الشِرعة بقم البدعة " عددت فيها كثيرا من بدع العالم الإسلامي والعربي وكلها مخرجة على هذه القاعدة العظيمة " كل إحداث في الدين فهو رد " .

القاعدة الثانية : - " كل بدعة ضلالة " وأصلها ما في صحيح الإمام مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتي كأنه منذرجيش يقول " صبحكم ومساكم " ويقول " أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة " وزاد النسائي بإسناد جيد صححه شيخ الإسلام " وكل ضلالة في النار" ، وهذه كلية عامة ، والمراد بالبدعة :-" هي كل ما أُحدث في أمر الدين مما لا دليل عليه " ، ويعرفها

الشاطبي رحمه الله بقول " هي طريقة في الدين مخترعة تضاهي الطريقة الشريعة يقصد بسلوكها المبالغة في التعبد لله جل جلاله " ، فالبدع كلها ضلالة وليس هناك بدعة حسنة ، وقد ذهب بعض أهل العلم كالإمام ابن الصلاح .والإمام النووي وغيرهم من أهل العلم إلي أن هناك بدعة حسنة ولكن رد عليهم الإمام الشاطبي في أعظم كتاب في البدع وهو" الاعتصام " وهذا الكتاب من أفضل وأعظم وأكمل وأقعد ما ألف في البدع وجميع من ألف بعده إنما يستقي من هذا الكتاب فهو من أفضل الكتب التي ألفت في البدع ، وقد ألفه الإمام الشاطبي على طريقة التأصيل والتقعيد ، فذكر فيه من أصول البدعة وقواعدها وضوابطها مالم يذكر في كتاب أخر فأوصي طلبة العلم بأن يقتنوه ويقرؤونه ، فرد عليهم الإمام الشاطبي ردا طيبا وقد استدلوا بأدلة ليس هذا مجال ذكرها ويكفينا أن نقول أنه ليس هناك في الدين بدعة حسنة ، فجميع البدع ضلالة كما نص عليه النبي ﷺ .

ثم قال الناظم وفقه الله " قاعدة والأصل في العبادة توقفيها جزما على الأدلة "

وهذه قاعدة أيضا في العبادة ، فالأصل في العبادات الحظروالتوقيف على الأدلة ، فليس للعبد أن يحدث عبادة إلا وعلى ذلك دليل لأن أمر العبادات توقيفي ولا مدخل للعقول فيه ، ولا لاجتهادات العلماء ولا لآراء الناس ، ولا للقياسات الباطلة ، ولا للاستحسانات الساذجة ، ولا لرؤي والأحلام ولا النقولات الضعيفة ، ولا المرويات الواهية مدخلا في تقرير شئيا من العبادات أبدا ، فالعبادة وقف على دليل الشرع أما الكتاب ، أو

ما صح عن النبي ﷺ ، لو كانت العقول تستقل بمعرفة العبادات فلماذا يحتاج الناس إلا إنزال كتب وإرسال رسل !!!؟ إذا كانت عقولنا تستطيع أن تعرف ما الذي يجب لله من العبادات وما يحرم من الأمور المحرمة من غير إرسال رسل لما احتاجت البشرية إلي إرسال رسل وإلا إنزال كتب ، ولكن لأن العقول لا تستقل بمعرفة الشرع على وجه التفصيل احتاجت البشرية إلا إرسال الرسل وإنزال الكتب ، والأدلة كثيرة على هذه القاعدة فمنها :- قول الله جل جلاله " أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله " والمراد بالإذن هنا الإذن الشرعي لأن الإذن الصادر من الله قسمان :-

(إذن كوني – إذن شرعي) فالمقصود في هذه الآية الإذن الشرعي ، فلا يجوز للعبد أن يشرع شيئا إلا بإذن من الله والمراد بالإذن هنا أي الدليل الشرعي ، ويقول النبي في الحديث المذكور هذا " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " فإذا لا يجوز للعبد أن يخترع شيئا من العبادات أو يحدثها إلا وعلى هذا دليل من الكتاب أو صحيح السنة ، فالله المستعان لو نظرت الأن إلي أحوال الناس إلي ما أحدثوه من البدع تجد ما أحدثوه من البدع في العبادات أكثر بكثير من العبادات التي شرعها الله جل جلاله ، بدع في القبور، والجنائز، وبدع في الصلوات ، وبدع في الصوم ، وبدع في الصدقات وبدع كثيرة جدا .

مسألة ما الفرق بين المعصية والبدعة ، وأيهما أشد وأحب إلي إبليس ؟ لا جرم أن البدعة أشد لأن منهيات الشريعة أولا الشرك الأكبر، ثم الشرك الأصغر، ثم البدعة ثم الكبيرة ، ثم الصغيرة ، ثم الانتقال من الفاضل إلا

المفضول ، وهذا كله يحبه الشيطان ويتدرج معك ، فالبدعة أحب إلي إبليس من المعصية لأن البدعة يفعلها العبد وهو ينوي التقرب بها إلي الله جل جلاله ، وأما المعصية فيفعلها العبد وهو مستشعر في باطنه أنها محرمة وقبيحة ، ولذلك الذين يتوبون من أهل المعاصي أكثر ممن يتوبون من أهل البدع ؛لأن المعصية إذا بينت له قبحها ودليل حرمتها تاب ، وأما المبتدع يظل على اعتقاده أنها من أعظم القربات لله ، فلو جئنا وقلنا الاحتفال بالمولد النبوي لا يجوز يقولون أنتم وهابية ولا تحبون رسول الله ﷺ ، فالأن تقرر في قلبه أن هذا من أعظم ما يعبر به عن محبة النبي ﷺ ، فلا بد من توبة المبتدع أن تبين له أولا وتجتث محبة هذه البدعة أولا من قلبه ثم بعد ذلك تبين له الأدلة التي تنهي عن ذلك .

ثم قال الناظم وفقه الله " والأصل في العبادة التوقيف ....

......................................"

هذه جهات التعبد الست قد تقدم شرحها سابقا .

ثم قال الناظم وفقه الله " شرعية الأصل لا تستلزم شرعية الوصف يا يا من يفهم " هذه يرجع فيها إلي رسالة لي " رسالة في وجوب التفريق بين أصل العبادة ووصفها ،شرحتها في خمسين فرعا ، وتجدونها في صفحة صيد الفوائد لي على الشبكة العنكبوتية ، وهذه من أعظم ما يرد به على أهل البدع لأن من أهل البدع من بلغ في الخبث في الاستدلال مبلغا عظيما وهو أنه لا يستدل لك على بدعته بحديث ضعيف لا ولا بحديث موضوع لعلمه بردك عليه بأن الأحكام الشرعية تفتقر في ثبوتها إلي الأدلة الصحيحة الصريحة ، لكن يستدل على بدعته بدليل من القرآن !!!! أو دليل من

الصحيحين !!! فهذا لو تأملت في استدلاله وفعله البدعي لوجدت أن هناك خللا وزيادة في فعله لأن القرآن والسنة لا تدل على بدعة فكيف يجعلها دليلا عليها !!!!!! فتأمل بين الدليل وبين فعله وستجد أنه لا بد وأن يزيد فيه قيدا أو وصفا معينا ، فمثلا الذين يحتفلون بمولد النبي ﷺ يستدلون على ذلك بالقرآن والسنة ويقولون هذا داخل تحت قول الله جل جلاله " لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه " فالتعزير والتوقير من حقوق نبينا ﷺ فنحن نفعل هذا من باب تعزيره وتوقيره ، ويقول النبي ﷺ

" لا يؤمن أحدكم حتي أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين " فنحن نعبر عن محبتنا له بهذا الاحتفال ، ويقول في الصحيحين من حديث أنس قال النبي ﷺ " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما " فنحن لا نفعل ذلك بغضا له وإنما نفعله حبا لنبي ﷺ !!!!!!! فهذا نرد عليه بهذه القاعدة وهي أن " مشروعية الشيء بأصله لا تستلزم مشروعيته بوصفه " .فسلمنا أن محبة رسول الله ﷺ فرض وأنا لا أناقش الأن في المحبة لأن محبة النبي ﷺ فرض على كل مسلم بل هي أصل الدين وأساس الملة ، ولا يصح إيمان العبد إذا كان مبغضا لرسول الله ﷺ فمحبته فرض على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، بل وإن تقديم محبته فرض على المسلم فلا يجوز للعبد أن يتقدم بين يدي الله ورسوله لا بقول ولا بفعل ولا بفتي ولا بترجيح أبدا " يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله " أي لا تقول حتي يقول ، ولا تفعلوا حتي يفعل ، ولا تفتوا حتى يفتي ، ولا تعتقدوا حتي يعتقد ، فالأن انتهينا من هذا الأمر من أدلته فأدلته تثبت وجوب المحبة فقط ،

ولكن هل دلت على جواز الاحتفال ؟ فأنا وأنت متفقون على محبتنا لرسول الله ﷺ ولكن التعبير عن المحبة ليس مفتوحا لكل أحد فأنا أطلب منك دليلا على جواز التعبير بالاحتفال عن محبته ، بل لو جاء رجل في يوم مولده ﷺ ورفع "منديلا" ورفع هذا المنديل ويهزه بيده وقال أنا أعبر عن محبتي لرسول الله ﷺ بهذه الطريقة ، فهل هذا يقبله منك ؟ يقول لك أنه ليس هناك دليل على جواز هذا وما العلاقة بين هذا وبين محبة رسول الله ، فنقول له كذلك نحن وما العلاقة بين الاحتفال وبين مولد رسول الله ﷺ واختلاط الرجال بالنساء ، وتوزع الحلوى ، والقصائد الشركية ، وتعطل الأعمال والدولة كلها تعطل ، فما الدليل على كل هذا !!!!؟ ليس هناك دليل ، فكل ما كان جوابا له عن فعلك هذا فهو جوابا منك على فعله هذا ،لأن التعبير عن المحبة أمر توقيفي .

مثال ثاني :- أعظم من هذا الذين يقرؤون الفاتحة عند افتتاح الخطوبة كما يفعل في كثير من البلاد الإسلامية والعربية ، إذا عزم الرجل على الزواج من المرأة فيقوم بقراءة الفاتحة. فنقول ما الدليل على هذا الفعل ، فتجده يستشهد لك بأدلة صحيحة فتجده يأتي بآية من القرآن " ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم "

، ويقول النبي ﷺ عن الفاتحة" هي السبع المثاني وهي القرآن العظيم الذي أُتيته " وافتتحت بها الصلوات ، وافتتح بها كتاب الله جل جلاله ، والجواب أننا لا نناقش هذه الأدلة معه لأن هذه الأدلة إنما تثبت أصل فضيلة الفاتحة ، وأنا لا أناقش في هل الفاتحة لها فضل أم لا ؟ وإنما أناقشه باعتقاد فضيلتها عند افتتاح الخطوبة ، فقد كانت الزيجات

تعقد على عهد النبي ﷺ ولم يكن يقرؤون عليها الفاتحة ، فإذا احذر من الخلط بين الأصل والوصف ، فأنت لا تتطلب دليلا على الأصل ، فالوصف شيء زائد يحتاج إلي دليل .

مثال ثالث :- عند ذكر أحد الأموات كالشيخ ابن باز مثلا عند ذكر اسمه هل يشرع عند ذكر اسمه قراءة الفاتحة وتقول الفاتحة على روح الشيخ ؟ فنقول ما الدليل فتجد مباشرة أهل البدع يستدل بأدلة أصل تعظيم الفاتحة ، فقل له لا لا هذه أدلة للأصل وأنا أطلب دليلا على الوصف لا على الأصل ، ففرق بين الأصل وبين الوصف ، فلن تجده يأتيك بدليل على بدعته هذا ، ثم بعد ذلك تقول له إذا فرقت بين الأصل والوصف تقول له إن أسماء الموتى كانت تطرق مسامع رسول الله ﷺ ومع ذلك ما كان يقرأ الفاتحة على أحد لكن إذا قلت له هذا الكلام قبل التفريق بين الأصل والوصف ربما لا يقتنع ، فالمبتدعة غالبهم يقعون في الخلط بين الأصل وبين الوصوف ، فيجب على طالب العلم من أهل السنة إذا أراد التمييز بين الحق والباطل أن يميز بين الأصل والفرع .

وأذكر لكم أن رجلا كان إذا رفع من الركوع قال ربنا ولك الحمد والشكر" ودائما يزيد كلمة والشكر، والعلة عنده هي الخلط بين قضية الأصل والوصف ، فيأتيه الناصحون ويقولن يا أخي هذا لم يثبت عن النبي ﷺ فيأتي في ذهنه متسائلا كيف لكم أن تناقشون في شكر الله ، كيف تنكرون على أنا عبد لله وأشكره على نعمه سبحانه على نعمه فما لكم تنكرون على !!!!؟ فهذا عنده خلط بين الأصل والوصف ، فقال له أحدهم فما رأيك أيها الحبيب لو قلت بعد الرفع من الركوع " ربنا ولك الحمد والشكر ولا

حول ولا قوة إلا بالله " فقال له لا لا يصلح ، فرد عليه قائلا كيف أنت تقول لا يصلح زيادة كنز من كنوز الجنة " لا حول ولا قوة إلا بالله " بعد الركوع ، فتجده يقول لم تثبت عن النبي ﷺ ، وهذا هو الذي نريده في الشكر، فنحن لم نناقشه في كلمة الشكر لذاتها ، والكلمة الصحيحة أن الشكر كله لله ، ولكن ما الدليل على أنه يتعبد لله بوضع هذه اللفظة في هذا المكان ؟ فما الدليل على اعتقاد الفضيلة في هذا المكان ؟ فلا تأتي وترد بالأدلة التي فيها شكر الله وتقول " أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير" ، وغيرها من أدلة الكتاب " واعبدوه واشكروا له " ومع العلم أن كل هذه أدلة أُقربها أنا وأنت أن الشكر كله اوله وأخره وظاهره وباطنه لله جل جلاله ، ولكن أريد دليلا على فضيلته في هذا المكان ، فمن هنا نعلم أن الذي لا يفرق بين الأصل والوصف هو الذي يقع في مثل هذه الإشكالات ، ولذلك أقول دائما إن هناك قاعدتين لا بد من الاهتمام بهما فطالب العلم إذا تمرس عليهما فوالله الذي لا إله غيره لن يقف أمامه أي أحد من أهل البدع وسيرد عليهم كلهم :-

1- " الأحكام الشرعية تفتقر في ثبوتها إلي الأدلة الصحيحة الصريحة " لأن نصف استدلالات أهل البدع أحاديث ضعيفة وموضوعة وباطلة ، فترد عليهم بهذه القاعدة أن بدعته هذه مبنية على دليل موضوع ؛ كمن يقول " من زارني وزار قبر أبي إبراهيم في عام ضمنت له الجنة " و " من حج فلم يزرني فقد جفاني " ، فكل الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي ﷺ على وجه الخصوص لا تصح ، فكونهم يبنون على هذه الأدلة الضعيفة والباطلة والواهية أحكاما شريعة فهذا خطا جثم عظيم ، فاشدد يديك

يا طالب العلم بهذه القاعدة " الأحكام الشرعية تفتقر في ثبوتها إلي الأدلة الصحيحة الصريحة " .

2- " شرعية الشيء بأصله لا تستلزم شرعيته بوصفه " وتأتي هذه القاعدة لمن كان من أهل البدع كما ذكرنا يأتي بأدلة صحيحة على بدعته ،فتأتي هذه القاعدة لترد عليه ، فإذا أتقن طالب العلم هاتين القاعدتين وضبتهما ضبطا قويا فوالله لا يقف أمامك أحد من أهل البدع أبدا وجرب تجد ، فكل أهل البدع واستدلالاتهم لا تخرج عن هاذين الأثنين ، وهذا دليل على أهمية القواعد .

ثم قال الناظم وفقه الله " كل فهم يخالف فهم سلف الأمة وأئمتها في مسائل العقيدة والعمل ف ...."ثم قال الناظم وفقه الله " كل فهم باطل إن عارض فهم الأولي سلفوا ...."

هذه قاعدة تقول كل فهم يخالف فهم سلف الأمة وأئمتها في مسائل العقيدة والعمل فإنه باطل ، ولي فيها رسالة " تذكير الخلف بوجوب اعتماد فهم السلف لأدلة الكتاب والسنة " في موقع صيد الفوائد ، وقد شرحتها في خمسين فرعا ، وخلاصتها أنه لا يكمل انتفاع الناس بالكتاب والسنة إلا إذا صاروا على فهم السلف الصالح ، ونعني بالسلف الصالح (أصحاب القرون المفضلة من التابعين وتابعيهم وتابعي تابعيهم) القرون المفضلة الثلاث فهؤلاء لابد أن نفهم الكتاب والسنة على طريقة فهمه لأن غالب أهل البدع يأتي على بدعته بدليل ولكن يفهم الآية بغير فهم السلف ، وأضرب مثال على ذلك :-

1- يستدل الزمخشري في كشافه على أن الله لا يُرى في الأخرة بقول الله جل جلاله لموسي " لن تراني " ، ويقول هذا دليل من القرآن على أن الله لا يرى ، فنرد عليه بأن نقول أنت يا زمخشري استدللت بهذه الآية وفهمتها فهما مخالفا لما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها وكل فهم في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ يخالف فهم السلف الصالح فإنه فهم باطل ، فهذه الآية قرأها السلف الصالح أبوبكر وعمر وعثمان وعلى والصحابة والمهاجرون والأنصار ، والتابعون ، والأئمة ، ولم يفهموا ما فهمته أنت ففهمك هذا مخالف لفهم إذا أن أهل السنة والجماعة مجمعون على أن الرؤية المنفية هنا إنما هو نفي لها في الدينا فقط ، وأما في الأخرة فقد تواتر الأدلة المثبتة لرؤية الله جل جلاله على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى ، فرددنا قول الزمخشري هنا ومذهبه تفريعا على هذه القاعدة الطيبة " أن كل فهم يخالف فهم السلف فهو باطل " .

1- يستدل الصوفية على جواز الاستغاثة ودعاء النبي ﷺ بعد موته بالقرآن فيقولون لدنيا آية في القرآن تدل على جواز المجيء إلي قبر رسول الله ﷺ ودعائه واستغفاره ؛ قول الله " ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما "

فيقول رجل منهم يلوك بلسانه ويدعي أنه رجل أصولي ولا يدري عن الأصول شيئا يقول والأصل في المجي هنا أنه مطلق ، والأصل بقاء المطلق على إطلاقه ، فيدخل فيها المجيء لنبي ﷺ في حياته وبعد مماته !!! ، فنقول كونك تفهم أن المجيء هذا يكون بعد مماته هذا فهم مخالف لكل سلف

الأئمة وأئمتها فالسلف مجمعون على أن المجي هنا إنما هو مجيء له في حياته فقط ﷺ وأما بعد مماته فمجمعون على عدم جواز المجيء له من باب استغفاره أو دعائه ، ولذلك كانوا إذا تأخر المطر عنهم وقحطوا في المدينة مع كون قبر النبي ﷺ بجوارهم ، مع ذلك كانوا يستسقون بعمه العباس رضي الله عنه يدعوا الله لهم مع وجود قبر النبي بجوارهم ، بل قد كانوا ينكرون على يقترب من قبره ، أو يدخل في شيء من الأماكن المجاورة عند قبره فيدعوا ويستغفر فكانوا ينكرون عليه إنكارا شديدا ، فهذا الفهم لأن فهم مخالف لفهم السلف رحمهم الله تعالى .

1- الفلاسفة يستدلون على نفي صفات الله بآية من سورة الإخلاص فيقولون الله لا أسماء له ولا صفات ودليلنا القرآن في قول الله " الله أحد " ، قالوا "أحد" أي أنه متوحد لا ثاني معه ، أي أننا إذا أثبتنا الأَحدية لله فلا بد نثبت أَحادية الذات المنفكة عن الأسماء والصفات ، فلو أننا جعلنا أسمائه وصفاته قديمة معه لصار معه اثنين أسماء وصفات ، فهم يفرقون بين الأسماء والصفات ، فقولهم أحد ينفي جميع أسماء الله وصفاته ،

فنقول لهم هذا فهم خالف فهم السلف ، فهذه قاعدة عظيمة ترد على كل أهل البدع .. ولتعلم أن مما يرد على أهل البدع ثلاثة ردود لا تختل أبدا :-

1- أوقال أهل البدع خلاف اللغة .
2- خلاف الدليل
3- خلاف فهم السلف .

فنجعل ما خالف فهم السلف باطلا ، وانتبهوا يا أهل السنة والجماعة من تلك الدعوات المغرضة التي تُريد أن نفك أدلة الكتاب والسنة عن فهم السلف بدعواهم " لهم عقول ولنا عقول " ، " وهم رجال ونحن رجال " وهم لهم زمان ولنا زمان " كل هذا دعاوي خبيثة لا نقبلها لأنهم يردون أن يدخلوا بالضلال والسوء ، والاستدلال على بدعهم بالكتاب والسنة ، ولكن فهم السلف صاركالسياج الذي يمنع هؤلاء القردة من الاستدلال بالكتاب والسنة ، لأن كل شيء عندنا فهم السلف " فهم السلف " فصارفهم السلف مثل السياج الذي يحمي الكتب والسنة ، فأهل البدع يريدون أن يكسروا هذا السياج حتي يدخل أهل البدع ببدعهم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، القرآن عند أهل السنة والجماعة هوكلام الله منزل غيرمخلوق ومن زعم أن القرآن مخلوق فإنه كافر، الزمخشري يستدل على أن القرآن مخلوق بالقرآن فقال لدينا دليل في القرآن يدل على أن القرآن مخلوق وهوقول الله " ما يأتيهم من ذكرمن ربهم محدث " والمحدث هو المخلوق ، فنقول له اتق الله هذا قول كفرأن القرآن مخلوق ، ونقول له إن السلف لم يفهموا من قول الله " محدث " هنا بأنه مخلوق ، بل قد أجمع علماء أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين والمفسرين ، وأئمة السلف الصالح من الأئمة الأربعة ، وأئمة أهل الحديث ، كلهم مجمعون على أن محدث هنا معناه جديد وليس بمعني مخلوق ، أي ما يأتيهم من ربهم من ذكرجديد لأن القرآن كان ينزل منجما حسب الحوادث ، فكونك تفهم أن محدث هنا بمعني أي مخلوق فهذا فهم قد خالف فهم السلف، وكل فهم يخالف فهم السلف فإنه باطل ،

إذا قلنا خالف فهم السف فإنه لا بد أن ننتبه لقضية مهمة جدا وهي أن السف إذا كانوا مجمعين على مسألة معينة فإنه لا يجوز إلا وفاقهم لا

خلافهم ، لكن مسألة الآيات التي فيها الإعجازيفسر أهل الزمان الإعجاز على حسب ما يتوصلون إليه من الآلات والمكتشفات لأن الله يقول " سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم " فالسلف لما فسروا آيات الإعجاز بشيء معين ليس هذا من باب التفسيرللحد المانع الجامع الذي لا يجوز مخالفته وإدخال معاني أخرى فيه ، وإنما من باب ما أدركوهم من حيث معرفتهم في زمانهم ، فإذا تطور الأمر فلا حرج ، فآيات الإعجازتفسرولكن بشرط أن لا يأتينا رجل قد فتح الله عليه من مسائل الإعجازفي القرآن في المكتشفات الحديثة ثم يسخرمن عقلية الأوائل ، فقد سمعت من بعضهم يقول وهذا تفسيرلا أدري كيف توصل له ابن عباس ويسخرون من ذلك ، بل ما قاله السلف من جملة الأفراد الداخلة تحت اللفظ العام ، وما قلتموه أنتم داخل تحت أفراد اللفظ العام ، فيكون هذا من باب خلاف التنوع لا خلاف التضاد .

.... ثم

قال الناظم وفقه الله :-

" .... وتفتقرالأحكام للأدلة وهذا ما عليه أهل الملة "

هذه قاعدة متفق عليها بين أهل العلم رحمهم الله وهي القاعدة التي ندندن حولها كثيرا في كل شروحنا سواء في شروح العقيدة أوشروح أصول الفقه ، وهي تقول " أن الأحكام الشرعية تفتقر في ثبوتها للأدلة الصحيحة الصريحة ". قوله تفتقرهذا أولى من التعبيربقوله تحتاج لأن الافتقار حاجة وزيادة ، فهذا دليل على أن الأحكام ليست فقط أنها حاجة للأدلة

الشرعية بل هي في افتقارعظيم للأدلة الشرعية ، وقوله " الأحكام " هذه الأحكام الشرعية المعروفة التي تترد على مسامعنا كثيرا وهي : - (الوجوب- الندب – التحريم – الكراهة - الإباحة – الصحة – البطلان) كل هذه من الأحكام الشرعية التي يجب أن نعتقد أنها موقفة على نص الشارع فلا يجوز لنا أن نثبت شيئا من هذه الأحكام الشرعية إلا وعلى ذلك الإثبات دليل من الشرع ، فإذا سمعت أحدا يقول هذا واجب أو هذا محرم، أو مندوب أو مكروه ، أو مباح ،أو هذا باطل ، أو هذا صحيح ، فإنك لا تقبل قوله إلا بعد أن تقول له أعطني الدليل الدال على هذا الحكم الشرعي ، وهذا يبين لنا أن إضافة هذه الأحكام إلي قولهم " الأحكام الشرعية " هذه إضافة مصدر أي أحاك مصادرها الشريعة ، وقد أجمع العلماء على تقرير هذه القاعدة ، كما أجمعوا على أن العقول لوحدها لا تستقل بمعرفة شيء من هذه الأحكام الشرعية ، فالإيجاب ليس مرده العقل خلافا للمعتزلة ، والتحريم ليس مرده العقول ولا للأهواء ولا لشهوات وإنما هي وقف على دليل الكتاب والسنة ، وهذا القاعدة ليست منفعتها فقط في مسائل العقيدة فقط بل في كل أبواب الدين ، لأن الشريعة عمت جميع طرق الحياة سواء كان منها الحياة الأسرية ، أو الاجتماعية ، أو الاقتصادية ، لا تجد منهجا من مناهج حياة الإنسان إلا وتجد لشريعة فيه آدابا ، فهذه قاعدة عمومية وهي أصل عظيم من أصول الفقه ، وقاعدة كبرى من قواعد الشريعة ، وأضرب عدة أمثلة على ذلك : -

1-من الناس من يعتقد أنه يستحب قراءة القرآن في المقبرة ، فإذا جاءهم طالب للعم وقال لهم أن الاستحباب حكم شرعي فأنت تعتقد أن هذا

الشيء مستحب لفعلك هذا وذهابك للمقبر بالمصحف وقراءتك للقرآن هناك حتي تنفع الميت هذا تعتقد استحبابه فنحن لا نقبل هذا الاستحباب إلا بدليل يدل على فعل النبي ﷺ أو فعله أحد من أصحابه ﷺ ، أو ورد له ذكر أو أثر في القرآن ، وهل عليه أثارة من العلم سواء من الكتاب أو من السنة الصحيحة أو فعل أحد من سلف الأمة وأئمتها ؟ فيكون الجواب لا ، فإذا ليس هناك ثمة دليل فإنه لا يجوز لك أن تعتقد أنه مستحب ، لأنك تثبت استحبابا بمجرد شهوتك واستحساناتك وهواك وعقلك ، وهذه ليست مصادر يعرف منها الأحكام الشرعية وإنما الأحكام وقف على الكتاب والسنة .

1- من يعتقد استحباب بل وجوب الاحتفال بمولد النبي ﷺ ويعتقدون أنه من أعظم القربات لله ومن أجل الطاعات لرب الأرض والسموات ، وهو من أعظم ما يوقر ويعظم به محمد ﷺ ، فنقول اعتقادكم أن هذا قربة وطاعة وعبادته وهو دائر بين الوجوب أو الاستحباب ، والواجب والاستحباب كلها أحكام شرعية يجب علينا أن لا نثبت شيئا منها إلا بدليل فأين الدليل الدال على هذا ؟ ليس هناك دليل يدل على مشروعية الاحتفال بمولد النبي ﷺ .

2- من الناس من إذا صلي العشاء وهذا موجودة ورأيتها وهي بدعة منتشرة في دول شرق آسيا في الهنود ، والبنجلادشيين ، هذا مباشرة إذا انتهي من الأذكار تجده يخر ساجدا سجدة واحدة ، وهذه يعتقدون أنها من جملة ختم اليوم بالعمل الصالح وهذا أمر طيب ولكننا نحتاج إلي دليل يدل على هذا الأمر. فأين الدليل الدال على استحبابه ؟ ليس هناك دليل ولم يثبت عن النبي ﷺ شيء من ذلك أبدا ، فالشرائع والأحكام الشرعية

ليست مفتوحة أمام الناس فكل يحلل أو يحرم بهواه لا ، وإنما هي وقف على الأدلة من الكتاب والسنة .

3-من أمثلة الفقه كثيرة ، بل لا ينبغي لإنسان أن يدخل في بحث المسائل الفقيه إلا بعد أن يتقرر هذه القاعدة لأنها سوف يمر على مسائل فقيه كثيرة لا خطام لها ولا زمام وليس لها أدلة شرعية ،

منها :- كراهية استقبال النيرين ، قال في الزاد " ويكره استقبال النيرين " والمراد بها الشمس والقمر ، فإذا جاء الإنسان للغائط يكره له استقبال النيرين ،فلا يستقبل الشمس ولا القمر ، وهنا قالوا بالكراهة والكراهة حكم شرعي فلابد أن تأتي بدليل على كراهية هذا الأمر ، فأين الدليل الدال على ذلك ؟ لن تجد دليل على ذلك ، ولكن ذكر ابن مفلح رحمه الله في المبدع ذكر جملا من التعليلات فقال :- (لأن فيهما من نور الله تعالى – ولأن معهما ملكان يسيرانهما – ولأن أسماء الله جل جلاله مكتوبة عليهما – ولأنهما يلعنانه) فنجيب على هذه بئس هذه المستندات التي هي أوهي من خيط العنكبوت ، فإن كل هذه المسائل من مسائل الغيب (ملائكة تسيرها –أسماء الله مكتوبة عليهما _....) كل ذلك من مسائل الغيب ومسائل الغيب لا مدخل للاستحسانات ولا للعقول ولا للآراء ، ولا للمذاهب الفقهية ، في اثبات شيء منها ، بل هي وقف على دليل الكتب والسنة ، فكل هذه ليست مستندا صالحة لنثبت بها هذه الكراهة ، فالقول الصحيح هو جواز استقبال الشمس والقمر مالم يكن أحدهما في جهة القبلة ، فحينئذ ننهي عن استقباله لا لأنه شمس أو قمر وإنما لأنها جهة القبلة ، بل عندنا دليل يدل على جواز استقبال أحدهما قول

النبي ﷺ " ولكن شرقوا أو غربوا " فإنهما لا بد أن يكونا أو أحدهما في المشرق أو في المغرب ، والأمر في ذلك واسع ولكن المشكلة إثبات الأحكام من غير دليل .

4-الفقهاء رحمهم الله يقسمون باب المياه إلا ثلاثة أقسام طهور – طاهر – نجس ، هم يثبتون قسم الطاهر مثل الماء الذي خلت به امرأة في طهارة كاملة عن حدث ، ومثل الماء الذي خالطة شيء من الطاهرات فنقله عن اسمه وغير ذلك من الأشياء التي يجعلونها من المياه الطاهرة ، وحكم الماء عند الحنابلة أنه لا يجوز رفع الحدث به ، يطبخ به – يغسل به – أما أن تتوضأ به فإنه لا يرفع الطهارة ، فأثبتوا أحكاما شرعية مترتبة على هذا القسم الثالث من أقسام المياه وقد اتفق العلماء على أن التقسيمات الشرعية التي ينبني عليها أحكام شرعية وقف على الأدلة ، فلا تقسم شيئا أطلقه الدليل إلا وعلى ذلك التقسيم دليل ، لما بحثنا في الأدلة الواردة في باب المياه لم نجد فيها إلا ذكر نوعين فقط من المياه وهو (الماء النجس – الماء الطهور)، قال الله " وأنزلنا عليهم من السماء ماء طهورا " ، " وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به " ، وقال النبي ﷺ " أن الماء طهور لا ينجسه شيء " فهنا ماء طهور وماء نجس ، ولكن لو سبرنا الأدلة ونظرنا فيها لن نجد شيئا اسمه ماء طاهر ، فكونك أثبت قسما طاهرا لا دليل عليه وترتب عليه أحكاما شريعة فإنك حينئذ تكون قد رتبت الأحكام الشرعية على غير دليل من الشرع ، والأحكام الشرعية توقيفة 0

5-منها أيضا في باب الأضحية والهدي وغيره ، كره قوم من أهل العلم للمرأة الحائض أن تتولى ذبح الأضحية ، فنقول هذه كراهة والكراهة حكم

شرعي والأحكام الشرعية في ثبوتها إلي الأدلة الصحيحة الصريحة، فأين الدليل الدال على هذه الكراهية ؟ ليس هناك دليل فحينئذ نقول هي كراهية باطلة ، والصواب أن تضحية المرأة وتذكيتها جائزة سواء كانت ذات عذرشرعي ،اوغيرذات عذرشرعي ، وفى أصح قولي أهل العلم أن طهارة المذكي ليست شرطا في حل الأضحية .

ويتفرع على هذه القاعدة جميع البدع التي تفعل في العالمين العربي ،، والإسلامي ، فكل البدع تدخل فيها لأن المبتدع إنما يقوم ببدعته معتقدا شرعيتها إما شرعية وجوب ، أو شرعية استحباب فأنت تقول أين الدليل الشرعي ، وهذه أحد ركني الرد على أهل البدع ، فقد ذكرنا أن أهل البدع يستدلون بصنفين من الأدلة فانتبهوا لها ، فإذا هما قاعدتان في الرد على أهل البدع :- (الأحكام الشرعية تفتقرفي ثبوتها للأدلة الصحيحة الصريحة – مشروعية الشيء بأصلة لا تستلزم مشروعيته بوصفه).
وهذا لي فيه رسالة " افتقارالأحكام إلي الأدلة تجدونها في موقع صيد الفوائد .

ثم قال الناظم وفقه الله :-

" وأيما تعبد ...."

نعم لأن الصحابة ما تركوا لنا وجها من أوجه التعبد إلا وسبقونا فيه ، فنحن لا نقول كما قال المشركون لأنبيائهم " لو كان خيرا ما سبقونا إليه " لا بل نحن نقول أنه لو كان خيرا لسبقونا إليه ، فالصحابة رضوان الله عليهم ما تركوا نوعا من أنواع التعبد سواء من التعبدات القولية أو العملية إلا وقاموا به وفعلوه ، فهم أكمل الأمة تعبدا ، وأعظمها إيمانا ،

وأزكاها علما ، وأشدها اتباعا لنبي ﷺ ، ولذلك جعل العلماء في معرفة العبادة البدعية من العبادة الشرعية جعلوا الفيصل فيها ما اتفق مع فعل الصحابة ، ولذلك نحن نقول لمن يحتفل بالموالد النبوية أن الصحابة لم يحتفلوا ولو كان عبادة لاحتفلوا فيكون الاحتفال بالمولد النبوي فعلا وعبادة لم تعرف عن الصحابة ؛ وكل فعل لا يعرف عن أصحاب النبي ﷺ فإنه لا يكون إلا بدعة ، ولا يمكن أبدا أن يخفي هذا الأمر التعبدي العظيم الذي يتقرب به إلي الله جل وعلا على خير هذه الأمة بعد نبيها ثم يكتشفه آحاد الناس في القرون المتأخرة فهذا لا يكون أبدا . كذلك الطواف حول القبور لم يعرف عن أحد من السلف ، وكذلك قراءة القرآن في المقبرة ، ورفع القبور والبناء عليها ، وجميع بدع القبور ، وجميع بدع الصلوات ، وجميع بدع الصيام ، وجميع بدع الأعياد ، كلها لم تعرف عن سلف الأمة وأئمتها ، فإذا أنت ترد هذه البدعة بكونها لا تعرف عن اصحاب رسول الله ﷺ ، فالقاعدة عندنا تقول " كل تعبد لا يعرف عن أصحاب النبي ﷺ فلا جرم أنه بدعة " .

ثم قال الناظم وفقه الله

" ومن أتي ببدعة مكفرة ...."

هذه قاعدة في التعامل مع أهل البدع ، وكيف نتعامل مع الجهمية ، والدروز، الإسماعلية والنصيرية ، والرافضة ، والزيدية ، فكيف نتعامل مع هؤلاء من أهل البدع ؟ فهل نصلي عليهم إذا ماتوا ؟ هل نجيب دعوتهم إذا دعونا ؟ هل ذبائحهم حلال أم حرام ؟ هل نزوجهم أونتزوج منهم ؟ هذه

قاعدة في التعامل مع أهل البدع ، أهل السنة والجماعة يقسمون البدعة إلا قسمين :- (مكفرة –مفسقة) .

فالمكفرة :- هي البدعة التي توجب كفروخروج صاحبها من ملة الإسلام إذا ارتكبها ، مثل بدعة تعطيل الرب سبحانه عن أسمائه وصفاته وهي بدعة الجهمية فهؤلاء كفرهم أهل السنة والجماعة لا سيما المتأخرون وقد انعقد إجماع المتأخرين على تكفر الجهمية أبتاع الجهم ابن صفوان الترمذي ، وكبدعة دعاء الأموات من دون الله ، والاستغاثة بهم ، والذبح عند قبورهم ، والنذرلها ، وغيرها من البدع التي تتضمن ناقضا من نواقض التوحيد ، مثل بدعة الدعوة لتقريب بين الأديان فهذه من البدع المكفرة فهي من البدع المكفرة ، ومثل بدعة الدعوة إلا عدم تكفير اليهود والنصارى ونبذهم بالكفروأنهم إخوان لنا هذه بدعة مكفرة لأنه من لم يكفرالمشركين أوشك في كفرهم أوصحح مذهبهم فإنه مرتد ، فمثل هذه البدع إذا وقع الإنسان فيها توجب له الخروج من ملة الإسلام فيسمها العلماء " البدعة المكفرة " .

والبدع الثانية هي البدع المفسقة :- وهي بدعة توجب فسق صاحبها ولكن بلا خروج من ملة الإسلام ولا يزال يوصف بأنه مسلم لكنه فاسق ، فهو من فساق الملة ، أي ما صفي له إيمانه ولم يخرج من دائرة الإسلام بالكلية بل مؤمن ناقص الإيمان بسبب هذه البدعة ، مثل :-

بدعة التبرك بالأولياء والصالحين – بدعة الإقسام بالمخلوق على الله – بدعة التوسل بجاه النبي ﷺ - بدعة الأشاعرة في إنكارما زاد على سبع

صفات – بدعة الزيدية – بعض البدع مثل تقديم على ابن أبي طالب رضي الله عنه على أبي بكر في الفضل مثلا أو تقديمه على كل الصحابة في الفضل -) فمثل هذه البدع إذا وقع العبد فيها فإنه لا توجب له الكفر فنسميها " البدع المفسقة " .

فحينئذ يختلف تعاملنا مع أهل البدع باختلاف نوع البدعة التي وقعوا فيها ، فالقاعدة تقول " صاحب البدعة المكفرة يعامل معاملة الكفرة ، وصاحب البدعة المفسقة يعامل معاملة عصاة الموحدين " ، فإذا جاءك رجل صاحب بدعة مكفرة فإنك تطبق عليه أحكام الكفرة ، وإذا جاءك صاحب بدعة مفسقة فإنك تطبق عليه أحكام عصاة الموحدين (الزناة – شراب الخمر – وغيرهم) نطبق عليهم أحكام عصاة الموحدين لأن عمل هؤلاء فساق اعتقاد .

وبناء على ذلك نقول ما حكم الصلاة خلف أهل البدع هل هي صحيحة أم باطلة ؟ نقول أن كان هذا الإمام بدعته بدعة مكفرة فإن الصلاة خلفه باطلة ولا تصح ومن صلي خلفه فالواجب عليه أن يعديها ، وأما أن كانت بدعته مفسقة فإن الصلاة خلفه صحيحة وخلف غيره أولي إلا إذا كان هو إمام المسلمين فحينئذ يجب الصلاة خلفه ولا يجوز التخلف عن الصلاة خلف إمام المسلمين ، أنا ذكرت هنا إمام المسلمين وأرجوا أن لا تُلبس على أحد ولكن هنا نفرق بين المبتدع الكافر والمبتدع الفاسق ، ولكن العلماء قالوا هذا في آحاد الأئمة (الرعية) لو قُدم لصلاة ، ولكن إذا تولي ولي الأمر أو ملك الدولة أو أمير هذا القطر إمامة الصلاة كما كان يفعل في الخلافة السابقة أن من يتولى الجمعة والجماعات هو ملك الدولة ، ولكن الأن

ملوك الدول اشتغلوا بأشياء وكثرة المساجد فصاروا يوكلون نوابا لهم على وظائف معينة ، فإذا الذي يصلي بنا وهو مبتدع إمام الدولة فنقول لا يجوز التخلف عن الصلاة خلفه ، بل أن من تخلف عن الصلاة خلف إمام المسلمين ولو كان سكرانا في الصلاة أو يزني أو لو كان يفعل ما يفعل ، فمن تخلف عن الصلاة خلفه فإنه من أهل البدع (المتخلف هذا) لإجماع أهل السنة والجماعة على أن الجمعة والجماعات يجب إقامتها خلف الأئمة أبرارا كانوا أو فجارا ، وإن كانت بدعة إمام المسلمين مكفرة تصلي معه وخلفه ولكن تعيد الصلاة ، لأن أهل السنة والجماعة يرجون مصالح أعظم من كونك تتخلف عن هذه الصلاة خلف هذا الإمام وهي وحدة المسلمين واتفاقهم كلمتهم وعدم بعثرة صفهم ، وعدم اثارة الفتنة على الإمام ، وغيرها ، وهذا باتفاق أهل السنة والجماعة ، ولذلك كان أنس رضي الله عنه يصلي خلف الحجاج وهو من هو في قتل المسلمين ، فسيف الحجاج أحمر دائما ، فالحجاج من أفسق الفسقة الذين قتلوا المسلمين ، ومع ذلك كان أنس هو وابن عمر رضي الله عنهما يصليان خلف الحجاج ، بل أن ابن مسعود يوم من الأيام صلي خلف الوليد بن عقبة ابن أبي معيط وكان قد صلي بهم سكرانا فصلي بهم الفجر أربعا والتفت إليهم وقال " أزيدكم " ومع ذلك كانوا يصلون ورائهم حرصا على جمع الكلمة ، ونبذ أسباب الخلاف ، وهذا من عقل أهل السنة والجماعة ، لكن قد صار العلم لا يتتبع في كثير من موارده ومصادره في مسألة المصالح والمفاسد فصار (العضلات والحمية التي لا خطام لها ولا زمام) فهذا باتفاق أهل السنة والجماعة أنه لا يجوز التخلف عن جماعة إمام

المسلمين ، ولكن آحاد الأئمة (الرعية) إذا كانت بدعته مكفرة فلا تصلي خلفه ، وإذا كانت بدعته مفسقة فصلي خلفه ولكن لو بحثت عن إماما أخر فهو أفضل ، ولذلك القاعدة عندنا في باب الإمامة " كلما كان إمام الصلاة أجمع لشروط المعتبرة كلما كانت الصلاة أكمل " .

فرع أخر هنا :- هل يجوز لك أن تتزوج رافضيه ؟

نقول على حسب هذا التفريق و العلماء رحمهم الله تعالى يقولن أن بدعة الرافضة من جملة البدع المكفرة فحينئذ لا يصح زواجك منها لأن المسلم لا يجوز له أن يتزوج كافرة يقول الله " ولا تَنكحوا المشركات حتي يؤمن " ويقول الله جل جلاله " ولا تمسكوا بعصم الكوافر " .

مسألة :- هل يجوز لك أن تتزوج بامرأة من الخوارج ؟ نقول نعم يجوز ومع ذلك فالعلماء مختلفون في بدعة الخوارج هل هي مكفرة أم لا ؟ والشيخ ابن بازرحمه الله يكفرهم ، ولكن المعروف عن أصحاب النبي ﷺ والذي يختاره شيخ الإسلام وأكثر أهل السنة والجماعة وهو المنقول عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وعن كثيرمن السلف أن بدعته مفسقة وليست مكفرة وهذا أصح قولي أهل العلم ، فلو تزوج خارجي من سنية فلا حرج ، ولو تزوجت سنية من خارجي فلا حرج لكنه خلاف الأفضل لأن النبي ﷺ يقول " إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوج " والخارجي غير مرضي الدين فعنده بدعة غير مرضية فكلما كان اختيارك لزوج ابنتك أو موليتك للأتقى والأورع والألصق لشرع والاتباع لنبي ﷺ كلما كان ذلك من رعاية الأمانة ، ولكننا نبحث في أصل الحكم الشرعي لا الأفضل .

مسألة :- هل يجوز الزواج من الدروز؟ نقول الزواج من الدروز لا يجوز لأنه مجمع عند أهل السنة والجماعة أن الدروز كفار لأنهم يؤلهون الحاكم بأمر الله ، وكذلك النصيرية باتفاق أهل السنة والجماعة على تكفير النصيرية ، وقد نقل هذا الإجماع ابن تيمية رحمه الله كما في مختصر الفتاوى المصرية ، فالنصيرية لا يجوز الزواج منها ، وكذلك الإسماعيلية لا يجوز الزواج منهم لأن بدعتهم لا جرم أنها بدعة مكفرة .

مسألة :- هل يجوز الزواج من الزيدية ؟ نقول الزيدية اتباع زيد ابن الحسين ابن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم ، نقول بدعتهم ليست مكفرة فهم معتزلة فيجوز الزواج منهم .

فنحن معاشر أهل السنة والجماعة نعامل المبتدعة بحسب بدعتهم التي وقعوا فيها .

مسألة :- لو شهد على هلال رمضان مبتدع هل تقبل شهادته أم لا ؟

نقول ترد شهادته سواء كانت بدعة مكفرة أو مفسقة لأنه فاسق أصلا ومن شروط الشهادة أن يكون عدلا ، فهنا لا نقبلها لكن لا لأنه كافر وإنما لعدم توفر شروط الشهادة .

مسألة :- هل يجوز إجابة أحد من أهل البدع لوليمة فيها ذبح ، وتأكل من ذبيحته ؟ نقول أن كانت مكفرة فلا آكل ذبيحته لأن من شروك حِل الذبيحة أن يكون المذكي أهلا لذكاة ولا يكون الإنسان أهل لذكاة إلا بأمرين :- مسلم – كتابي ، وإن كانت بدعته مفسقة فيجوز أكل ذبيحته .

والعبرة بمن تولي الذبح فمالكها أن كان كافر لا شأن لنا به والعبرة بمن ذبح الذبيحة ،

ولتنبيه أقول في الأعم الأغلب أن الإطلاقات يغلب عليها العرف فالشيعة أكثر من خمسة عشر فرقة ولكن إذا أطلق الشيعة من غير تقييد فلا يعنون بها إلا "الاثني عشرية " وهم كفار عوامهم وعلمائهم ، ولي مؤلف على هذه الفروع " منهج أهل الإتباع في التعامل مع أهل الابتداع " فمن أراد الاستزادة فليرجع ليها ، وهناك كتاب لشيخ إبراهيم بن عامر الرحيمي من أجمل ما اطلعت عليه مع أهل البدع وهو كتاب رائع مؤيد بالنقول عن أهل السنة والجماعة اسمه " منهج السنة والجماعة في التعامل مع أهل الأهواء والبدع " ، المهم أن التعامل هذا يتفرع مع كون بدعته مكفرة أم لا فليتنبه لهذا .

مسألة :- لو جاءك رجل صاحب بدعة مفسقة ودعاك إلي وليمة ولم تجبه فإن عدم إجابتكم هذا هو الأفضل إذا كان ذلك من باب الزجر بالهجر ،فحينئذ الترك ليس من باب التكفير وإنما من باب الزجر فيقرف بينهما .

مسألة :- عيادة أهل البدع هل تزوره أم لا ؟ نقول إذا كانت بدعته مكفرة نزوره من باب دعوته لأن زيارة الكفار وعيادته إذا كانت من باب الدعوة وعرض الإسلام عليه وأمره بالتوبة فهذا طيب وحسن ، وأما زيارته من باب المؤانسة والمودة والمحبة فهذا محرم ،

وكذلك صاحب البدعة المفسقة الأصل جواززيارته لكن أن رأينا ترك زيارته وهو في هذه الحالة أردع له حتي يعلم أنه تقطعت به الحبال وان أصحابه لم يأتوه بسبب تلك البدعة فإذا كان زجره بهجره أنفع له فحينئذ يزجر بالهجر وإلا فالأصل زيارته ،

وكذلك صاحب البدعة المكفرة الكافر الأصل ترك زيارته إلا إذا كانت زيارته أنفع ، والمسلم الفاسق الأصل زيارته إلا إذا كان تركها أنفع ، وهذه القاعدة في أهل البدع الذين هم أصلهم مسلمين ولكن ابتدعوا ، وأما اليهود والنصارى فلا نطبق عليهم هذه القاعدة لأن هم كفار أصليون أصلا وليسوا من أهل البدع .

ثم قال الناظم وفقه الله

" قاعدة والأصل الصمت حق يا فتي ...."

هذه قاعدة تقول " يجب الصمت عما شجربين أصحاب النبي ﷺ في بعض الحروب والمواقع التي دارت بينهم ، فقد دارت رحي الحرب بين بعض أصحاب النبي ﷺ بأسباب معينة معلومة عند أهل السيروغالب هذه الأسباب إنما يرجع من أهل البدع من المنافقين والغوغائيين الذين يحبون إثارة مثل هذه المشاكل بين المسلمين ، فإن هناك غوغائيون يندسون بين الصف المسلم ويثرون بعض المسلمين إلي بعض فلا إلي هؤلاء ينتسبون ولا إلي هؤلاء ينتسبون ولكنهم دخلوا في الصف الإسلامي من باب الإفساد لا الإصلاح فينبغي للمسلمين في مثل هذه المسائل أن يكونوا عقلاء في تعامل بعضهم مع بعض فلا يمكنون الغوغائيين من مقاصدهم التي يريدون ،. فمثل نحن

الأن هنا صف إسلامي متصل ولكن بينا اثنين أو ثلاثة يثرون هؤلاء على هؤلاء ويثرون هؤلاء على هؤلاء فإذا لم يكن أطراف الصفوف الإسلامية تعرف كيف تتعامل في مثل هذه الظروف فغن الأمر سوف يؤدي إلي التفرق وغلي التمزق وإلي التشتت والاختلاف وكثرة النزاع وهو الذي يريده منا أعدائنا فمثل هؤلاء الغوغائيين يجب أن نأخذ عليهم باليد من حديد وأن نردهم عن غيهم وأن نزجرهم الزجر الذي يردعهم وأمثالهم عن السعي في الأرض وبين المسلمين بالفاسد ، فلا تتقطع أرحمانا وأوصالنا وعلاقاتنا بسبب هؤلاء الغوغائيين وهذا خطأ كبير لأنه هو عين ما يريده هؤلاء ، وأنا استغرب من بعض القراء للقرآن من بعض أنواع العلاج في الرقية فمثلا امرأة سحرت حتي يطلقها زوجها ،أو رجل سحر حتي يطلق امرأة يقول له بعض القراء طلق طلقة فينفك السحر ، وهذا ليس بصحيح فأنت الأن بذلك الأمر حققت المقصود من وجود السحر وتساعد الشيطان على تحقيق مقصوده ، فكون ها الغوغائيين يثيرون أطراف الصفوف الإسلامية من ها هنا وها هنا ثم الدول الإسلام تختلف في ما بينها بسبب هؤلاء الغوغائيين حينئذ نكون قد حققنا شيئا من مطالبهم أو من مقاصدهم ، بل الحق في مثل ذلك أن تجتمع الدولتان على البحث على هؤلاء المفسدين المخربين وأن تأخذ عليهم بيد من حديد وأن تعاقبهم العقوبة البليغة الزاجرة وأن لا تمكنه من العبث في شوارع المسلمين ولا عند مقدرات المسلمين ، وأما تتفكك الدول وتتقطع الأوصال وهؤلاء ء الغوغائيين يضربون علينا بالطبول فهم شرذمة قليل ويجب علينا أن نأخذ عليهم بيد من حديد ،

بل إنهم أن لم ينكف شر هؤلاء الغوغائيين عن الإفساد في الأرض إلا بقتلهم فإنهم يقتلون تعزيرا لأن هؤلاء صاروا أعضاء فاسدين في جسد الأمة فإذا تركت هذا العضو الفاسد في جسدك الذي لا يرجي صلاحه لأننا ناصحناهم ولم يستفيدوا ، وحاورنهم ولم يستجيبوا ، كشفنا عنهم الشبهة ولم يرجعوا وارتدعوا ، فهذا عضو فاسد لا بد أن يُجتث.. فلا نولي لهم احتراما ولا نحترمهم من أجل دينهم ، ولا نحترمهم من أجل بدعتهم ، أو وطنتيهم ، أو اتفاقهم معهم في اللغة أو في الجنس لا : فبقاء هذا الأن ومثله يوجب فسادا في الأرض والله لا حب الفساد ، وهذا هو الواجب علينا كمسلمين في ما بيننا أن لا نرضي بوجود هؤلاء النمامون الغوغائيون الذي يثيرون الفتنة النائمة الدهماء ، ولعلك أيها القارئ فهمتم ما أريد أن أشير إليهم وأقصده بكلامي هذا ، فلا ينبغي أن تتقطع أواصل الدول الإسلامية أو يغضب بعضنا على بعض ، أو نجعل شرذمة قليلة حاكمة على قطع علاقات سنوات طويلة وعلى أمة لا نعرف عنها إلا الخير، ولا نعرف عنها إلا الصلاح ومحبة الدين ، والحماسة لدين ونصرته بالمقدور عليه ، فهذا لا ينبغي فهذا من الجور والظلم في الأحكام ونسأل الله أن يوفق الجميع ،

فالصحابة دارت بينهم هذه الحروب بسبب هؤلاء الغوغائيون الذين لا يخلو منهم زمان ، فإنه لما اصطف جيش علي ابن أبي طالب رضي الله عنه رفعوا المصاحف وقالوا نحتكم إلي كتاب الله والصحابة ليس في قلوبهم قتال ولا شيء ، فلما علم قتلة عثمان وبعضهم في جيش علي ابن أبي طالب وبعضهم في جيش معاوية رضي الله عنه لما علم قتلة عثمان أن الجيوش

إذا اتفقت وتصافت فإن أول من سيأخذون ويطبقون حكم الله فيه هم هؤلاء القتلة فبدأوا يتراشقون بالنبال فظن هؤلاء أن هؤلاء بدأوا وظن هؤلاء أن هؤلاء بدأوا فالتحم القتال ؛ وإلا فالصحابة كانت قلوبهم طاهرة على بعض ، حتي قال أهل السير" إنهم كانوا يقتتلون في النهار ثم يزور بعضهم بعضا في الليل يتدارسون العلم ويصلي بعضهم مع بعض ، وكان هؤلاء يصلون على قتلي هؤلاء وهؤلاء يصلون على قتلي هؤلاء ، لكن هؤلاء الغوغائيون الذين لا يرتاحون باتفاق المسلمين ولا يرتاحون بازدهار دولهم ، ولا يرتاحون بإزهار اقتصادهم ،. ويندسون بكل قوتهم بين الصفوف الإسلامية حتي يفرقوها ويبعثروها، وهؤلاء غالبا ما يكونون أيادي لدول أجنبية غريبة هي تريد إثارة هذه الفوضى لمقاصد الله يعلمها ، كما قال الله " لا تعلمونهم الله يعلمهم" ، فمنهجك أيها المسلم في ما داربين الصحابة من الحروب والقتال الواجب على أن أقول " تلك فتنة سلم الله منها سيفي فليسلم منها لساني " فالحمد لله ما دخلنا معهم بالسيوف ولا بالأسلحة وإنما قرائنها قراءة في كتب السير فقط ، فبما أن الله وفقنا ورحمنا ولم ندخل فيها بسيف فيجب علينا أيضا أن نحفظ السيف الذي بين شفتنا وهو أعظم من السيف الحقيقي فيجب عليك أن تحفظه وأن لا تقدح في أصحاب النبي ﷺ وأن لا تدخل في هذا الباب مطلقا ، فإنه لا يسلم القلب على أصحاب الرسول ﷺ إلا إذا منع العبد نفسه من الخوض في هذا الباب ، فنشر ما وقع بين الصحابة أمام الأمة هذا لا يجوز ، ويجب علينا مع هذا السكوت والصمت عدة أمور :-

1-أن نعتقد أن ما حصل بينهم أنهم مجتهدون فيه ، وأنهم لا يريدون إلا الوصول للحق رضي الله عنهم ، فالمصيب منهم له أجران ، والمخطئ منهم له أجرواحد ، وأما معرفة عين المصيب والمخطئ فهذا أمره إلي الله جل جلاله يوم يلتقي الجميع عنده جل جلاله .

2- أن نعقد قلوبنا عقدنا جازما على أن لهم من الحسنات والفضائل عند الله ما يوجب مغفرة ما صدرمن الواحد منهم أن ثبت عنه ذلك ،
فالحسنات تهدم السيئات يقول النبي ﷺ " وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها " وقال ﷺ في حق عثمان " لا يضرعثمان ما فعل بعد اليوم " ، وكم غفر لرجل من الصحابة وقع في ذلة بسبب أنه شهد بدرا ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، فلهم من الفضائل والحسنات ما يوجب مغفرة هذه الزلة أن ثبتت عن هذا الصحابي ، يقول الناظم " ولهم فضائل جمة قد دونت تقضي على الزلات والعصيان " .

1-أن نعتقد أنهم أحق الناس بشفاعة محمد ﷺ فإن النبي ﷺ سوف يعطي الشفاعة يوم القيامة قال " وأعطيت الشفاعة " فأعظم من يدخل في شفاعته صحابته الذين تربوا في مدرسته وتعلموا على يديه، ونقلوا دينه ، وجاهدوا معه ، وحموه بالغالي والنفيس ، وبذلوا مهجهم وأموالهم ، وتركوا ديارهم وأوطانهم ،وعشيرتهم نصرة لله ولنبيه ﷺ فهم أدخل الناس في شفاعة محمد ﷺ .

2-سلامة قلبك من الغل على أحد منهم ، فسكوت هذا لا يكون في قلبك غل ، أنت أسكت لسانك فأسكت قلبك عن وجود الغل ، يقول الله " والذين

جاءوا من بعدهم يقلون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم " لأن من الناس من يسكت ولكن في قلبه شيء من الغل والحقد ، والكراهية لبعض الصابة رضوان الله عليهم ، ولكن نسأل الله أن يطهر ألسنتنا وقلوبنا من وجود الغل على أحد من عباده على وجه العموم ؛ وعلى الصحابة على وجه الخصوص ، فإذا القضية السكوت فقط لا بل السكوت من أول الواجبات وهو واجب الظاهر، ولكن عليك واجب الباطن وهو واجب القلب .

وأقول من باب حسن الظن بالله تعالى أنه من مات على هذه العقيدة في الصحابة فإنه سيكون معهم بإذن الله يوم القيامة لعموم قول النبي ﷺ " المرء مع من أحب " ، وإني أعتب على بعض الإخوة الذين ظاهر الصلاح والدين والدعوة يسجلون أشرطة أو يعقدون حلقات تلفازية أمام العامة يتكلمون فيها عن خلاف الصحابة ، وهذا من أخطر ما ينشر، ومن أخطر ما يقرأ، ومن أخطر ما يسمع ؛ لأن كثير من الناس بدأ يتكلم ويحدث نفسه علي لما فعل هذا ؟ ومعاوية فعل هذا ؟ وما كان الناس يعلمون هذه التفاصيل وكانت قلوبهم سليمة ، ولكن بعد معرفة تلك التفاصيل فليست كل القلوب تحتمل هذه التفاصيل فيكون فيها من الحقد أو الكراهية ، أو البغض لبعض أصحاب النبي ﷺ بسبب تلك التفاصيل ، فأنا أهيب بالجميع أن لا يربوا طلابهم ، ولا من تحت يدهم على ذلك ، وأنا أعجب من كثير ممن يتكلمون ويثقون حتي يقول الواحد منهم أن علي ابن أبي طالب وعثمان شهدا على قتل بهيمة عندي ما قبلت شهادته ، وكل هذا

بسبب نشر تلك الخلافات التي دارت بين أصحاب النبي ﷺ أمام العامة وهذا من أكبر الأخطاء التي نعوذ بالله منها .

وأما الاطلاع الفردي على ما حدث بينهم رضي الله عنه جائز ولكن بشرط أن تكون متضلعا بمذهب أهل السنة والجماعة في مثل هذه القضية ،
والشرط الثاني أن تعلم أن غالب المنقول عنهم إنما هو كذب ودجل ومن دسائس الرافضة فلابد أن يكون عندك تمييز في المنقول بين صحيحه وضعيفة وإلا فالسلامة لا يعدلها شيء ، ولذلك لم يؤلف أهل السنة والجماعة في مثل هذه المسائل ، ولكن يذكرونها إجمالا ، فأغلب قلوب الناس لا تحتمل قلوبهم هذا الكلام ، فيكفيك أن تعلم هذه المسائل التي ذكرتها آنفا .

مسألة :- حكم تمثيل ما حدث في الفتنة بالمسلسلات وغيرها ؟ نقول لا يجوز ويا ويل من أجازها ، هم يردون كسر هذا الحاجز الذي بيننا وبينهم فيمثلونهم ، فيا ويل من أقرها ونعوذ بالله من أن تنطق ألسنتا بإجازة شيء من ذلك في تمثيل معركة حطين ، أو معركة الجمل التي دارة بين عائشة وعلي رضي الله عن الجميع نعوذ بالله من ذلك ، فنحن نقول أن مجرد الكلام المفصل في ما وقع نحن نحرمه ، فكيف تفاصيلها بالتمثيل مع أُناس أصلا داعرات فاجرات ، ولكن القضية الأعظم منها أنها تضرب في العقيدة وهذا محرم .

....

قال الناظم وفقه الله تعالى:-

" ولتؤمنن بمعجزات الأنبياء كذا كرامات عباده الأولياء "

الكلام على هذا في جمل من المسائل :-

1-عقيدة أهل السنة في المعجزات التي يجريها الله جل وعلا على يد الأنبياء :-

مذهبنا في ذلك هو الإيمان بما صح منها ، فيجب علينا وجوبا قطعيا بأن كل معجزة ثبتت لنا بالطريق الصحيح فإنه يجب علينا أن نؤمن بها ، وأن نصدق بها ، وأن لا نناقش فيها ، وأن نعتقد الاعتقاد الجازم أنها من جملة ما يجريه الله جل وعلا على يد أنبيائه ورسله ، وأن الرسل لا قدرة لهم ولا طاقة لهم على إجراء هذه الأشياء من قبل أنفسهم ، وإنما الله جل وعلا هو الذي يجريها على أيديهم ، فالمعجزات التي أجراها الله جل وعلا على يد نبي الله موسي عليه الصلاة والسلام وهي تسع آيات بينات هذه ليس في قدرة البشر ولا في طاقتهم أن يجروها ولكن الله جل وعلا أجراها من باب إظهار صدق ذلك الرسول في دعوي أنه رسول الله وأنه تجب طاعته والإيمان به ومتابعته ، وكذلك خروج الناقة في قوم صالح عليه السلام أيضا من آيات الله ومعجزاته ، وكذلك المعجزات التي أجراها الله جل وعلا على يد نبيه عيسي عليه الصلاة والسلام يبرأ الأكمه والأبرص ، ويخرج الموتى بإذن الله ، وينبئ الناس بما يخفونه من الأرزاق والأموال في بيوتهم كل ذلك من المعجزات التي يجريها الله على يدى أنبيائه ، فيجب علينا أن نؤمن بها وبما صح منها ، وأن نكذب بشيء من ذلك ، وقد أجمع علماء المسلمين أن من كذب بشيء من المعجزات الثابتة بالكتاب وصحيح السنة فإنه كافر خارج عن ملة الإسلام بالكلية إذا كذب بشيء من هذه المعجزات التي ثبتت بالطريق الصحيح فإنه كافر لأنها تتضمن تكذيب الخبر، وتكذيب دعوى الرسالة .

2- اعلم رحمك الله تعالى أن المعجزات في النبوات والرسالات السابقة قد اندثرت وانتهت ولم يبقي شيء منها أبدا فهي معجزات وقتيه انتهت بانتهاء الأنبياء وانتهاء أزمنتها وأوقاتها ، إلا معجزة نبينا ﷺ وهي القرآن العظيم فإنها هي الآية والبرهان والمعجزة الباقية إلي أن يرفعه الله جل وعلا من الأرض .

3- اعلم أن طبيعة المعجزة تتناسب مع ما يتقنه ويتفوق فيه القوم الذي أرسل الله إليهم هذا الرسول حتي تكون دامغة لمعتقداتهم الباطلة ، فمثلا قوم فرعون الذين أُرسل إليهم نبي الله موسي عليه السلام كانوا قد تفوقوا في أمر السحر وكان لفرعون سحرة يُسخِّرون له الناس ويسخرون له الأشياء ، فجعل الله جل وعلا معجزة موسي عليه السلام من هذا الجنس ولكنها سحرا بل هي حق لأن الكون كله خاضع لأمر الله جل وعلا وقهره وسلطانه ، ولذلك تكون المعجزة متناسبة للأمر الذي تفوق فيه هؤلاء القوم على وجه الخصوص لأنها تكون أدعي لإيمانهم واستسلامهم ، وخضوعهم ، وانقيادهم ، وإقامة الحجة عليهم ، فأرسل الله جل وعلا نبيه موسي عليه السلام وجعل معجزته في أن يدخل يده في جيبه ثم يخرجها وعليها نور كالقمر ، وكذلك يلقي العصا ثم تتحول إلي ثعبان بأمر الله جل وعلا حقيقة لا تخييل ولا سحر وإنما بأمر الله جل وعلا ، فلما رأى السحرة ذلك الأمر عرفوا أن هذا ليس من جنس أفعالهم فأول من آمن هم هؤلاء المتفوقون في أمر السحر لعلمهم العلم الأكيد أن هذا لا يمكن أبدا أن يأتي به بشر من عند نفسه لأنهم معلمون في السحر " بكل ساحر عليم " أي معلم في السحر فليس فوقهم أحد في السحر أبدا ، فكون موسي عليه السلام جاء بمثل هذه الأشياء التي يعجزون عنها فأيقنوا أن له ربا ومعه ربا أرسله بهذه الأشياء فخروا مباشرة سجدا ، وهذا من حكمة الله جل وعلا ، وقوم هود عليه السلام تفوقوا في أمر

القوة ، ولذلك اغتروا بقوتهم في قول الله جل وعلا " وقالوا من أشد منا قوة " وقد كانوا يبنون المدائن العظيمة ذات العماد فكان من مدائنهم مدينة اسمها " إرم " حكي الله عنها وعن شيء من صفاتها في سورة الفجر قال " إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فكانوا أقوياء يحملون الصخور على أكتافهم ويأتون بها من الأماكن البعيدة وكانت القري المجاورة لهم تخافهم وتخاف بطشهم ، فأجر الله جل وعلا المعجزة على نبي الله هود متحديا لهم وهي التحدي لهم أن يمسوه بسوء قال الله عن هود عليه السلام " إني توكلت على الله رب وربكم ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها " وهذا تحدي ثم قال " فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون " يقول إن كنتم حقا أقوياء فأنا أتحداكم جميعا وأنا في مكاني هذا أن تمسوا مني شيئا على قوة هذه وعلى جبروتكم التي لأن لها الصخر وتكسرت من أجلها صخور الجبال ؛ فأتحداكم الأن أن تمسوني بشيء من السوء ، فما استطاعوا ، فمعجزة نبي الله هود هي أن تحداهم في قوتهم ، فلم يستطع أحد منهم أن يصل إليه بسوء لأن الله سبحانه هو أشد منهم قوة ، وكذلك معجزة نبي الله عيسي عليه السلام فإن بني إسرائيل من النصارى كانوا متفقون في الطب وإلي الأن هم متفوقون في الطب وعندهم من الطب ما ليس عن غيرهم ، فجعل الله جل وعلا معجزته من هذا الجنس ، ولكنه طب لا يستطيعه الأطباء ، فعادة الأطباء أنهم يرفعون أيديهم عن الأبرص لا يستطيعون فعل شيء معه ولا يعالجوه ، فعيسي عليه الصلاة والسلام بأمر الله وإذنه كان يمسح جسم الأبرص ثم يرده الله على أحسن ما كان فتحداهم بذلك ، وصارت معجزته متناسبة ومتناسقة مع ما يتقنون لأن هذا أوقع في قيام الحجة ، ولكن لو كان معجزة نبي الله موسي على الطب !!! فاليهود لا يفهمون في مثل هذا الأمر (الطب) فلا تقوم

عليهم الحجة ، وكان عيسي عليه السلام يأتي بشيء لا يستطيعه الأطباء وهو أنه يمر على صاحب القبر ويقول له مناديا له باسمه ثم يقوم ينفض الغبار عن رأسه ، والأطباء أبدا لا يستطيعون فعل هذا مطلقا ، والأطباء لا يستطيعون تحريك الجمادات أو نفخ الأرواح ، أو عيادة الحياة في جسد خرجت منه الروح ، وأما عيسي عليه الصلاة والسلام فكان يستطيع بأمـــر الله، ولذلك الله جل وعلا ينبه في ثنايا الآيات ويقول تعالى " بإذن الله " ثم في الآية الثانية قال " بإذني " وهذا لا يستطيعه عيسي عليه السلام من قبل نفسه ، وإنما هو بأمر الله جل وعلا ، وأما خاتمهم ومقَدمهم وأكرمهم عند الله وأرفعهم منزلة عند الله جل وعلا نبينا ﷺ فكانت معجزته أيضا من جنس ما يتقنه قومه وهو البلاغة والفصاحة ، فقد كانت قريش أُتيت من البلاغة والفصاحة ما جعل الفصحاء والبلغاء من أهل القري المجاورة يتحاكمون إلي لغة قريش ، فكان الشعراء من تلك البلاد يجتمعون في سوق عكاظ ، ومِجنة وغيرها وينتدب لهم رجل من قريش ويستمع أشعارهم ثم يقيم هذه الأشعار لهم ، ويحتكمون ويفتصلون أمرهم وتنهي مناوأتهم في مر اللغة والفصاحة والبلاغة إذا نطق القرشي بشيء ، حتي إنهم إذا اختلفوا في شيء رجعوا إلي لغة قريش ، ولذلك لما جاء عثمان رضي الله تعالى عنه لما جاء ليجمع القرآن قال لهم لزيد وغيره من الصحابة ممن أمرهم بجمع القرآن قال لهم " إذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلسان قريش فإنه بلسانها نزل " ، فأمر الفصاحة والبلاغة عندهم لا يطاق ، وبلغوا في الفصاحة المبلغ العالي ، فأنزل الله كتابه بفصاحة وبلاغة وإعجاز أعجزت ألسنتهم أن تعارضه ، وتحداهم تحدي القادر، المقتدر، القدير سبحانه الذي لا يعجزه شيء سبحانه وقال " فليأتوا بمثله " ثم تنزل معهم وقال " بعشر سور من مثله " ثم تنزل معهم وقال

"فليأتوا بسورة من مثله " ، ويوم أن جاء هذا الكذاب الأفاك مسيلمة الكذاب يريد معارضة القرآن جاء بكلام يضحك منه السفهاء قبل العقلاء فقال " الفيل وما أدراك ما الفيل له خرطوم طويل وزَنب قصير" وكانوا إذا قُرأ عليهم القرآن شخصوا بأبصارهم وفغروا أفواههم فلا يستطيعون يعارضونه أبدا ، لما أرسلوا الوليد ابن المغيرة إلي النبي ﷺ يعرض عليه بعض الأشياء فقال له يا محمد نعطيك ونزيدك ،والنبي ﷺ مطأطأ راسه فلما فرغ قال له النبي ﷺ " أفرغت " قال نعم ، فقرأ النبي ﷺ عليه أول سورة فصلت " حم " فنظر الوليد إلي النبي ﷺ وسكت ، فكانوا هم أهل بلاغة وفصاحة ولذا كان القرآن يأخذ بألبابهم ، وكانوا يعرفون معني القرآن هذا ، فلما رجع الوليد إلي قومه قالوا نقسم بالله أن الوليد رجع بغير الوجه الذي جاء به ، فقال لهم أنا سمعت الكهنة وتمتمتهم ، فما هذه بتمتمة الكهنة، وجلست مع السحرة وعرفت عقدهم ونفثهم ؛ فهو ليس بساحر، وستأتيكم العرب في موسم الحج فأجمع رأيكم بشيء ، فلو لقيهم وقرأ عليهم من هذا القرآن سيسلمون فأنظروا ما أنتم صانعوا ؟ فقالوا أَشرِعلينا فقال إن قلتم قول شاعر فما هو بقول شاعر فليس من قوافي الشعرة ولا أوزانهم في شيء منه بل هو بعيد كل البعد عن قول الشعر، وإن قلتم كاهن فضحوكم ، ولكن قولوا أنه ساحر وأنه كان يعلمه بشر، فأنزل الله تعالى فيه " إنه فكر وقدر فقتل(دعاء عليه) كيف قدر (بأي عقل قدر) ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر"، بل كانوا يأتون في الليل قرب بيت النبي ﷺ وهو قائم يصلي يستمعون القرآن فربما سقط بعضهم في بعضهم بسبب ظلمة الليل وقال من أنت ؟ من أنت ؟ فيتعاهدون على أن لا يرجعون فتأبي بلاغة القرآن وفصاحته وأخذه بمجامع قلوبهم إلا أن

يرجعوا له مرة ثانية ، فهذه هي شأن المعجزات أنها تكون متناسبة مع ما يدعيه هؤلاء القوم أو ما يتقنونه ، أو ما بلغوا الغاية العظمي والدرجة القصوى ، والمنزلة السنية فيه ، فتأتي هذه المعجزة تكسر رؤوسهم وتظهر عجزهم وتبين أن فوق قدرتهم وطاقتهم ربا لا يعجزه شيء جل وعلا ، فهذا هو شأن المعجزات .

4-المعجزات من خصائص الأنبياء وأنه لا يمكن أبدا أن يجري الله جل وعلا على يد أحد من الخلق معجزة غير الرسل ، فكل من يدعي إجراء المعجزة عليه فإنه كذاب وكافر .

5- المعجزة تأتي ابتداء أو تأتي بالطلب ، فإن جاءت المعجزة ابتداء لم توجب تعذيب من كذب بها إلا إذا عاند وحارب الرسل ، وأما إن جاءت بالطلب فإن الهلكة تأتي بعد التكذيب بها مباشرة ، ولذلك يقول الله جل وعلا " وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون " ، فإن جاءت المعجزة ابتداء لم يستلزم العذاب التكذيب بها إلا إذا حورب الرسول فينزل العذاب ، وأما إذا جاءت بالطلب فاعلم أن العذاب يأتي بعد التكذيب بها مباشرة ، ولذلك لما طلب كفار قريش وقالوا يا محمد نريد معجزة (هذه معجزة طلب) " قالوا لن نؤمن لك حتي تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيل أو يكون بيت من زخرف أو ترقي في السماء ولن نؤمن لرقيك حتي تنزل علينا كتابا نقرأه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسول " ثم قال " وما منع الناس أن يؤمنوا إذا جاءهم الهدي إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا " ،يقول العلماء فلو أن الله أجاب كفار قريش إلي هذه المعجزات وحققها لهم وكذبوا بها لأصابهم عذاب الاستئصال مباشرة ، ولذلك من رحمة الله أنه سبحانه لم يستجيب لهؤلاء القوم رحمة بهم ،

فعلمنا إذا أن المعجزات تأتي ابتداء ولا تستلزم العذاب بالتكذيب إلا إذا حُرِب الرسول ، وتأتي بالعذاب إذا كذب أهلها ، ولذلك يقول الله جل وعلا عن الحواريين أنهم قالوا لعيسي عليه الصلاة والسلام لما طلبوا منه معجزة طلـــب " هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسي ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وأخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين " ، أي من يكذب بها ويستمر على كفره وتكذيبه بك يا عيسي فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ، فهذا كانت معجزة طلب فقُرنت بالعذاب مباشرة بالتكذيب ، ولذلك لا تستعجل الأمم فاستعجالها دليل على حمقها واستعجالها للعذاب ، وإن من أعظم من كتب في المعجزات أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه الكبير المفيد الذي لم يُبحث مثله في هذه المسألة وهو كتاب " النبوات " ، وأضيف هنا مسألة مهمة وهي أن :- تسميتها بالآية والبرهان أولي من تسميتها بالمعجزة لأن المعجزة أمر شرعي والمتقرر أن " التعبير عن المعاني الشرعية بألفاظ النصوص أولي " ، وألفاظ النصوص سميت المعجزات " برهانا " " وآية " فتسميتها بالآيات " والبراهين " أولي من تسميتها بالمعجزات مع أن تسميتها بالمعجزات صحيحة ، ولكن الأولي من ذلك أن تسميها " آية " أو " برهانا " للاتفاق مع لفظ القرآن .

ثم قال :-

" كذا كرامات عباد أوليا "

اعلم أيها القارئ الحبيب رحمني الله وإياك أن خوارق العادات (أن يجري على يدي البشر شيء خارج عن قدرة البشر) التي تجري على يدي البشر لا تخرج عن ثلاثة أقسام :-

1- المعجزات وقد مر علينا :- وهو أمر يجريه الله جل وعلا على يد النبي لإظهار صدقه في دعوي الرسالة ولإقامة الحجة على قومه .

2- الكرامة : - وهي أمر خارق للعادة يجريه الله جل وعلا على يد أحد من أوليائه ، ولكن لا ليظهر صدقه لا لأن هذا من خصائص الأنبياء والرسل (المعجزات) ؛ وإنما ليثبته ويظهر فضله .

3- مخاريق السحرة والشياطين وسيأتي بيانه بعد ذلك إن شاء الله تعالى .

مسائل في الكرامات :-

1- أجمع علماء أهل السنة والجماعة على وجوب الإيمان بما ثبت من الكرامات كتابا وسنة ، وأنه لا يجوز التكذيب بشيء من هذه الكرامات الثابتة ، وإنما يشترط أهل السنة والجماعة ثبوتها فقط فإذا ثبتت فإنه يجب علينا ان نؤمن بها وأن نصدق بها التصديق القطعي الذي لا يخالطه شك ، ولذلك لا تجد كتابا من كتب أهل السنة والجماعة إلا وفيه وجوب الإيمان بالكرامات ، وهذه الكرامات قد ذكر منها القرآن أشياء كثيرة ، وقد ذكرها الإمام اللالكائي رحمه الله تعالى في كتابه " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " في المجلد الأخير منها على سبيل المثال : - الكرامة التي أجراها الله جل وعلا على يد أم موسي عليه السلام وهي صدِّيقة رضي الله عنها وأرضاها ، وليست نبيه خلافا لابن حزم وبعض من ينتسب لسنة ، فأم موسي عليه السلام أوحي الله إليها قال الله " وأوحينا إلي أم موسي أن أرضعيه " وهذه هي الحالة الأصلية ، وإذا تعذر

الأصل يصار إلي البدل ثم قال الله جل وعلا " فإن خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين " وهذه كرامة أن حفظ لها ولدها وأن اختاره من جملة بني إسرائيل وجعله نبيا ورسولا لهم ، ثم اختار ولد هذه المرأة الصالحة أن يتربى في حجر عدوه الذي قتل الأولاد واستحي النساء ، ويأبي الله من فوق سبع سموات إلا أن يتربى هذا الرجل في حجر فرعون والذي سوف يكون موته وهلاكه وزوال ملكه على يديه فهو يربيه له .قال الله " وأوحينا إلي أم موسي " والله أوحي لها مع كونها بيست نبيا لأن الوحي هنا هو الإعلام بالخفاء فهو وحي حاصل لبعض البشر ولكنه وحي لا تحصل به النبوة ، فهو ليس الوحي الذي تحصل به النبوة والرسالة ، مثل قول الله " وأوحي ربك إلي النحل " ولا نظن أن أحدا يقول أن النحل نبيا ورسولا !!! فإذا هذا إعلام بخفاء أي أنه ألقي في روعها أن تفعل ذلك . ومن ذلك أيضا ما أثبته القرآن من كرامة مريم الصديقة رضي الله عنها وأرضاها فإن الله أجري على يدها كرامة وهي أنها أنجبت ولدا صار رسولا من غير أب وهذه كرامة أجراها الله على يد هذه المرأة الصالحة . وكذلك الكرامة التي أجراها الله على يد آسيا امرأة فرعون بعد إيمانها واستقامتها قالت " رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجي من القوم الظالمين " وهذه كرامات . وكذلك الكرامة التي أجراها الله على يد ذلك العبد الصالح في قرية "نينوى " وهي القرية التي أرسل الله فيها رسولين فكذبوهما فعززنا بثالث وهي قرية " نينوى " ومع ذلك جاء ذلك الرجل يأمر قومه ويدعوهم إلي الله فاجتمعوا عليه فقتلوه فأخبر الله عنه أنه دخل الجنة مباشرة " قيل ادخل الجنة قال يا ليت

قومي يعلمون بما غفرلي ربي " والكرامات كثيرة في كتاب " اتحاف أهل الألباب "

.

وأما الكرامات في السنة فهي أيضا ثابتة :-

فأهل السنة والجماعة يؤمنوا بها إيمانا قطعا جازما ، لكن أهل السنة والجماعة يشترطون شيئا :- وهو ثبوت هذه الكرامة .

2-اعلم أن الكرامة من خصائص أولياء الله المتقين ، فكل من ادعى أن هذا الذي جري على يديه كرامة فلابد أن نعرض حاله أولا على الكتاب والسنة فإن كان متفقا مع هدي الكتاب والسنة فنصدق ونؤمن بأن هذه كرامة إذا فصل القول فيها أهل السنة والجماعة ، وأما تظهر الكرامات على يد المخاريق والدراويش الصوفية ومهاويس الشيعة والرافضة فإن هؤلاء وإن مشوا على الماء ، وطاروا في الهواء ، وإن أكلوا الجمر ، وأدخلوا السيوف في بطونهم ، وإن أكلوا شيئا فخرج من أدبارهم فكل ذلك مما من مخاريق السحرة والشيطانين فهي التي تفعل بهم ذلك ، لأن الله يقول " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون " والكرامة من خصائص أولياء الله المؤمنين المتقين ، ولذلك نجد أن من الناس من يدخل الناريخرج سليم ؛ ولذلك تحدي أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى تحدي هؤلاء الرفاعية ، والبطائحية ، وقال إن بعضهم يدهن جسمه بدهن " النارنج " وهو دخن يمنع الاحتراق فقال فلنغتسل قبل دخولنا في النار وندخل أنا وإياكم في الناروالذي يحترق عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فرجعوا وخافوا ورجعوا عن المناظرة .

وتجد بعضهم يدخل الجمر ثم يخرجه ، وتجدون الأن في هذا الزمن من تطأ السيارة الثقيلة على صدره ثم يخرج سليما ، أو يأتون بالدبابيس ويفرشونها مع الزجاج ثم يمرون عليها ، أو يأكل الزجاج ، أو يدخل الأفعى الكبيرة في فمه ، أو السيف في فمه ، أو يدخل النار في فمه ثم يخرجها ، كل هذه ليست بكـــــرامات عند أهل السنة والجماعة لأنها تجري على يد أناس قد خالفوا هدي الكتاب والسنة ،

ومثل هذه الخوارق التي تجرى على يد كثير من الكفرة الذين لم يدخلوا في لإسلام أصلا ؛ فضلا عن هؤلاء المبتدعة الذين خالفوا الكتاب والسنة ،. فليس كل من ادعي الكرامة لا بد أن نقبل دعواه لا بل نعرض حاله على الكتاب والسنة ،. فإن كان متفقا مع ما جاء به الكتاب والسنة فأهلا ومرحبا ونقبله ، وإلا يكون ما جري على يديه هو الخارق الثالث وهو مخاريق السحرة والشياطين والكهنة .

3- القاعدة المتقررة عند أهل السنة والجماعة تقول " كن طالبا للاستقامة لا للكرامة "

أي أن العبد لا يجوز له أن يقصد بقلبه أن يكرمه الله جل وعلا بشيء من الكرامات حتي يظهر فضله فلا يطلب العبد الكرامة ، ولكن ينبغي للعبد أن يطلب الاستقامة على هدي الكتاب والسنة فقط ، فإن جاءت الكرامة ابتداء وتفضلا من الله جل وعلا فالحمد لله ، بل حتي لا يشرع الدعاء بها بل هو من البدع ، فكونك تدعوا وتقول " اللهم إني أسالك أن تجري على يدي خارق الكرامة " هذا ليس من السنة ، ولذلك ينبغي على العبد أن يحرص

وأن يكون قصده في المقام الأول هو طلب الاستقامة ، وأما الكرامة فإنها تجري من غير طلب ، وأما عامة أهل البدع من الصوفية وغيرهم فإنهم يحرصون على طلب الكرامة ، ولذلك تجد الواحد منهم ربما نام مع الأفعى طوال الليل فإذا خرج من الغرفة سليما صار عندهم وليا من أولياء الله لأنه نام مع حيوانا وهي الأفعى ولم يصاب بأذى ، ولكنها هذه لا تكون من الكرامات ، وبعضهم يبيت في البراري والصحار، والقفار البعيدة بدون ماء ولا طعام الليالي ذوات العدد فإذا رجع سليما رفعوه لمرتبة الولاية وقالوا ولي أطعمه الله وسقاه ، وهذا كله من مخارق ودراويش الصوفية ،ولكن أهل السنة والجماعة يقولون لا شأن لك بالكرامة وإنما لك شأن بالاستقامة ، فأنت استقم كما أمرك الله " فاستقيموا إليه واستغفروه" وفى الحديث من وصيته ﷺ لذلك الصحابي سفيان ابن عبد الله الثقفي قال يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك قال " قل أمنت بالله ثم استقم " ، قال الله " فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا " ، فإن أراد الله جل وعلا ابتداء أن يجرى على يدك القيامة فهذا فضل ونور على نور .

4- قاعدة مهمة عند أهل السنة والجماعة وهي " ليس من جرت على يديه كرامة يلزم أن يكون أفضل ممن لم تجرى على يديه " ، فإجراء الكرامة على يد أحد من الأولياء ليس دليلا على أنه أفضل ممن لم تجرى على يديه هذه الكرامة ، ولذلك لو حسبت ونظرت إلي الكرامات التي أجراها الله على يد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لوجدتها أكثر بكثير من الكرامات التي جرت على يد أبي بكر رضي الله عنه ؛ مع أن الأمة مجمعة على أن أبا بكر أفضل من عمر رضي الله

عنهما ، بل هو أفضل الخلق من الإنس والجن بعد الأنبياء والرسل هو أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه ، ومع ذلك لم تجرى على يديه كثير من الكرامات ، بل إن من المتأخرين من السلف الصالح من أجرى الله على يديه من الكرامات ما لم يجره على يد الصحابة رضي الله عنهم ، ومع ذلك الأمة متفقة على أن الصحابة أفضل الأمة على الإطلاق فما كان ولا يكون بعدهم ، فليست الكرامة دليلا على التفضيل المطلق بل هي فضل ، وكرامة ، وتثبيت من الله ، ولكنها ليست مجالا لتفضيل بين المؤمنين ، فلا تقول هذا أفضل لأنه مؤمن ، ولأنه يصلي وجرت على يده كرامة لا ، فالكرامة ليست مجالا لتفضيل بين عباد الله ، إذا قد يكون من لم تجرى على يده الكرامة أعلى درجة ومنزلة عند الله ممن لم يكن جرت على يديه الكرامة ؛ لأن من مقاصد الكرامة تثبيت الولي ، وهذا موكول إلي إيمانه فلا يحتاج إلي تثبيت ، وهذا فضله ظاهر ولا يحتاج إلي شيء يثبته فهو موكول إلي إيمانه ، ولكن هذا الولي قد يقع في موقف ما معين كإكراه ،أو ضرورة ، أو موقف محرج له ، فربما يختل فيجري الله على يديه الكرامة من باب تثبيته ، مثل ما كان خُبيب يأكل عنقودا من العنب في مكة قبل أن يقتلوه وهو محبوس ، فهذه كرامة من باب التثبيت ، وما أجملها إذا جاءت في وقتها ،

ثم اعلم أيها الحبيب أن كل مؤمن له كرامة ، فأعظم الكرامة التي يمتن الله لها عليك كرامة التوفيق لدين ، وليست الكرامة أن تأكل أكل معينا ، لا بل الكرامة أن تهتدي إلي طريق الموفقين والسعداء والصالحين ، وتنقذ من النار، فنحن إذا مكرمون بتكريم الله لنا بهذا الدين ، وأعطانا الله كرامة أخرى غير الإسلام وهي كرامة الاستقامة على طريق أهل السنة والجماعة

فكم من مسلم ولكنه مسلم أشعري، ومسلم صوفي ، ومسلم بعيد عن الله ، فهم مسلمون في الأصالة ولكن عندهم بدع ، ولكنك امتن الله عليك بكرامة التوفيق للإسلام ، وكرامة التوفيق للانضمام لدائرة أهل السنة والجماعة ، ثم إذا ترقيت بعد ذلك قد يكرمك الله بكرامة ثالثة وهي أن تكون جهبذا من جهابذة أهل السنة والجماعة وعالم من علمائهم ، ومفتي من مفتيهم ، بل إن جلوسنا في مجالس العلم والذكر نوع من أنواع الكرامة فتحفنا الملائكة ، وتغشانا الرحمة ،، وتتنزل على مجالس العلم السكينة فهذه كرامة ، فكم من أناس وأنت الأن تستمع العلم وتقرأ العلم ؛ وغيرك من الناس يشرب الخمر الأن وما وفقه الله ، وكم من إنسان جالس يسمع الغناء ، وكم من إنسان يزني ، وكم من إنسان يسرق ، ومع ذلك الله قادنا وأخذنا بنواصينا في هذا الوقت لاستماع العلم ومطالعته أليست هذه كرامة !!!! ؟هذه كرامة عظيمة ، وبرك بوالديك كرامة ، التزامك بشريعة الله هذه من أعظم الكرامات ، فلا تنظر لمن أُعطي الكرامة على أنه أفضل منك لا ، لأن الكرامة ليست مجالا لتفضيل بين المؤمنين .

5-أن من تعنه كرامته على طاعة الله وحمده وكثرة شكره وتحمله على التواضع للحق والخلق فليست بكرامة نافعة ، فالكرامة قد تجرى من الله للبعض ولكنها تكون سببا لغروره ، وإبراز نفسه ، ورؤية ذاته ، وتكون سببا من الأسباب التي توجب له الأمن من مكر الله فيتنازل عن شيء من الطاعات ، وتسول له نفسه أن الله ما دام قد أجرى على يدي هذه الكرامة فقد أراد بي خيرا ، فربما يحمله ذلك على التقصير في حق الله جل وعلا اتكالا على الرجاء ، والمغفرة ، وأما العبد إذا جرت على يديه كرامة ثم قام بشكر الله جل وعلا وحمده ، والثناء

عليه ، و الانطراح بين يديه، والاعتراف بالتقصيرفي جنبه ، ثم حمله ذلك على التواضع لله جل وعلا وللخلق ، وازدادت جذوة الإيمان في قلبه ، وازداد بريق ونور محبة الله جل وعلا في قلبه ، فهذه هي الكرامة النافعة ، فمن لم تحمله الكرامة إلا على الرياء والسمعة ، ورؤية الذات فليست بكرامة حقيقة ، وكل الذي ذكرته هنا من الكرامات مجمل المسائل التي قررها أهل السنة والجماعة في بهذا الباب .

إذا هما عقيدتان عندنا حملهما هذا البيت :-

1-وجوب الإيمان بمعجزات وبراهين وآيات الأنبياء .

2-الإيمان بكرامات الأولياء .

مسألة هل يمكن أن تستمر الكرامة كما تستمر المعجزة أحيانا ؟ نعم قد

يكون ، وأليس استمراربعض المؤلفات أزمنة طويلة تعاقبت علها الدهور ، ويدي طلبة العلم ،أليست هذه كرامة لهذا الولي !!!!!! أوليس إقبال الله بقلوب العباد على قراءة هذه الكتب وقد توفي من مئات السنين ولا تزال الأمة تتفي ظلال هذه المسائل وهذه التقريرات والأجوبة ، وصحابها قد توفي ، وليس ثمة من ينشرله ، وليس ثمة أبناء يهتمون بمؤلفاته ، ولكن الأمة عن بكرة أبيها مقبلة بقلوبها على هذا التأليف ، أوليس استمرارهذه المؤلفات كرامة !!!!!!!! هذه كرامة .

بل إن من الكرامات التي يجريها الله على يدي الأولياء أن يبقي له الذكرالحسن

بين الناس قال الله عن بعض أنبيائه قال " واجعل لي لسان صدق في الأخرين " أي اجعل الأخرين الذي يأتون بعد يذكرون بخيروأكون داعية لهم على الخير، وقال

الله " إنا أخلصناهم بخالصة ذكر الدار" أي هذه الدار الدنيا لا يزال هؤلاء الصالحون يذكرون بها بخير، بينما خلد الله ذكر فرعون وهو ذكر شر، فإذا جعل الله جل وعلا ذكرك ممن تذكر بخير فهذه كرامة مستمرة لك ونعمة عظيمة من الله ، ولله در الشاعر إذا يقول " فاعمل لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثاني "

أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى توفي عن عمر سبع وستون عاما هذا هو عمر الفعلي ولكن عمره الذكرى قرون ولم ينته ولن ينتهي إن شاء الله ذكر أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى ، فهذه كرامة عظيمة لشيخ أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى .

3--الخارق الثالث ممن يجري على يد بعض الناس وهي الخوارق الشيطانية :- وهو مما يجرى على يدي السحرة وأمثالهم من المشعوذين ، والكهنة فهذه تجرى على أيديهم خوارق ولكنها خوارق مبدئها من الشيطان ، وفى الأعم الأغلب أن الشيطان لا يعين هؤلاء إلا بعد أن يقدموا له قربان الكفر بالله جل وعلا ، أو سب الله ، أو سب رسوله ، أو سب دينه والعياذ بالله تعالى ، وإذا سمعت ما يفعله السحرة قبل تعلمهم وتعاطيهم السحر لتقذذت نفسك من ذلك والعياذ بالله ، وكلما كان الساحر أشد كفرا كلما كان معونة من قِبل الشياطين ، ومن ذلك ما ذكره الله جل وعلا مما أجرته الشياطين في تلك العصي التي ألقاها سحرة موسي قال الله " يخيل إليه من سحرهم أنها تسعي " وهذا خارق للعادة ولكنه مرده إلي الشياطين ، وهذا أغلب ما يجرى على يدي هؤلاء الكهنة والسحرة من الإخبار بالأمور المغيبة ، أو الاستدلال على الأشياء الضائعة إنما يكون بسبب الشياطين الملابسة له .

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى :-

" والفاسق الملي ليس يكفر بل ناقص الإيمان في ما قرر لا يَخلدن في النار من أحد أعني به الخلود دوما للأبد "

هذه قاعدتان عند أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة ، إذا قرأت كلمة "الفاسق الملي" اعلم أنه هو مرتكب الكبيرة ،لأن ارتكاب الكبيرة يوجب الفسق ، ومعني "الملي " أي فاسق من ملتنا وهي ملة الإسلام ، يقول النبي ﷺ كما في صحيح البخاري من حديث أنس قال " من صلي صلاتنا واستقبل قبلتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته " فهؤلاء أهل القبلة فهم مسلمون بالأصالة ولكن عندهم كبائر يرتكبونها وماتوا عليها ولم يتوبوا فعقيدتنا فيهم أنه عندنا فيهم عقيدتان متمثلتان في قاعدتين :- فمرتكب الكبيرة له حكما عندنا في الدنيا وله حكم في الأخرة ، فأما حكمه في الدنيا فيتثمل في القاعدة التي تقول "مرتكب الكبيرة ناقص الإيمان " ، أو تقول بعبارة أخرى " أهل السنة والجماعة لا يعطون مرتكب الكبيرة الإيمان المطلق ولا يسلبونه مطلق الإيمان " ، وذلك أن مؤشر الإيمان ينقص في قلبه بسبب ارتكاب هذه الكبيرة ، فإذا جنى المسلم كبيرة من الكبائر فإنه ينقص مؤشر إيمانه لكنه لا يخرج من دائرة الإسلام بالكلية بل يبقي معه شيء من الإسلام ن ولذلك يقول الناظم " جاني الكبيرة ليس يكفر عندنا " (معاشر أهل السنة والجماعة) ، والدليل على أن جانى الكبير لا يكفر ولا يخرج صاحبه من دائرة الدين أقول الأدلة على ذلك كثيرة منها :-

قول الله " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما " ، ويقول النبي ﷺ "إذا التقي المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار" فالأمر جد خطير، وقد أجمع العلماء أن القتل العمد العدوان بدون مسوغ شرعي محرم في كل الشرائع ، فلا يجوز للعبد أن يقدم على قتل النفس فهو كبيرة بالإجماع ، وموبقة من موبقات الذنوب وكبائر العصيان ، الله قال في هذه الآية " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا " سماهم مؤمنين فما خرجوا بهذا القتال من الإسلام ، " فأصلحوا بينهم فإن بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتي تفي إلي أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة " فسماهم مؤمنون في أول الآية وفي الآية التي بعدها ، وهذا دليل على أن من قتل نفسا بغير حق فإنه وإن وصفناه بأنه فاسق ومرتكب للكبيرة ولكن هذا لا يوجب له أن يكون خارجا من ملة الإسلام ،

وكذلك في قول الله جل وعلا في من قتل غيره عمدا عدوانا قال الله " فمن عفي له من أخيه "

سماه أخا للمقتول ، فوصف القاتل بأنه أخ للمقتول ولأولياء المقتول مع أنه ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب ولكن ارتكابه لهذه الكبيرة لم توجب أن يكون خارجا من الدين بالكلية ، وقد أجمع العلماء رحمهم الله على أن من زني فإنه وإن أقيم عليه الحد فإنه يغسل ويكفن ويصلي عليه ، فلوكان ارتكابه لهذه الكبيرة موجبة لخروجه من الدين لما جازذلك ، والأدلة على ذلك كثيرة وقد ذكرت في غيرهذا الموضوع ، وهذا بإجماع أهل السنة والجماعة ،

وبالمقابل نجد هناك أدلة تخيف تدل على أن ارتكاب الكبيرة تخرج من الدين ، وتوجب الخلود الأبدي في النار، فأقول " كل نص من الكتاب والسنة يثبت عقوبة

على كبيرة ويقيدها بالخلود فإنما يراد به مطلق الخلود لا الخلود المطلق " ، مثال ذلك قول الله جل وعلا " ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزائه جهنم خالدا فيها " وهذا خلود على ارتكاب كبيرة فيفهم منه أهل السنة والجماعة أنه مطلق الخلود لا الخلود المطلق ، بمعني المكث الطويل في النارولكن لا يخلد في النار أحد ممن معه أصل الإسلام كما سيأتي شرحه في البيت التالي إن شاء الله.

وأيضا في قوله ﷺ في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال " من قتل نفسه بحديده فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نارجهنم خالدا مخلدا فيها أبدا " ، وقتل النفس كبيرة فانتحاره كبيره ومع ذلك في الحديث قال " خالدا مخلدا فيها أبدا " وهذا مما يستدل به الخوارج على أن مرتكب الكبيرة كافر، ولكن أهل السنة والجماعة يفهمون منه أن كل نص يثبت عقوبة على ارتكاب الكبيرة ويصفها بالخلود فإنما يراد به المكث الطويل ، لكننا نؤمن أنه سيخرج من النارفي يوم من الأيام لأن معه أصل الإسلام ، وهذا هو الذي أريد التنبيه عليه هنا ، فإذا ارتكب العبد كبيرة فإن مؤشر إيمانه ينقص ولكنه لا يخرج من دائرة الإسلام بالكلية .

ولتعلم أخي القارئ الكريم أن مرتكب الكبيرة قد ضلت فيه طائفتان :- (المعتزلة أتباع واصل ابن عطاء ـــــ الخوارج) .

فالمعتزلة قالوا لا نقول على مرتكب الكبيرة كافر، ولا نقول مؤمن ، ولكن نقول هو بعد ارتكابه للكبيرة خرج من الإسلام ولكنه ما دخل في دائرة الكفر؛ فصار في منزلة بين منزلتين ، فلا هو مؤمن ولا هو كافر، فيحكمون على مرتكب الكبيرة في الدنيا أنه (ملص) خرج من الإسلام ولكنه لم يصل إلي دائرة الكفر، فهو في منزلة بين المنزلتين فلا هو مسلم ، ولا هو كافر ، وقد قال الناظم فيهم " وخالفت في ذلك المعتزلة وقررت توسطا في المنزلة وقالت الخوارج الحيارى بكفره

صراحة جهارا " ، والذي يدل على أن قول المعتزلة هو بعينه قول الخوارج هو أن تقابل الكفر والإسلام تقابل نقيض ؛ فمثلا لو قتل في يدي منديل هل هو متحرك أم ساكن ؟ متحرك، ولما ضعته صار ساكنا ، فتقابل الحركة والسكون تقابل نقيض ، فلو صار ساكن لا يكون متحرك ، وإذا صار متحركا فليس بساكن ، فتقابل الإسلام والكفر تقابل نقيض (بمعني إذا ارتفع واحد منهما حل الأخر) فلا يمكن أن يرتفعا جميعا ولا أن يوجدا جميعا ، فهم أخرجوه من دائرة الإسلام فعقلا مباشرة لا بد أن يدخل في دائرة الكفر. فالله يقول " هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن " فليس هناك شيء في المنتصف ، وليس هناك مكان أصلا بين الدائرتين لنضعه فيه ، فمن يوم خرج بقدمه من هذه الدائرة مباشرة تقع قدمه في الدائرة الأخرى ، ويدل على ذلك مذهبهم فيه في الأخرة فقالوا يدخل النار. فكيف أنه ليس بكافر في الدنيا وأدخلتموه النار في الأخرة !!!!؟ قالوا لأنه ليس بمؤمن ، قلنا لهم وليس بكافر كما قلتم ، فالحق على قولكم أنه يوضع على مكان بين الجنة والنار وهذا هو الحق جريا على قولكم فلا يستحق الجنة لأنه خرج من دائرة الإسلام ، ولا يستحق النار لأنه لم يدخل في دائرة الكفر. لكن الله فضحهم ، فقالوا في الأخرة خالد مخلدا فيها أبدا فقالوا بقول الخوارج فكلهم في الأخرة يتفقون أنه خالد مخلد فيها أبدا ، فهذا دليل على أن حقيقة قولهم في الدنيا فيه أنه كافر أصلا ولكنهم استحوا ولذلك يسميهم أهل السنة والجماعة " خناثى الخوارج " أي أنهم مخنثون ، الخنثى المشكل الذي لا تدري هل هو رجل ، أم أنه امرأة ، وهؤلاء لأنه استحوا وخجلوا من التصريح بكفره وضعهم أهل السنة والجماعة خناثى الخوارج : ولذلك قال الناظم " وقالت الخوارج الحيارى بكفره صراحة جهارا "

وأما الخوارج فقالوا كافر، ولذلك الخوارج صرحوا بما استحي المعتزلة منه ، فالخوارج كفروه .

وأما أهل السنة والجماعة قالوا مؤمن ناقص الإيمان، والخوارج قالوا كافر، والمعتزلة قالوا في الدنيا بين منزلة بين المنزلتين .

وأما في الأخرة :- لتعلم أن مذاهبهم في مرتكب الكبيرة في الأخرة هي نتيجة قولهم فيه في الدنيا ، فالخوارج حكموا عليه بأنه كافر الكفر الأكبر، فمذهب الخوارج في مرتكب الكبيرة في الأخرة أنه خالد مخلد في النار أبدا لا يخرج منها أبد الآباد ، ولا دهر الدهارير بل يخلد فيها كخلود فرعون وإبليس .

والمعتزلة قالوا خرج من دائرة الإسلام ولم يأتي إلي دائرة الكفر فقالوا هو في الأخرة خالد مخلد في النار لعدم وجود ما يوجب له دخول الجنة ، فاتفقت الخوارج والمعتزلة على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، ولذلك سماهم أهل السنة والجماعة الوعيدية ، فإذا سمعت اسم " الوعيدية " فيريدون بهذا الاسم الخوارج والمعتزلة في باب مرتكب الكبيرة .

وأما أهل السنة والجماعة قالوا لا نوجب دخلوا الجنة له ابتداء ولا نوجب له دخول النار ابتداء ، بل هو تحت مشيئة الله ، فالقاعدة عندنا معاشر أهل السنة والجماعة تقول:-

" مرتكب الكبيرة في الأخرة تحت المشيئة " ،

فإن شاء الله غفر له كبيرته وأدخل الجنة ابتداء ، وإن شاء عذبه في النار بقدر كبيرته ثم يخرجه منها إلي الجنة انتقالا ، يقول الناظم " جاني الكبيرة ليس يكفر عندنا (في الدنيا) ويكون بعد قيامة الأبدان (في الأخرة) تحت المشيئة إن أراد عذابه فبعدله أو إن أراد الثاني (المغفرة له) فبفضله فهو الرحيم بخلقه وهو الغفور لما جناه الجاني " فمرتكب الكبيرة يبقي بين الجنة والنار ينتظر فضل الله جل وعلا ، فإن أراد الله أن يغلب جانب عدله في هذا العبد على فضله أدخله النار، وإن أراد له أن يغلب جانب فضله على جانب عدله أدخله الجنة .

قاعدة " لا يخلد في النار أحد ممن معه أصل الإسلام " ، ولذلك يقول الناظم " لا يخلدن في النار منهم من أحد " ، فلا يخلد في النار أحد من أهل الكبائر أبدا ممن معه أصل الإسلام لا يخلد في النار فلابد أن يخرج منها وإن طالت فترة عذابه وإن بقي سنين طويلة ؛ ولكن مآله للخروج في يوم من الأيام من النار ، فيخرجه توحيده وإسلامه من النار بفضل الله تعالى أولا وأخرا ، يقول النبي ﷺ كما في الصحيح " يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن بُرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير" فلا يبقي في النار أحدا أبدا ولله الحمد والمنة ، ونسأل الله أن لا ندخلها مطلقا ، وأن يجعلنا ممن ينادون ابتداء إلي الجنة " ادخلوها بسلام آمنين " ، والأدلة على ذلك كثيرة .

أهل السنة والجماعة يسمون من دخل النار من أهل الكبائر ثم خرج منها يسمونه " الجهنميون " وهؤلاء يخرجون منها مساكين وقد امتحشوا .

واحترقوا ، وتفحموا ، كما في حديث أبي سعيد قال مرفوعا " أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بسبب ذنوبهم فيموتون في النار(يعذبون في النار) ثم يخرجون منها وقد امتحشوا ، فيلقون في نهريقال له نهر الحياة ، فيخرجون منه ينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ، ألم ترى أنها تخرج صفراء ملتوية " ، أو كما قال ﷺ ، فتتغيروجوههم ، وأشكالهم ، والنارتأكل كل شيء منهم إلا مواضع السجود ، حرم الله على النارأن تأكل مواضع السجود ، نسأل الله أن ينجينا من هذا الموقف العظيم ، وبعضهم إذا خرجوا من النارفي هذا النهريُنادي مناد " يا أهل الجنة إخوانكم أفيضوا عليهم من الماء قال فيفيضون عليهم من ماء الجنة وكل شيء مسه ماء الجنة فإن الحياة تعود إليه ، حتي إذا هُذبوا وصُفوا ونُقوا ، أُذن لهم حينئذ في دخول الجنة " وإذا دخول الجنة وجدوها ممتلئة ، ولكن أخررجل يدخل الجنة له " ملك عشرة ملوك من ملوك الدنيا " ، ويقول النبي ﷺ في ما يرويه عن ربه عز وجل أن أخررجل يدخل الجنة " رجل صرف الله وجهه عن النار..... الحديث" والحديث في آخره يقول الله له " أيرضيك أن تكون لك الدنيا ومثلها معها " قال رضيت يا رب فيقول الله له " لك ذلك ومثله معه ، ومثله معه ، ومثله معه ، حتي عد عشرة أمثال " ، وهذا أخرمن يدخل الجنة فنسأل الله أن يجعلنا من أوائل من يدخل الجنة ، اللهم أمين .

فعقيدة أهل السنة والجماعة في أهل الكبائر(مرتكب الكبيرة) ملخصة في هذه القواعد المذكورة آنفا وهي :-

1- مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان .

2- أنه يكون في الأخرة تحت مشيئة الله .

3- أنه لا يخلد في النار أحد ممن معه أصل الإسلام .

....

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى :-

" قاعدة والأصل في الشفاعة توقيفها جزما على الأدلة "

هذا البيت يقرر فيه المؤلف عفا الله عنه القاعدة المعتمدة عند أهل السنة والجماعة رحمهم الله في باب الشفاعات والتي تقول " والأصل في الشفاعات يوم القيامة أنها مبنية على التوقيف " أو الأصل في الشفاعة بنائها على التوقيف " ، والمراد بذلك أنه لا يجوز أن نثبت نوعا من أنواع الشفاعة يوم القيامة إلا وعلى ذلك الإثبات دليل ، فلا يجوز لعبد أن يتخذ شفعاء إلا بدليل ، ولا يجوز للعبد في شيء أنه سيشفع له إلا وعلى ذلك دليل ، لأن كل ما سيكون يوم القيامة إنما مبناه على الغيب ، وقد تقرر عند أهل السنة والجماعة قاعدة في أول هذه الأرجوزة المباركة " أن الأصل في أمور الغيب أنها مبنية على التوقيف ولا مدخل للعقول فيها " ، وقد أجمع أهل السنة والجماعة على ذلك ، ولذلك تجد أن الشفاعات التي يثبتها أهل السنة والجماعة كلها مبنية على الأدلة من الكتاب أو السنة ، وقد قسم أهل العلم رحمهم الله الشفاعة إلي قسمين :-

1- شفاعة شركية .

2- شفاعة شرعية .

أما الشفاعة الشركية :- فهي تلك الشفاعة الفاسدة الباطلة الوثنية التي يعتقدها الكفار في أصنامهم وأوثانهم ، ومعبوداتهم من دون الله جل وعلا ، فهم إنما يعبدون هذه الأحجار، والأوثان ، والكهوف ، والمغارات، وغيرها يرجون منها أن تكون شافعة لهم يوم القيامة ، وقد أفصح الله جل وعلا عن مكنون نفوسهم بقوله " ما نعبدهم إلا ليقربونا إلي الله زلفي " وأنكر عليهم في قوله تعالى " أم اتخذوا من دون الله شفعاء " ، فأصل صرف هذه العبادة لهذه المعبودات من دون الله إنما لاتخذها شفعاء ، فهم يرجون أن تنفعهم يوم القيامة، وأن تنصرهم في هذه الدنيا ، وأن تكون سببا في تقريبهم لله جل وعلا زلفا ، ولرفع درجاتهم ، ومنازلهم يوم القيامة ، وهذا الذي يسميه العلماء الشفاعة المنفية وهي الشفاعة التي نفاها الله جل وعلا في القرآن من أوله إلي أخره ، فكلما جاء إلي هذه الشفاعة أخرجها مخرج النفي قال الله جل وعلا " ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له " وقال " فما تنفعهم شفاعة الشافعين " وقال الله جل وعلا " ما نعبدهم إلا ليقربونا إلي الله زلفي إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار" فهم ما اتخذوا هذه الشفاعة وصف الله اتخاذهم هذا بالكفروالكذب ، فكل المعبودات لا يمكن أبدا أن تشفع لأحد من عابديها يوم القيامة ، ويكون مصيرهؤلاء ومعبوداتهم يوم القيامة يتهاوون في جهنم والعياذ بالله تعالى ، لأنه يُنادي على رؤوس الخلائق في العرصات يوم القيامة " ألا كل من كان يعبد شيئا دون الله فليتبعه " فليتبع من كان يعبد الشمس ؛ الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر؛ القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت ؛ الطواغيت .... الحديث " وكذلك قال الله

جل وعلا " إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون " ، وقد أجمع علماء الإسلام على أن من اتخذ معبودا مع الله جل وعلا وظن فيه أنه يشفع له يوم القيامة فإنه قد وقع في الشرك من جهتين :- صرف العبادة لغير الله – ومن جهة اعتقاده في معبوده هذا أنه سيشفع له يوم القيامة ،

وهذه هي الشفاعة المنفية في القرآن ، ولذلك الأصل المتقرر عند أهل السنة والجماعة أن الشفاعة لله جميعا فلا تكون إلا بإذنه ، وأمره ، وتقديره ، ورضاه جل وعلا ، قال الله " فل لله الشفاعة جميعا " ، فهذا النوع متفق على حرمته ومتفق على أنه نوع من أنواع الشرك وهو الذي يعبر عنه الشيخ محمد ابن عبدالوهاب رحمه الله " باتخاذ الوسائط " في ما بينهم وما بين الله يدعونهم في كشف الملمات ، ويستغيثون بهم في تفريج الكربات، ويتخذونهم شفعاء عند الله جل وعلا يوم القيامة .

3- وهو القسم الثاني وهو الشفاعة الشرعية :-

وهي تلك الشفاعة التي نصت الأدلة على ثبوتها وأنها مما سيكون يوم القيامة ، وقد سبرها العلماء رحمهم الله تعالى فوجدوها جملا من الأنواع وهي :-

1- الشفاعة العظمي :- وهي المقام المحمود الذي سيُئتَاه نبينا ﷺ بوعد من الله في قوله " عسي أن يبعثك ربك مقاما محمودا " وقد اختلف العلماء في هذا المقام المحمود في تفسيره ، وأصح الأقوال أنه تمكينه وقبول شفاعته لفصل القضاء يوم القيامة ، وذلك أن الناس إذا اجتمعوا يوم

القيامة في عرصاتها ودنت منهم الشمس ، وألجمهم العرق يبلغ بهم من الكرب والهم ، والغم ما لا يطيقونه ،وما لا يحتملون في الحديث قال " فيأتون آدم فيقولون يا آدام أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد له ملائكته ألا تشفع لنا عند ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ، فيقول آدام إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني أكلت من الشجرة نفسي نفسي ، اذهبوا إلي غير اذهبوا إلي نوح ، فيأتون نوحا فيقولن يا نوح أنت أول الرسل إلي الأرض ، وسماك الله عبدا شكورا ، اشفع لنا إلي ربك ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ، فيقول نوح إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله .. وإنه كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي ، اذهبوا إلي غيرى اذهبوا إلي إبراهيم ، فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا عند ربك ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ، فيقول لهم إبراهيم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه كانت لي كذبات (((وكل هذه الكذبات في ذات الله تعالى كما قال ﷺ إنما كذب إبراهيم ثلاثا كلها في ذات الله ، وهو ما يسميه العلماء تعريضا وليس كذبا في الحقيقة والباطن وإنما هو من باب التعريض ، وذلك في موقفه مع قومه ونظر للكوكب والقمر والشمس قال هذا ربي ، ولما كسر كبيرا لهم وسألوه من فعل هذا قال بل فعله كبيرهم هذا ، ولما دخل إلي أرض الكِنانة مصر ،وكان بها ملكا ظالما ، قال لزوجته سارة إذا قال لك الملك من هذا الرجل معك فقول هذا أخي فإنه ليس

ثمة أحد على الأرض إلا أنا وأنت))) نفسي نفسي اذهبوا غلي غيرى اذهبوا إلي غيري اذهبوا إلي موسي ، فيأتون موسي فيقولن يا موسي أنت رسول الله اصطفاك الله برسالته وبكلامه وقربك نجيا ، اشف لنا إلي ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ، فيقول موسي إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإن قلت نفسا لم أمر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا غلي غيرى اذهبوا إلي عيسي ، فيأتون عيسي فيقولون يا عيسي أنت كلمة الله وروحه اشفع لنا عند ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ، فيقول لقد غضب اليوم ربي غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعد مثله ، ولم يذكر له ذنبا ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلي غيرى اذهبوا إلي محمد عبدٍ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال ﷺ فيأتوني فيقولون لي يا محمد أنت أخر الرسل إلي أهل الأرض اشفع لنا إلي ربنا ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ((والذي يأتيه ﷺ ليست أمته فقط بل كل الخلق من أول من خلقه الله إلي أخر من سيخلق الله ، وهذا هو المقام المحمود الذي يستشفع الأولون والأخرون بالنبي ﷺ بين يدي الله جل وعلا)) قال فارفع رأسي وأقول أنا لها أنا لها فأنطلق فأخر ساجدا تحت العرش ، فيفتح الله على من محامده ، وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد من قبلي ، فيقول الله لي يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع وسل تُعط ، واشفع تُشفع ، فأقول يا رب أمتي أمتي "

في حديث أبي سعيد في صحيح الإمام مسلم قال فيقول لي ربي " يا محمد اذهب فأدخل أمتك من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم مع الناس في

ما سوي ذلك من الأبواب ، ثم قال ﷺ في رواية أخرى " فو الذي نفسي بيده لما بين مصراعيها (الباب)كما بين مكة وأيله (منطقة في الشام) " ، فالشاهد أن هذا هو المقام المحمود وهو " الشفاعة العظمي " ، والحكمة منها ليست قضية دخول الجنة لا بل الحكمة فقط أن يتخلص الناس من هذا الموقف العصيب ، في يوم كان مقداره خمسون ألف سنة ، تأتيهم فيه من الأهوال ومن الكروب ، والعظائم ما لا يطيقونه وما لا يحتملونه فيردون أن يفصل بينهم في القضاء ، فالمقصود من هذه الشفاعة أن يفصل بين الناس يوم القيامة .

وأجمع أهل السنة والجماعة على أن هذه الشفاعة من خصوصياته ﷺ ، والعجائب أن أهل البدع أثبتوا هذه الشفاعة من المعتزلة الذين ينكرون أنواعا من الشفاعة ولكنهم يثبتون ومؤمنون بهذه الشفاعة .

2- الشفاعة في الجنة ليدخلوا الجنة :- وذلك أن أهل الجنة إذا جاءوها وجدوا أبوابها مقفلة ، فيستفتحون ولا يفتح لهم حتي يأتي النبي ﷺ فيطرق الباب وهذا الحديث في صحيح الإمام مسلم من حديث أنس رضي الله قال ﷺ " آتي باب الجنة يوم القيامة فأجده مغلقا فأطرقه فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول " محمد " ﷺ ؛ فيقول الخازن بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك " فيفتح فيكون أول من يدخل الجنة ﷺ ثم تتبعه أمته ممن هم من أهل الجنة ، وهذه المحاورة بين الخازن والنبي ﷺ لفتح أبواب الجنة هي العلة التي جعلت الرب جل وعلا يزيد الواو في قوله تعالى " وفُتحت أبوابها " لأن هذه الواو واو الانتظار ، أما النار فإن أبوابها لا تستفتح وإنما تفتحت فُجأة في وجوه أصحابها فيخرج عليهم من لهيبها

،وسمومها ، وحرورها ما لا يطيقون وما لا يحتملون ، وفرق بين الباب الذي تأتي وتطرق ثم يفتح فإنه يفتح في حال أمن في قلبك ، وبين الباب الذي تقف عنده ثم يفتح فجأة مباشرة ، فلم يزد الله الواو في النار" فتحت أبوابها " لأن أبوابها تفتحت من غير استفتاح ، فمتي ما وقف أهلها أمامها تفتح مباشرة ليكون ذلك أشد وأنكي في تعذيبهم ، وإما أهل الجنة فيأتون وينتظرون حتي يأتي النبي ﷺ ويحاور الخازن لأنها سلعة الله ، وسلعة الله غالية ، وهذا ما رجحه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى ، وإن هناك من المفسرين من قال هذه واو الثمانية لأن الجنة ثمانية أبواب وهذا تفسير بما لا تعرفه العرب في لسانها ، فالعرب لا تجعل كل شيء عدده ثمانية قبله واو حتي نقول هذه واو الثمانية فهذا اجتهاد واستنباط من قائله لا نوافقه عليه ، ولكن لا بد أن يفس اللفظ بما يقتضيه الحال ، فأهل النار يساقون إليها تسوقهم الملائكة بالسلاسل والأغلال ، وتسحبهم فيها على وجوههم إلي أبوابها وإذا جاءوا أبوابها فتحت في وجوههم فجأة فيخرج عليهم من لهيبها وحرارتها وسمومها وزقومها ما لا يطيقون وما لا يحتملون كما أن يدخلوا فيها ، وأما أبواب الجنة فيأتونها فيجدونها مغلقة ثم تفتح لهم رويدا رويدا بعد الاستفتاح وهذا من باب زيادة اطمئنان قلوبهم ،وراحة نفوسهم ، ومن باب نعيمهم ، فنحن أول من يدخل الجنة كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعا " نحن الأخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أُتوا الكتاب من يبلنا ونحن أول من يدخل الجنة " ، بل أول أمة يُصل قضائها هي هذه الأمة لما في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قال ﷺ "

ونحن أول من يقضي له يوم القيامة ، المقضي لهم قبل الخلائق " وهذا من فضيلة هذه الأمة ، وإذا فتحت أبواب الجنة ودخلنا فيها نسال الله أن لا يحرمنا هذا الموقف العظيم ، فكل واحد منا يذهب إلي بساتينه وقصوره ويستدل عليها كما يستدل الواحد منا على بيته في الدنيا من غير دليل (لا أحد يأخذه لبيته ليدله عليه) فكل واحد يذهب إلي مكانه يعلم مكانه ؛ كما يتفرق الناس كل يذهب إلي بيته في الدنيا ، فالأن تجد الناس يخرجون من باب المسجد يوم الجمعة والكل يشغل سيارته وهذا يذهب في طريق وهذا في طريق مخالف ، ولكنها عملية مرتبة دقيقة جدا وهو أن كل واحد منهم يتوجه إلي بيته ، فكذلك أهل الجنة كل يستدل على ما فيها له من النعيم وما خصص له من الخيروالفضل والنعمة كما يستدل أهل الدنيا في بيوتهم على بيوتهم ، وهذا النوع الثاني من الشفاعة ، وقد أجمع العلماء على أن هذا النوع من الشفاعة من خصائصه ﷺ لا يشركه معه نبي مقرب ولا ملك مرسل ، ولا عبد صالح .

3- شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب :- وهذه الشفاعة لا بد أن ننظر فيها بنظرين :-

1- أنها شفاعة تخفيف لا إخراج ، أي ليس المقصود من الشفاعة هذه أن يخرجه من النار الخروج المطلق لا ، وإنما يخرجه من الدرك الأسفل من النارحتي يكون في ضحضاح من نارعليه نعلان من ناريفوغ منه (يغلي منهما) دمغاه " أوكما قال ﷺ .

2- هذه الشفاعة من خصوصيات أبي طالب فقط ، وإلا فالشفاعة منتفية عن أهل الشرك والكفر قال الله " فما تنفعهم شفاعة الشافعين " وهذا عام ، ولكن يُخص من هذا النص العام شفاعته ﷺ في أبي طالب والتي هي شفاعة التخفيف ، ودليلها ما في الصحيحين من حديث أبي العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوط وينصرك قال " نعم هو في ضحضاح من نار، ولولا انا لكان في الدرك الأسفل من النار" وهذا الحديث له عدة روايات ، وقد أجمع علماء أهل السنة والجماعة على أن هذه الشفاعة من خصوصياته ﷺ بمعني أنه لا يمكن أحد من المؤمنين أن يشفع في أحد من الكفار، يقول الناظم فيها "كشفاعة المختار في فصل القضا وبعمه ودخول أهل جنان " وفي هذه الثلاث (الشفاعات) قال الأخر" وهذه في حقه خصوص دلت على ذلكم النصوص " أي أن النصوص دلت على أن هذه الشفاعات الثلاث من جملة خصائصه ﷺ .

4-الشفاعة في أهل الكبائر وهي تنقسم إلي قسمين :- وذلك أن من مات وهو مصر على فعل كبيرة فإنه يمكن المؤمنون من الشفاعة فيه ، والشفاعة فيه تأتي على قسمين :- (الشفاعة في أهل الكبائر ممن استحق دخول النار أن لا يدخلوها ابتداء ، فالله حكم في هؤلاء من أهل الكبائر أنهم يدخلون النار ولكن بفضله جل وعلا قبل شفاعة أحد من أقربائهم ، أو شفاعة أحد من المؤمنين فيهم فغفر الله ذنوبهم وأدخلهم الجنة ـــــــــــ الشفاعة في أهل الكبائر الذين دخلوا النار أن يخرجوا منها ، وكل هذه الشفاعات في أهل الكبائر ثبتت بالتواتر، يقول النبي ﷺ " يخرج من النار من قال لا إله

إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير" ، والمؤمنون إذا شفعوا إلي ربهم يوم القيامة في إخوانهم من أهل الكبائر الذين قدر وقضي عليهم بدخول النار يقول الله لهم " اذهبوا فأخرجوا منها من تعرفون ، فيأتونهم وقد امتحشوا ولا يعرفونهم إلا بآثار السجود حرم الله على النار أن تأكل آثار السجود ، قال فيخرجون من يعرفونهم منهم ، ثم يرجعون إلي ربهم مرة أخرى ، إخواننا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ، فيأذن الله لهم مرة ثانية فيخرجون من يعرفون من النار (فعل العبد أن يكثر من أصدقائه الصالحين لعلهم يشفعون لو قدر عليك شيء من الهلاك والعياذ بالله) ثم يأتون مرة ثالثة ثم بعد ذلك يقول الحق جل وعلا " شفع النبيون ، والصديقون ، والشهداء ، والصالحون ، وبقي رحمة أرحم الراحمين " قال " فيحثوا جل وعلا بيده الكريمة ثلاث حثيات من النار فلا يبقي فيها أحد ممن يقول لا إله إلا الله " فيخرجون كلهم من النار بحثيات ربنا جل وعلا ، وهذه الشفاعة هي التي اشتد فيها خلاف أهل القبلة ، أهل السنة والجماعة مجمعون على إثباتها ، وأما الوعيدية من الخوارج ، والمعتزلة فإنهم متفقون على بطلانها وهم ينكرونها ، واعلم رحمك الله أن أدلة في أهل الكبائر قد بلغت مبلغ التواتر كما قال الناظم في أرجوزته " مما تواتر حديث من كذب ومن بني لله بيتا واحتسب ، ورؤية شفاعة " ، يقصد الشفاعة في أهل الكبائر بقسميها فكلها ثابتة في حق أهل الكبائر .

5-ا الشفاعة في أهل الجنة لرفعة درجاتهم ، فيشفع أهل الجنة بعضهم لبعض لرفعة درجاتهم ، فلا تنقطع الشفاعة بدخول الجنة ، فإذا كان بعض المؤمنين في الدرجة الدنيا من الجنة وليس فيها دانٍ ، ثم شفع فيه من فوقه أن يرفعه الله إلي منزلته فغن الله يقبل شفاعته فيه ، كما قال الله جل وعلا " والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم " أي ألحق الله الآباء بأولادهم بشفاعة أباءهم لهم ، وفي صحيح الإمام مسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت دخل النبي ﷺ على لأبي سلمة وقد شق بصره فقال إن الروح إذا قبض تبعه البصر " قالت فضج ناس من أهله ، فقال ﷺ " لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة تؤمن على ما تقولون ، اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين " فأبوا سلمة سُيرفع درجته في المهديين بشفاعة ودعاء النبي ﷺ له .

6- الشفاعة في أهل الأعراف :- وهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم من أهل الإيمان فينتظرون مرجحا ، فلا إلي الجنة ذهبوا ، ولا إلي النار ذهبوا ، فإذا نظرت أعينهم الملائكة تسوق أهل الجنة بالرفق والهوينة قالوا " سلام عليكم " ليتنا معكم ، وإذا صرفت أبصارهم إلي أصحاب النار ورأت الملائكة كيف تضرب وجوههم وأدبارهم وتسحبهم على وجوهم ، وتلقيهم في النار، قالوا " ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين " ، وهذا هو المقصود في قول الله جل وعلا على أحد التفسيرين "وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم " لأن الله جعل على أهل الجنة سيمة ، وعلى أهل النار سيمة ، كما قال الله جل وعلا " يوم تبيض وجوه وتسو وجوه " ، قال الله " ونحشر المجرمين يومئذ زرقا " فعلى كل منهم سيمة ، " ونادوا أصحاب الجنة أن

سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون " ، " إذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النارقالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين " فهؤلاء ينتظرون مرجحا ، أو شفاعة ، أو حسنة ، أو رحمة أرحم الراحمين جل وعلا ، يقول العلماء وإن مآلهم إلي الجنة فضلا حتي وإن أُخردخولهم ولكن مآلهم إلي الجنة فضلا من الله جل وعلا ، قال الناظم " وبرفعة الدرجات في دار الرضا وبمن أتي بكبائر العصيان لا يدخلون أو أن يخرجوا بعد الدخول لجنة الرحمن " ، وهذه جمل من الشفاعات .

ولكن أجمع أهل السنة والجماعة على أن الشفاعة لا يمكن منها أحد يوم القيامة إلا بشرطين :-

1- الإذن

2- الرضي.

قال الله جل وعلا " ولا يشفعون إلا لمن ارتضي " وقال تعالى " وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضي " ، وقال الله " ولا يشفعون إلا لمن ارتضي " وقال تعالى " من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه " وقال الله جل وعلا " ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ، يقول الناظم في النونية " وشروطها إذن الإله كذا الرضا ودليلها في النجم دون تواني " ، أي في سورة النجم " وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضي "
.

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى:-

" قاعدةٌ إيماننا قول عمل كذا اعتقاد واحذرن من زلل "

الإيمان عند أهل السنة والجماعة لا بد أن تفقهوها فقها جيدا لأن مسائل الإيمان وقواعد الإيمان وأصول الإيمان عند أهل السنة والجماعة قد دلت عليها الأدلة الصحيحة وبها فارقوا كثيرا من أهل البدع من المرجئة ، والكلابية، والأشاعرة وغيرهم ، وإليك هذه القواعد : -

1- الإيمان قول وعمل واعتقاد ، أي أن ركائز الإيمان ثلاثة ركائز:- 1-

قول الله جل وعلا " قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم " فالإيمان يدخل في القلوب ، فأول ركيزة من ركائز الإيمان هي اعتقاد القلب ، يقول الله جل وعلا " ولم تؤمن قلوبهم " فالقلوب لها إيمان ، وقال النبي ﷺ في حادثة الإفك " يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه " فالقلوب تؤمن كما تؤمن الألسنة والجوارح وهذا مجمع عليه بين أهل العلم رحمهم الله تعالى ، قال الله جل وعلا " إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون " وسبب تكذيبهم في هذه الشهادة لأنها شهادة لسانية لم ينطوي عليها إيمان القلب ولذا ما نفعت أصحابها ، والإيمان الشرعي ليس هو مطلق التصديق فقط لا ، بل الإيمان الشرعي التصديق المشوب بالإقرار كما قرره ابن تيمية رحمه الله تعالى ، فعندنا إيمان لغوي وإيمان شرعي ، فالإيمان اللغوي " وما أنت بمؤمن لنا " هذا إيمان لغوي (مطلق التصديق) ، ولكن الإيمان لا بد أن يقال فيه تصديق مشوب بإقرار.

2- قول اللسان :- فلا ينفع الإيمان في القلب فقط بل لابد أن يخرج من القلب إلي قول اللسان ، بمعني أنه لا بد من النطق بالشهادتين فمن آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه فإنه لا ينفعه هذا الإيمان أبدا ، إلا إذا كان مكرها فله كلام أخر، والدليل على أن قول اللسان من شعب الإيمان ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ "الإيمان بضع وستون أو قال بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قـــــول لا إله إلا الله " فهذا دليل على أن الإيمان قول ، وكذلك قول الله جل وعلا " قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا " الآية ، فأمرهم الله جل وعلا بالقول ، وكذلك قوله " فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " فأمرهم بالقول ، فالإيمان القلبي لا ينفع صاحبه إلا إذا صاحبه النطق اللساني ، إلا إذا كان ثمة عذر من خرص ، وإكراه .

3- عمل الجوارح :- فالأعمال داخلة في مسمي الإيمان بعدة أدلة :-

1- في صحيح الإمام البخاري لما حولت القبلة من بيت المقدس إلي البيت الحرام جاء الصحابة إلي النبي ﷺ يسألون عن إخوان لهم ماتوا قبل هذا التحول كيف تكون صلاتهم ، فأنزل الله جل وعلا " وما كان الله ليضيع إيمانكم " والمفسرون على أن الإيمان هنا الصلاة وهي عمل جوارح ، فسمي الله الصلاة التي هي عمل الجوارح إيمانا فدل ذلك على أن الأعمال داخلة في مسمي الإيمان ، وفي الصحيحين في حديث أبي هريرة كما مر معنا قال " الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق " فسمي إماطة الأذى عن الطريق إيمانا وجعلها شعبة من شعب الإيمان مع أنها عمل جوارح ، وكذلك الزكاة من الإيمان وهي عمل جوارح ، والحج من الإيمان وهو عمل جوارح ، في الصحيحين من حديث

أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ سؤل عن أي الأعمال أفضل قال " إيمان بالله ورسوله ثم قال بر الوالدين (عمله جوارح وسماه إيمانا) والجهاد في سبيل " (سماه إيمانا وهو من عمل الجوارح) ، وكل هذا داخل في مسمي الإيمان وهذا مجمع عليه بين أهل السنة والجماعة ، وخالف أهل السنة والجماعة في هذه القاعدة كل أهل البدع ، أقرب الناس إلي أهل السنة والجماعة في مثل هذا الاعتقاد هم مرجئة الفقهاء من الحنفية الذين يقولون إن الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان فقط ، وأهملوا الثالث وهو عمل الجوارح ، فهم مرجئة لهذا السبب ، وهم الذين يعتقدون أن الإيمان واحد ، وأهله في أصله سواء ، وهم أكثر الحنفية من الماتوردية وغيرهم ، ولذلك تجد كثيرا منهم يحلق لحيته ، ويطيل ثيابه، ويسمع الأغاني ، ظننا منه أن تلك المعاصي والآثام لا أثر لها في نقص الإيمان مطلقا ، فهم يعتقدون أن المخالفة في العمل بترك بعض المأمورات أو فعلت بعض المحظورات لا يضر ما دام في قلبك إيمان فمؤشره على ما هو عليه .

تحتهم مباشرة الأشاعرة :- ألغوا ركنين قالوا الإيمان ": هو اعتقاد القلب فقط ، لا قلب اللسان ولا عمل الجوارح ، فالأشاعرة جعلوا الإيمان هو ما انطووا عليه القلب (تصديق القلب فقط) وأما قولب اللسان وعمل الجوارح فلا أثر لها في زيادة الإيمان ولا في نقصه عندهم ، وجاء قوم من الكرامية فعكسوا قول الأشاعرة فقالوا : - الإيمان هو قول اللسان فقط ، فأخرجوا الاعتقاد ، والعمل ، فإذا جاء العبد وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول ﷺ بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان عند هؤلاء حتي وإن كان قلبه مزروع فيه من النفاق ما الله به عليم فلا شأن لهم بذلك ما دام

نطق بلسانه ، وجاء قوم من الجهمية وهم أخس الطوائف في هذه المسألة فقالوا إن الإيمان لا تصديق ، ولا قول ، ولا عمل ، قالوا بل هو مطلق معرفة الله جل وعلا فمن عرف الله ولو أدني معرفة فهو مؤمن كامل الإيمان ، وليس عنده مسمي كافر إذا ، فإبليس يعرف الله ، وأقسم بالله ، وقد يعرف الله أكثر من كثير من الناس في هذا الزمان فأقسم بذات الله وقال "فبعزتك لأغوينهم أجمعين " ، بل إن من الناس من جاء بكفر كثير أكثر مما جاء به إبليس ، ولله در الناظم لما قال " وقد كنت امرأ في جند إبليس فارتقي بي الحال حتي صار إبليس من جندي " ، فالبعض يفعل من المعاصي والأمور الكفرية ما قد يفجأ الشيطان بفعله هذا كله ، فالجهمية قالوا من عرف الله مطلق المعرفة فهو مؤمن كامل الإيمان وإن لم يصدق قلبه ، وإن لم يقول ، فنقول لهم فرعون يعرف الله وفى أخر أمره قال " آمنت " ولكن إيمانه لا ينفعه ، والكفار قال الله عنهم " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولون الله " ، فهم شهدوا عن معرفة ، وهذا القول من اعتقده فإنه " كافر " وهذا من جملة الأسباب التي كفَّر بها متأخر أهل السنة والجماعة الجهمية ، فقد أجمع المتأخرون من أهل السنة والجماعة أكثر من خمسمائة عالم على كفر الجهمية، وهذا من جملة ما كفروهم به ولكن أسباب التكفير عند الجهمية كثيرة، ولكن هذا من جملة ما كفروهم به ..يقول ابن القيم رحمه الله في نونيته "ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان " ، فهذا الاعتقاد للجهمية يتضمن أن لا كافر ولا مشرك في الدنيا ، فلماذا إذا خلقت النار!!!؟ ولماذا هذا الوعيد التي امتلا به القرآن !!!؟ فهم ينسفون الشريعة بهذا الاعتقاد .

فمرجئة الفقهاء قالوا الإيمان قول واعتقاد ، والأشاعرة قالوا اعتقاد فقط ، والكرامية قالوا قول اللسان ، والجهمة قالوا مجدرمعرفة الله ، فهؤلاء الفرق كلهم يسميهم العلماء في باب الإيمان المرجئة ، وسموا مرجئة لأن الإرجاء من التأخيرفهم يؤخرون العمل عن مسمي الإيمان ، فتجد مذاهبهم متفقة على إخراج العمل من مسمي الإيمان ، فمن اعتقد أن العمل ليس من الإيمان فإنه مرجئ وما أكثرهم في هذا الزمان ، فهم أكثرالعالم الإسلامي .، فأهل السنة والجماعة قليل في العالم الإسلامي ، فأكثرالعالم الإسلامي إما صوفية ،وإما أشاعرة ، وهؤلاء هم المرجئة (الصوفية والأشاعرة) من المرجئة .

بقينا في مذهب أناس خبثاء يرون أن الإيمان (قول – اعتقاد –عمل) ولكنهم خبثاء ، ومبتدعة وهم المعتزلة والخوارج ، فهؤلاء يقولون إن الإيمان قول باللسان ، واعتقاد بالجنان ، وعمل بالجوارح والأركان ، ومع ذلك مبتدعة ، يوضح مذهبه القاعدة الثانية من قواعد الإيمان والتي تقول " جنس العمل ركن في الإيمان لا آحاده إلا بدليل " ، هذا هوالفيصل الفارق بين أهل السنة والجماعة في الإيمان والوعيدية (الخوارج – المعتزلة) لأنهم يغلبون باب الوعيد ، فالعمل ركن في الإيمان باتفاق العلماء ، وقالوا جنس العمل لا آحاد العمل ، وأضرب مثالين لتوضيح جنس العمل وآحاده :-

جاءك رجل وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فنحكم له بالإسلام ، ثم بعد ذلك لم يزد على هذه الشهادة شيئا ،لا صلاة ، ولا صيام ،ولا زكاة ، ولا حج ، ولم يقم بشيء من واجبات الشرع أبدا ، فهذا قد ترك جنس العمل لا عملا واحدا من الأعمال ، فهذا الرجل كافرعند أهل السنة

والجماعة لأن العمل الذي تركه هو جنس العمل ، وجنس العمل هو الركن في الإيمان .

المثال الثاني :- جاء رجل وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فنحكم له بالإسلام في الظاهر ، ثم ننظر بعد ذلك ، فصلي ، وصام ، ,حج ،. وزكي ، ولكنه كثير شرب الخمر ، وكثير عقوق والديه ، ومسبل لثيابه ، وعند من المعاصي الكثير جدا ، فهل هو كافر؟ نقول لا لأنه لم يترك جنس العمل ، لأن جنس العمل موجود عنده ، ولكن الذي تركه بعض العمل ، ففرق بين ترك العمل الترك المطلق ، وترك مطلق الأعمال ، فالركن عندنا هو جنس العمل ، فمن معه جنس العمل فهو مؤمن ولكن إذا كانت عنده بعض المعاصي ، وترك بعض الأعمال فنحن لا نحكم بكفرة بمجرد مخالفة بترك بعض المأمورات ، أو فعل بعض المحظورات ، ولكن إذا دل الدليل الشرعي على أن ترك هذا العمل لوحده كفر فنكفره بترك عمل واحد ، وإلا فالأصل عندنا أنه لا يكفر من كان عنده جنس الأعمال ولكنه عنده مخالفات في بعض الأعمال ، وإنما نجعله من أصحاب الكبائر كما بيناه سابقا ، الخوارج والمعتزلة (الوعيدية) يجعلون الأعمال ركن من أركان الإيمان ولكن المشكلة عندهم أن آحاد العمل عندهم هو الركن ، بمعني أنه من خالف في معصية واحدة من الكبائر فهو عندهم كافر ، وهذا هو الخلل الذي من أجله كفر الوعيدية مرتكب الكبيرة لأنه عنده مخالفة في عمل واحد فهو عندهم ركن فتركه أي ترك ركنا من أركان الإيمان فكفروه ، ولكن عند أهل السنة والجماعة من أخل بجنس الأعمال خرج من الإيمان ، لأن جنس العمل هو الركن ، وأما آحاد الأعمال فإن الإخلال بها لا يوجب

الخروج من ملة الإسلام إلا إذا دل الدليل الشعري على أن المخالفة في هذا العمل الواحد مخرجة له من الملة كالصلاة ، يقول النبي ﷺ " العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر " ، والأدلة في تكفير تارك الصلاة محفوظة معروفة ، فهناك فرق بين مذهب أهل السنة والجماعة ، ومذهب الوعيدية ، وهو أن هم يقولون الأعمال ركن ، ونحن نقول ركن ، ولكن هم جعلوا آحاد العمل ركن من أركان الإيمان ، ونحن جعلنا جنس العمل لا آحاده ركن من أركان الإيمان ، إلا بدليل ، وهذا هو الفارق بيننا وبينهم .

القاعدة الثالثة (3) :- من قواعد الإيمان وهي :-

" الإيمان يزيد وينقص "

أي أن مؤشر الإيمان أحيانا يكون في زيادة وأحيانا يكون في نقصان .

فإن قال قائل وما الأشياء التي تجعل الإيمان يزيد أو تجعله ينقص ؟ ،

نقول هي أشياء كثيرة يجمعها أربعة أمور :-

1- معرفة الله جل وعلا بمقتضي أسمائه وصفاته وهذا أعظم ما يزيد في الإيمان وهو التعرف على الله جل وعلا بمقتضي أسمائه وصفاته ، فكلما ازداد العبد معرفة لله كلما ازادا مؤشر إيمانه ، وهو أهم الأسباب .

2- التأمل ، والتدبر ، والتفكر في آيات الله الكونية والشرعية ،وهذا الذي دعا له القرآن من أوله إلي أخره " أفلا يعقلون " " قوم يتفركون " "ويتفركون في خلق السموات والأرض " وغيرها ، فالإنسان كلما تأمل وتدبر تلك الآيات الكونية ، أو تلك الآيات الشرعية (القرآن) كلما تأملها وتجبرها ونظر فيها نظر عقل ، وبصيرة كلما ازادا مؤشر إيمانه وارتفع ، وهذا هو الذي جعل الله يقول " إنما يخشي الله من عباده العلماء " أي

العارفون به المتأملون في كونه ، وكم من آية كونية أوجبت لعالم كافر أن يؤمن لما تأملها واكتشف فيها مكتشفات كثيرة فوجد أن القرآن يتكلم عن هذه الآية التي أنفق فيها الملايين حتي يتكشف هذا الأمر ، فيجد أن القرآن قد تكلم عنها قبل ألف وأربعمائة سنة فيستسلم ويذعن ويسلم .

3- فعل الطاعات والاستكثار منها ، فكلما فعل العبد طاعة كلما زاد مؤشر إيمانه .

4- ترك المعاصي والحذر منها ، فيومك الذي لا تعصي فيه لا جرم أن مؤشر إيمانك يزداد فيه ، وأما يومك أو لحظتك التي تعصي فيها فإن إيمانك ينقص ، وهذه هي أصول الزيادة الأربعة ، وبعض أهل العلم يفصِّلون أكثر ، فبعضهم قد أوصلها إلي عشرين ، ولكن كلها ترجع إلي واحدة من هذه الأمور الأربعة ، فمثلا نواقض لا إله إلا الله كثيرة وبعضهم أوصلها إلي مائة ، ولكن كلها ترجع إلي هذه العشرة التي قررها الشيخ محمد ابن عبدالوهاب في نواقض الإسلام العشرة ، فكذلك نواقض الإيمان كثيرة جدا لكنها ترجع إلي معرفة هذه الأربعة المذكورة هنا .

وأسباب نقص الإيمان عكس هذه الأسباب :-

1- عدم معرفة الله

2- عدم التفكر والتأمل في الآيات الكونية والشرعية

3- عدم الطاعة

4- فعل المعاصي .

فكلما ازداد العبد من الأسباب كلما ارتفع وازداد مؤشر إيمانه حتي يبلغ كماله ، وكلما تهاون في ارتكاب شيء من أسباب النقص كلما نقص من مؤشر إيمانه حتي لا يبقي منه شيء ، الإيمان يزيد وينقص عند أهل السنة والجماعة لأنه شعبا ، فكلما حقق العبد شعبه كلما ازداد ، وكلما أهمل كلما نقص .

ولكن أهل البدع من مرجئة الفقهاء ، والأشاعرة ، والماتوريدية ، والكلابية ، والكرامية، والجهمية ، والخوارج ، والمعتزلة ، جميعهم متفقون على أن الإيمان جزء واحد في القلب لا يتجزأ لا تزيد ولا تنقص أبدا ، مثل الصخر، حتي إن المرجئة اضطروا إلي أن يقولوا إن إيمان أفسق الناس هو بعينه في الكمية والمقدار كإيمان أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فأبوبكر وعمر إيمانهما كذا وكذا فكذلك إيمان أفسق الناس لأن الإيمان عندهم جزء واحد لا يتجزأ كالصخرة الصماء لا تزيد ولا تنقص ، وأما أهل السنة والجماعة فقد قال إن الإيمان يزيد إذا تحققت مقتضيات زيادته ، وينقص إذا تحققت مقتضيات نقصه .

القاعدة الرابعة من قواعد الإيمان(4) :-

" كل فعل نفي الإيمان عن فاعله فلحرمته ، وكل فعل نفي الإيمان عن تاركه فلوجوبه "

قال النبي ﷺ " لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه " ، فمحبة الشيء لإخوانك كما تحبه لنفسك هذا أمر واجب لأن الشارع نفي الإيمان عن تاركها ، ولا يمكن أن ينفي الإيمان عن ترك فعل مستحب ، فترك

المستحبات لا عقوبة عليها ، فلما نفي الإيمان عن تاركه علمنا أنه أمر واجب وفعل واجب ، وقوله ﷺ " لا يؤمن أحدكم حتي أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين " ، فتقديم محبة النبي ﷺ على محبة النفس ، والولد ، والمال واجبة لأن الإيمان منفي عن من ترك هذا الفعل ، وبالعكس في قوله ﷺ " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن " ، فحكم الزنا حرام لأن الشارع نفي الإيمان عن من فعله ، فإن فعلت هذا فلست بمؤمن ، فإذا هذا دليل على حرمته ، ومثله قوله ﷺ " ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن" فهذا دليل على تحريم السرقة ، " ولا يغل حين يغل وهوة مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم فيها حين ينتهبها وهو مؤمن " ، فكل هذه الأفعال علمنا حرمتها بنفي الإيمان عن فاعلها ، ومثله أيضا قوله ﷺ " والله لا يؤمن والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن " قالوا من يا رسول الله قال " من لا يأمن جاره بوائقه " أي غوائله ودواهيه ، ومصائبه ، وسطوته ، فكل هذه غوائل ، فيجب عليك أن تحسن إلي جارك إحسانا تجعله يأمن قلبه من غوائلك ، وهذا واجب ، فإذا نام جارك وهو خائف من غوائلك فتكون ما حققت الإيمان الواجب ، وخاصة إذا كان هذا الجارمستقيما ولم يصدر منه شيء ، ومع ذلك ينام وهو خائف على سيارته منك ، وخائف على عرضه منك ، وخائف على بيته من السرقة منك ، فهذا دليل على أنك لم تحقق الإيمان الواجب لأن الشارع نفي الإيمان عن من أخاف جاره فدل ذلك على وجوب الإحسان إلي الجار إحسانا يأمن به من غوائلك ، يقول النبي ﷺ في الحديث الذي يُروي عنه" لا إيمان لمن لا أمانة له " فعلمنا منه

أن مراعات الأمانة واجبة ، " ولا دين لمن لا عهد له " وكذلك حكم الوفاء بالعهود واجب ، فالإيمان إذا انتفي عن فعل دل على حرمته هذا الفعل ، وإذا انتفي الإيمان عن ترك ففعل هذا الفعل من الواجبات، " فكل فعل نفي الإيمان عن فاعله فلحرمته ، وكل فعل نفي الإيمان عن تاركه فلوجوبه ".

القاعدة الخامسة (5) :-

" ترك الأفعال الواجبة مؤثرة في نقص الإيمان الواجب ، وترك الأفعال المندوبة مؤثرة في نقص كمال الإيمان المستحب "

معني هذا أن الإيمان له ثلاث نقاط ، فلو تصورنا أن الإيمان خط مستقيم من الأسفل إلي الأعلى أول الخط ضع فيه نقطة ، ومنتصف الخط ضع نقطة ، وأعلى الخط ضع فيه نقطة ، النقطة الأولى من أول مبتدأ يسمي أصل الإيمان ، والوسطي كمال الإيمان الواجب الذي لا تحصل النجاة يوم القيامة إلا به ، والنقطة الثالثة الأخيرة هي كمال الإيمان المستحب ، فيحقق العبد أصل الإيمان بالشهادتين والإسلام ، ثم يرتقى في فعل الواجبات وترك المحرمات حتي يحقق كمال الإيمان الواجب وهو المقتصد المقصود في قوله تعالى " ومنهم مقتصد " ، ثم إذا جمع مع فعل الواجبات فعل المستحبات ، ومع ترك المحرمات ترك المكروهات فلا يزال يترقى حتي يصل إلي كمال المستحب ، وإذا ترك العبد شيئا من المندوبات فالذي ينقص من إيمانه الاستحباب فقط ، ولكن نقص المندوبات لا يؤثرعلى العبد في دخول الجنة أودخول النار، ولذلك بوب الإمام القرطبي على

مختصره لصحيح مسلم وهو أفضل من مختصر المنذري في الحقيقة ، ولكنه غير مشهور عند العلماء ، فقال " باب من اقتصر على فعل ما وجب عليه وترك ما حُرِّم عليه دخل الجنة ". إذا ليس من شروط دخول الجنة أن تأتي بإيمان كامل الكمال المستحب لا ، وهذا هو قول الله جل وعلا " ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفنا من عبادنا (أمة محمد ﷺ) فمن ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات " فالظالم لنفسه هو التارك للواجب الفاعل للمحرم ، فما حقق الإيمان الواجب لأن عنده خلل في الواجبات ،وخلل في ارتكاب المحرمات ، " المقتصد " هو الذي اقتصد على ما يحقق إيمانه الواجب فقط بفعل الواجبات ترك المحرمات ، " ومنهم سابق بالخيرات " والخيرات هي الواجبات مقرونة بالمندوبات ؛ وهي ترك المحرمات مقرونة بترك المكروهات ،فاعلم أنك لو فوت واجبا فإن الخلل يقع في النقطة التي في المنتصف وهذا أمر شأنه خطير فانتبه له ، وإذا فعلت محرما فالنقطة أيضا تقع في المنتصف ، فلو مت على هذا فتكون بذلك لم تحقق الإيمان الذي تحصل به النجاة يوم القيامة لأنك ستكون من أهل الكبائر وأهل الكبائر قد يهلكون وقد ينجون ، فليس معهم الإيمان الذي ينجيهم يوم القيامة النجاة الكاملة ، فهناك دائرة إياك أيها الحبيب أن تنقص عنها وهي دائرة فعل الواجبات وترك المحرمات إياك أن يصيبك الفتور بيها ، فالفتور إن أصابك في ما زاد على ذلك من فعل النوافل من الصلوات فيوم توتر وأخر لا توتر ، وسنة تصوم الستة أيام من شوال ، وأخرى لا تصوم الست، فالأمر يسير في هذا الباب (النوافل) ، فإذا فترت أعط النفس راحتها ولكن في دائرة المستحبات فقط ، ولكن متي ما جاء

فتورك إلي دائرة فعل المحرمات ، أو ترك الواجبات تكون هنا قد حدث منك الخلل الكبير الذي لا يرضاه الله جل وعلا ، فعود نفسك دائما على أن لا ينقص ميزانك في الواجبات أبدا ، ولذلك يأتي الرجل لنبي ﷺ ويقول له أرأيت إذا صليت المكتوبات وصمت رمضان وأحللت الحلال وأحرمت الحرام أفأدخل الجنة قال " نعم " لأنه حقق الإيمان الواجب الذي تحصل به النجاة يوم القيامة وإن لم يكن له مندوبات ، فأثر المندوبات رفعة الدرجات في الجنة ، ولكن دخول الجنة يكتفي فيه بفعل الواجبات وترك المحرمات، في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن أعرابيا أتي النبي ﷺ فقال يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال " تعبد الله لا تشرك به شيئا (هذا يحقق أصل الإيمان) وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان" ، ولم يدله ﷺ هنا على شيء من المندوبات ، فقال الرجل والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئا ولا أنقص منه ، فلما ولي قال ﷺ " من سره أن ينظر إلي رجل من أهل الجنة فلينظر إلي هذا " ، وفي الصحيحين من حديث طلحة ابن عبيد الله أن رجلا من أهل نجد ثائر الرأس جاء إلي النبي ﷺ يسأله عن الإسلام فقال ﷺ " خمس صلوات في ليوم والليلة " فقال هل على غيرها قال " لا إلا أن تطوع " ثم قال النبي ﷺ " وصيام شهر رمضان " قال هل على غيره قال " لا الا أن تتطوع " ، وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة " فقال هل على غيرها قال " لا إلا أن تطوع " فأدبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد على هذا شيئا ، فقال النبي ﷺ " أفلح الرجل إن صدق " أي إن استمر على فعل هذه الواجبات التي أخبرته بها وإن لم يزد عليها شيئا فإنه من أهل النجاة ، فإيك أن يصل الفتور أخي

الحبيب وكسل النفوس إلي دائرة الواجبات والمحرمات فانتبه يا رعاك الله ، فأما التي في الأعلى فالأمر فيها واسع إن قويت نفسك على فعلها فاستمر، وإن ضعفت وفترت نفسك فاقصر عن بعض العمل لأن النفس لها إقبال وإدبار، والكلام في هذه المسألة يطول ولعلنا نكتفي بهذه القواعد ، ولعل فيها النفع إن شاء الله تعالى .

....

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى :-

" قاعدة يزيد بالطاعات وينقص بفعلك الزلات "

لقد تكلمنا في ما سبق عن جمل من القواعد التي قررها أهل السنة والجماعة في مسألة الإيمان ، وذكرنا منها أن" الإيمان يزيد وينقص "، وهذه من جملة العقائد التي اختص بها أهل السنة والجماعة دون سائر أهل البدع ، وقد بينا في ما سبق أسباب زيادة الإيمان ، وأسباب نقصانه في ما يغني عن إعادته مرة أخرى في هذا الموضع .

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى:-

" قاعدة ما علق الإيمان به إن فعلا للواجب فانتبه ، وإن يكن بتركه فيرحم وهذا أصل ثابت مسلم "

هذا البيت يبين كما ذكرنا سابقا " أن كل فعل نفي الإيمان عن فاعله فلحرمته ، وكل فعل نفي الإيمان عن تاركه فلوجوبه" ، وقد تقدم الكلام عليها مفصلا في ما مضي .

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى:-

" والحكم بالتكفير وقف فانتبه على الدليل إن أتي فلتقض به ، تكفيرنا للفعل لا يستلزم   تكفير الأعيان أيا من يفهم إلا إذا شروطها توفرت أيضا كذا موانع قد انتفت ومثله يقال في التفسيق كذلك التبديع في التحقيق "

عندنا معاشر أهل السنة والجماعة جمل من القواعد في باب التكفير، والتبديع ، والتفسيق لابد من فهما جليا ، لا سيما في هذه الأزمنة التي كثر فيها التكفير بلا علم ولا برهان ، بل إن كثيرا من أهل التكفير الأن قد ساروا على خطى الخوارج في التكفير (أي المعين) وذلك للجهل بقواعد أهل السنة والجماعة في هذا الباب ، ولذلك عندنا في هذا الباب أربع قواعد لا بد من فهمها فهما جليا ، أذكرها مجردة عن الأدلة ثم أذكر بعدها شيئا من أدلتها وفروعها :-

1- التكفير العام لا يستلزم تكفير المعين إلا بعد ثبوت الشروط ، وانتفاء الموانع .
2- التبديع العام لا يستلزم تبديع المعين إلا بعد ثبوت الشروط ، وانتفاء الموانع .
3- التفسيق العام لا يستلزم تفسيق المعين إلا بعد ثبوت الشروط ، وانتفاء الموانع

.

4- التأثيم العام لا يستلزم تأثيم المعين إلا ثبوت الشروط ، وانتفاء الموانع .

* هذه قواعد أربعة وإليك بيان شرحها :-

اعلم رحمك الله تعالى أن الأصل المتقرر عند أهل السنة والجماعة أن التكفير من حقوق الشرع ، فلا يجوز لأحد أن يكفر أحدا بمجرد الهوي والعصبية ، أو غير ذلك مما يحمل العبد على تكفير غيره ، فالتكفير طريقه الشرع ، فلا نكفر إلا من كفره الله ورسوله ﷺ ، فإذا قلت لأحد يا كافر، ولم يقم على تكفير من الشرع فالويل لك ثم الويل لك من الله إلا لم تتب من هذه الذلة العظيمة ، فإن النبي ﷺ يقول " من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما " وقد أجمع العلماء

على أن التكفير طريقه الشرع ، فلا يجوز لأحد أن يكفر أحدا إلا بدليل ، و التكفير في الكتاب والسنة على نوعين :- (تكفير الأعيان – تكفير الأوصاف) ، أما تكفير الأعيان كتكفير إبليس ، فكُفر في القرآن بعينه ،، وفرعون كُفِّر في القرآن بعينه ، وأبو لهب كُفِّر في القرآن بعينه ، وامرأة نوح ، وامرأة لوطا كُفرا في القرآن بأعيانهما ، فمن كفره القرآن أو السنة بعينه فالواجب علينا بإجماع أهل السنة والجماعة أن نكفره بعينه ، إذا أن تكفيره بعد ثبوت الدليل القطعي به قطعي ،

أما النوع الثاني من أنواع التكفير فهو:- التكفير الذي ورد في السنة باعتبار الأفعال ، والأوصاف ، ويسميها العلماء رحمهم الله تعالى التكفير بالوصف العام أو التكفير بالوصف الأعم ؛ وهي أن يشهد الدليل أن من فعل كذا فهو كافر ،فهذا لم ينص بالتكفير على أحد معين وإنما كُفر الوصف أو كُفر بالوصف العام أو الأعم ، كأن نقول مثلا " من قال بخلق القرآن فهو كافر باتفاق أهل السنة " ، أو يقال " من استغاث بغير الله أو استنجد به أو دعاه فإنه كافر" ، أو يقولون " من طاف بقبر فإنه كافر" ، " من ذبح لغير الله فهو كافر" ، وغير ذلك مما هو ثابت في الأدلة من الكتاب والسنة على أن من فعله فإنه كافر ، وهذا هو المقصود بقولنا " التكفير بالوصف العام " فكلامنا الأن ليس عن النوع الأول وهو التكفير لأعيان لا فهذا متفق عليه على أن من كفره القرآن والسنة أي كفرته الأدلة بعينه فإننا نكفره ، وأما من ثبت كُفره بالوصف العام فهذا هو الذي تعنيه هذه القواعد ، فعندنا تكفير بالوصف العام ، وتبديع بالوصف العام ، وتفسيق بالوصف العام ، وتأثيم بالوصف العام ، إذا علمت هذا فانتقل إلي الأصل الأخر عند أهل السنة والجماعة وهو أمر خطير وهو الفرق بيننا وبين الخوارج فهو شيء يسير ؛حبيل يسير بيننا وبينهم إذا قطع صار من الخوارج ، ومن انتبه له صار من أهل السنة وهي :-

" أهل السنة والجماعة مجمعون على أن الفعل يعطي حكما وفاعله يعطي حكما أخر ، وليس كل حكم ألحقناه بالفعل فلا بد أن نلحقه بالفاعل "

ولكن أعط الفعل حكما وانتظروإياك أن تُعدِّي هذا الحكم تعدية ذاتية من الفعل إلي فاعله فتكون من الخوارج ، فالخوارج عندهم أي أن أي إنسان إذا وقع في الكفربالوصف العام فإنه مباشرة ينتقل الكفرإليه ، فالخوارج ليست عندهم أحكام على الفعل والفاعل لا ؛بل عندهم من وقع في الكفرفلزاما يقع في الكفرويوصف بأنه كافر، ومن وقع في المعصية مباشرة يوصف بأنه آثم ، ومن وقع في البدعة فإنه مباشرة يوصف بأنه مبتدع ، وكل هذا باطل بـــإجماع أهل السنة والجماعة ، كما أبطلته الأدلة التي ستأتينا إن شاء الله تعالى ، أهل السنة والجماعة يعطون الفعل حكما ويقفون في تعدية هذا الحكم إلي فاعله على توفرمحطات معينة(شروط) ، فإن تجاوز الحكم هذه المحطات حتي وصل إلي الفاعل فإننا نحكم على الفاعل بمقتضي فعله ولكن بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع كما قررناه في كل قاعدة من القواعد المذكورة من قبل ، فلابد إذا كنت تريد أن تعدي الفعل من الفعل إلي الفاعل لا بد أن تمرعلى ست محطات(شروط) والبعض يوصلوها لسبع محطات (شروط) إذا وجدت المحطات كاملة فحينئذ يُحكم على الفاعل بمقتضي فعله ، وإذا انخرمت محطة واحدة (شرط) فإياك أن تحكم واحذرمن الحكم عليه .

الشرط الأول :- البلوغ

النبي ﷺ قال " رفع القلم عن ثلاثة وذكرمنهم وعن الصبي حتي يبلغ " أي قلم المؤاخذة ، وبناء علي ذلك فالبلوغ شرط ، والصغرمانع لأن كل شرط فضده مانع ، فإذا كان الذي فعل الكفر أو قاله صغيرا فلا يجوز لنا أن نكفره حتي وإن فعله عمدا ، ولكن نُعزِّره نضربه ، نعاقبه مثلا، ولكن أن نحكم عليه بالكفر فلا لانخرام شرط من شروط تكفير المعين وهو " البلوغ " فإن قلم التكليف مرفوع عنه .

الشرط الثاني :- العقل

فالعقل شرط والجنون مانع ، والدليل علي اشتراط العقل في التكليف قول النبي ﷺ في الحديث المذكور آنفا " وعن المجنون حتي يعقل " ، وبناء على اشتراط هذا الشرط فمن وقع من الجانيين في شيء مما يكفربه فاعله سواء كان من كفر الأقوال أو الأفعال فإننا لا فاعله بالكفر لفوات شرط ووجود مانع ، والتكفير لا يثبت إلا بثبوت الشروط ، وانتفاء الموانع ، وهذا متفق عليه بين أهل العلم رحمهم الله تعالى ، خلافا للعقل ففيه خلاف بين أهل العلم في اشتراطه .

الشرط الثالث :- العلم

وضد العلم الجهل ، فاعلم شرط ، والجهل مانع ، وبناء عليه فإذا وقع العبد في شيء من المكفرات قولية كانت أو فعلية وهو لا يعلم بكونه كفرا فإننا لا يجوز لنا أن نُعدِّي الحكم من الفعل إلي فاعله ، لفوات شرط (العلم) ووجود مانع (الجهل). والجهل الذي يعذربه صاحبه له قواعد وهي :- أن الجهل الذي يعذرصاحبه هو الذي لا يستطيع أن يرفعه عن نفسه ، لأن رفع الجهل حكم تكليفي لقول الله جل وعلا " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " فالجاهل مأمور بأن يرفع الجهل عن نفسه بسؤال أهل الذكر إذا هو مأمور والأمر حكم تكليفي والأحكام التكليفية منوطة بالقدرة على العلم والعمل ، فإذا أراد رفع الجهل عن نفسه ولكنه لم يجد له طريقا في التعلم ووقع في شيء من ذلك جاهلا فإنه معذور ، لأنه يجهل ومثله يجهل ، أي ليس لديه قدرة ، ولا طريق ، ولا سبيل لرفع الجهل عن نفسه ، ومثال ذلك :- من نشا في بادية بعيدة عن العلم والعلماء وليس له طريق أن يصل إلي أحد من أهل العلم ليعرف أحكام دينه وفي باديته حلف بغير الله ، أو وقع في شيء من المكفرات ، أو في شيء مما يوجب له البدعة فهذا مثله يجهل (القرآن المصاحبة لدعواه أنه جاهل تصدق هذه الدعوة) ببعده عن العلم والعلماء وليست ثمة وسائل اتصال فحينئذ نعذره بهذا الجهل ولا نرتب عليه الحكم ، وأما أن يأتينا رجل في بلاد المسلمين ويقع في شيء من المكفرات التي هي معلومة من الدين بالضرورة ثم يقول أنا جاهل ، فهذا لا نقبل دعواه لأن القرائن المصاحبة لدعوي الجهل تكذب دعواه .

المثال الثاني :- الحربي إذا أسلم في دار الحرب فإن دار الحرب هي الدار التي بيننا وبين أهلها من الكفار حرب ، فإذا أسلم واحد منهم فغالبا دار الحرب تخلوا من المسلمين ، وقد يذبحونه إن علموا بإسلامه ، ولا يجد عالما يقيم فيها ،فمثل هذه الدار يقع فيها الجهل وتعم به البلوي ، فإذا أسلم حربي في دار حربي ووقع في شيء من المكفرات وادعي الجهل فإن القرائن المصاحبة لهذه الدعوي تصدق دعواه ، ولكن ننبه لما وقع فيه ونحذره ، وما مضي معفوا عنه ، فالجهل قسمان :-

1- جهل يستطع العبد أن يرفعه عن نفسه لتوفر وسائل الرفع ولكن لكسله وفتوره ، وقلة هيبة العلم في قلبه ، ولعدم رغبته ، واشتغاله بالدينا ما رفع الجهل ، فهذا أي شيء يقع فيه بسبب جهله فجهله غير عذر ولا يقبل ونطالبه بجميع ما فات ، فإن فوت مأمورا طالبناه بقضائه، وإن ارتكب محظورا عاقبناه بمقتضاه ، لأن وسائل رفع الجهل متوفرة فلما ذا لم يرفع الجهل عن نفسه ؟ فالتقصير والنقص ليس من الوسائل بل التقصير منه هو ، فهل يعقل بواحد من المسلمين احتلم وبلغ ومنذ أن احتلم لم يغتسل ظنا منه أنه لا يجب الاغتسال من الاحتمال فما تقول لمثل هذا ، فهو ليس معذورا بجهله فهو آثم ويجب عليه أن يتوب ، واختلفوا في وجوب القضاء عليه منهم من أوجب عليه قضاء جميع الصلوات التي مضت ولا تسقط عنه ، ومنهم من قال عليه أن يتوب ويكثر من النوافل فما عذروه بجهله ، وأيضا كيف برجل في بلاد المسلمين يأتي ويجامع زوجته في نهار رمضان ويأتي يقول لنا كنت جاهلا بالحكم ، فهذا كذب ولا تقبل دعواه في جهله ، فهو لا يريد إلا التخلص من الحكم الذي ترتب علي معصيته هذه ، وسنذكر إن شاء الله الأدلة بعد الشروط .

2- ....
....

الشرط الرابع :- الاختيار (الإرادة) وضد الاختيار الإكراه ، فالاختيار شرط ، والإكراه مانع ، وبناء على اشتراط هذا الشرط فمن وقع في شيء من المكفرات قولية كانت أو فعليه وهو مكره على ذلك فإن الله لا يؤاخذه ،والدليل سيأتي بعد ذلك بإذن الله .

الشرط الخامس :- الذكر ، وضده النسيان ، فالذكر شرط ، والنسيان مانع ، وبناء على اشتراط هذا الشرط فمن وقع في شيء في شيء من المكفرات ناسيا ، أو غافلا فإنه لا يؤاخذ بذلك .

الشرط السادس :- القصد ، وضده عدم القصد (الخطأ) فالقصد شرط ، والخطأ (عدم القصد) مانع ، وبناء على اشتراط هذا الشرط فمن وقع في شيء من المكفرات وهو غير قاصد فإنه لا يؤاخذ به فهو مرفوع عنه القلم ، فلا نحكم عليه بمقتضي فعله .

الشرط السابع :- عدم التأويل ، وهو أكبر الشروط على الإطلاق وهو البوابات التي يعذر بها أهل السنة والجماعة مخالفيهم ، لأن أهل السنة والجماعة يخطئون ولا يحرصون على التكفير، فشرط عدم التأويل ، وضده وجود التأويل ، وبناء على ذلك فعدم التأويل شرط ، ووجوده مانع ، وبناء علي اشتراط هذا الشرط فمن في شيء مما يكفر به ، أو يبدع به ، أو يفسق به ، ويؤثم به وهو متأول فلا نحكم عليه بمقتضي فعله هذا ، وقد يقول البعض أنتم إذا مرجئة بهذا الشرط ، فبهذا الشرط لا تكفرون أحدا !!!!؟ فنقول لا نكفر من كفره الله ورسوله، ونكفر من توفرت في حقه الشروط وانتفت الموانع ، ولسنا بحريصين على التكفير، فما دام أنه قد تخلف شرط ووجد مانع فالحمد لله .

فهذه محطات سبع (شروط) وهي التي يقصدها العلماء بقولهم ثبوت الشروط وانتفاء الموانع ، وإليك أيها القارئ الكريم هذه الشروط مرة أخرى بشيء من أدلتها :-

1- البلوغ :- ذكرنا هناك دليله

2- العقل :- ذكرنا أيضا دليله هناك ، وهو قول النبي ﷺ " رفع القلم عن ثلاثة عن الصغير حتي يحتلم ، وعن المجنون حتي يفيق ، أو قال يعقل " ، أو كما قال ﷺ والحديث حسن .

3- العلم :- فإذا قوع العبد في شيء المكفرات وهو يجهل فلا يؤاخذ ، وهذه لها أدلة من القرآن ومن السنة ، فمن القرآن فقول الله جل وعلا " لأنذركم به ومن بلغ " ، فدل على أن النذارة إلا على من بلغه القرآن ، فمن بلغه القرآن فقد قامت حجة الله الرسالية عليه ، ويفهم من هذا أن من لم يبلغه هذا القرآن ولم يصله العلم فإن غير مؤاخذ ، ويؤيد هذا أن نساء كن يستحضن في عهد النبي ﷺ ويأتين إلي رسول الله ﷺ فيقلن له يا رسول إنا نستحاض حيضة كثيرة شديدة وإنها تمنعنا من الصيام والصلاة ، فهنا تُرك صوم ، وصلاة تركت ، ومع ذلك كان ﷺ يوجههن إلي الحكم الشرعي ولا يأمرهن بقضاء ما فات لأنه قد فات وقته وهن يتصفن بصفة ترفع عنهن التكليف وهي صفة عدم العلم ، فلو كن مطالبا بما فات من الأوامر صياما وصلاة لأمرهن النبي ﷺ بالقضاء لأن المتفق عليه " أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز " .

أيضا في الصحيحين لما نزل قول الله جل وعلا " وكلوا واشربوا حتي يتبين لكم الخيط من الأبيض من الخيط الأسود " ولم تنزل" من الفجر " قال عدي ابن حاتم عمدت إلي عِقالين أحدهما أبيض والأخر أسود فجعلتهما تحت وسادي ، فجعلت آكل حتي تبين الصبح ، (فهو رضي الله عنه فأكل في أثناء النهار عامدا) ، فلما بلغ النبي ﷺ ذلك وأخبره بالخبر قال " إنك لعريض الوساد ، إنما هو نور الفجر وظلمة الليل ، فأنزل الله " من الفجر" ، فلم يأمره ﷺ بقضاء هذا اليوم الذي أكل في نهاره لوجود عذره وهو عدم علمه بحقيقة الحال ، وإنما فعل الأمر على غلبة ظن بصحة صواب نفسه ، فعذره النبي ﷺ .

أيضا في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان في المسجد فدخل رجل وفى بعض الروايات يقال له خلاد ابن رافع رضي الله عنه فصلي فجاء فسلم على النبي ﷺ فقال " وعليك السلام ، ارجع فصلي فإنك لم تصلي " . فقال في الثالثة أو الرابعة ، قال والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني ، (وقع في الخطأ عن جهل) فعلمه النبي ﷺ ، وهنا سؤالان :- هل أمره بقضاء ما فات مذ أسلم إلي هذه الصلاة ؟ الجواب لم يأمره بشيء من ذلك مما يدل على أنه عذره بعدم العلم ، ويشكل على هذا السؤال

السؤال الثاني وهو:- لماذا يأمره بقضاء هذه الصلاة ؟ الجواب لأن وقتها لا يزال قائما ، والمطالبة بها لا تزال حالّة ، وأما ما مضي من الصلوات فإنه لم يطالبها بها لأن وقتها قد فات .

وأيضا في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذا جاءهم آت فقال إني قد صليت مع النبي ﷺ وإنه قد أُنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها ، قال الراوي فاستداروا كما هم (بدون تسليم) إلي الكعبة " ، المدينة هي الأن على حدود المسجد النبوي ، فحدود المسجد النبوي هي المدينة سابقا أصلا ، ولكن قُباء كانت قريبة ، ولم يصلهم مع قربهم من قباء العلم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلي الكعبة إلا بعد فوات عدة أوقات لأنها حُولت العصر،ففاتهم (العصر – المغرب – العشاء) والصحابي هذا رضي الله عنه أدركهم وهم يصلون الفجر على هذه الحالة ، وهم قريبون ، ومثل هذه الصورة في الامتثال لا يمكن أن تخفي على النبي ﷺ ، ولم يأمر أحد منهم بإعادة الصلاة التي افتتحوها إلي القبلة المنسوخة ، فلم يُطالبوا بالناسخ قبل العلم به لأنهم معذرون بعدم العلم به ، فإذا كان هذا هو حال من هم قريبون من المدينة فكيف بالمسلمين في مكة ومتي وصلهم الخبر!!!!!! ولا ثم وسائل

اتصال ، بل اترك مكة ، ما بال المسلمين في اليمن ، بل المسلمون في الحبشة ، أكيد ما وصلهم الخبر إلا بعد أزمنة متطاولة ؛ ومع ذلك لم يؤمر أحد منهم بإعادة شيء ، والذي أسقط عنهم الحكم التكليفي هو الجهل ، ومثلهم يجهل في هذه الحالة .

أيضا في الصحيحين من حديث عمار ابن ياسر رضي الله تعالى عنهما قال بعثني النبي ﷺ في حاجة فأجنبت فتمرغت في الصعيد كما تتمرغ الدابة (وهذا فقه منه رضي الله عنه ، لأن الاغتسال بالماء يلزم أن يُعمم البدن قله فقاس على ذلك وقال لا بد أن يصل التراب على كل أجزاء لطهارتي الكبرى ، وهذا قياس عن فقه ولكنه صادم النص) قال ثم جئت النبي ﷺ فذكرت له ذلك فقال " إنما كان يكفيك أن تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة ومسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه " ، والسؤال الأن هل عمار رضي الله عنهما تيممه هو التيمم الشرعي ؟ لا بالتأكيد ،إذا صلي بغير طهارة ولم يأمر النبي ﷺ أن يعيد ، والسبب الذي به عذره ﷺ هو عدم علمه .

ومثلها أيضا في رواية في الصحيح أنه لم يكن لوحده وإنما كان معه عمر رضي الله عنه ، وعمر كان من مذهبه أن يري أن التيمم لا يرفع الحدث الأكبر أصلا ، فيبقي الجنب لا يصلي في مذهب عمر رضي الله عنه ووافقه ابن مسعود رضي الله عنه ولكن ثبت رجوع عمر عن هذا المذهب ،. ولكن في هذه الحادثة كان عمر رضي الله عنه يري أن التيمم يخص الطهارة الصغرى فقط دون الكبرى ، وكان عمار كلما حلت الصلاة تمرغ في الصعيد كما تتمرغ الدابة وصلي ، وعمر رضي الله عنه يراه ولا يصلي ، ولم يحدث عمار رضي الله النبي ﷺ بفعل عمر رضي الله عنهما لأنه لما جاءت خلافة عمر وكان عمار يحدث بهذه القصة عنه وعن عمر ناداه عمر وقال متي خرجت أنا وأنت ولا أذكر هذا ، فنسي عمر رضي الله عنه وأرضاه. فذكره عمار بتلك الواقعة وعمر رضي الله عنه قال لا أذكرها فقال يا أمير المؤمنين إن شئت أن أسكت عنه أسكت فقال عمر لا بل حدث وتحمل ، فكان عمار بعد

ذلك لا يحدث به عن عمر، وإنما كان يحدث عن نفسه فورد في الصحيح الروايتان جميعا ، فالشاهد أن عمررضي الله عنه بقي أياما لا يصلي فلما عُرض الأمرعلى النبي ﷺ لم يأمرلا عمرولا عماررضي الله عنهما بقضاء شيء مما فاتهما بسبب جهلهما بحقيقة الحكم الشرعي .

والأدلة على ذلك لا تكاد تحصرفي قضية العلم ، بل إننا لو كلفنا الغنسان شيئا يجهله لكان ذلك من تكليف ما لا يطاق ، والله جل وعلا لا يكلف نفسا إلا وسعها ، فقوله تعالى " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها " و" لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها " دليل على اشتراك العلم إذا لو كان التكليف بالعلم قبل بلوغه ثابتا لكان ذلك من تكليف ما لا تطيقه النفس وليس داخلا تحت وسعها ، وهذه نعمة من الله جل وعلا ، ولذلك أجمع علماء الإسلام على هذه القاعدة التي تقول " التكاليف الشرعية لا تثبت إلا بالقدرة على العلم والعمل " ، وقد شرحناها في أصول الفقه ، فلا تكليف إلا بعلم ، ولا عقوبة إلا بعد إنذار، من أجل ذلك اختلف العلماء في أصحاب الفترة وهي الفترة التي تكون بين رسولين قد اندثرت رسالة الأول ولما يُبعث الثاني ، فما حكمهم ؟ وهل يعذبهم الله ؟ الجواب لا ، دلت الأدلة على أن الله لا يُعذب أحدا إلا بعد إقامة الحجة عليه وهؤلاء صاروا بين فترة نبيين قد اندثرت رسالة الأول ولم يبعث النبي الثاني عليهما الصلاة والسلام ، فبقوا لا يعلمون حينئذ أثبت الأدلة وهو ما اختاره أبو العباسة ابن تيمية وتلميذة العلامة ابن القيم وجمع على أنهم يُمتحنون في عُرصات يوم القيامة امتحانا خاصا ، وهذا مثاله من دخل المستشفى ولم يحضر للامتحان فهل نرسبه مباشرة لعدم حضوره الامتحان ولا نعذره لوجوده هناك؟ بالتأكيد

لا ليس هذا من العدل ، بل بعد بداية الدراسة نخصص له اختبار، وهذا من باب ضرب الأمثلة وهو منهج شرعي في توصيل العلم حتي وإن كان من الغيب ، فهؤلاء لا يُعذبون مباشرة بل يُمتحنون ، وطريقة امتحانهم وردت فيها حديث أبي كبشة وغيره " أن الله يقيم نارا ويبعث لهم رسولا فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار " وهذا في حق من لم تشهد الأدلة أنه من أهل الجنة (من أهل الفترة) ، أو (أنه من أهل النار من أهل الفترة) ، فإذا قام الدليل على أن أحدا من أهل الجنة وهو من أهل الفترة فنقول هو من أهل الجنة ، وإذا قام الدليل على أحد من أهل الفترة أنه من أهل النار فإننا نقول أنه من أهل النار، وأما من لم يأت الدليل بتعيينه من أهل الفترة بأنه لا من هذه ولا من هذه ، فهؤلاء يمتحنون في عرصات يوم القيامة إذا لا يظلم ربك أحدا ، فهؤلاء ما قامت عليهم الحجة ، ويقول الله " وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا " وهم قد ماتوا قبل بعثة الرسول وقد اندثرت رسالة النبي الأول ، وكل هذا دليل على أن العلم شرط ،وهو من جملة الشروط التي لا يجوز تكفير أحد إلا بعد التأكيد هل كان عالما أو لم يكن عالما ،

4- الاختيار:- وضده الإكراه

والدليل على ذلك من الكتاب والسنة، أما من الكتاب فقول الله جل وعلا " من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان " قيل في سبب نزولها عدة روايات منها :-

أن عمار رضي الله عنه لما كان يعذبه كفار قريش كانوا لا ينفكون عن عذابه حتي يقولوا سب الله أو سب رسوله ، فإذا في سبهما رضوا عنه وتركوه تلك الليلة لا يعذبونه ، فلما جاء إلي النبي ﷺ وأخبره الخبر نزل قول الله جل وعلا " إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان " ،

وفي السنن قول النبي ﷺ " إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " ، والشاهد منه " وما استكرهوا عليه " .

وقد قسم العلماء الإكراه غلي قسمين :-

1- إكراه لا يبقي للإنسان إرادة ولا اختيار ، ويسميه العلماء الإكراه الملجأ (أي الإكراه الذي يلجئك إلي فعل ما أُكرهت عليه ، فلا اختيارلك).

2- إكراه غير ملجأ وهو الإكراه الذي لا يُعدم قدرة الإنسان بالكلية ولا اختياره بالكلية ، وأضرب مثالا لتوضيح ، لو جاءك رجل وقال لك أصفعك على وجهك أم تكفر بالله ،فهل يعد هذا إكراها ملجأ ؟ نقول لا ، لا يسمي إكراها ملجأ .

ولكن لو جاءك بالحديد والنار وهددك بالقتل ، أو بانتهاك العرض أو غيرذلك على أن تكفر بالله فهل هذا إكراه ملجأ ؟نقول لا جرم أن هذا هو الإكراه الذي لا يبقي للإنسان لا قدرة ولا اختيار. وكلما عظم المحرم كلما زاد التشديد في صورة الإكراه ، وأعظم المحرمات الكفر. فلا بد أن تكون صورة الإكراه شديدة ، ولكن لو اكرهت على الطلاق ، فقيل لك تُجلد جلدا عظيما (ولن تقتل في هذا الجلد ولا قطع) أم تتطلق زوجتك ؟ فهنا لو طلقت هذا إكراه ،

والعلماء يغتفرونه بكونك أُكرهت ، ولكن لو قالوا عشرون جلدة على أن تكفر فقالوا لا لا تكفر، فإذا كلما عظمت صورة التحريم كلما شُدد في صورة الإكراه ، فلا ينبغي للعبد أن يُقدِم على الكفر بمجرد أوائل الإكراه ، بل يصبر ويحتسب الأجر حتي يجعل الله له فرجا أو يصل بالإكراه إلي درجة لا يستطيعها ، بل إن العلماء يجعلون من أسباب التخلف عن الجماعة وهي واجبة لا يجوز التخلف عنها إلا بسبب الإكراه ، أو أي عذر شرعي أخر ، فقالوا من الأعذار" ملازمة غريما له ولا وفاء عنده " ، فلما كان عليك دين لأحد الناس وكل صلاة يأتيك في المسجد ولا مسجد لصلاة الجماعة إلا هذا المسجد ، وأنت لا تملك السداد ،فحينها لك التخلف عن الجماعة وتصلي في بيتك ، لهذا العذر،لأن إلزامه لك بالسداد مع عدم وجودك لك هذا يعد إكراها، وأما إن كان معك وفاء وأنت تتلاعب فلا يجوز لك التخلف في هذه الحالة .

وأما الإكراه على الكفر فلا بد أن يكون غليظا .

فإن قال قائل كيف تقول إن الإكراه أن يوقع الإنسان بسببه في الكفر وعندنا ما رواه الإمام أحمد في الزهد من حديث طارق ابن شهاب أن النبي ﷺ قال دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب ، قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال " مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه (يتعداه أحد) حتي يقرب له شيئا ، فقالوا لأحدهما قرب ، فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار، وقالوا للأخر قرب قال ما كنت لأقرب لأحد دون عزوجل شيئا فضربوا عنقه فدخل الجنة " ، والسؤال الأن أوليس الأول قد أُكره على هذا الكفر؟ نقول نعم قد أُكره على الكفر ،ومع ذلك فقد قرب ودخل النار، فكيف نجمع بين هذا وبين العذر بالإكراه ؟

والظاهرهنا تناقض ، أوشيء من الإشكال بين النصوص وهذا الحديث !!! فنقول اختلفت أجوبة العلماء رحمهم الله على ذلك على عدة أجوبة : -

1- قالوا إنه حديث ضعيف ، لأنه من رواية طارق ابن شهاب ، وهو من كبار التابعين ولكن ليس من الصحابة ، وطارق ابن شهاب يرويه مباشرة عن النبي ﷺ فهو مرسل تابعي وقد تقرر في علم المصطلح أن مراسيل التابعين ضعيفة ، وتُعُقب هذا الجواب بأن القول الصحيح في طارق ابن شهاب أنه من صغار الصحابة كمحمود ابن الربيع وغيره ، وله رؤية وأثبتها كثير من علماء الحديث ، فهو من صغار الصحابة ، أي نعم لم يسمع الحديث من الرسول ﷺ لصغر سنة لكنه حتي وإن كان لم يسمعه فإن مرسله مرسل صحابي ، والمتقرر في قواعد علم المصطلح أن مراسيل الصحابة صحيحة، ولذلك قبلنا مراسيل عائشة رضي الله عنها ، ومراسيل ابن عباس ، ومراسيل أبي أمامة ، ومراسيل أبي سعيد ، مع كونهم كانوا صغاريرون عن النبي ﷺ شيئا حصل في مكة ، وما شهدوه وما حضروه ، وإنما حُدثوا به ، ومع ذلك لا ينظر العلماء من الواسطة لأن الأعم الأغلب أن الصحابي لا يُحدث عن الرسول إلا بوساطة صحابي ، والعبرة بالكثير الشائع لا بالقليل النادر، إذا هذه حجة في تضعيف الحديث ليست بصحيحة ، فلا يزال الإشكال قائما

2- قال بعض أهل العلماء من الأجوبة إن الذي قرب ذبابا قربه في أول الأمروبادئ الرأي ولم يمانع ولم يُماحل ، ولم يحاول ،فقربه اختيارا ، فحينئذ دخل النار بسبب أنه لم يصل به الإكراه إلي الحد الذي يرتفع معه التكليف ، وتُعُقب على هذا الجواب كالحافظ ابن حجروغيره فقالوا إن الإنسان إذا غلب على ظنه أن

المُكرِه سينفذ ما أكرهه فحينئذ لا يجب عليه لا يجب عليه أن يصل إلي حد التمثيل ، بدليل أن هؤلاء من حين ما رفض هذا الرجل قتلوه مباشرة ، فصورة هذا الرجل أنه قد تقرر في ذهنه واستقرفي خاطرة أن هؤلاء القوم سيقتلونه لا محالة ،فهم كفارويردون أن ينصروا وثنهم ودينهم ، فلا محالة سيقتلونه .

3- البعض يقول أنه كان لديهم طريقا أخرفلم يسلكوه ، ولكن لا نعلم الأمر وكيف نجزم أنه سلكوا هذا مع إمكانه أن يسلكوا غيره ، وهم يعرفون وجود هؤلاء القوم ، فقد يكون سلكوه وهم لا يعرفون ، فهذا أسقط الأجوبة ، وبعيد جدا ، فكوننا نجزم بأنهم كانوا يعلمون هذا لا دليل عليه في الحديث أصلا. فلا نُحمِّل الحديث ما لا يحتمل ، فلو كانوا يعلمون فإن هذا الذي قتل لا يدخل الجنة لأنه منتحربفعله أن ألقي بنفسه للموت ، ولكن الحديث قال " فلم يقرب فدخل الجنة " .

4- قال بعض أهل العلم إن الذي قرب ذبابا لم يكفربسبب تقريب الذباب أصلا ، فهو كافربالأصالة لأنه كان يعتقد جوازالذبح لغيرالله ، فدخوله في النارليس بسبب تقريب الذباب ، وإنما لأنه كان يعتقد جوازالتقريب لغيرالله ، ولذلك لم يكن عنده أي ممانعة لتقريب الذباب لصنم ، وتُعُقب هذا الجواب بأنه لو كان كفره كفرا أصليا لكان التعليل بجود الكفرالأصلي أولي من التعليل بمجرد ذباب قربه ، ولأن الحديث أصلا سيق مساق التفخيم ، وتعظيم ، وتهويل الذبح لغيرالله ، ولأن المتقرر في الأصول أن الحكم إذا قُرن بالفاء بُعَيدَ وصف ، فالوصف هو علة الحكم ، فهنا قال " قرب ذبابا فدخل النار" ، كلمة دخل النارهي الحكم ، وهذا الحكم مقرون بفاء وهذه الفاء قبلها وصف " فقرب فدخل " فالدخول لا بد أن تكون علته التقريب وإلا لكان كلمة قرب ذباب " إقحاما في الكلام ولا فائدة منها

أبدا ، ومثل هذه يُصان عنه كلام آحاد الناس ، فكيف نحمل كلام رسول الله ﷺ عليه ، فهذا جواب غير مقبول وليس بصحيح

5- وهو الجواب الصحيح الذي يُحل به الإشكال وتزول به الغمة عن هذه النصوص أن هذا في شرع من قبلنا ، فقد كان في شرع من قبلنا لم يُرخص لأحد أن ينطق بالكفر حتي وإن بلغ به الإكراه حد تقطيعه بالسيف ، ونشره بالمناشير فلا يجوز لأحد أبدا الكفر في شرع من قبلنا ، وهذه من الآصار والأغلال التي خففت عنا ببركة بعثة محمد ﷺ ، فإذا النبي ﷺ إنما يقص قصة أُناس ممن كانوا قبلنا ، وباستقراء الأحاديث وجدنا أن من أُكره في من قبلنا على الكفر أنهم ثبتوا وكفروا حتي قُطعوا بالمناشير، وأُحرقوا في الأخاديد ، فلو كانت لهم رخصة لقاموا بها ولدلتهم أنبيائهم عليها ،لأن هذا فرج لهم ، ولذلك لا يخفي عليك أيها الحبيب حديث صهيب ، سلمان الفارسي رضي الله عنه في قصة غلام الأخدود ، فالقرية لم يكن فيها إلا ثلاثة " الراهب – جليس الملك – الغلام) ، ونحن نحتاج أكبر عدد ، ومع ذلك ثبت الراهب حتي نشر بالمنشار، ولم يكن في شريعتهم تجويز النطق بكلمة الكفر، أو فعل الكفر بسبب الإكراه ، ثم أيضا جليس الملك صبر وثبت على إيمانه واحتسب الأجر حتي نُشر بالمنشار، والغلام أيضا فدي بنفسه حتي قُتل ، فلم يكن عندهم رخصة ،

بل قد كان النبي ﷺ متوسدا برده في ظل الكعبة فجاء خباب ابن الأرت رضي الله عنه فقال يا رسول الله ألا تدعوا الله لنا ، ألا تستنصر لنا ، فقال النبي ﷺ " إن من كان قبلكم كان يؤتي فيحفر له حفرة في الارض فينشر بالمنشار ما بين رأسه إلي قدمه ، ويمشط بأمشاط الحديد لا يصده ذلك عن دينه " فلم عندهم رخصة أبدا ، وقد تقرر في قواعد تفسير النصوص " أنه إذا اختلف العلماء على

قولين وأحد القولين تؤيده أدلة أخرى ونصوص أخرى فالواجب علينا ترجيح ما أيدته الأدلة " فإذا حمل هذا الكلام على أنه شرع من قبلنا تؤيده أدلة أخرى ، وأما في شريعة الإسلام تلك الشريعة العظيمة فإن مما رفعه الله عنا وحطه عنا من الأغلال والآصار أنه إذا أُكره الواحد منا على الكفر فإنه يجوز له أن يكفر، ولكن يكون كفرا ظاهرا لا باطنا لقوله تعالى " وقلبه مطمئن بالإيمان " ولم يُرخص في الباطن لأن المُكرِه وقع إكراهه على الظاهر ولكن لم يقع إكراهه على الباطن إذ لا يستطيع أحد أن يُكره القلب ،وهذا من نعم الله علينا ، قال الله تعالى في الخصائص التي بعث بها النبي ﷺ " ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم " ، فإصرهم في إسقاط بعض الواجبات التي كانت تجب على من قبلنا ، والأغلال في تحليل بعض المحرمات لنا مما هو حرام على من قبلنا ، فمن جملة المحرمات التي كانت محرمة على من قبلنا تحريم النطق بالكفر، وفعل الكفر بسبب الإكراه وهذا مما وضعه الله عنا ببركة محمد ﷺ إذا زال الإشكال ولله الحمد والمنة .

بعض أهل العلم قال إن هناك جوابا ميسورا ولعل له القبول ؛ فقال الرجل قرب ذبابا والتقريب هذا في الفعل ، فقال نحمل قول الله جل وعلا " إلا من أُكره " على الإكراه بالكفر بالأقوال ونحمل الحديث على الكفر بالأفعال ، فمن أُكره على الكفر فيجوز له إن كان الإكراه على القول ، وأما إذا كان الإكراه على الفعل فلا رخصة ، ونقول وهذا جمع لا يصح لأن قول الله جل وعلا " إلا من أكره " من هذه صيغة من صيغ العموم لأنها اسم موصول أي " إلا الذي أُكره " والأسماء الموصولة عند جماهير الأصوليين تفيد العموم فيدخل فيها كل من أُكره سواء بالأقوال أو الأعمال ، والمتقرر عند العلماء أن الأصل هو بقاء

العموم على عمومه ولا يُخص إلا بدليل ، ولا يجود تخصيص ، فالبعض قال عندنا دليل لتخصيص وهو أن سبب نزول قول الله جل وعلا " إلا من أُكره " كان عماروالكفر الذي وقع فيه كان أقوال ، فأردوا أن يقيدوا اللفظ العام بسببه ، فنرد عليهم بأنه وإن كان سببها خاصا فإن المتقرر عند العلماء في قواعد الأصول

" أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب " ، إذا الذي يبقي لنا أن أصح الأجوبة هو أن هذا محمول على شرع من كان قبلنا ، وأما في شريعتنا فيرخص لنا في ذلك ، وخلاصة الكلام أن الإكراه من جملة المحطات التي لا بد أن ننتبه لها قبل الوصول إلي تكفير المعين ، فإذا وقع الإنسان في شيء من الكفروهو مكره فإنه لا يجوز لنا أن نعاتبه ولا نحاسبه على ذلك ،

6- الذكر:-

وضد الذكر النسيان ، ودليله الكتاب والسنة ، فمن الكتاب قول الله جل وعلا " ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا " ، وفي صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة قال الله " قد فعلت " ، وقول النبي ﷺ " من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه " ، وفي الحديث الحسن " إن الله تجاوز عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " ، فإذا وقع العبد في شيء من المكفرات ، أو المبدعات ، أو المفسقات ، أو المؤثمات ، وهو ناسٍ أو غافل إنه لا يؤاخذ ولله الحمد والمنة ، ولذلك تقرر عند العلماء قاعدة ينبغي حفظها وهي :-

" لا يؤثرفعل المنهي عنه إلا بذكر، وعلم ، وإرادة " .

7-القصد :-

وهو من الشروط وضده الخطأ وعدم القصد ، ودليله ما في الصحيحين من حديث أبي حمزة أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ " لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلت منه ، وعليها طعامه وشرابه .. فأيس منها فأتي شجرة فاضطجع في ظلها ينتظر الموت فينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عند رأسه فأمسك بخطامها وقال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك " قال ﷺ " أخطأ من شدة الفرح "

ويا ويله من الخوارج وأتبعاهم من التكفيريين ، فهذا الفعل الذي صدر من هذا الرجل ننظر له باعتبارين :-

بذات القول ، وباعتبار الفاعل ، فالقول بالنظر إلي ذاته كفر ، ولكن لم يعد النبي ﷺ حكم الفعل إلا فاعله مباشرة ، ولكن النبي قال " أخطأ من شدة الفرح " فهنا فقدنا شرطا وهو " القصد " ،وإن هذا الرجل لم يقصد ذلك ، وعلى ذلك يحمل ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه " أن رجلا من طان قبلنا لم يعمل خيرا قط قال لأبنائه إن أنا مت فأحرقوني ، ثم ذروني في يوم رائح (شديد الريح) نصفي في البر ، ونصفي في البحر فوالله لأن قَدَرَعلى ربي ليعذبني عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين " ، يقول العلماء وهذا الرجل وقع في مكفرين وهما (الشك في البعث – الشك في القدرة) ، " فأمر الله البحر فجمع ما فيه ، وأمر البر فجمع ما فيه ، فقال لما فعلت هذا ، قال من خشيتك يا رب وأنت أعلم " ، فالرجل ما قال كفرا بك ،

وشكا في قدرتك لا لا ، وإنما حمله على ذلك شدة الخوف وشدة الخشية من الله الذي أغلق على عقله فلم يدركيف يتصرف ، وكيف يفعل ، فأراد الفرارمن العقوبة ، وإلا فهو معه أصل الإيمان ، ولكن شدة الخوف وشدة الذعرمن الله على ما ارتكبه من الذنوب والمعاصي في سابق عهده ، هي التي حملته على ذلك ، فهنا الرجل لم يكن قاصدا وقال هوعن نفسه " من خشيتك يا رب ، وأنت أعلم ، فقال الله له قد غفرت لك " ، فغفرالله له ولو كان كافرا لما كان داخل في حيز المغفرة لأن الله لا يغفرأن يشرك به ، وأجمع العلماء على أن هذه الآية من الحساب في الأخرة ، وأما في الدنيا فيغفرأن يشرك به إذا تبت من الشرك ، وأما في الأخرة لا يغفرالشرك في الأخرة ، ولذلك هناك آيتان قول الله جل وعلا " قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفرالذنوب جميعا " وقد سمعت الشيخ عبدالعزيزابن بازرحمه الله يقول " أجمع العلماء على أن هذه الآية في الدنيا " ، ثم قال رحمه الله تعالى وأما قول الله جل وعلا " إن لا يغفرأن يشرك به " ، أجمع العلماء على أن هذه الآية من حسابات الأخرة ، فلا مغفرة في الأخرة لمن مات على الشرك ، وأما أصحاب الكبائرفقد تقدمت القواعد أنهم يكونون تحت المشيئة ، فلما غفرالله لهذا الرجل دل ذلك على أن ما وقع فيه من الكفرلم يؤاخذ بمقتضاه لوجود مانع ، وفوات شرط وهو" القصد " فهولم يقصد ، وإنما حملته الخشية والخوف الذي أغلق على عقله ففعل ذلك .

8-عدم التأويل وهو الشرط الأخير. فإذا وقع الإنسان في شيء من المكفرات أو المبدعات ، أو المفسقات ، أو المؤثمات وهو متأول فلا حرج عليه ، ودليله

الإجماع ، فقد أجمع علماء أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى على العذربالتأويل ، ولكن لا بد من فهم مسألة : - وهي أن التأويل قسمان :-

1- تأويل سائغ .
2- تأويل غيرسائغ .

والعذرإنما يكون بالتأويل السائغ لا غيره ، كما تأول عدي ابن حاتم رضي الله عنه ، لما تأول قول الله جل وعلا "الخيط الأبيض من الخيط الأسود " تأوله بأنهما عِقالان فعذره النبي ﷺ لأنه كان متأولا ، فعدي رضي الله عنه اجتمع فيه الأمران (عدم العلم – وجود التأويل) ،

فالعلماء من أهل السنة والجماعة لم يكفروا الأشاعرة لما حرفوا يدي الله في قوله "بل يداه مبسوطتان " و" لما خلقت بيدي " ، إلي النعمة والقدرة فلم يكفروهم لأنهم عندهم تأويل ، وشبهه ،

" والأصل بالإجماع أن من ثبت إسلامه بيقين فلا يجوز إخراجه من دائرة الإسلام إلا بيقين "

فإذا شككنا أن هناك شبهه تأويل فنؤخرالأمرحتي يستبين له الأمرويقام عليه الحجة الرسالة ، وتتبين له المحجة ، ويتضح له الطريق ،وتُزل عنه الشبهة ، ويطهرقلبه من درن هذه الشبهة ، فإذا عرف وأصرفحينئذ نحكم عليه بمقتضي فعله ،

ومثال التأويل غيرالسائغ :-

كأن يأتي رجل في قول الله جل وعلا "بل يداه مبسوطتان " قال المراد باليدين هنا السموات والأرض ، فهذا نكفره ، لأنه جاحد لهذه الآية لأن تأويله غير سائغ في لغة العرب، فالعرب لم تطلق على السموات والأرض أنها يدان ، فهذا يلعب بالنصوص ، ويغطي جحوده وتكذيبه بما أنزل الله بهذا التأويل ، وإلا ففي حقيقته أن لم يؤول ولكنه جاحد ومكذب ، ولكنه أراد أن يتسترعنا بهذا التأويل الذي لا يسوغ في لغة العرب ، ولذلك لم يكفر العلماء الأشاعرة مع وجود التأويل عندهم ، ولم يكفر أهل السنة والجماعة المعتزلة كفرقة مع أن عندهم تأويل ، ولم يكفروا الماتور يدية مع أن عندهم تأويل ، ولم يكفروا الكُلابية اتباع محمد ابن سعيد ابن كُلاب مع أن عندهم تأويل ، ولم يكفروا الكرامية مع ، عندهم تأويل ، ولم يكفروهم مع كونهم يردون النصوص ،ولكنهم يردون النصوص لا رد تكذيب وجحود ، وإنما رد تأويل ، وهذا أوسع ما يعذربه أهل السنة والجماعة مخالفيهم ، وبناء على هذا التقريروالتقعيد والتأصيل نقول :- من فعل الكفر، أو البدعة ، أو الفسق ، أو المعصية التي يؤثم صاحبها وهو (بالغ – عاقل – عالم – مختار – ذاكر – قاصد – غير متأول) فنحكم عليه بمقتضي فعله حينئذ وهذا هو خلاصة ما قرره أهل السنة والجماعة في هذا الباب ، فلا يجوز لك أن تكفر المعين بمجرد التكفير العام إلا بعد ثبوت الشروط ، وانتفاء الموانع ، ولا يجوز لك أن تبدع المعين بمجرد التبديع العام إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع ،ولا يجوز لك أن تفسق أو تؤثم المعين بالتفسيق أو التأثيم العام إلا بعد ثبوت الشروط ، وانتفاء الموانع ،

فالذي يقع فيه هؤلاء (التكفيرين) هو اعتقادهم وجود التلازم الذاتي بين الحكم على الفعل ، والحكم على فاعله ، وأما عند أهل السنة والجماعة منفك الجهة ، فالفعل يُعطي حكما ، والفاعل يُعطي حكما ، حتي نتأكد من ثبوت الشروط وانتفاء الموانع كما ذكرته آنفا 0

....

بقي لنا في الكلام عن مسألة التكفير قضية مهمة وهي :-

أن بعض الناس هداه الله يعمد إلي أدلة تحكم بالكفر على بعض الأشخاص ، أو على بعض الأوصاف ، ثم هو يطبق هذا الحكم العام على بعض الأفراد ، فتجده يسمع من فعل كذا فهو كافر ، أو موالاة الكفار كفر ، ومن ظاهر الكفار على المسلمين فهو كافر ، ويسمع من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر ، وهذه أدلة عامة ، فيأتي هو باجتهاده ويطبقها على بعض الأفراد ، إما حاكم ، أو أمير ، أو عالم ، كما نسمع في هذه الآونة ، فإذا جئت تناقشه في تكفير هذا المعين كفرك ظنا منه أنك تناقض الدليل ، وهذا من أكبر الأخطاء التي يقع فيها التكفيريون ، لأننا إذا ناقشناهم في تكفيرهم لا نناقش الدليل ، وإنما نناقش اجتهادهم في الدليل ، وإنزال هذا الدليل العام على هذا الشخص المعين ، لكن أذهانهم تنصرف إلي أنك تناقش في الدليل ، فيقولون أنت لا تؤمن بالقرآن ؟ فيقول هذا الحاكم يحكم بغير ما أنزل الله ، والله يقول " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " ، فنقول له هل هذا الحاكم بعينه هل نص الله على تكفيره باسمه في القرآن مثل ما نص على فرعون ، وأبي لهب ؟ الجواب لا إذا أنت اجتهدت في إدخال هذا

المعين تحت هذا الدليل العام ، فإذا جئت أنا وقلت هذا الحاكم ليس بكافر ، وإن كان يحكم بغير ما أنزل الله ، لأنه باجتهاده أن هناك بعض محطات (شروط) من التكفير لم تتوفر فيه بعد ، فيقوم هذا الذي كفره ، فيكفرني أنا بسبب أنني لم أكفر الكفار، ومن نواقض الإسلام العشرة من لم يكفر مشركا ، أو شك في كفره ، أو صحح مذهبه ، فالتكفير في هذا الزمن مبني على خلط في التأصيل والتقعيد وهذا خطأ ، فالواجب علينا أن نعلم أنني إذا ناقشتك في تكفير معين لم يُنص عليه بعينه في الأدلة أنه كافر فأنا لا أناقش الدليل.. بل أُناقش استدلالك بالدليل ، فالمناقشة وقعت على الاجتهاد (الاستدلال) ليست على الدليل ، وأنت تري باجتهادك أنه يدخل تحت هذه القضية العامة، وأنا أري باجتهادي أنه لا يدخل تحت هذه القضية العامة ، فأنت تحمل ما توصلت إليه من اجتهاد ، وأنا أتحمل ما وصلت إليه من اجتهاد ، فأنا لا ألزمك باجتهادي ، وأنت لا تلزمني باجتهادك ، ولكن كونك تنص على كفري إذا لم أقبل اجتهادك فهذا خطأ فادح ، ويا ليتهم نصوا على كفر من خالفهم في الاجتهاد فقط ؛ بل ينصون على تكفير زوجته إذا ترضي العيش مع كافر (الذي كفروه هم) ، فهل تكفرهم هذا نص منزل لا يناقش ؟ ما هذا الخلط ، فيقولون أبوك لم يتبرأ منك إذا كافر ، زوجة أبيك لما لم تتبرأ منه فهي كافرة ، والجيران ، وأهل الحي، ولذلك هؤلاء التكفيريون يكفرون من على وجه الأرض ، فقد يصل بهم الحال لهذا الأمر ،فيقولون هذا حاكم كافر فلماذا الوزراء يعملون معه إذا هم كفار، وزوجات الوزراء ، وأبناء الوزراء ، وجيران الوزراء ، حتي قال واحد منهم لصاحبه لا أعلم على وجه هذه البسيطة أحد من أهل الإيمان الصادقين

إلا أنا وأنت ، ثم قال له وأشك في إيمانك ،أرأيتم إلي هذا الحد ، فهذه مصيبة كبيرة

ولا تظن أن التكفير أمره سهل لا بل هو والله ما عصفت بالملة مثل فتنة التكفير، ويكفيك أنها هي أول الفتن التي سببت التقاء الصحابة مع بعضهم البعض ، لما كفروا قتلة عثمان رضي الله عنه ، ولما كفروا من سكت عن قتلة عثمان، وحصلت القضايا ووقعت فيها مواقع كثيرة جدا بسبب التكفير، وخرجت بسببها الخوارج وقتلوا كثيرا ممن بقي من أصحاب النبي ﷺ ومن سادات السلف ، وإلي الأن لا تزال ظاهرة الاغتيالات ، وظاهرة القتل ، وظاهرة التفجير، فكلها مبنية على هذ الأصل وهو أنه " إذا رأى أن أحدا كافر باجتهاده فيجب على الأمة وجوب عين فرض عين أن تطيعه في هذا الاجهاد ، وأي أحد تسول له نفسه أن يُخالف فإنه يدرج في قائمة المُكفَرِين مباشرة " ، وهذا ليس بأهوائهم لا ، إن هذا دين الله فلا نكفر إلا من كفره الله ورسوله ، فمن نصت الأدلة عليه بكفره بعينه من ناقش في كفر هذا بعينه (من نصت الأدلة على كفره) فهو كافر " ، ولذلك خذها مني أيها القارئ الحبيب معلومة مهمة وهي:-

" أن الشيخ محمد ابن عبدالوهاب قال من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم هم من نص الله عليهم في القرآن بكفرهم بأعيانهم " ، أي من شك في كفر إبليس ، أو شك في كفر فرعون ، أو من شك في كفر النصارى ، ومن شكل في كفر اليهود ، فهؤلاء هم الذين نص الله على تكفيرهم في القرآن فمن شك في كفر من كفره الله بعينه سواء كان شخصا أو طائفة فهذا هو الكافر، وأما التكفير بالاجتهاد فلا ، فإذا كفرت أحدا باجتهادك ولم يكفره غيرك فإياك أن تدرجة

تحت القائمة السوداء بأنه لم يكفر المشركين لا لا بل هذا خاص بالتكفير المنصوص على عينه شخصا كان أو طائفة بالأدلة القاطعة ، أما من كان كفره بالاجتهاد فلا يدخل تحت هذه القائمة ، فلا بد من لحذر من هذه المسألة ، فهذا الحكام عنده موالات للكفار فهو كافر ودليلك على كفره قول الله " ومن يتولهم منكم فإنه منهم " ، نقول له إذا دليلك الذي استدللت به دليل عام وليس دليلا خاصا يخص هذا الحاكم ؟ فإدخالك لهذا الحاكم تحت هذه القضية العامة إدخال اجتهادي ، وأنا أخالفك في هذا الاجتهاد وأقول هذا الحاكم لا يدخل تحت هذه الآية ؟ فهل تكفرني باجتهادي الذي خالفت فيه اجتهادك !!!! فهذا هو منهج الخوارج وهو منهج جماعة " التكفير والهجرة " الذين يكفرون أكثر المسلمين بسبب هذه الإلزامات ، فيكفرون بالزوم (الإلزام) هذا كافر فزوجته كافر لماذا هي تحته ومعه ، فهم يفرضون أشياء ويكفرون بمجرد هذه الأمور ، ولذلك القاعدة المتقررة عند أهل السنة والجماعة " أن من ثبت إسلامه بيقين فلا يجوز أن نرج من دائرة الإسلام إلا بقين أخر" ، ويجب علينا أن نتقي الله في إطلاق هذه الأحكام فإن إطلاقها عظيم عند الله ، وأحكامها في الدينا والأخرة تترتب عليها أمور عظيمة ، فيجب الورع والتقوي ، وأن تحبس لسانك وأن تكفه مثل هذه الأحكام إلا إذا ثبت الدليل القاطع على كفر أحد بعينه فحينئذ نكفر من كفره الله جل وعلا ، ورسوله ﷺ ، ولذلك إذا جاءك أحد هؤلاء التكفيريين يكفر حاكما بعينه قل له استدللت بماذا ؟ فيعطيك مباشرة دليل عام ، فقل له أنت تري باجتهادك أن هذا المعين يدخل تحت هذه القضية ، فاجتهادك هذا نص أم ليس بنص ؟ وهل يجوز مخالفة اجتهادك أم لا يجوز مخالفته ؟ يقول يجوز ، قل له إذا أنا أخالفك في هذه الاجتهاد ، وللأسف يربيهم كبارهم على أنه

من خالفك في الاجتهاد فقد خالفك في النصوص فهو يكفر بالنصوص ، ونعوذ بالله من ذلك ، ونسأل الله أن يحفظنا من هذا الزيغ العظيم .

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى :-

" وفعلنا لله خلقا يُنسب وكسبها للعبد جزما ينسب "

هذا البيت يتعلق بمسألة من مسائل القدر وهي مسألة أفعال العباد هل هي مخلوقة لله جل وعلا ، أم أن العبد هو الذي خلق فعله بنفسه ؟ وهذه المسألة متفرعة عن مسألة مذاهب أهل القبلة في القدر، وقد انقسم أهل القبلة في القدر إلي ثلاثة أقسام :-

1- الجبرية الذين يقولون إن العبد لا قدرة له ولا طاقة على اختيار فعله مطلقا ، بل هو مجبور على فعله ولا اختيار له في تغيير الأمر مطلقا

2- قابل الجبرية طائفة أخري يقال لهم القدرية الذي قالوا إن العبد له القدرة المطلقة ، والمشيئة المطلقة وهو الذي يخلق فعل نفسه بنفسه ، ولذا سماهم العلماء مجوس هذه الأمة تشبيها لهم بالمجوس الثانوية (المانوية) الذين يعتقدون أن للعالك خالقين النور والظلمة ، وهذا شرك في توحيد الربوبية فمن اعتقد أن للعالم خالقين فهو مجوسي ، فيقولون إن النور هو الذي خلق الخير، والظلمة هي التي خلقت الشر، فهم المجوس عبدة النار. فالقدرة لما اعتقدوا أن في هذا العالم خالقين الله خلق الأشياء ، والعبد هو الذي يخلق فعله فإذا اعتقدوا خالقا مع الله فإذا هم مجوس هذه الأمة ، ويُروي في ذلك بعض النقول التي يُحسنها بعض أهل العلم رحمهم الله ، فالقدرية يقولون إن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه بنفسه ، فالجبرية يقولون

الله هو الذي يخلق فعل العبد والعبد لا قدرة له ولا طاقة ، ولا مشيئة ، ولا اختيار أبدا ، فهؤلاء أصابوا من جانب وأخطأوا من جانب .

القدرية قالوا للعبد قدرة ومشيئة واختيار وهو الذي يخلق فعل نفسه بنفسه وهؤلاء أصابوا من جانب وأخطأوا من جانب ، لو جمعنا الصوابين يكون لك مذهب أهل السنة والجماعة وهو:-

3- بدمج الصوابين مع بعض يكون هو مذهب أهل السنة والجماعة ، فالصواب الذي عند الجبرية أن الله هو الذي يخلق أفعالنا ، والصواب الذي عند القدرية أن للعبد قدرة ومشيئة واختيارا على فعله ، فإذا صار مذهب أهل السنة والجماعة أن أفعال العباد مخلوقة لله ، وكسب للعباد ، أي أن الله هو الذي خلقها ، وهذا فيه رد على القدرية الذين يقولون إن العبد هو الذي يخلق فعله ، وقولهم وللعبد قدرة ومشيئة وكسب واختيار فيه رد على الجبرية الذين قالوا إن العبد لا قدرة له ولا اختيار، فأفعال التي تصدر منا لها نسبتان :-

نسبة تنطلق إلي الله تعالى ، ونسبة تبقي مع العبد ، فالنسبة التي تنطلق إلي الله هي نسبة الخلق والإيجاد والتقدير، فالله هو الذي خلق فعلي ، وقدر فعلي ، وشاء فعلي ، وأوجد فعلي ، ولكن الذي اقترف الفعل.، والذي فعله ، والذي جناه هو العبد نفسه بقدرة واختيار، وليس بإجبار،

فلنا في أفعال العباد شائبتان :-

شائبة تنسب إلي الله ، وشائبة تنسب إلي العباد .

فأفعالنا تنسب إلي الله خلقا وإيجادا لأننا لو اعتقدنا أن ثمة خالقا لأفعالنا غير الله فقد أشركنا بتوحيد الربوبية ، فالله هو الذي خلق أفعالنا وهو قدرها ، وهو الذي شاءها جل

وعلا بمشيئته الكونية ، وأما نسبتها نسبة اقتراف ونسبة عقوبة ، ونسبة طعاة أو معصية فهذه تنسب إلي العبد ، ولذلك الكفر يُنسب إلي الله تقديرا وخلقا ، ويُنسب إلي العبد اكتسابا واقترافا ، ولذلك يعاقب العبد على كفره ، ولا يعاقب على كونه خلقه الله لا ، وإنما على أن العبد اكتسبه واقترفه بقدرته ومشيئته واختياره ، فقد كان يستطيع أن يقول أشهد أن لا إله إلا الله فهو لا يشعر على أن أحدا أجبره على الكفر، وإنما عاند واستكبر وكفر باختياره وقدرته ،

والصلاة تنسب إلي الله خلقا وإيجادا ، فهو الذي خلقها وأوجدها وقدرها وشائها ، ولكنها تنسب إلي العبد فعلا واكتسابا وثوابا ، فالعبد هو الذي يعصي وهو الذي يطيع ، والله هو الذي خلق ذلك وأوجده ، والعقوبة يوم القيامة أو الثواب ليس على كونها مخلوقة لله ومقدرة ، وإنما على كونها طاعة صدرت منك واقترفتها واكتسبتها ، أو معصية صدرت منك واقترفتها واكتسبتها ، فإذا الثواب والعقوبة على ما ينسب للعبد لا على ما ينسب لله ، فالجبرية يقولون لا أفعالنا خلق لله فقط ولا دخل لنا فيها ويكتفون بهذا ، ولذلك يعصي الواحد منهم ويقولوا الحمد الذي وفقنا لما يريد " ، فيعصي ويري أنه يفعل الشيء الذي يحبه ويرضاه ، ويزني ويري أنه يفعل الشيء الذي يحبه الله ويرضاه لأنه يري أن كل شيء توجه إليه بسبب القدر فالله جل وعلا يحبه ويرضاه ، ولكن القدرية أذكي قليلا من الجبرية خالفوهم فلما شاهدوا أفعال العباد وجدوا فيها كفرا ، وزني ، ووجدوا فيها لواط ،وشرب خمر، ووجدوا فيها سرقة، وقتل ، ومعاصي ، وبدع ، فقالت القدرية كيف نقول إن هذه الأفعال خلقها الله ثم يعاقبهم عليها يوم القيامة !!!! إذ كان خلقها فلما يعاقب !!!؟ لأن الجبرية والقدرية مشكلتهم أنهم لا يفرقون بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية ، فكل الإرادة عند الله عند القدرية كلها شرعية ، فكل شيء عند القدرية والجبرية ليس عندهم إلا إرادة واحدة فقط لله وهي إرادة شرعية ، فالجبري يشرب الخمر

ويحمد الله على شربه هذا ويقول هذا هو الذي أرده الله مني ،فهو يري أن أي شيء يريده الله فهو شرعي أي أن الله يحبه ، ولما رأي المعتزلة أن أفعال العباد مصائب من الذنوب قال لو قلنا إن الخمر يريده الله والله خلقه فلازما أن يحبه والله لا يحبه ، فقالوا العبد هو الذي خلق فعل الخمر، والله ما خلقها لأن المتقرر عندهم أن كل شيء في الكون يعق فلا بد أن يحبه ، فالجبري يشرب الخمر ويحمد الله ويقول الله يحبه لأن الله أوقعه في كونه فليس عنده إلا إرادة واحدة فقط وهي الإرادة الكونية ،

وأما القدري قال شربت خمر فأنا أُنزّه نسبة شرب الخمر إلي الله فأنزه الله عن أن يريد مني أن أشرب الخمر (أعملوا عقولهم قليلا ، ولم يصلوا به إلي الصواب) فقال أنا الذي خلقت فعل شرب الخمر والله ما خلقه ، فمبدأ الوقوع في الخطأ هو أنهم لم يفرقوا بين إرادة كونية وإرادة شرعية ، ولذلك يأتينا المعتزلي ويقول يا أهل السنة ألا تتقون الله هل تقولون إن ربكم يريد المعصية ؟ فرد السني عليه يريدها كونا لا شرعا ،والإرادة الكونية لا تستلزم محبة الله تعالى ،

فإذا قيل لك هل الله يريد المعاصي ؟

فقل يريدها كونا ، ولا يريدها شرعا ، يريدها كونا لأنه قدر وقوعها في كونه ، ولا يمكن أن يقع في كونه شيئا لا يريده هو فهو يريده بالإرادة الكونية ، ولكن لا يريده بالإرادة الشرعية ، ولذ يقول الله جل وعلا " إن تكفروا (كونا) فإن الله غني عنكم ولا يرضي لعباده الكفر (شرعا) " فوقع الكفر منهم كونا ، ولكنه لا يرضي به سبحانه شرعا ، أهل السنة والجماعة اهتدوا لتفريق بين الشائبتين في أفعال العباد لأنهم اهتدوا قبل ذلك لتفريق بين نوعي الإرادة ، فقالوا الأفعال والمعاصي التي تصدر من العبد زنا ، شرب خمر ، شرقة ، قتل نفس بغير حق ، لواط ، كل هذه المعاصي والآثام والذنوب التي تصدر من

العبد ننظر لها بالعينين جميعا ، فنقول هي باعتبار كونها وقعت في الكون فهي مرادة لله كونا (أي أن الله خلقها وأوجدها وهو الذي قدرها) فهي تنسب إلي الله خلقا وإيجادا وتقديرا ، وأما باعتبار العبد فالعبد هو الذى اكتسبها وهو الذي اقترفها وهو الذي جناها ، ولذلك الله جل وعلا يقول

" بما كسبت أيديكم " ولذلك يسمها الله اكتسابا ، واقترافا ، واجتراحا أحيانا ، كقوله " اقترفوا السيئات " ، وكذلك " اجترحوا " فدائما اكتساب، واقتراف ، واجتراح ، وارتكاب ، كلها هذه أفعال تنسب إلي العبد ، فالعبد يُنسب له فعله اكتسابا واقترافا واجتراحا ، وينسب إلي الله تقديرا وإيجادا .

ويوك القيامة يثيبك الله على صلاتك لأنك فعلتها لا لأنه خلقها ، فيثيبك على ما ينسب لك ، ويوم القيامة يعاقبك الله على الزنا لأنك اقترفته باختيارك فأنت الذي بحثت ودبرت ، فالفعل فعلك ، لا على أنه خلق الزنا ، فأنت فعلت بمحض إرادتك ولم يكن ثم من أجبرك على الزنا ، ولا ألزمك أحد بهذا الزنا .

فإذا قال الله كتبها على في اللوح المحفوظ ، نقول لا حجة لك في ذلك لأنك قبل اقترافك هل اطلعت على اللوح المحفوظ وجزمت أن الله كتبه ؟ لا ، فلماذا لا تكف عنها وتقول كتب الله على في اللوح المحفوظ أن أكف ، وإما أن يظل العبد في المعاصي ليل نهار ويقول كتبها الله في اللوح المحفوظ فهذا غير مقبول ولا عذر له ، وهذا في غالبا الناس لا ينسبون إلي ربهم إلا المعاصي ، ولكن الطاعات لا أحد ينسبها إلي الله إلا نادرا ، فلو قام أحدهم قام الليل بركعتين نظر إلي نفسه معجبا وكأنه إبراهيم ابن أدهم ، فتجده خاشعا بين الناس ، فما قال الله قدر على أن أقوم الليل ، ولكن متي ما وقع العبد في المعاصي قال الله قدرها على ، فدائما غالب الناس ينسبون إلي الله الشر، وأما الخيرات

فلا ينسبونها إلي الله جل وعلا ، فأنت لا تحاسب على يوم القيامة ثوابا وعقابا على ما خُط لك في اللوح المحفوظ لا لا ، وإنما تُحاسب على ما اقترفت ، ولذلك الله جل وعلا خلقنا وأوجدنا حتي يقيم الحجة علينا بأن نري أنفسنا نقترف إذا لو أنهم لم يرد منا ذلك لحاسبنا بما كتبه سبحانه في اللوح المحفوظ من غير خلق ، ولكن حتي لا يكون لنا حجة أمام الله ويأتي العبد ويقول يا رب أنت كتبت على ثم عاقتني بمجرد كتابتك فلو أنني وُجدت لما فعلت ، فالله كتب علينا وأُجدنا لنشاهد أنفسنا حتي تشهد علينا أعيننا وجوارحنا بما اقترفنا ، ولكن لو أنه حاسبنا مباشرة قبل أن يخلقنا لكان هناك شيء من الحجة ولكن لقطع الحجة أوجدنا حتي لا يكون لنا حجة ، مثال ذلك كالطالب يقولوا للمدير سجلني لديك في المدرسة أنا متميز والمدير يعلم أنه طالب كسول مطرود من أكثر من مدرسة ، ولكن حتي يقيم الحجة على هذا الطالب من نفسه بنسه فقال المدير سجلوه ، والمدير يقصد أن يثبت لطالب عمليا أنه غير كُفؤ لهذه المدرسة ، ولكن لو رده ابتداء لأحتج برد المدير له ، ولو أنه مكني سأريكم من نفسي ، ولكن المدير تركه ليقم الحجة عليه من نفسه ليعلم أنه لا يصلح .

ولذلك الله جل وعلا في الخلق الأول أوجدنا حتي نري من أنفسنا ، ولذلك يقول الله " يوم تشهد عليهم ألسنتهم " فلو أنه ما خلقنا ما كانت لنا ألسنة تشهد ، فعلى أي شيء تشهد لو لم يُوجدنا وخلقنا ، بما تشهد ألسنتنا ، وأيدينا ، وأرجلنا بما كنا نعمل ، وقال الله جل وعلا " وقالوا لجلودهم لما شهدتم علينا " لأنه لو لم يخلقنا الله وأوجدنا في هذه الحياة الدنيا لصار للعباد حجة على الله بقولهم يا رب أنت كتبت وعاقبت ولكنك لو كتبت وخلقت لتغير ذلك المكتوب ، فأوجدنا الله تعالى ولا حجة على الله تعالى بعد ذلك أبدا ، فأنت الذي اقترفت الزنا بنفسك ، وذهبت إليه باختيارك ، فلا تقول بعد ذلك الله كتبه على لا ، بل أنت تعاقب لذهابك بمحض اختيارك فلم يجبرك أحد

على هذا ، وهذه هي أفعال العباد وهي المسألة التي طالت ذيولها وطار شررها ، ولختلفت فيها الأمة ، وتناحرت فيها المذاهب ، فهذه هي في اختيار واحد وهي أن :-

" أفعال العباد إلي الله تُنسب خلقا وإيجادا وإلي المخلوق تنسب اقترافا واكتسابا "

وهذه هو مذهب أهل السنة والجماعة ، فقولنا تنسب إلي الله خلقا وإيجادا ردا على القدرية ، وتنسب إلي المخلوق اكتسابا واقترافا ردا على الجبرية لأننا مذهب وسط " وكذلك جعلناكم أمة وسطا " .

ولذا يقول الله عن أهل النار وهم يتمنون أن يرجعوا ، ولن يمكنوا لأن الحجة قامت عليهم بالخلق الأول ، مع ذلك يقول الله " ولو ردوا لعادوا " ولم يحاسبهم بعلمه فيهم أنهم لو ردوا لعادوا لأنه قبل أن يحاسبهم لا بد أن يعيدهم مرة أخرى (ثانية) ولا حساب عليهم في المرة الثانية بمجرد علم الله تعالى ، ولكن الله أقام الحجة عليهم أول مرة ، ومع ذلك يقول الله لهم أنني لو أوجدتكم في الأرض مرة ثانية سوف ترجعون إلي ما كنتم عليه .

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى :-

" أفعاله سبحانه بلا مِرا عن حكمة وغاية كما تري "

وهذه قاعدة عند أهل السنة والجماعة أن أفعال الله نابعة عن حكمة بالغة ، ومصلحة متناهية علمها من علمها ، وجهلها من جهلها ، فأفعال الله نابعة عن الحكم والمصالح ، فلا يفعل الله جل وعلا شيئا إلا وله الحكمة الكاملة والمصلحة المتناهية وهذا ظننا في ربنا وهذا ما نعتقده ونتقيه بقلوبنا أن ربنا لا يمكن أن يفعل شيئا إلا وله الحكمة الخالصة ، ولا يُشرِّع شيئا إلا وله الحكمة الخالصة ، ولا يعطي أحدا إلا وله الحكمة ، ولا يمنع أحدا إلا وله في منعه حكمة ، ولا يُهلك قوما إلا وفي إهلاكه

حكمة ، ولا يؤخر أحدا إلا وفي تأخيره حكمة فلا يمكن أبدا أن تنفك أفعال الله جل وعلا عن الحكم والمصالح أبدا ، ولذلك أجمع أهل السنة والجماعة أن من أسماء الله " الحكيم ".. وأجمع العلماء على أن من صفات الله الحكمة ، وأجمعوا على أن الحكمة من صفاته الذاتية التي لا تنفك عنه أزلا ولا أبدا ، فكل أفعال الله نابعة عن حكمة فهو أمر بالتوحيد لحكمة ، ونهي عن الشرك لحكمة ، وأمر بالسنة لحكمة ، ونهي عن البدعة لحكمة ، وأمر ببر الوالدين لحكمة ونهي عن عقوقهما لحكمة ، وأمر بالزواج لحكمة ، ونهي عن الزنا لحكمة ، وليس ثمة تشريع أو فعل صادر من الله جل وعلا إلا وله الحكمة الخالصة المتناهية .

وقد خالف في ذلك الأشاعرة فهم يقولون إن أفعال الله صادرة لا عن حكمة ، فكيف سوغ لهؤلاء قول مثل هذا ؛ فالفعل الذي يصدر عن غير حكمة ولا مقصد يسمي في اللغة عبثا ، والله جل وعلا يقول " أحسب الإنسان أن يترك سُدي " فلا يمكن هذا أبدا فالله سبحانه يُنزِه نفسه ، وقال الله " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق " .

فالأشاعرة يقولون الله جل وعلا يفعل لا لحكمة ، يمعين أنهم يقولون لو أن الله أمر بالشرك ونهي عن التوحيد لكان ذلك هو الواجب على العباد ، فهم يقولون أمره بالتوحيد لا حكمة فيه ، ونهية عن الشرك لا حكمة فيه ، فلو أنهم عكسوا الأمر !!!! لكان صحيحا .

ولكن أهل السنة لا يقولون هذا أبدا ، أهل السنة والجماعة يقولون سبحانه ما أمر بالتوحيد إلا والأمر به فيه المصالح الكاملة ، والحكم المتناهية ، ولم ينه عن الشرك إلا بذلك ، ولا يمكن أن يُعكس الأمر ، لأن عكسه منافي لحكمته جل وعلا ، فالأشاعرة

أخطأ في ذلك وقد رد عليهم الإمام ابن القيم في كتابه الحافل " شفاء العليل " ، فهو رحمه الله في كتابه من أوله لأخره يُثبت أن أفعال الله صادرة عن حكمة ، ونحن ندين الله تعالى بأنه سبحانه لا يفعل فعلا ، ولا يقدر قدرا ، ولا يكتب شيئا ، ولا يشرع شرعا، إلا وله في ذلك الحكمة البالغة سواء علمناه وأدركناها أو لم نعلمها ولم ندركها ، ولذلك تدخل تحت هذه المسألة مسألة الأحكام التعبدية ؛ فلا يأتي إنسان ويقول لماذا صلاة المغرب ثلاث ركعات وقبلها العصر أربعا ، وبعدها العشاء أربعا !!! فنقول لا شأن لك في ذلك فهذه أحكام تعبدية ، فنحن لا نفقه معناها ولا ندري عن حكمتها ، ولكننا نجزم أن الله ما فعل ذلك ولا خالف بين ذلك إلا وله الحكمة البالغة المتناهية ، ولذلك إذا أعطاك الله فإنه يعطيك لحكمة ،وإذا منعك الله فإنه يمنعك لحكمة ، وإذا أجاب دعائك فإنه يجيبه لحكمة ، وإذا منعك الإجابة فإنما لحكمة ، فإذا علم العبد هذا فإنه يحمله على الاطمئنان بكل ما يصدر من الله جل وعلا تجاهه ، فكل ما تراه في الدنيا فإنما هو لحكمة ، فيربي العبد نفسه دائما على هذا ، لأنه من الناس من إذا وقع عليه شيء من القضاء والقدر الذي يتنافى مع رغبته وشهوته تجده يتضجر ويتسخط ببعض الألفاظ التي تنافي الأدب مع الله جل وعلا ، وتنافي إيمان قلبه بحكمة الله ، ولذلك ينبغي أن نربي أنفسنا أن أفعال الله كلها عن حكمة ،

أذكر يوما أن بعضهم ناقشني في مسألة الوضوء من لحم الإبل وقال لي أنا لا أتوضأ من لحم الإبل مطلقا ، فما العلة ، فقلت له " كل نفس بما كسبت رهينة " ، يظن أنه يريد أن يضيق صدري بذلك فقلت الأمر لك ، ولكن أنا من باب أني عرفت حكما لا بد أن أبينه لك ، وهي أن الحكمة قسمان :- حكمة أصلية أساسية هي التي ينبغي أن ينطلق منها المؤمن في تعامله مع أحكام الله تعالى - وحكمة فرعية ثانوية إن وُجدت فالحمد لله ، وإن لم توجد فلا ، فالحكمة الأصلية الأساسية هي أن هذا الأمر

المعين هو أمر الله ، وهذا هو أصل الحكم ؛ لماذا تفعل وتطبق ؟ لأن الله أمرني ، لما تصلي لأن الله أمرني ، وهذه هي الحكمة التي ينبغي أن ينطلق منها المؤمن لأنه مؤمن بقلبه أن الله ما أمره بهذا الشيء إلا وله بذلك الحكمة ، ولا تصلح أموره ولا تصلح أحواله ولا تحصل نجاته إلا في تطبيق ما أمره الله به وهذا يكفي ، ولكن إذا بحثنا عن حكم ثانوية قد نص عليها العلماء فيكون نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ، ولكن لو تعطلت الحكمة الثانوية فلم توجد فلا يجوز أن يعلق الفعل من عدم الفعل بالحكم الفرعية ، فأنت الأن ألست تعلم أن النبي ﷺ أمر بالوضوء من لحم الإبل ؟ أم لا ؟ فقال أعلم ، فقلت له أصح الحديث لديك ؟ قال نعم صحيح ، فقلت له لا يجوز لك أن تعطل تطبيق الحكم الصحيح لفقد الحكمة الثانوية (الفرعية) وليس لك بحجة عند الله يوم القيامة ، فليس بحجة أن تأتي أمام الله يوم القيامة وتقول يا رب لم تتبين لي الحكمة بأمرك من الوضوء من أكل لحم الإبل ، فحكمة الله أوسع من أن تدخل تحت مدركات عقول المكلفين ، فأليس بكاف إرسال الرسول لبيان الأحكام ؟ يكفي .

ومع ذلك فقد بين بعض أهل العلم حكما كثيرة من الوضوء من أكل لحم الإبل ولكن طرقها لها مكان أخر، ولكن يكفي العبد أنه أمر الله ورسوله ﷺ وهذا أعظم حكمة عند المسلم وهي التي منها ينطلق سواء أدرك الحكم الفرعية أو لم يدركها ، فلا تُناط الأحكام بحكمها الفرعية ، وإنما تُناط بحكمها الأصلية الأساسية ، فلا تعطل حكما من الأحكام لكونك لا تعلم ، فأنت تؤمن بأن ربك حكيم اسما وذو الحكمة صفة ، فما دام قد أمرني بهذا فنجاحي وصلاحي وفلاحي وقوتي وبقائي وكل هذا في هذا الأمر الذي أمرني الله جل وعلا به ، فأنا أمتثله لأن الله أمربه .

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى :-

" والشر في المقدور ليس في القدر ويلزم الصبر على مر القدر" .

هذه قاعدتان :- فالقاعدة الأولي أن " الشر يُنسب للمقدور لا القدر" لأن النبي ﷺ قد فصل هذه القضية فقال في صحيح مسلم من حديث علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في دعاء الاستفتاح قال " والشر ليس إليك " فلا يصدر من الله جل وعلا شر أبدا مطلقا ، فكل الله ما يصدر من الله فهو الخير المحض الذي لا يخالطه شيء من الشر أبدا ، فأفعال الله كلها خير وكلها بر، وكلها دائرة بين العدل والفضل ، فأفعالها سبحانه كلها خير،وأقداره كلها خير،وتشريعاته كلها خير، فكل شيء يصدر من الله فلا يكون إلا جميلا طيبا يوصف بالخيرية لأن الله جل وعلا لا يمكن أبدا يوصف شيء مما يتعلق به بأنه شر .

وأما الكلام عن الكفر وهو شر وهو من أقدار الله ، والزنا شر وهو قدر من أقدار الله ، والشرقة شر وهي قدر من أقدار الله ، فنقول فيها أن فعل العبد فيه جهتان :- جهة تُنسب إلي الله – وجهة تنسب إلي العبد " ، باعتبار نسبتها إلي الله خير، فالكفر باعتبار نسبته إلي الله خير أي باعتبار أن الله قدره فهو خير. ولكن باعتبار صدروه من العبد شر، فالزنا باعتبار تقديره خير ولا دخل لك في السوء بكونه كيف يكون خيرا لأن الله قدره سبحانه لا تسأل فالله لا يقدر إلا لحكمة ، فباعتبار كونه قدرا من الله هو خير، ولكن باعتبار صدوره من العبد شر، فالذي يُنسب إلي الله نسميه قدرا ، والفعل الذي يصدر من العبد نسميه مقدورا ، فالشر في المقدور لا في القدر، فالناظم هنا قال " والشر في المقدور ليس في القدر" ، فالمقدور هم فعل العبد ، فالشر يُنسب إلي المقدور الذي هو فعل العبد ، لأن معني كونه قدرا أي أن الله علمه لأن مراتب القدر (العلم – المشيئة – الكتابة) ، فهذه هي مراتب القدر، فهو باعتبار كونه قدرا أي باعتبار أن الله علمه وكتبه وشائه وخلقه فهذا كله خير، ولكن باعتبار وقوعه من

العبد هو الشر، فإذا قيل لك أيها القارئ الحبيب كيف الجمع بين قول النبي ﷺ " وأن تؤمن بالقدر خيره وشره " ،وبين قوله " والشر ليس إليك " ، نقول " خيره وشره" باعتبار القدر والمقدور ، فالقدر كله خير، ولكن قوله وشره باعتبار وقوعه من العبد ، فخيره إذا نسب يكون إلي الله وشر إذا نُسب إلي المخلوق ، وقوله ﷺ " والشر ليس إليك " أي أن أفعالك وتقديراتك وعلمك وكتابتك في اللوح المحفوظ وخلقك وإيجادك وإرادتك سبحانك لا توصف بأنها شر وهي قدر، ولكن إذا فعل العبد هذه المعصية حصل الضرر ، ولذا الله قال جل وعلا " ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس " ولم يقل الله بما قدر الله ، إذا فظهور الفساد ووصفه بالشر لما كسبته أيدي الناس مع كونه كان مقدرا سابقا ، ولكن لم يكن فيه شر فيوم أن كان مقدرا في اللوح المحفوظ قبل أن يقع في الدينا لم يكن فيه شرا ولم يعاقبنا الله تعالى عليه ، ولكن لما أوقعه العبد صار شرا ، فالشر يُنسب إلي العبد لا يُنسب إلي الله تعالى ، فيُنسب إلي فعل العبد الذي يسميه العلماء المقدور ، ولا يُنسب إلي الله سبحانه ويسمي فعله بالقدر.

القاعدة الثانية :-

" ويلزم الصبر على مر القدر"

فالصبر على القضاء والقدر واجب ، والرضا مستحب " وهي قاعدة عند أهل السنة والجماعة ، وذلك أن العبد إذا وقعت عليه مصيبة من الله جل وعلا فيعلم أنها من الله فيجب عليه أن يُسلَم وأن يصبر، ولذلك يقول الله جل وعلا " ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله " قال علقمة رضي الله عنه " هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله فيرضي ويسلم " فيعلم أن الله ما أراد به هذه المصيبة إلا لخير له فيرضي ويسلم ، وقال

النبي ﷺ " فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل " ، لأن لو تفتح عمل الشيطان وتُنبء عن التضجر وعن التسخط وعلى قلة الصبر على القدر، ولذلك يحرم شق الجيوب بالإجماع عند المصائب لأنه منافي لصبر قال ﷺ " ليس منا من شق الجيوب " ، وكل حديث أو نص قيل فيه "ليس منا " فهو من الكبائر، قال النبي ﷺ " ليس من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوي الجاهلية " فكل هذه الأفعال عند وجود المصائب دليل على عدم الصبر، فهم يُعاقبون على عدم الصبر فدل على أن الصبر واجب ، وفي فى صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " النائحة إذا لم تتب فإنها تُقام يوم القيامة وعليها سِربال من قطران ودرع من جراب " والنائحة هي التي ترفع صوتها وترن عند المصيبة ، فكل هذه من الأشياء التي لا تجوز عند وجود المصائب لأنها منافية لصبر الذي يجب عند حلول المصيبة ، ولذلك مر النبي ﷺ على امرأة تبكي عند قبر صبي لها قد مات فقال " يا أمة الله اتقي الله واصبري" وهذا أمر فهو واجب ، ولما مات أبو سلمة رضي الله عنه والحديث في صحيح مسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها دخل عليهم النبي ﷺ فقال " إن الروح إذا قُبض تبعه البصر" فضج ناس من أهله (ضج فعل مخالف لصبر) فقال ﷺ " لا تدعوا على انفسكم إلا بخير فإن الملائكة تؤمن على ما تقولون " فأي فعل يفعله العبد أو يدعوها على نفسه فالملائكة تقول آمين من باب العقوبة والتعزير له .

وأما الرضا فقد اختلف العلماء فيه والصحيح ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وهو أن الرضا بالمصيبة مستحب ، بمعني أن العبد إذا وقعت عليه مصيبة فله عباداتنا عبادة واجبة (الصبر) ، وعبادة مستحبة وهي (الرضا) ، وأكمل من هاتين العباديتين الحمد والشكر القلبي لا اللساني فهما مقاما العارفين ، فكل واحد منا قد يقول الحمد لله بلسانه ولكن قلبه قد انطوى على بغض ما وقع وكراهية ما وقع ، فقد يقول قائل

ولماذا لا يكون الرضا واجبا ، فنقول الحمد لله لأن الرضا من أعمال القلوب التي لا يستطيع العبد أن يتحكم فيها فمن باب التخفيف من الله جعل ما يختص بالقلوب مستحب إذا لا يستطيع أحد أن يتحكم في قلبه ، فالمحبة مثلا لا تسطيع أن تحب وتكره ، فإذا أردت أحببت حتي لو أردت أن تقلب الحب الذي في قلبه بغضا لم تسطع إلا في الظاهر فقط، وكذا والإيمان الذي يندرج في لا يستطيع أحد ولذلك يقول الله جل وعلا عن فرعون " وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا " لأن هذا علم فطرى منطوي عليه قلبك فلا يمكن جحوده أبدا ، وأما الصبر فهو حبس الجوارح عن فعل ما لا يليق ، وحبس الجوارح فعل مقدور عليه ، فما كان مقدورا عليه من قِبلك جعله الله واجبا لأنه داخل تحت قدرتك واختيارك ، وما كان خارجا عن قدرتك واختيارك وهو فعل القلب جعله الله مستحبا ، إذا هذه قاعد عند أهل السنة والجماعة تقول " الصبر عند حلول المصيبة واجب والرضا مستحب " .

مسألة هل البكاء عتد المصيبة من التسخط ؟

نقول لا ، فأعظم إنسان تعامل مع المصائب هو النبي ﷺ وقد بكي عند المصيبة ، وحزن قلبه ، فهذه أحوال أهل الكمال ، فلا يأتي أن يأتينا أحد ويظهر من صفات الرضا بالقضاء أشياء يتصنعها ، فأنت تصرف مع المصيبة كما تصرف معها رسول الله ﷺ ، فهل تدعي إيمانا زائدا على إيمان رسول الله ﷺ ، فالنبي ﷺ بكي لما مات عثمان ابن مضغون رضي الله عنه ، ولما مات ابنه إبراهيم بها بكي ﷺ وقال " إن العين لتدعم وإن القلب ليحزن وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون ولا نقول إلا ما يرضي ربنا " فمحزونون فالحزن الذي يصيب العبد والدمعة التي تخرج من عينه بسبب فقد حبيب ، أو نزول مصيبة لا يعذب ولا يعاقب الله عليها ، وإنما يعاقب الله على ما يصدر من اللسان أو يصدر من الجوارح ، فالحزن والبكاء شيء

فطر الله العباد عليه وأن يرق قلبه ، فهناك بعض العارفين أرادوا أن يحققوا رضا زائدا فصار إذا قيل له ولدك مات يبتسم ، وهذا تصرف خطأ وإن صدر من بعض أهل الكمال ، فأعظم من تعامل مع المصيبة هو النبي ﷺ فالله سن له ذلك ، فلو أن الضحك أو الابتسامة تدل على كمال الإيمان ، وتدل على كمال الرضا لكان أولي بذلك رسول الله ﷺ .

وبعضهم لما قيل له فلانة ابنتك ماتت ذهب واغتسل ولبس أحسن ثيابه وهذا ليس بصواب فهذا ليس دين الله تعالى ، ولا تلبس الأسود فكن على طبيعتك ولا تغير شيئا ، وقد يظن أن فعله هذا ليظهر كمال الرضا بالقضاء فنقول لا لا خطأ ، بل أكمل الأحوال في التصرف مع المصائب الكونية ما كان ﷺ يفعله ، وحتي عند قراءة القرآن فالله جل وعلا وصف الذين يقرؤون القرآن بأنه تخشع قلوبهم ، وتقشعر قلوبهم ، وتبكي أعينهم ، بعض الناس بعد قراءة القرآن يصيبه الغشية وهذه ليست بحالة كمال بل هي حالة ضعف ، ولذلك قال بعض السلف " بيننا وبينهم أن يقرؤوا على " السطوح " ولم يكن لها حجاب فيقرأ على السطح ويسقط بعد آيات العذاب ، ولذلك يشهق وبعضهم يموت وبعضهم يُغمي عليه فكل هذا ليس من أحوال أهل الكمال ، وإن كان قد جاء هذا عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ولكنه دليل على ضعف النفس أيضا ، ولذلك أعظم من تعامل مع القرآن هو النبي ﷺ فلا تتعداه لا يمينا ولا يسار ، وليس أحد من السلف خالف شيئا مما فعله النبي ﷺ يكون قدوة لنا ، فهو قدوتنا الأولي والأخيرة ﷺ ، وهذا الذي ندين الله تعالى به أن تلك التصرفات والأفعال من البيع ومن الشراء ومن الاشتغال بالأمور ،حتي كان بعضهم يكون في درسه ويقال له ولدك مات فيكمل درسه ويقول أوصوا به فلانا وهذا ليس بصحيح ، فالنبي ﷺ لما أرسلت له ابنته زينب رضي الله تعالى عنها إن ولد ابنته مات فاشهدنا فقام النبي ﷺ هو وزيد وبلال وجمع من الصحابة وذهبوا لها ، وأخذ الطفل

ووضعه بين في حِجره ﷺ فلما رأى نفس الطفل تقعقع في سكرات الموت بكي ﷺ فقال له عبد الرحمن وأنت رسول الله فقال " هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده " وهذا ليس بجزِع ولا تسخط وإنما رحمة جعلها الله في قلوب من شاء من عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ، فالعبد لو أصابته مصيبة وبكي بكاء معتدل لا نوح فيه ولا صراخ فلا حرج ، أو أن يحزن قلبه على زوجته أو على ولده لا حرج فيه فهذا شيء لا يملكه الإنسان .

....

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى :-

" وكل ما يكون أو كان جري مقدر في اللوح من غير مري "

هذا البيت يتكلم عن قاعدة من قواعد أهل السنة والجماعة تقول : - " الله جل وعلا يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن أن لو كان كيف يكون " ، والقاعدة الثانية :- " لا يجري شيء في الكون إلا وهو مكتوب في اللوح المحفوظ "

وعلى كل هذه رتبة من مراتب الإيمان بالقدر، فنحن معاشر أهل السنة والجماعة نعتقد اعتقاد الجازم بأن الله جل وعلا قد كتب في اللوح المحفوظ كل ما يكون وما كان ، يقول الله جل وعلا " وكل شيء أحصيناه في إمام مبين " ،واتفاق المفسرين أن الإمام المبين يراد به اللوح المحفوظ ، ويقول الله جل وعلا " ما فرطنا في الكتاب من شيء " وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في تفسير الكتاب هنا فمنهم من قال إنه اللوح المحفوظ ، ومنهم من قال إنه القرآن ،

وهما قولان صحيحان ، فالكتاب يراد به اللوح المحفوظ في هذه الآية على أحد التفسيرين ، ويقول الله جل وعلا " ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير" ، وفي صحيح الإمام مسلم من حديث عبد الله ابن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة " ، فكل شيء يكون في هذا الكون إنما هو مستنسخ من ذلك الكتاب العظيم الذي لا يطلع عليه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي صالح ولا أحد ممن خلق الله جل وعلا ، وإنما الذي يطلع عليه إنما هو الله جل وعلا وحده لا شريك له ، وكل ما في هذا اللوح المحفوظ هو الذي يسميه العلماء علم الغيب ، فلا يعلم أحد الغيب إلا الله جل وعلا ، كما قال الله جل وعلا " قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله " ، والمراد بالغيب هو ما خُط في هذا اللوح المحفوظ مما سيكون في الأزمنة المستقبلية ، وكل شيء كتبه الله سواء كان دقيقا أو جليلا ؛ قال الله جل وعلا " وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البروالبحروما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين " ، وفي صحيح الإمام مسلم من حديث من حديث عبد الله ابن عمررضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ " كل شيء بقدرالله حتي العجزوالكيس " فالعجزهو فتور الهمم ، والكيس هو الهمة والعزيمة ، أي إذا كنت عازما على الأمرففترت قواك فإنما فترت لأن الله كتب في اللوح المحفوظ أن لا تقوم بهذا العمل ، وإذا كنت تعمل العمل الشاق الكبير يستغربه غيرك فإنما جاءك الكيس والقوة والعزيمة لأن الله خط في اللوح المحفوظ أنك ستقوم بهذا العمل ، فكل شيء بقضاء الله حتي العجزوالكيس ،

وفي صحيح الإمام البخاري من حديث من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه جاء إلي النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني رجل شاب وإني أخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء كأنه (من الراوي) يستأذنه في الاختصاء ، قال فسكت عني ، ثم قلت مثله فسكت عني ، ثم قلت مثله فسكت عني ، ثم قلت مثله فقال" يا أبا هريرة جف القلم(وهذا الشاهد) بما أنت لاق فاختص على ذلك أو ذر" ، وفي السنن من حديث عبد الله ابن عباس أن النبي ﷺ قال وكان رديفا لنبي ﷺ وهو غلام فال له " يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظ ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، ... الحديث "إلي أن قال "جفت الأقلام وطويت الصحف " والمراد بها ما خُط في اللوح المحفوظ ، وقد ورد في السنة بعض صفات هذا اللوح المحفوظ أنه من ياقوتة بيضاء وأنه .... وهذه النقول لا تصح عن النبي ﷺ ، فيكفي العبد أن يؤمن الإيمان الجازم ويعتقد الاعتقاد القطعي أنه لا يكون شيء في هذا الكون إلا والله جل وعلا كتبه وخطه في اللوح المحفوظ ، وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال " لما خلق الله القلم قال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب ما هو كائن إلي يوم القيامة "وفي رواية " إن أول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال وما اكتب قال اكتب ما هو كائن إلي يوم القيامة فجري القلم بما هو كائن إلي يوم القيامة " ، وهذا القلم الذي خُط به ما في اللوح المحفوظ قيل عند بعض المفسرين أنه القلم الذي أقسم الله به في قوله " ن والقلم وما يسطرون " فمنهم من أن هذا القلم هو الذي خط الله جل وعلا به أقدار ما كان وما يكون إلي أن تقوم الساعة ، فلا تسقط ورقة إلا وقد كتب الله في اللوح المحفوظ سقوطها ، ولا يكون في الكون من حياة ولا موت ولا وجود ، ولا عدم ، ولا صحة ، ولا مرض ، ولا حزن ،

ولا سعاد ة، ولا كرب ، ولا مصائب إلا والله جل وعلا كتبها وخطها في اللوح المحفوظ .

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى :-

" قاعدة والاحتجاج بالقدرعند المعيب لا يجوز للخبر"

هذه قاعدة عند أهل السنة والجماعة وخلاصتها أن نقول " لا يجوز الاحتجاج بالقدرعند المصائب لا المعائب " ، والمراد بالمعائب الذنوب والمعاصي والآثام ، وخلاص هذا البيت أن نقول :-

اعلم وفقنا الله وإياك إلي الهدي والتقي وسلوك طريق الحق والثبات عليه إلي الممات أن الاحتجاج بالقدرفي مذهب أهل السنة والجماعة له ثلاثة أقسام :-

1- الاحتجاج عند نزول المصائب ، كمصيبة الموت ، ومصيبة الفقر، ومصيبة الخسارة ،وغيرها من المصائب ، ففي هذه الحالة يجوز الاحتجاج بالقدربإجماع العلماء ، أي إذا عُزيت في هذه المصيبة تقول لا بأس الحمد لله فالله قدرها على ؛ وهذا جائزبإجماع أهل السنة والجماعة ؛ وبرهان ذلك قول الله جل وعلا " ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرءها إن ذلك على الله يسير" فكل شيء من المصائب إنما يجري بقضاء الله جل وعلا وقدره ، وقال الله جل وعلا " ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهدي قلبه " ، قال علقمة هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله فيرضي ويسلم ، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة " استعن بالله ولا تعجزفإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدرالله وما شاء فعل " .

يقول الناظم " إياك لو إن كان فيه تسخط أو كان فيه تتطلع العصيان فالو تفتح كل باب للأسي وتزيد في عمل الخبيث الواني قل (عند المصيبة)قدرالله العظيم وكل ما شاء الإله يكون دون تواني "

فالاحتجاج بالقدرعند المصائب مجمع على أنه هو المخرج ، وهذا من نعمة الله علينا ، فالمصيبة إذا نزلت عظيمة وعلقها العبد على شماعة القبرخف جائمها على قلبه ، ولذلك الكفارملا لم يكونوا مؤمنين بقضاء الله وقدره تجد أن الواحد منهم تصيبه المصيبة فلا يجد أمامه أي مخرج وتكون في عينيه كخرم الإبرة بل أضيق فلا يجد أمامه إلا التفكيرفي الانتحاروالموت ، والتفكيرفي القتل وهكذا لأنهم لا يؤمنون بالقضاء والقدر، وأما المؤمن فمهما أصابه من المصائب فإن عنده شماعة تخفف عليه مصائبه وهي شماعة أن هذا قضاء الله وقدره ، ولذلك لن يجد عبد طعم الإيمان مطلقا بإجماع أصحاب رسول الله ﷺ إلا إذا علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطائه لم يكن ليصيبه : كما في حديث عبادة وغيره لما سأله ولده قال يا بني اعلم أنك لن تجد طعم الإيمان حتي تؤمن بالقدروأن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطائك لم يكن ليصيبك ، فأي مصيبة نزلت عليك من الله فاعلم أنها نزلت من السماء السابعة بقضاء الله وقدره وتخطت أُناسا كُثرلأنك أنت المعني بها ، فلم تنزل لغيرك فأخطأتهم وجاءتك أنت لا أبدا ، وإنما أخطأت غيرك لأنها لا تريديه هوولم تؤمربه ، فالاحتجاج بالقدرعند نزول المصائب هو الواجب على المسلم ، فكل مصيبة تصيب العبد في هذه الدينا يعلم أنها من الله وأن الله قضاها وقدرها وأنه لم يجتمع من بأقطارالسموات على أن يردوها عنك والله لا يردوها عنك .. يقول النبي ﷺ لابن عباس "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك " ، فالأمرمنتهي : سواء تضجرنا أوتسخطنا أو ضاقت صدرونا وحزنا فكل هذا لا يرتفع به القضاء والقدر؛ وإنما

يرتفع القضاء والقدر بالصبر واحتساب الأجر والرضا والتسليم والإذعان لأمر الله وقضائه ،وأن تعلقها على أن هذا هو قضاء الله وقدره ، فالقسم الثاني من أقسام الاحتجاج بالقضاء والقدر:-

2- الاحتجاج بالقدر على المعصية التي تاب منها التوبة الصادقة النصوح .

وهذا الاحتجاج في هذه الحالة جائز بإجماع أهل السنة والجماعة ولم يخالف في ذلك أحد ، كأن يكون العبد يقع في شيء من الذنوب والمعاصي مثلا ثم يتوب منها التوبة الصادقة النصوح المستجمعة لشروطها ، ثم يقال له كيف وأنت عاقل تقع في هذه الخطايا فيقول الله قدرها علي فهذا جائز ولا حرج فيه لأنه لا يريد بهذا الاحتجاج أن يسوغ لنفسه الاستمرار على هذه المعصية وإنما يريد به أن يسلم الأمر إلي الله جل وعلا فهو قد تاب منها فهذا جائز، وعلى ذلك يُخرج حديث أبي هريرة رضي الله عنه في احتجاج آدام على موسي كما سيأتي بيانه إن شاء الله . والقسم الثالث هو (3) :- الاحتجاج بالقدر على المعصية التي لا يزال يزاولها ولم يتوب منها حتي حينه فهذا الاحتجاج باطل بإجماع العلماء رحمهم الله تعالى ، فلا يجوز مطلقا أن يحتج الإنسان بالقدر على معصية هو لا يزال يقترفها حتي يسوغ لنفسه أنه ما قارفها إلا بقضاء الله وقدره فهذا باطل بإجماع أهل السنة والجماعة ، وإنما هذا يجوز في مذهب الجبرية الذين يرونه أنهم إذا عصوا الله فإنهم عصوه بإرادته الشرعية فتجد الواحد يحمد الله ويشكره على ارتكابه لهذه المعصية ؛ ونقول هذا لا يجوز ، فالاحتجاج بالقدر عند المعاصي باطل بالإجمـــــاع ؛ ودليل بطلانه الكتاب والسنة والاعتبار الصحيح ، ففي الكاب تجد أن الله جل وعلا أبطل احتجاج المشركين بالقضاء والقدر على البقاء على شركهم يقول الله جل وعلا " وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنه من دونه من شيء نحن ولا آبائنا ولا حرمنا من دونه من شيء " ثم بين الله أن هذه الحجة ليست حجة حديثة وإنما هي حجة قديمة قد قالها من قبلهم فقال الله " كذلك فعل الذين من قبلهم " ، فهذه الحجة أبطلها القرآن إبطالا لا مزيد عليه ، وقال الله في الآية الأخرى " سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا نحن ولا آبائنا ولا حرمنا من شيء " ثم وصفها الله بالجهل والكذب في قولهم "

كذلك كذب الذين من قلبهم حتي ذاقوا بأسنا قل هل من عندكم من علم فتخرجوه لنا " ، ويقول الله جل وعلا " وأنيبوا إلي ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتي على ما فطرت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين بلي (أي ليس الأمر كما يقول هؤلاء) قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين " ، فحجة الله على عباده قامت بإنزال الكتب وإرسال الرسل فلا حجة على الله جل وعلا بعد ذلك لأحد ممن استمر على شكره أو بقي على معصيته إلي أن قبضته ملائكة الله تعالى ، فلا يأتي يوم القيامة ويحتج على معصيته أمام الله بالقدر فهذا باطل بإبطال القرآن والأدلة في هذا كثيرة ، بل يقول العلماء رحمهم الله إن الاحتجاج بالقدر لو كان حجة مقبولة عند الله لبطلت بذلك الشرائع إذا كل مبطل لم يتبع الشريعة سيقول بين يدي الله قدرت علّي أن لا اتبع الشريعة فإذا كانت هذه الحجة مقبولة عند الله فلماذا إذا تنزل الشرائع ولماذا يحدث كل هذا الخلاف !!!!! ؟ ولذلك لما علم إبليس لعنه الله أن هذه الحجة حجة باطلة لم يحتج بها عند الله جل وعلا ، فالله لما أمره بالسجود وأبي لم يقل يا رب أنت الذي قدرت علىَّ أن لا أسجد لعلمه بأنها حجة لا تنفع عند الله جل وعلا وهذه حجة أثيمة وآفة قديمة جري عليها كثير من الأمم؛ يقول الله جل وعلا " وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله (أي افعلوا الشرع والصدقة من الشرع وهم أُمروا بالشرع فعارض هذا الشرع بالقدر) قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه " فهذه حجة قديمة سارت عليها الأمم ، فهم أُمروا بالشرع فعارضوا الشرع بالقضاء والقدر ، فإذا لو كان الاحتجاج بالقدر مقبولا لبطلت الشرائع كلها إذا كل مشرك سيحتج به ، وكل عاص سيحتج به ، وكل مبتدع سيحتج به ، فلو كانت حجة مقبولة فلماذا تخلص النار أصلا !!!!!؟ فتكون بطلت الحكمة من خلق النار ، لأنه لن يكون هناك من يدخل النار لأن كل إنسان سيقول لربه أنت الذي قدرتي علّي أن أكون مشركا ، وأنت الذي قدرت على أن أكون عاصيا ، وأنت الذي قدرت على أن أكون مبتدعا ، فتبطل بذلك كل الشرائع ، فهذه حجة مآلها إلي إبطال

الشرائع ؛ وحجة يكون مآلها هذه النتيجة فلا جرم أنها تكون باطلة ولا محالة ، ولذلك يُروي عن عمررضي الله عنه أنه رفع له سارق فقال لما سرقت فقال يا أمير المؤمنين إنما سرقت بقضاء الله وقدره ، فأخذ يده وأمر بقطعها وأن أقطعها بقضاء الله وقدره ، وأجمع أهل السنة والجماعة على أننا مأمورنا بمطالعة الشرع لا بمطالعة القدر، فلا شأنا للعبد بالقدر لأنه فعل الله ، بل العبد مأمور بمطالعة الشرع فأنظر ما أُمرت به فامتثله ، وما نُهيت عنه فاجتنبه ، فلا يجوز لك أن تعطل مأمورا وتحتج على تعطيله بالقدر، أو تفعل محظورا وتحتج على فعله بالقدر فهذا لا يجوز ، فلا يجوز معارضة الشرع بالقدر مطلقا وهذا بالإجماع ، فهي حجة باطلة بالكتاب وبالإجماع ، وفي الصحيحين من حديث علي رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ " ما منكم من أحد إلا وقد كُتب مقعده من النار ومقعده من الجنة" ، فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ، فقال " لا اعملوا فكل ميسر لما خُلق له ، فأما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل الشقاوة " ثم قرأ " فأما من أعطي واتقي وصدق بالحسني فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغني وكذب بالحسني فسنيسره للعسرى " ، فلا تعارض بين الشرع والقدر، ولا يجوز للعبد أن يقع في مخالفة المأمور ، أو ارتكاب المحظور بحجة أن الله قضاه وقدره ، بل إن الاحتجاج بالقضاء والقدر حجة باطلة حتي عند الناس أصلا في دواخل نفوسهم وفي مستقر فطرهم هذه حجة باطلة ؛ فلة جئت وصفعت أحدا ثم احتججت على هذه الصفعة بأن الله قضاها وقدرها ، فلن يرضي بذلك ، ولو أن ولي الأمر رفع الأسعار مثلا فهل سيقول أحد هذا مما قضاه الله علينا وقدره فنرضي ونسلم بالتأكيد لا فتجد الناس متبرمين ، ومتسخطين على هذا الأمر، فالناس في قرارة أنفسهم لا يرضون بهذه الحجة أصلا ، بل إن الواحد منا يعسي في تحصيل دناه من صباحه إلي ليله فلا يجلس أحد منا في بيته أو بيت أمه أو بيت أبيه ويقول إن كان الله قدر لي الرزق والمال فسيأتيني من غير أن أطلب ؛ فلا تجد أحد يحتج بالقدر في مسائل الدنيا أبدا ، ولكن تجد الكثير من الناس يتقحمون في الذنوب والمعاصي والآثام

والمخالفات الشرعية ويقولون هذا قدرالله والله قدرها على؛ وهذا لا يجوز مطلقا ، وأيضا لو أن رجل أراد الواد وقال لن أتزوج لأن الله لوكان قدرلي الولد بدون الزواج فإنه سيأتيني ، فمثل هذا الرجل نقول عليه مجنون لأنه عارض الشرع وهو ترك الأمربالزواج احتجاجا على هذا الترك بالقضاء والقدروهذا أمرلا يجوز ؛ بل على العبد أن يسعي في تحصيل الأسباب ، ولا نجد أحدا يجلس في بيته ولا يذهب إلي وظيفيته ويقول إن كان الله قدرفي الأزل أن الراتب سينزل في أخر الشهرفسينزل بدون الذهاب إلي الوظيفة ؛ فلا أحد يقول هذا أبدا لا من الكفارولا من المؤمنين ، ولا يقوله عاقل مطلقا ، فكيف إذا جاءت مسألة المأمورات واتباعها والمحظورات واجتنابها تجد أن كثيرمن الأمم تتخلف عن طاعة أنبيائها بحجة أن الله قضي وقدرأن يبقوا في شكره ومعاصيهم وبدعهم فهذا لا يكون ؛ فإذا هي باطلة بالكتاب ، وبالسنة ، وبالإجماع ، وبالعقل الصريح ، والفطرة السليمة فهي حجة داحضة ومن أبطل الحِجج على الإطلاق قضية الاحتجاج بالقدر،

فإن قال قائل كيف نقول أنها حجة باطلة وقد احتج بها أبونا آدام عليه الصلاة والسلام ؟ نقول جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ " احتج آدام وموسى عند ربهما فحج آدام موسى ، قال موسى أنت آدام الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأدخلك في جنتك ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلي الأرض ، قال آدام لموسى وأنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته ، وبكلامه ، وأعطاك الألواح تبيانا لكل شيء ، فبكم وجدت الله كتب الله قبل أن يخلقني قال موسى بأربعين سنة ، قال فهل وجدت فيها وعصي آدام ربه فغوى ، قال موسى نعم ، قال آدام أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله على أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين عاما ، قال رسول الله ﷺ " فحج آدام موسى" ، وهذا متكئ لمن يريد الاحتجاج بالقدرعلى ارتكاب المعاصي ، وقد أجاب عنه العلماء بجوابين مليحين :-

1- أن آدام عليه السلام لم يحتج بالقدرعلى أكله من الشجرة لا ، وإنما المصيبة هي الخروج من الجنة ، فقال إن الله قضي على هذا الخروج قبل أن يخلقني ، فهذا احتجاج على المصيبة النازلة وليس على الأكل من الشجرة ، وهذا الجواب قد رجحه شيخ الإسلام الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى ، وقال لا يُظن في موسى أن يلوم أباه على معصية علم موسى أن أباه قد تاب منها ولكنه يلومه هذا الخروج من الجنة ، فبين له أبوه عليهما وعلى نبيا أفضل الصلاة وأزكي التسليم ؛ بين له آدام عليه السلام أن هذا الخروج إنما هو بقضاء الله وقدره ، فآدام لم يحتج على الأكل من الشجرة وإنما احتج بالقدرعلى المصيبة وقد ذكرت من قبل إجماع العلماء رحمهم الله تعالى على جواز الاحتجاج بالقدرعند المصائب .

2- أورده أبو العباس ابن تيمية رحمه الله فقال يمكن أن يُجاب عن ذلك بأن آدام احتج بالقدر على الأكل من الشجرة ، ولكنه تاب من المعصية ، وليس مصرا عليها ، فيجوز الاحتجاج بالقدر على المعصية التي تاب الإنسان منها .

الخلاف بيننا وبين القوم ليس في مسألة الاحتجاج بالقرفي المصائب ، وليس على الاحتجاج في المعاصي التي تِيب منها التوبة الصادقة النصوح لا ، وإنما الخلاف بيننا وبينهم على الاحتجاج بالقدرفي المعاصي التي لا يزال الإنسان يُزاولها ويقترفها والعياذ بالله تعالى ، وآدام عليه السلام تاب وقبل الله توبته كما أخبرالله في سور كثيركما في البقرة وطه وغيرها من السور أن آدام تاب والله قد تاب عليه وغفرله ذنبه ، فليس في هذا الحديث رائحة الاحتجاج بالقدرعلى المعاصي التي لا يزال الإنسان يزاولها ، فالواجب علينا أن نمتثل الشرع بأن نفعل المأمور ونجتن المحظور ولا شأن لنا بمطالعة القضاء والقدروإذا وقع الإنسان في المعصية فالواجب الشرعي عليه هو التوبة ، فلا يجوز له تعطيل التوبة التي هي الأمرالشرعي بالنظر إلي القدروأن الله قدرها عليه لا لا فهذا لا يجوز ، إذا هي قاعدة متفق عليها بين العلماء تقول " لا يجوز معارضة الشرع بالقدر" ، فالقدر

نظام التوحيد ، والشرع نظام الأعمال ، فلا يجوز نظام الأعمال بنظام التوحيد ، بل الأعمال مكملة لتوحيد والتوحيد هو أصلها وأُسها وأساسها .

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى :-

" والأصل في العوالم الغيبية توقيفها جزما على الأدلة "

أي ما كان من العوامل الغيبية فإنه لا مدخل للعقول فيها مطلقا ، فالعوامل الغيبة مبني إثباتها أو نفيها على وجود الدليل ، فما أثبته الدليل في هذه العوالم الغيبية أثبتناه، وما نفاه الدليل عن هذه العوالم الغيبية نفيناه ، وما لم يأتي الدليل لا بإثباته ولا بنفيه فلا حق لأحد أن يثبته ولا أن ينفيه لأن النفي والاثبات لا يقومان إلا على برهان ودليل وعلم ، فلا يحق لأحد أن يتكلم في العوالم الأرضية نفيا وإثباتا إلا بمقتضي الدليل ؛ وعلى ذلك فعالم الملائكة من العوالم الغيبية فلا يجوز لنا أن نتكلم في هذا العالم إلا بمقتضي النص ، فلا نثبت اسما من أسماء الملائكة إلا وعلى ذلك الاسم دليل لأنه من العوالم الغيبية ، ولا يجوز لنا أن نثبت عملا من أعمالهم إلا وعلى ذلك الاثبات دليل ، ولا يجوز لنا أن نثبت صفة من صفاتهم أو حالا من أحوالهم إلا وعلى ذلك دليل من الشرع فالتخبط في مثل هذا لا يجوز لأن الله حجب عن العقول إدراك ما هو من عالم الغيب ، فعالم الغيب لا يجوز أن ندخل فيه بعقولنا متوهمين بآرائنا ، أو متأولين بأهوائنا أبدا لأن قدم هذا العلم مبني على التسليم والإذعان لما ورد له النص ، فما أثبته النص أثبتناه ، وما نفاه النص نفيناه ، وما لم يرد النص لا بإثباته ولا بنفيه فإننا لا يجوز لنا أن ننفي ولا أن نثبت ،

وكذلك عالم الجن أيضا هو من العوالم الغيبية التي حجب الله أبصار الناس عنها ، فإذا لا يجوز لنا أن نثبت لهذا العالم من الأسماء والصفات والأحوال إلا ما أثبته النص فقط ، ولا يجوز لنا أن ننفي عن هذا العالم إلا ما نفاه النص ، ولا يجوز لنا أن ندخل في هذا الباب بمجرد العقل لأن العقل محجوب على إدراك ما وراء الغيب وهذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة وهو " أن

أمور الغيب لا مدخل للعقول فيها مطلقا " . وكذلك عذاب القبر ونعيم القبر وسؤال القبر كل ذلك من العوالم الغيبية التي لا يجوز أن نثبت فيها إلا ما أثبته النص ولا ننفي عنه إلا ما نفاه النص ، ومن المعلوم أن عالم الغيب أوسع بكثير من عالم الشهادة فعالم الشهادة لا يساوي قطرة من بحر في عالم الغيب ولذلك يبدأ الله به غالبا " عالم الغيب والشهادة " لأنه أكبر من هذا العالم ، وجعل الله علامة الإيمان من أوائل علامات الإيمان بالغيب قال الله في أول صفات للمؤمنين في أول سورة البقرة " الذين يؤمنون بالغيب " فإذا العوالم الغيبية مبناها على الأدلة نفيا واثباتا ، ومما يخطأ به البعض إذا كتب كتابا عن الجن والشياطين تجده يضع بعض الأشكال والرسوم التي توهم أن هذا العالم على هذه الصورة وهذا تدخل محرم لا يجوز

ومن الناس من سألني وقال ألستم أنت تفرضون أن رؤوس الشياطين مخيفة ؟ فقلت نعم ، قال وأين الدليل ؟

قلت دليله قول الله " طلعها كأنه رؤوس الشياطين " فقال كأنه وهذا تشبيه ؟ نقول المتكلم الأن الذي ليس عالم الجن غيب عليه هو الله سبحانه ولا يمكن الله أن يشبه بشيء وهمي لا حقيقة له ، فلما شبه الله شجرة الزقوم وفروعها كأنها رؤوس الشياطين فدل ذلك على أن رؤوسهم قبيحة ، وأما تصوريها بالقرون والعيون المقلوبة والأكتاف المنتفة ، وغيرها من التهويل والتسويق الإعلامي فلا يجوز ، وقد قرأت قديما كتابا وأنا في الجامعة اسمه " حوار صحفي مع جني مسلم " وقد بيعت منه مئات الألاف من النسخ ، وأقول قد عرف الكاتب من أين يدخل مع الناس ونحن من فطرتنا أننا نولع في استكشاف الأشياء الغائبة عنا ، فتجد أن الكتاب يشد القارئ لإنهائه ، فتجده المؤلف يسأل الجن في الكتاب ماذا تأكلون ؟ ، ما أحب المأكولات لديكم ؟ ما أكبر جن عندكم ؟ أين تنامون ؟ كيف تأكلون مع بني آدام ؟ وكل هذا مبني على الخرافات والدجل ، وعلى الأهازيج ، وعلى الكهانة ، وعلى الكذب ، وعلى فقط ابتزاز أموال الناس ، فتجد هذا الحور الطويل كله كذب ، وباطل ولا

يجوز الاطلاع عليه ولا نشره بين المسلمين لأنه مبني على الخرافة والدجل ، والتدخل في عالم الغيب بما لا دليل عليه .

وقد أنكر الفلاسفة وجود الملائكة أيضا لأنهم أدخلوا عقولهم وأقحموها في استكشاف هذا العالم فأنكر الفلاسفة عالم الملائكة وعالم الشياطين ، فهم يعتقدون أن عالم الملائكة معناه قوي الخير في الإنسان ، وأن عالم الشياطين معناه قوي الشر في الإنسان وهذا كلام غير صحيح ؛ بل هو عالم مستقل ولهم أجسام ، وذوات ، وأسماء ، يهبطون ، ويصعدون ، ويأتمرون بأمر الله ، ويركعون ويسجدون ، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وهؤلاء من الجن والشياطين لهم أعمال يوسوسون ، ويكذبون ، ويقتلون ، ويتعاونون مع الكهان والسحرة ، ويتربصون ببني آدام ، فكل هذه من الأشياء التي نثبتها نحن أهل السنة والجماعة كما أثبتها الدليل ، وأما التوغل في الدخول إلي هذا العالم وليس أمامك الدليل فإنك سوف تضيع وتتيه في هذا العالم ، وهذا أمر يريح العبد وهو " العوالم الغيبة مبناها على التوقيف على النصوص " ، فإذا رأيت نصا فقل به ، وإذا لم تجد نصا تقول الله أعلم ولا أدري .

ثم قال الناظم وفقه الله تعالى :-

" منهجنا في النقد ذو قواعد عظيمة غزيرة الفوائد أولها الإخلاص للمعبود والعدل والإنصاف بالمنقود وليس من منهجنا التشهير بالعيب فهو العيب يا خبير ولتحذرن الشهوة الخفية فإنها عظيمة البلية تنقد في الناس لرفع ذاتك وأنك الكامل فاحذر ذلك ويُغفرن الخطأ اليسير إن كان في صوابه كثير وكل من أثني عليه النص يموت وفق النص جزم النص والحمد لله على النهاية كما حمدناه على البداية "

هذا المبحث في هذه الأبيات في مسألة مهمة و شأنها الكبير عند أهل السنة والجماعة وهي مسألة النقد .

والمراد بالنقد:- بيان الخطأ وتصحيحه

والنقد من المسائل التي نبه عليها أهل السنة والجماعة في جمل من القواعد :-

1- الإخلاص إلي الله جل وعلا أساس في النقد ، فالنقد أساسه الإخلاص فلا يجوز لك أن تتكلم في أخطاء الناس لمجرد فضيحتهم أو لمجرد التشهير بهم ، ومجرد التشفي فقط ، وإدراك الغيظ الذي في قلبك عليهم فإذا وجدت شيئا من أخطائهم وجدتها فرصة وبدأت تتكلم في فلان وفلان لا إخلاصا لله جل وعلا والله يعلم من قلبك أنك كذاب ولست بمخلص أبدا ؛وإنما تريد من ذلك فقط فضيحة الناس والتشهير بهم وتخرج في صورة الناصح وهذا لا يجوز أبدا ، فأول واجب وأول قاعدة من قواعد النقد " النقد مبني على الإخلاص " فهو أساس النقد ، لأن تصحيح أخطاء الناس وبيان أخطاء الناس نصحا لله ، ولرسوله ، ولكتابه ، وللأئمة المسلمين وعامتهم هذه عبادة لله والعبادات مبني قبولها على الإخلاص فلا يقبل الله من هذا النقد إذا لم يكن صاحبه مخلصا ، فالإخلاص في النقد أن تقصد بهذه الكُليمات التي تخرجها نصحا للأمة ، وتعبدا لله جل وعلا ، لا تريد بها التشهير، ولا تفرح لوجودها ؛ ولكن لواجب البيان ولواجب النصح ، ولواجب الإرشاد ، ولواجب النصيحة يدفعك ذلك أن تتكلم في هذه الأخطاء تعبدا لله جل وعلا ، وتجد من يفعل هذا نادر في الناس من يفعل هذا ، وعلى ذلك ما يفعله العلماء أئمة الحديث في نقد الرجال نصحا للأمة فهم لا يردون أن يتكلموا بمثل هذه الكلمات ولذلك كانوا يقتصرون على حدود ما تحصل به النصيحة وينكسر به الحال ولا يزيدون على ذلك ، ولذلك لا يبينون أحوال الروات مع زوجاتهم ولا مع أولادهم ، ولا يتكلمون في هذا لأن هذا لا دخل له هو به ، ولكن في الراوية ضعيف ، ثقة، عدل ، كذاب ، دجال ، لا يجوز الأخذ عنه ، منكر الحديث ، فقط وهم لا يريدون أيضا أن يتكلموا بذلك ولكن نصحا لله ولرسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم ومحافظة على الشريعة تكلموا بمثل هذا ، فمبدأ النقد أنه لا بد وأن ينبني في أول أمره على

الإخلاص .   إذا راقب قلبك أيها الناقد قبل أن تتكلم في إخوانك ، وانتبه وانظر في قلبك هل حقا أنت تكلمت نصحا للأمة ، ونصحا لله ، ودفاعا عن الشريعة وبيانا للخطأ أم لا ؟ وهذا البابا كله مبني على الإخلاص لأن من قام في نقده على ساق الإخلاص سيحقق جميع ما بعدها ، ولكن الذي لا يقوم على الإخلاص سوف تقع المخلفات منه .

2- النقد مبني على العدل والانصاف في المنقود ، فلا بد من مراعات أن جوانب طيبة في المنقود فلا تخرج هذا المنقود أمام الناس في مسائل من المسائل كأنه فرعون ، وكأنه أخطر شيخ خلقه الله ، وأعظم فتنة على أمة محمد ﷺ ، وأنه سيدمر الشريعة وأنه... وكلمات تخرج من الواحد منهم لا تقال ، ثم إذا نظرت في أحوال المنقود وجدته له أيادي في الإسلام مشكورة ، وله جهود في الإسلام مشهورة ، وله من المصالح وله من الخيروالفضل على الناس إما في تعليم أوفي كتابة أوفي منصب ، يأتي مثل هذا الرجل السفيه ويتخبط في أخيه المسلم وكأنه أبو لهب وفرعون هذه الأمة ، بل بعضهم صرح وقال وهذا فرعون هذه الأمة ، فهؤلاء ما قاموا أصلا في نقدهم على العدل فمن خالف في الإخلاص والعدل فليته لم ينقد ، ويا ويلك من الله في وقوعك في أعراض الناس ، فاتق الله في عرض أخيك ، وتري تنقلب من كونها نصيحيه إلي كونها فضيحة ، وغيبة فانتبه واتق الله في نفسك ، فلا بد إذا أردت أن تتكلم في أخطاء أحد أم يكون مبدأ قيامك هو العدل والإنصاف فالنقد مبناه العدل والإخلاص ، ثم ذكر الناظم قاعدة قبل البيت الأخير فقال " ومن العدل أن يُغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه " وهذه قاعدة ينبغي حفظها فهذا من الإنصاف والعدل أن يغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه ؛ وقد ذكرها الإمام ابن رجب رحمه الله في مقدمة القواعد في الفقه الإسلامي ، فقال " ومن الإنصاف أن يُغتفر قليل خطأ ا لمرء في كثير صوابه " ، فلو نظرت لفعل حاطب ابن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه لما عزم النبي ﷺ للمسير إلي قريش كتب كتابا فوضعه مع

جارية وأخفته في قرونها ، فجاء الوحي إلي النبي ﷺ يخبره بهذا الأمر ، فأرسل عليا والمقداد إليها وقال " تجدونها في روضة خاخ (مكان بين مكة والمدينة) معها كتابا فأتوني به "، فلما دخلوا عليها وقالوا أعطينا الكتاب قالت ما معي كتاب ، قالوا رسولنا ما كذب فالكتاب موجود لتخرجيه أولنجردنك ، فلن نرجع إلا به ، فلما رأت منهم الجد والعزيمة حلت قرونها وأعطتهم الكتاب فجيء به ، وأحضر المتهم وهو حاطب رضي الله عنه نادما على فعله فقال له النبي ﷺ " ما هذا يا حاطب " فقال يا رسول الله الله يعلم أنه ليس كفرا بعد إسلام ، ولا رغبة عن الإسلام بعد الهدي ، ولكن كل واحد من أصحابك له يد عند قريش تمنع ماله وأهله ، وأنا لي أهل ومال عند قريش فأردت بهذا أن يكون يد لي عندهم حتي أحمي بها مالي وأهلي ، فقال ﷺ " أما إن صاحبكم قد صدق " ، فالنبي ﷺ تركه ولكن عمررضى الله عنه قال يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال " دعه يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدرفقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " هذا خطأ بسيط فعارضه النبي ﷺ بهذه الحسنة الكبيرة جدا التي لا تقاوم ، فهذا هو الإنصاف ؛ وهذا هو المنهج الرباني منهج محمد ﷺ فمن الإنصاف أن يغتفرقليل خطأ المرء في كثيرصوابه ، وكذلك عثمان رضي الله عنه لما جهزجيش العسرة قال النبي ﷺ له " ما ضرعثمان ما فعل بعد اليوم " مع أنه لم يفعل شيء رضي الله عنه ولكن لو فعل ما ضره لأن ما سيفعله لا يكون شيئا في جانب هذه الحسنة العظيمة ؛ وهذا هو العدل والإنصاف ؛ " ويُغفرن الخطأ اليسيرإن كان ذا (المنقود) في صوابه كثير" ، فإذا كان صوابه كثيروخطأ قليل فلا بد في حال نقده ورد خطأه أن يُبين لناس أن هذا الرجل له في الإسلام شيء كثيرة تغفرهذا الخطأ ، بل يقول النبي ﷺ " إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث " ، فهذا ماء كثيرسقطت فيه قطرت بول فهل نرمي كل هذا الماء من أجل هذه القطرة اليسيرة مع كونها ستمتزج في الماء وتذهب صفاتها ويذهب جرمها ورائحتها ؛ ويبقي الماء طهور ، فليس من العدل والإنصاف أن نصور المنقود في الشيء اليسير

إذا كان صوابه كثير أن نصوره أمام الناس بالصورة المخيفة التي تجعل الناس يخافون من كتبه ودروسه ، ويخافون من تقريراته وكأنه استغفر الله لا يقرر إلا الكفر ، ولا يقرر إلا الفجور ، والبدعة . ويذكرني هذا ببعض الكتب التي ألفها العلماء الذين ثبت أن لديهم شيء من الأخطاء ونحن نرد الخطأ لذات الخطأ لكننا لا بد أن نبين فضائل هذا الرجل وأن له في الإسلام أشياء يُشكر عليها وتحمد له ولا ننساها أبدا ، فلا ينبغي أن يكون الناقد كالذباب لا يقع إلا على كل قبيح ، بل ينبغي للعبد أن يكون كالنحلة لا يقع إلا على أفضل وردة ، ولكن قد تجد البعض مثل الذباب يمر بالوردة الجميلة الطيبة ويتركها ، ويمر على الزهرة الجميلة ويتركها ، ويرى غائطا ويقع عليه ، فهو لا يجمعه لناس إلا كل خلق ندل ، وهذا قد بلغ في الندالة مبلغها ، فهو لا ينظر لناس إلا في الجوانب السلبية فقط ، وأما الجوانب الإيجابية لناس تجده وكأنه على عينيه ماء لا يرى هذه الحسنات لهم ، فأنظر لأيديهم وأمرهم بالمعروف، وكتبهم ، وغيرتهم لدين ، وانظر لتوجيهم ونصحهم لله ولرسوله ، ومحاضراتهم ، وأشرطتهم ، وخيرهم على الأمة ، ومن يصدقه يكون مثله في القبح والندالة ، ودائما سبحان الله لا يحمل هؤلاء على مثل هذا النقد إلا الحسد والكبر في قلوبهم ، ولذلك لا يقع في مثل المتواضعون لله تعالى ، الموطئين أكنافهم أصحاب القلوب السليمة الصافية على إخوانهم فتجدهم لا يقعون في مثل هذا ، فهؤلاء الصنف من الناس قال الله في أمثالهم " إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدروهم إلا كبر ما هم ببالغيه " فهم عندهم كبر ، فأرادوا فقط أن يتسلقوا بمثل هذا النقد ، ويتشفوا في مثل هذه الأخطاء التي يبحثون عنها من ها هنا ومن هناك ، وأما أهل العدل والخير والإنصاف لا يقعون في مثل ذلك ، نعم ننقد ونبين الأخطاء ، فنحن في دروسنا نقول وهذا القول باطل ، وهذا خطأ ، وهذا قول مرجحوا فكل هذا نقد ، ولكن لا نتعرض بالذوات بل الواجب علينا أن ندعوا للعلماء بالمغفرة والخير وأن نحسن صورتهم أمام

الناس ، فما النفع الذي سيعود عليك أنت إذا أسقطت صورة هذا العالم من قلوب الناس!!!؟ فهل ستحل محله !!!؟ وصدق الشاعر لما قال " أقلوعليهم من اللوم لا أبا لأبيكم أوسدوا المكان الذي سدوا " فهل ستصبح مثله وتسد محله ومكانته ؟ إن كان الأمر كذلك فاسكت ، فلا يكون همك أن تسقط شخصيته أمام الناس ، وهناك أُناس نعرفهم من سنين وهم في مثل هذا يتبعون الأشرطة والكتب لا رغبة في الهدي ، ولا رغبة في الفائدة ، ولكن رغبة في وجود الهفوات والسقطات ، والأخطاء ، ثم يجمعون في شريط ويخرجونه لناس ، ويدندنوا حولها وكلامهم فيها لا نور فيه ولا هدي ولا استقامة : فهم فقط يريدون أن يملئوا القلوب على العالم الفلاني والعالم الفلاني فقط ، وهذا دورهم في هذه الحياة وصدق الله جل وعلا " وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين " ، حتي لو يعتزل صاحب الخير للحقه من ينقده ، وهذه سنة كونية جارية ، فالقاعدة الثالثة وهي " من الإنصاف أن يغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه .

3- عدم التشهير إلا لمصلحة راجحة ، فالتشهير في النق لا يجوز إلا للمصلحة الراجحة ، والتشهير أن لا تشهير بأمرين لا بالخطأ إن كان يمكن إصلاحه من غير تشهير، فلو كان هذا العالم موجودا فأته وانصحه في ما بينك وبينه من غير تشهير لا في المحاضرات ولا الندوات ولا على المنابر، فهذا العالم يقبل الحق فتعالى له وأخبره بخطئه في ما سمعته وقرأته له ، فإن عدلها فالحمد لله ، لأن التشهير بالخطأ ليس من منهجنا أبدا إلا إذا أبي وأصروا واستكبر وقال والله هذا لن أصلحه ، فحينئذ لا بأس من تحذير الناس من هذا الخطأ ، والأمر الثاني :- التشهير بالأسماء ، فلا يُذكر في النقد الأسماء إلا لمصالحة الخالصة أو الرجحة ، فإذا كان يمكن تعديل الأخطاء من غير ذكر الأسماء فلماذا نذكر الأسماء ؟

ولذا النبي ﷺ إذا جاء يوجه يقول " ما بال أقوام " لأن المقصود تعديل الخطأ لذات الخطأ بغض النظر عن من قال الخطأ وهذا في أحاديث كثيرة عنه ﷺ ؛ منها ما في الصحيحين من

حديث أنس لما جاء الرهط الثلاثة إلي أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فكأنهم تقالّوها فقالوا وأين نحن من رسول الله ﷺ فإن الله قد غفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخرفقال أحدهم كذا .. الحديث ، ولما جاء يصحح النبي ﷺ صعد المنبرلأن القضية قضية منهج فلا بد من التصحيح العلني فصححاها وما قال أسماء أحد منهم وإلي العلماء أهل العلم مختلفون في من هؤلاء الثلاثة ؟ فصحح الخطأ ، ولا داعي لمعرفة صاحب الخطأ ، وهذا الذي يجعل كثيرمن الصحابة إذا نقول الواقعة يقولون " أن رجلا جاء إلا رسول الله " وهذا ليس جهلا باسمه ولكن لعدم المصلحة في ذكر اسمه ، فلا تعود مصلحة لمعرفته ، فينبغي لنا ما استطعنا أن نكتم الأسماء ، فإذا كان التصحيح سيُفهم والأمور تتعدل ، والمياه ترجع إلي مجاريها من غيرذكرأسماء ، فلنعلم أيها الأحباب أنه ليس من منهجنا التشهير بأمرين : - (بالأخطاء إن كان يمكن إصلاحها من غيرتشهير - ولا التشهيربالأسماء إن كان يمكن إصلاحها من غيرذكرأسماء) فذكرالأسماء يوجب الخصومة والنزاع ، وامتلاء القلوب ، والبغضاء ، والتدابر، والتشاحن ، والاختلاف ، والأمة يكفيها من الاختلاف ما فيها ، فلا تزيد علي الأمة ما هي فيه فهذا لا يجوز ، فليس من منهجنا التشهير، ولذلك وصفه التشهيربأنه العيب " وليس من منهجنا التشهيربالعيب فهو العيب " فالذي يشهربالأخطاء أمام الناس هذا حقيقة وقع في العيب ، بل لو أن أحد من الناس فري عِرضه هو لما رضي بذلك ، فلو أن أحدا أمسك أخطاء هذا الذي شخربأخطاء الناس وهو قادرعلى تصحيحها في الخفاء والسر بدون الجهروالإعلام لغضب وقال لماذا لم يأتني وينبهني ، وأنت أيضا عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ، ولا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فلو أخطأت لأحببت أن لا يُذكرخطأك على المنابر ولا في المحاضرات ولا في الندوات باسمك ، فكذلك إخوانك إذا أخطأوا يحبون أن تعالج أخطائهم بالسرية وأن تتعمدهم بالنصح على الانفراد .

5- نسيان الذات عند النقد ، أي لا يكن همك في النقد أن ترفع ذاتك فقط وإنما لا يقوم في

قلبك إلا النصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم لأن من الناس من ينقد في الناس لا لذات النقد وإنما نظرا إلي ذاته يريد أن يرتفع ويعلوا على أكتاف إخوانهم فإذا وجده الناس ينقد في الشيخ الفلاني والمحدث الفلاني والعالم الفلاني وأنه بدأ يناطح هؤلاء الفحول قالوا فلان بلغ في العلم مبلغا كبيرا ؛ وهو في الحقيقة أضل وأجهل من حمار أهله فليس عنده شيء ؛ ولكن الحامل له على النقد أنه أراد أن يترفع ويتسلق على ظهور إخوانهم ، ولذلك قال " هذه شهوة خفية " أي لا يعلمها إلا الله " ولتحذرن الشهوة الخفيفة فإنها عظيمة البلية " أي أن كثير من الذين ينتقدون يشتهر بينهم هذا الأمر ،والشهوة الخفية هي نقدك لناس لا يكون نصحا لله ولا لرسوله ﷺ ولا أمرا بالمعروف ولا نهيا عن المنكر ولا تعبدا لله ؛ ولكن لرفع ذاتك فقط ، وأنك الكامل الذي لا تقع في مثل هذه الأخطاء والمعائب التي وقع فيها إخوانك ، فاحذر ذلك لأن هذا يبطل عملك لأنه نوع تسميع والنبي يقول ﷺ " من راءى راءى الله به ، ومن سمَّع سمَّع الله به " ، فإذا جمع الرياء والتسمع اختلف معناهما فيكون الرياء في ما يُري من الاعمال ، والتسميع في ما يُسمع من الأقوال ، فإياك أن تسمع بأخطاء إخوانك بهذه النية والشهوة الخفية فإن الله يعلم قصدك ويعلم داخلة صدرك ، فالله يقول " إن الله لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء " ويقول الله " يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور " ، فانقد وأنت مطلع ومراقب لله تعالى فهو يعلم ما في قلبك هل دفعك إلي النقد النصيحة أم الفضيحة ؛ فلا يجوز لك إذا كان الدافع لك ذلك فلا يجوز لك

. وهناك قاعدة في الحقيقة لا بد أن تذكر في باب النقد وقد

ذكرتها في كتاب " القواعد المذاعة " ولكني نسيتها في هذا النظم وهو

" كلام الأقران يُطوي ولا يُروي " إذا كان أحد من الأقران سواء كانوا أقرانا في العلم أو أقرانا في السنة أو أقرانا في البلد الواحد ، أو يجمعهم شيء معين وتكلم بعضهم في بعض فإياك أن تقبل كلمهم فيه لأن الغالب في ما بين الأقران المنافسة والمغالبة ، ولذلك لم يُقبل كلام

الإمام النسائي في بعض أقرانه ، ولم يُقبل كلام الإمام الذهبي في الإمام الطوفي ؛ لما قال عنه هو شيعي جلد "فما قبلها العلماء لأنهم جميعا هو والطوفي من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية فهما أقران ، فكلام الأقران يُطوي ولا يُروي سدا لذريعة أن يتكلم بعض الأقران في بعض بالظلم والعدوان من باب التنافس والغلبة ، يطوي أي يجعل في عالم النسيان ولا يُروي أي لا يُكر أمام الناس .

ثم ذكر الناظم : - " أن كل من أثني عليه النص فإنه سيموت على وفق ثنائه"

فإن أثني عليه النص خيرا فسيموت على الخير، وإن أثني عليه النص شرا فسيموت على الشر، والثناء يكون بالخير تارة وبالشر تارة ، قال في الحديث لما مرت جنازة فقال الراوي فأثنوا عليها خيرا ، ثم مرت جنازة أخرى فأثنوا عليها شرا " فكل من قيده الله في كتابه وذكره في كتابه بالخير فسيموت على وُفق النص ولا يمكن أن يُغيرولا أن يتبدل وهذا رد على الرافضة الذين يقولون إن الصحابة قد ارتدوا بعد وفات نبي الله ﷺ إلا نفرا يسيرا ، فكيف يرتدوا وقد أثني عليهم النص !!!؟ قالوا أثني عليهم النص إذ كانوا في حياته ﷺ ولكن بعد وفاته ارتدوا ، فنقول لهم لا " كل من أثني عليه النص فسيموت على وفق ثنائه " ، فمن أثني عليه النص خيرا فسيموت على خيرولا يمكن أن يغيرولا أن يتبدل لأن القرآن باق والأخبار لا تُنسخ أبدا ،ومن أثني عليه النص شرا فسيموت على ذلك ، يقول الناظم في النونية :-" بل كل من أثني عليه إلهنا بالمدح أوبالذم في القرآن فلأنه سيموت وفق ثنائه كصحابة المعصوم(في المدح) والشيطان(في الذم). فالشيطان سيموت وفق ما أُثني عليه من الذم ، والصحابة ماتوا على ما أثني الله عليهم من المدح ولا يمكن أن يتغير الأمرولا تتبدل الحال .

....أ.هـ

وهذه أخر التقييدات على هذه المنظومة المختصرة والأرجوزة المفيدة التي أسأل الله أن يبارك فيها وأن يشرح لها صدور العالمين ، وأن يجعلها من الأعمال المقبولة ، وأن يرزقني فيها الإخلاص والقبول ، وأن يجعلها عملا نافعا لي في قبري ، وأن ينفع بها إخواني المسلمين ، وأن لا يجعل فيها حظا لأحد ، ونسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في شرحها ، ونسأل الله أن يغفر لنا زللنا وتقصيرنا، ونسأل الله أن يجعل ما قلناه وما كتبناه وما قرأناه زاد إلي حسن المصير إليه وعتادا إلي يُمن القُدومِ عليه إنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .